

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

المجلد الأول

السيد محمد تقي النقوي القائني


بسم الله الرحمن الرحيم

ضیاءالفرقان
فی
تفسیر القرآن

جلد ۱

لِمُؤلّفه سید محمد تقی النّقوی

سرشناسه	: نقوی قائنی، محمد تقی، ۱۳۰۸ - .
عنوان و نام پدیدآور	: ضیاء الفرقان فی تفسیرالقرآن / لمؤلفه محمدتقی نقوی قائنی.
مشخصات نشر	: تهران: قائن، ۱۳۹۵.
مشخصات ظاهری	: ۱۸ج.
شابک	: دوره 7-24-8981-964-978 ؛ ج. ۱: 4-25-8981-964-978
وضعیت فهرست نویسی	: فیپا.
یادداشت	: عربی.
موضوع	: تفاسیر شیعه -- قرن ۱۴.
موضوع	: Qur'an - - Shiite hermeneutics - - 20th century
رده‌بندی کنگره	: BP ۹۸/ ۷ن ض۹ ۱۳۹۵
رده‌بندی دیویی	: ۲۹۷/۱۷۹
شماره کتابشناسی ملی	: ۴۴۰۴۹۵۲

ضياء الفرقان فى تفسير القرآن - مجلد الاول

المؤلف: محمد تقى نقوى قائنى

الكمية: ۱۰۰۰

الطبعة: الاوّل

تاريخ الطبع: ۱۳۹۵ ش. - ۱۴۳۶ ق.

تنسيق الصفحات: محسن نقوى

ليتوغرافى: لوح محفوظ

المطبعة: گوهر انديشه

انتشارات: قائن

شابک: ۴ - ۲۵ - ۸۹۸۱ - ۹۶۴ - ۹۷۸

شابک دوره: ۷ - ۲۴ - ۸۹۸۱ - ۹۶۴ - ۹۷۸

◁ المقدمة

الحمد اللّٰه الذّى دلّ على ذاته بذاته و تنزَّه عن مجانسة مخلوقاته كيف يستدلّ عليه بما هو فى وجوده مفتقر اليه، بل متى غاب حتّى يحتاج الى دليلٍ يدلّ عليه و متى بَعُد حتّى تكون الاثار هى الّتى توصل اليه، عميت عين لاتراه و لايزال عليها رقيباً و خسرت صفقة عبدٍ لم يجعل له من حبّه نصيباً، المتجلّى بنور جماله على الملك و الملكوت و المحتجب فى عزّ جلاله بشعشة اللاّهوت عن سكّان الجبروت فضلاً عن قطّان النّاسوت، انار بشروق وجهه كُلَّ شَىءٍ، فَنَفَذَ نوره بحيث افنى المستنير و عند كشف سُبحاتِ جلاله لم يبق الاشارة و المُشير، نزّل القرآن على عبده، هدىً للنّاس و بيّنات من الهدى و الفرقان، نوراً يتوقد مصباحه و ضياءً يتلالأ صباحه و دليلاً لا يخمد برهانه و حقّاً لا تخذل اعوانه و حبلاً وثيقاً عروته و جبلاً منيعاً ذروته و شفاءً للصدور ليس وراءَهُ شفاء و دواءً للقلوب ليس مثله دواء، و اماماً يقتدى بسمته المقتدون و علماً يهتدى بهداه المهتدون، حمداً يدوم و لا يبيد، فطر الخلائق بقدرته و نشر الرّياح برحمته الذّى ليس لصفته حدٌّ محدودٌ و لا نعتٌ موجودٌ خصّص للصّعود الى عالم السّماء من بين الكلمات و الاسماء كلمة طيّبة كشجرة طيّبة اصلها ثابت و فرعها فى السماء لكونها غاية التكوين و الايجاد و ثمرةَ شجرة عالم الاضداد فكرّم هذه الكلمة بكرامة الخلافة الرّبانيّة فقال للملائكة: «اِنّي جاعِلٌ في الاَرْضِ خَليفَةً» و شرّفها بتعلّم الاسماء فقال: «وَ عَلَّمَ اٰدَمَ الاَسْماءَ كُلَّها» و جعلها مسجودةً للملائكة تشريفاً و تعظيماً فقال: «وَ اِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجِدوا لآدَمَ» و اطاع له الملك و الملكوت انقيادً و تسليماً ثمَّ انشأ من هذه الكلمة كلمات تامّات متعاقبات كلمةً بعد كلمةٍ و رسولاً بعد رسولٍ

فقال: «ثُمَّ اَرسَلنا رُسُلَنا تَترا كُلَّ ما جاءَ اُمَّةً رسولُها كَذّبوه» متفاضلةً بعضُها على بعض فقال: «تلك الرسول فضلنا بعضهم على بعض» و هكذا حتّى انتهت النوبة الى كلمةٍ جامعةٍ تشتمل على جوامع الكلم صورة اسم اللّه الاعظم و القيل اللّه الاقوم و الرّسول الخاتم المستشرق بنور عقله الكلّى عقول من تأخّر و من تقدّم المتعلّم فى مدرس علّمک ما لم تكن تعلم بل هو فى نفسه الكتاب الحكيم المُحكم الذّى فيه جوامع الكلم و لطائف الحِكم، نقطة الرّاسمة لكُلّ الحروف المُعجم المختوم به كتاب الرّسالة و المتّصل به دائرة الفضل و الاِجادة، نقطة دائرة الوجود و نكتة سرّ اللّه فى كُلّ موجودٍ المقصود بالايجاد اوّلاً و المبعوث بالتكميل اخراً، المذكور اسمه فى التوراة و الانجيل، خير الاوّلين و آلاخرين، المؤكّد دعوته بالتأييد، المخصوص شريعتُه بالتأبيد، الملّقب بحبيب اللّه على لسان جبرئيل بامرٍ من ربّ الجليل، ابى القاسم محمّدٍ سيّد الخلائق اجمعين و شافع الامم عند الخالق يوم الدّين و على آله و عترته المقدّسين المطهّرين المستودعين لحكمته، الحافظين لشريعته، مصادر بيوت الوحى و التنزّيل و خزنة اسرار القرآن و التأويل، انوار سماء العصمة و الهداية و آيات كتاب الامامة و الولاية اعلام الاسلام و ائمّة الانام «ما اعتقبت اللّيالى و الايّام» و «اختلف الضّياء و الظّلام» و لا سيّما بقية اللّه الاعظم صاحب الولاية الالهية الكبرى و الخلافة العالمّية العليا الذّى يكون النّصر قائده و الرُعب رائده به يعود الحقّ فى نصابه و يزول الباطل عن مقامه المدخّر لاصلاح هذا العالم المُنغمس بفطرته الظّلم و الفساد و المرتجى الازالة الطّاغوتية الغاشمة و العناد، سليلُ رسول اللّه و الحجة على خلقه، سيف اللّه المنتقم سيّدى و مولاى حجّة بن الحسن العسكرى عليهما السلام الذّى اذهب اللّه عنه و عنهم الرّجس و طهّرهم تطهيراً.

امّا بعد: فيقول العبد الضعيف الراجى لطف ربّه اللطيف، خادم كلام اللّه محمّدتقى بن محمّدباقر النقوى، القاينى الخراسانى (حشره اللّه مع مواليه و

جعل مستقبله خيراً من ماضيه» انّه لا يخفى على النافذ البصير و المطّلع الخبير انّ من البيّن اللائح الذّى لا يرتاب فيه ذوريب انّ الكتاب الكريم هو الاساس القويم الذّى تقوم عليه بُنيّة الدّين الحنيف و هو الروح السّماوية الّتى بها حياة العلّة البيضاء كيف لا و هو الكتاب الذّى يضمن اصلاح البشر و يتكفل بسعادتهم و اسعادهم و عليه تؤسس علوم الدّين و عنه تُؤخذ علوم الاجتماع و السياسة المدنية و القرآن مرجع اللغوى و دليل النحوى و حجة الفقيه و مثل الاديب و ضالة الحكيم و مرشد الوعظ و من ارشاداته تشكف اسرار الكون و نواميس التكوين و انّ لكلّ آيةٍ من آياته بل لكلّ فقرةٍ من فقراته ظهراً و بطناً و تفسيراً و تأويلاً فلهذا انّ النّبى الكريم هو الذّى خصّه اللّه ببيان ما انزل الى النّاس من ربّهم و تعليمه كما قال عزّ من قائل:

«لتبيّن للناس ما انزل اليهم من ربهم» و قال: «و يعلّمهم الكتاب و الحكمة» و انّ الطاهرين من اهل بيته هم الذّين قارنهم النّبى صلى الله عليه و آله و سلم بكتاب اللّه فسمّاهما الثقلين و اوقفهم موقف البيان و التعليم و امر بالتّمسّک بهم و اخذ الكتاب عنهم، فهم الهداة يهدى اللّه بهم لنوره من يشاء و هم المعلّمون القائلون بتعليم مافيه من حقائق المعارف و شرائع الدّين و قد بعث اللّه رجالاً من اولى النهى و البصيرة و ذوى العلم و الفضيلة على الاقتباس من مشكاة انوارهم و الاخذ و الظبط علومهم و آثارهم و ايداع ذخائرهم فى كتبهم و تنظيم شناتِها فى تأليفهم ليذوق بذالک العجائب من منهل الشاهد و يرد به اللاحق مورد السابق و لكن ليس من الانصاف ان نكلّف احداً و ان بلغ ما بلغ من العلم و التبحّر - ان يحيط بمعانى كتاب اللّه الاعظم من جميع الجهات لانّ اللّه تبارک و تعالى القى على نفوسهم شعاعاً من نوره و وضحاً من هداه فلهذا ننظر بعضهم يفسره من ناحية الادب او الاعراب و الاخر يفسره من ناحية الفلسفه و ثالثاً من ناحية العلوم الحديثه او نحو ذالک، كانّ القرآن لم ينزل الاّ لهذه الناحية الّتى يختارها ذلک المفسّر و تلک الوجهة الّتى يتوجّه اليها و لاكنّ الحق ان يكون المفسّر يجرى

مع الآية حيث تجرى و يكشف معناها حيث تشيرو يوضح دلالتها حيث تدلّ بمعنى ان يكون حكيماً حين تشتمل الآية على الحكمة و خليقاً حين ترشد الآية الى الاخلاق و فقيهاً حين تتعرض للفقه و اديباً حين ترمز على الادب و اجتماعياً حين تبحث فى الاجتماع و شئياً آخر حين تنظر فى اشياء اُخر و من اجل ذلک انّى كثيراً ما يخالج قلبى ان اشرح الكتاب الكريم شرحاً وافياً لجميع الجهات على ما تيسرلى من ظواهر الكتاب و محكماته و ما ثبت بالتواتر او بالطرق الصحيحة من الاثار الوارده عن اهل بيت العصمة من ذريّة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم و ما استقل به العقل الفطرى الصحيح الذّى جعله اللّه حجة باطنة كما جعل نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم و اهل بيته المعصومين حجة ظاهرة و ايضاً انّى كثيراً مّا استعين بالآية على فهم اختها و استرشد القرآن الى ادراک معانى القرآن مع ضيق باعى و قصر ذراعى و تشتت احوالى و تفاقم احزانى، خصوصاً فى ذلک الزّمان، رفعها اللّه عنّى و عن جميع الاخوان بحقّ صاحب الزّمان عليه صلوات اللّه الرّحمٰن.

و سمّيتُ هذا التفسير به «ضياء الفرقان فى تفسير القرآن» و انّى لاجور من خُلّص اِخوانى المؤمنين الناظرين الى ما كتبتُ فى هذه الاوراق ان يذكرونى بطلب المغفرة و الدّعاء و ان يعفونى اذا عثروا على الذّلات، فانّ العصمة مختصة باهلها.

وفّقنا اللّه و اخواننا المؤمنين للصّراط المستقيم و عصمنا من الاهواء الباطلة و النفس الامارة بالسّوء.

الحمد للّه على نعمائه و آلائه و الصلوة و السّلام على سيّدنا محمّد و آله الطيبين الطاهرين. و نقول «ايها العزيز مسّنا اهلنا الضّر و جئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل و تصدّق علينا انّ اللّه يجزى المتصدّقين.»

■

الجزء

الاوّل

الحمد اللّهِ اَنزَلَ الکتاب الی عبده لِیُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمٰاتِ إِلَی ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلیٰ صِراٰطِ ٱلْعَزِیزِ ٱلْحَمِیدِ.

ثمّ الصلٰوةُ والسّلام علیٰ مَن ثُمیّ فی السّمٰوات باَحمَد و فی الارَضین به ابالقاسم المحمّد صلی الله علیه و آله و علیٰ اوصیائه و خُلفائه ائمّة المَعصومین اوّلهم امیرالمؤمنین علیه السلام و آخرهم حجّة بنِ الحسن العسکری (عج).

الّذی قال رسوُلُ اللّه صلی الله علیه و آله فی حقّ: لَو لَم یبقَ من الدّنیا الاّ یومٌ واحد لَطوّل اللّه ذالکَ الیوم حتّی یخرَج رجُلُ من وُلدی اسمُهُ اسمی، یملأ اللّهُ الارض بهِ قسطاً و عدلاً بَعدَ ما مُلئت ظلماً و جوراً. صلواة اللّه علیهم اجمعین.

امّا بعد، فیقولُ العبده الفقیر المحتاجُ الیٰ ربّه الغنّی **محمّد تقی بن محمّد باقر الحسینی القاینی**: انّی لمّا فرّغتُ من تألیف شرحی المَبسوط علیٰ نهج البلاغة لمولاٰنا امیرالمؤمنین المسمّیٰ به مفتاح السعادة فی شرح نهج البلاغة (۱۸ مجلد) شرعتُ فی تفسیرِ کلام اللّه بقَدر استطاعتی و هو هذا الکتاب سمّیتُ بالضیاء الفرقان فی تفسیر القرآن. و قد وفّقنی اللّه تعالیٰ به اتمامه و ارجو مِن اللّه تعالیٰ نحن یَنفعنی بهِ فی الآخرة حیث لا ینفعُ فیها مالٌ و لا بَنون الاّ من اتا اللّه قلب سلیم.

فنقول الحمد للّه رب العالمین والصّلٰوة والسّلام علیٰ جمیع الانبیاء و المُرسلین، آمین ربَ العالمین.

■

سورة الحمد

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ
اَلْحَمْدُلِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ اَلرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾
مٰالِكِ يَوْمِ الدّيِنِ ﴿٤﴾ اِيّٰاکَ نَعْبُدُ وَ اِيّٰاکَ نَسْتَعِينُ
﴿٥﴾ اِهْدِنَا الصِّرٰاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرٰاطَ الَّذِينَ
اَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِالْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَ لاَالضّٰالّيِنَ ﴿٧﴾

إعلم انّ الباء حَرف جرٍّ أصله الألصاق والحرُوف الجارّة علىٰ ما قيل موضوعة لمعنىٰ المفعُوليّة و ذلك لأنّها توصِل الأفعال الىٰ الأسماء وتوقعها عليها فاذا قلت مررتُ بزيد اوقعت الباء المرُور علىٰ زيد و محلّه النَّصب لأنّه مَفعول به للفعل المَحذوف اي ابدا بِسْمِ اللّٰهِ او قولوا **بِسْمِ اللّٰهِ** و انّما حُذف الفعل لأنّ دلالّة الحال أغنت عن ذكره و قيل محلّه الرّفع بناءً علىٰ أنّه خَبرٌ لِمبتدءً محذوف والتّقدير ابتدائي بِسْمِ اللّٰهِ فالباء علىٰ هذا متّعلق بالخبر المحذُوف و هو ثابت اي ابتدائي ثابتَ بِسْمِ اللّٰهِ او ثَبَتَ بِسْمِ اللّٰهِ وعلىٰ أي تقدير لا يجوز أن يتّعلق الباء بابتدائي لانّه مصدر واذا تعّلق الباء به يصير من صِلَّته و بقىٰ المبتدء بلا خبر، و امّا تحريك الباء مع أنّ الأصل في الحروف البناء و أصل البناء السّكون كما قال ابن مالك في الْاَلْفيّة في النمّو (والأصل في المَبنّىٰ أن تَسّكينا) فللزوم الأبتداء و لا يمكن بالسّاكن وأنّما حرِّکَ بالكسر لوجوهٍ.

أحدها: أنّ عمل الباء الجرّ فحرّكَ بالكسر ليناسب العمل اللّفظ.

ثانيها: أنّ الباء لا يدخل الاّ علىٰ الأسماء والجّر أيضاً لا يكون اِلاّ في الأسماء و لذلك حرّك بالكسر.

ثالثها: ليفرق بين الباء و بين ما يكون من الحروف اسماً نحو الكاف في قول الشّاعر: «وَرُحنا بكابنِ الماء يُجنَب وسُطنا» أي بمثل ابن الماء أو ماكان مثله.

و قول الشّاعر: «ليَضحكن عن كالبرد المُنَهم» ولأجل هذا قالوا أنّ الكاف لا يلزم الحرّفية بخلاف الباء فأنّه يلزمها هذا قول أبي عمر الجرمي.

و أمّا الفارسي فقد نُقل عنه جواز الضّم والفتح في الباء واستدلّ علىٰ المدّعىٰ بأنّ الغرض التَّوصل الىٰ الإبتداء فباي حركةٍ توصل اليه جاز و كيف كان لا يبعد أن يكون المراد به تضمين الإستعانة اي استعينوا بانِ تسّموا اللّه بأسمائه الحسنىٰ وتَصفوه بصفاته العّليا هذا كلّه في الباء.

أمّا **الأسم** فقد اختلفوا في اشتقاقه علىٰ وجهين، فقال البصريّون هو مشتقّ من **السّمُّو** و هو العُلو والرَّفعة. إمّا لأنّ الأسم علىٰ بقوّته علىٰ قِسمي الكلام، الحرف و الفعل فلِعلّوه عليهما مسمّىٰ إسماً امّا لانّ صاحب الأسم بمنزلة المرتفع به او لانّ الأسم يسموا بالُمسمّى فيرفعه من غيره.

و قال الكوفيون أنّه مُشتقّ من **السَّمة** و هي العلامة لأنّ الأسم علامة لمن وضع له و عليه فالأصل فيه **وسم** و المشهور عند المحقّقين هو قول البَصريين و ذلك لانّ تصغيره **سُمّي** و جَمعُه علىٰ أسماء و قد ثبَت أنّ الجمع والتصغّير يرّدان الأشياء الىٰ أُصولها فلو كان مشتقاً من السمّة كان الأصل فيه **وسم** و تصغيره علىٰ **وَسَم** وجمعه علىٰ **أوسام** ولم يقل به احَد و انّما حُذفت الهَمزة من الأسم في بِسْمِ اللّهِ في اللفظ لأنّها هَمزة الوصل و هي تسقط في الدّرج و في الخَط أيضاً لكثرة الإستعمال فيما لا يخاف فيه اللبس و لهذا لا يُحذف في نحو قوله تعالىٰ: **اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ اَلَّذِي خَلَقَ**[1] لقلّة الإستعمال ثم أنّهم اختلفوا



١- العلق = ١

في أنّ الأسم هو المُسمّىٰ بعينه ام غيره فَذهب ابوعبيدة و سيبويه الىٰ أنّ الأسم هو المُسمّىٰ و عليه فاذا قال قائل (اللّه عالم).

فقوله دالّ علىٰ الذّات الموصوفة بكونه عالماً.

و كذلك اذا قال **اللّه خالق** فالخالق هو الرَّب بعينه و هو بعينه الأسم و ذَهب الاخرون الىٰ انّه غيره و الحَق في المقام أنّ هذا البحث ممّا لا طائل تحته و ذلك لأنّ الأسم إن اُريد به اللّفظ فلا شكّ انّه غيره اذ اللفظ يتالف من اصوات مُقطعة غير قارّةٍ يختلف باختلاف الامم والعصور و يتعدّد تارّةً و يتحدّ اخرىٰ والمُسمّىٰ لا يكون كذلك و ان اُريد به ذات الشّئ فهو المُسمّىٰ لكنّه لم يشتهر هكذا قال بعض المحققين والّذي يخطر بالبال هو أنّ الأسم غيره قولاً واحداً و لا يجوز ارادة الذّات من اللّفظ الأ علىٰ وجه الدّلالة والحكايّة و أمّا أنّه هو علىٰ سبيل العينيّة فلانفهم معناه و ذلك لانّه قد يعرِف الأسم من لا يَعرِف المُسمّىٰ والاسم قد يكون مُدركاً و ان لم يدرك المُسمّىٰ ولو كان هو فاذا قال القائل نار احترق لسانه و اذا قال **عَسَل** وجد الحَلاوة في فمه و القول بانّ هذا من التسميّة دون الاسم، باطل لانّ القائل لو قال (أكلتُ إسم العَسل) لَكان جاهلاً و قد اطالوا الكلام في المقام بما لا فائدة فيه علماً و عملاً.

و امّا قول الشّاعر «الىٰ الحَول ثمّ إسم السّلام عليكما. ومن يبكِ حَولاً كاملاً فقد إعتَذر» فلا يدّل علىٰ انّ الاسم هو المسمّىٰ و انّ التّقدير السّلام عليكما فأسم هو السّلام وذلك لأنّ الشّاعر اراد به إسم اللّه تعالىٰ لأنّ السّلام من اسمائه في قوله تعالىٰ: **ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ**[1] و عليه فلا دلالة له علىٰ العَيّنية **اللّه** هذا الإسم علَم علىٰ الاصّح للذّات الواجب الوجود المستجمع لجميع الصّفات الكماليّة حتّىٰ قيل أنّه إسم اللّه الأعظم ولم يُسّم به غيره، ولذلك لَم يثّن ولَم يجمع، و قيل معناه الّذي يستحقّ ان يعبد، و قيل معناه واجب الوجود الذّي لم

١- الحشر = ٢٣

يزل و لا يزال والمآل في الكّل واحد ثمّ أنّهم اختلفوا في كونه مُشتقّاً فمنهم من قال به و منهم من لَم يقل به فمن قال بعدم الاشتقاق قطع بكونه اسماً موصُوفاً لِلّذات الواجب الوجود اذ ليس يجب في كلّ لفظٍ أن يكـون مشـتقاً لانّـه لو وَجب ذلك لتَسلسل والتسلسل باطل عقلاً فكذلك كلّ ما يُوجبه و هذا قول الخليل أمّا من قال باشتقاقه و هو غير واحد من المُحققين اختلفوا في اشتقاقه علىٰ وجوهٍ:

أحدها: انّه مشتقّ من **الألُّوهية** التّي هي العبادة والتّأله التعبُد يُـقال فـلان متاله اي مُتعبّد فعلىٰ هذا يكون معناه الّذي يجب له العبادة و لذلك لا يُسمّىٰ به غيره تعالىٰ و يوصف فيما لم يزل بانّه اله.

ثانيها: أنّه مُشتق من **الوَلَه** و هو التَّحير يقال ألَه يألَه اذا تحيّر نقل هذا القول عن أبي عمرو و عليه فمعناه أنّه الّذي تحيّرت العُقول في كُنه ذاته.

وثالثها: أنّه مُشتق من **أَلَهْتُ** الىٰ فلان أي فزعت اليه لان الخلق يألهُون اليه أي يفزعون اليه في حوائجهم.

رابعها: أنّه مُشتقّ من **أَلهتُّ** اليه اي سكنت اليه نقلَ هذا عن المُبرّد و معناه أنّ الخلق يسكنون الىٰ ذكره كما قال تعالىٰ: **أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ**[1].

وخامسها: أنّه مُشتق من **لاه** اي احتجب و عليه فمعناه أنّه تعالىٰ إحتجب بالذّات عن الاوهام و ظهر بالدّلائل و الاعلام كما قيل (يا من هو اختفىٰ لِفرط نوره، الظّاهر و الباطن في ظهُوره).

قال الخليل أنّ أصله **الاٰه** مثل فِعال فأدخلت الألف واللاّم بَدلاً من الهَمزة.

قال سيبويه مِثل النّاس أصله إناس و قيل اصل الكلمة **لاه** و عَليه دخلت **الألف** للتّعظيم و هذا اختيار سيبويه و أنشدَ:

لاهُ ابْنُ عَمِّک لا أفضلت في حَسَبٍ   عَـنّي ولا أنتَ ديّـاني فَـتَحزوني.

١- الرعد = ٢٨

قال الكسائي و الفرّاء معنا بِسْمِ اللّٰهِ، بسم الاٰله فَحذفوا الهَمزَة و أدغَمُوا اللّام الأولىٰ في الثّانية فصارتا لاماً مشدَّدة كما قال عَز وجَل: لّٰكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّى[1] و معناه لكن أنا و لكّلٍ من هذه الوجوه وجهُ وجيه و في المقام قول آخر ذهب اليه الشّافعي و ابوالمعالي و الخطابي و الغَزالي و غيرهم و هو أنّ الألف و اللّام لازمة له لا يجوز حذفهما منه و نُقل هذا القول عن الخليل و سيبويه أيضاً و إستدلوا علىٰ المدعىٰ بدخول حرف النّداء عليه كقولك **ياالله** و حَرف النّداء لا تجتمع مع الألف و اللّام للتّعريف ألا ترىٰ أنّك لاتقول **ياالرَّحْمٰنِ الرَّحيِمِ)** و عَليه فالألف و اللّام من لبُنيةِ هذا الأسم و هذا القول يناسب عدم اشتقاقه و أنّه موضوع لِلّذات اذ علىٰ الإشتقاق لا محيص عن زيادة الألف و اللّام كما هو ظاهر و أنّما قال: بِسْمِ اللّه و لَم يَقل **باللّٰه** لأنَ التَّبرك و الإستعانة بإسمه و للفرق بين اليمين و التَّبركَ و قيل المراد به ابتدء بتَسمية اللّه فوضع الأسم موضع المبتدء كما يقال أكرمته كرامةً أي إكراماً و أهنته هَواناً أي إهانة ومنه قول الشّاعر:

أكُفراً بعد رَّد المَوت عنّى ... وبعد عطائك المائة الرّتاعا

أي بعد إعطائك و قال الأخر:

فأن كان هذا البُخل منك سجّيةً ... لقد كنت بي طولاً رجائك أشعبا

أي في إطالتي رجائك فعلىٰ هذا يكون تقدير الكلام أبتدء قرأتي بتسميّة اللّه و هذا القول أولىٰ بالصّواب لأنّا امرنا بأن نفتح أمورنا بتسميّة اللّه لا بالخبر عن كبريائه و عظمته كما أمرنا بالتّسمية في الأكل و الشّرب و الذّبائح ألا ترىٰ أنّ الذّابح لو قال **باللّه** ولم يقل بسم اللّه لكان مُخالفاً لِما أمر به الرَّحْمٰنِ الرَّحيِمِ اختلفوا في اشتقّاق **الرَّحمٰن**.

أيضاً فقال بعضهم لا إشتقاق له لأنّه من الأسماء المُختّصة به سبحانه و لأنّه لو كان مُشتقّاً من الرَّحمة لاَتَّصل بذكر المرحوم فجاز أن يقال، اللّه رحمٰن

١ - الكهف = ٣٨

بعباده كما يقال رحيم بعباده و أيضاً لو كان مُشتقّاً منها لم تنكره العرب حين سمعوه و قد قال اللّه عزّ وجلّ: **وَ إِذاْ قِيلَ لَهُمُ اَسْجُدُوا لِلرَّحْمٰنِ قَالُوا وَ مَا اَلرَّحْمٰنُ**[1].

و قال تعالىٰ: **وَ هُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمٰنِ**[2] وذهب الجمهور من النّاس الىٰ أنّ **الرّحمٰن** مُشتقّ من **الرّحمة** مبنّي علىٰ المبالغة و معناه ذوالرّحمة الّذي لا نظير له فيها و لذلك لا يثنىٰ و لا يجمع و قال بعض المفسّرين الرّحمٰن و الرّحيم اسمان بنيا للمُبالغة من رحم كالغضبان من غَضب و العليم من عَلِمَ.

الرّحمة في أصل اللّغة رقّة القلب و انعطاف يقتضي التفضّل و الإحسان و منه الرّحم لانعطافها علىٰ ما فيها و اسماء اللّه تعالىٰ أنّما تؤخذ باعتبار الغايات التّي هي أفعال دون المبادى التّي تكون إنفعالات ثمّ أنّ **الرّحمٰن** ابلغ من **الرّحيم** لأنّ زيادة البَناء تدّل علىٰ زيادة المعنىٰ و ذلك أنّما تُؤخذ تارةً باعتبار الكميّة و اُخرىٰ بإعتبار الكيفيّة فعلىٰ الأوّل قيل يا رحمٰن الدّنيا لأنّه يعم المؤمن و الكافر و رحيم الأخرة لانّه يختصّ المؤمن.

و علىٰ الثّاني قيل يارحمٰن الدّنيا و الأخرة و **رحيم** الدّنيا لأنّ النّعم الأخروية كثيرة دائمة جليلة و أمّا النّعم الدّنيوية حقيرة قليلة، و هل هما بمعنىٰ واحدٍ أو بمَعنيين فيه قولان فقيل هما بمعنىٰ واحد كندمان و نديم قاله أبو عبيدة.

و قيل ليس بناء فعلان كفعيل فأنّ فعلان لا يقع الاّ علىٰ مُبالغةِ الفعل نحو قولك غضبان للممتلى غضباً و فعيل قد يكون بمعنىٰ الفاعل و المفعول كقول الشّاعر:

فأمّا إذا عضّت بك الحَرب عَضّةً فأنّك معطوفٌ عليك رحيم.

فالرّحمن خاصّ الأسم عام الفعل و **الرّحيم** عامّ الأسم خاصّ الفعل.

١- الفرقان = ٦٠ ٢- الرعد = ٣٠

قال أبو علي الفارسي **الرَّحمٰن** إسم عام في جميع أنواع الرَّحمة يختصّ به اللّٰه و **الرَّحيم** أنّما هو في جهة المؤمنين كما قال تعالىٰ: **وَ كانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا**[1]

قال العرزمي **الرَّحمٰن** بجميع خلقه من الأمطار و نعم الحواس و النِّعم العامّة و **الرَّحيم** بالمُؤمنين في الهِداية لهم واللطف بهم.

قال ابن المُبارك **الرَّحمٰن** إذا سُئل أعطىٰ و **الرَّحيم** اذا لم يُسأل غضب.

قال الشّاعر:

اللّـه يَـغضب أن تَـركت سؤاله ونُـهّي أدم حـين يُسأل يَغضب

قال ابن عبّاس هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الأخر أي أكثر رَحمة) و انّما قدم الرَّحمٰن علىٰ الرَّحيم لأنّ الرَّحمٰن بمنزلة إسم العَلم من حيث لا يوصف به الاّ اللّه فوجب لذلك تَقديمه بخلاف الرَّحيم لأنَه يُطلق عليه و علىٰ غيره.

قد روىٰ أبو سعيد الخدّري عن النّبي ﷺ: أنّ عيسىٰ ابن مَريم قال الرَّحمٰن رحمٰن الدّنيا و الرَّحيم رحيم الأخرة)

عن بعضٍ آخر: أنّه قال الرَّحمٰن بجميع الخلق و الرَّحيم بالمؤمنين خاصّة).

قال بعض أهل التَّحقيق وجه عموم **الرَّحمٰن** بجميع الخَلق هو انشائه و ايجاده ايّاهم و خَلقهم أحياء قادرين و وجه خصوص **الرَّحيم** بالمؤمنين هو ما فعله بهم في الدّنيا من التَّوفيق في الآخرة من الجنّة والاكرام و غفران الذّنوب و الآثام و الىٰ هذا المعنىٰ يرجع.

ما رُوّي عن الصّادق عليه السلام: أنّه قال الرَّحمٰن إسم خاصّ بصفة عامّة والرَّحيم إسم عامّ بصفةٍ خاصّة.

١- الاحزاب = ٤٣

و عن عَكرمة قال: الرَّحمٰن برحمةٍ واحدة والرَّحيم بمائة رَحمة).

ذلك لما رُوّي عن النّبي صلّی الله علیه و آله و سلّم: أنّ للّه عزّ وجلّ مائة رحمَةٍ وأنّه أنزل منها واحدةٍ الیٰ الأرض فقَسّمها بين خَلقه بها يَتعاطفون ويَتراحمون وآخر تسعاً وتسعين لنفسه يَرحم بها عباده يَوم القيامة.

و عن أمير المؤمنين عليه السلام: الرَّحمٰن الّذي ببَسطه الرّزق علينا.

و في روايّة العاطف علىٰ خلقه بالرّزق ولَم يقطع عنهم موّاد رزقه وانّ انقطعوا عن طاعته والرَّحيم العاطف علينا في أديانا و دنيانا و آخرتنا خفَّف علينا الدّين و جَعله سَهلاً خفيفاً و هو يَرحمنا بتمييزنا من أعدائه انتهىٰ.

قال بعض الفلاسفة أنّما كان **الرَّحمٰن** إسماً خاصّاً و **الرَّحيم** إسماً عامّاً لأنّ الاوّل من اسمائه الخاصّة به لا يطلق علىٰ غيره بخلاف **الرَّحيم** و أمّا عمُوم الصّفة في الرَّحمٰن و خصوصها في **الرَّحيم** فلأنّ **الرَّحمٰن** إسم لِلحّق تعالىٰ بإعتبار الجمعّية الأسمائيّة التّي في الحَضرة الإ لأهية الفائض منه الوجود و ما يتبعه من الكمالات علىٰ جميع الممكنات، و**الرَّحيم** إسم له باعتبار فيضان الكمالات المعنويّة علىٰ أهل الايمان كالمعرفة و التّوحيد انتهىٰ.

ثمّ أنّ **الرّحمٰن** صفة للّه و **الرَّحيم** صفة بعد صفةٍ قال قطرب يجوز أن يكون الرّاغبين و وَعد لا يخيب امله هذا تمام الكلام في تفسير البسملة بقىٰ في المقام امران لابدّ من ذكرهما ليَتّم البَحث فيه.

أحدهما: أنّها جزء من السّورة.

ثانيهما: ما ورد في الأثار من فضلها.

أمّا البحث في الأوّل: فنقول لا خلاف عندنا أنّها آية من الحَمد و من كلّ سورةٍ، الأسورة النَّمل فأنّها بعض آيةٍ منها و لذلك فمن تركها في الصّلاة فريضةً

كانت او نافلة بطلت صلاته والوجه فيه أنّه لا صلاة الاّ بفاتحة الكتاب و حيث أنّ البسملّة منها فتركها يُوجب بطلان الصّلاة و أيضاً عندنا أنّه يجب الجهر بها فيما يجهر فيه بالقراءة ويُستّحب الجهر بها فيما لا يُجهر فيه.

و قد رُوي عن الصّادق عليه السلام أنّه قال:البسمّلة تيجان السّور).

عن تفسير العيّاشي عن يونس ابن عبد الرّحمٰن عمّن رفعه قال: سألت أبا عبد اللّه عن قول اللّه تعالىٰ: وَ لَقَدْ آتَيْنٰاكَ سَبْعًا مِنَ اَلْمَثٰانِي وَ اَلْقُرْآنَ اَلْعَظِيمَ[1] قال هي سورة الحمد و هي سبع آيات منها بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ وأنّما سُمّيت المثاني لأنّها تثنّىٰ في الرّكعتين انتهىٰ.

و عن صفوان الجمال قال: قال أبو عبد اللّه عليه السلام ما أنزل الّله من السّماء كتاباً الاّ وفاتحته، بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ وأنّما كان يعرف إنقضاء السّورة بنزول، بسم الّله الرّحمٰن الرّحيم إبتِداء لِلاخرىٰ،

عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام قال: سَرقوا أكرم آية في كتاب اللّه، بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ انتهىٰ.

والاحاديث في الباب كثيرة جدّاً و حيث لا خلاف عندنا في المقام فلا نحتاج الىٰ ذكرها ازيد ممّا ذكرناه و أمّا العامّة فقد اختلفوا علىٰ ثلاثة أقوال:

الأوّل: أنّها ليست بآية من الفاتحة و لا غيرها و هو قول مالك.

الثّاني: أنّها آية من كلّ سورةٍ و هو قول عبد اللّه ابن المبارك.

الثّالث: قول الشّافعي و هو أنّها آية في الفاتحة و أمّا سائر السُور فقد تَرَدّد قوله فمرّةً قال هي آية من كلّ سورةٍ و مَرةً قال ليست بآية، و لاخلاف عند العامّة في أنّها آية من القرآن في سُورة النَّمل هكذا.

١- الحجر= ٨٧

قال القرطبي في تفسيره ثمّ نقل في كتابه حُجة الشّافعي و ابـن المبارك فقال، الصّحيح من هذه الأقوال قول مالك لأنّ القرآن لا يثبُت بأخبار الأحاد و أنّما طريقه التّواتر القطعي الّذي لا يختلف فيه ثمّ قال:

قال ابن العربي و يكفيک أنّها ليست من القرآن إختلاف النّاس فيها و القرآن لا يختلف فيه و الأخبار الصّحاح التّي لا مطعَن فيها دالّة علىٰ أنّ البَسملة ليست بآيةٍ من الفاتحة و لا غيرها الاّ في النَّمل و حدها انتهىٰ. ما نقلناه عنه و الحّق أنّها جزءٌ من كلّ سُورةٍ.

قد روىٰ السّيوطي في تَفسيره المُسّمىٰ بالدُّر المَنثور روايات كثيرة دالّة علىٰ المُدّعىٰ و هكذا غيره من المفسّرين الاّ أنّه ليس هذا أوّل قارورةٍ كسرت في الإسلام.

الثّانى: ماوَرَدَ في الآثار من فضلها.

قال الصّادق عليه‌السلام: احتجبوا من النّاس كلّهم بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ وبقل هو اللّه أحد إقرأها عن يمينک و عن شمالك و من بين يَديك و من خَلفك و من فوقك و من تحتك و إذا دخَلت علىٰ سلطانٍ جائرٍ فاقرأها حين تنظر اليه ثلاث مرات و أعقد بيدک اليسرىٰ ثمّ لا تُفارقها حتّىٰ تخرج من عنده) انتهىٰ.

عن كتاب التّوحيد بأسناده الىٰ أبي عبد اللّه في حديثٍ طويل و فيه قال رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم من حزنه أمر يتعاطاه فقال بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ و هو يخلص لِلّه و يقبل بقلبِه اليه لم يَنفك من إِحدىٰ إثنتين إمّا بلوغ حاجته في الدّنيا و امّا تعدّله عند ربّه و تدخر لَدّيه و ما عند اللّه خير و أبقىٰ للمؤمنين انتهىٰ.

و فيه عن الصّادق عليه‌السلام و لربما تَرك بعض شيعتنا في افتتاح أمره بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ فيمتحنه اللّه عزّ وجلّ بمكروهٍ لينبهه علىٰ



شكر اللّه تبارك و تعالىٰ و الثّناء عليه و يمحق عنه و صمة تقصيره عند تركه قوله: بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ.

و عن تهذيب الأحكام بأسناده عن أبي عبد اللّه عن أبيه عليه السلام قال: بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ أقرب الىٰ إسم اللّه الأعظم من ناظر العين الىٰ بياضها.

و به رواية عن ابن عبّاس قال: بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ إسم من أسماء اللّه الأكبر ما بينه و بين إسم اللّه الأكبر الاّ كما بين سواد العين و بياضها.

و عن علّي ابن إبراهيم بأسناده عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال فاذا جعلتَ رجلك في الرّكاب فقل بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ بسم اللّه واللّه أكبر انتهىٰ.

الاحاديث كثيرة و فيما نقلناه كفاية. و قد روى العامّة و الخاصّة عن النّبى صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: كلّ أمرٍ ذي بال لم يُبدء فيه **بِسْمِ اللّٰهِ** فهو أقطع أو أبتر انتهىٰ.

اَلْحَمْدُلِلّٰه رَبِّ الْعٰالَمِينَ.

قال الرّاغب في المفردات الحمدُ لّله تعالىٰ الثّناء عليه بالفضيلة و هو أخصّ من المَدح و أعمّ من الشّكر انتهىٰ.

أقول: اَلْحَمْد بفتح الحاء و سكون الميم مَصدر قولك **حمدته حمداً** و هو نقيض الذّم و الّلام فيه امّا للجنس أو لِلإستغراق فعلىٰ الأوّل معناه جنس الحمد له تعالىٰ و علىٰ الثّاني كلّ الحمد له تعالىٰ و الّلام في **لّلِهِ** لِلإختصاص أي أنّ الحمد يَختصّ به و عليه فالحمد مبتدأ و **لّلِهِ** خبره.

رَبِّ أيضاً مصدر يقال علىٰ المالك والسّيد المصلح جمعه أرباب وربُوب و هو من أسمائه تعالىٰ لأنّه تعالىٰ مالك الكلّ و سائنهم.

الْعٰالَمِينَ جمع **عالم** والعالم جمع لا واحد له من لَفظه كالنَّفر و الجَيش و إشتقاقه من **العَلامة** لأنّه يدّل علىٰ صانعه و قيل من العلم لأنّه اسم يقع علىٰ ما يعلَم و أمّا في عرف اللّغة فهو عبارة عن جماعة من العقلاء لأنّهم يقولون جائني عالم من النّاس و لا يقولون جائني عالِم من البَقرة و عرف النّاس يطلق علىٰ جميع المخلوقات كما ستقف عليه انشاء اللّٰه وكيف كان فهو مضاف اليه لِلرّب و الجملة صفة للّٰه و المجموع خبر لِلمبتدأ.

قيل الخبر محذوف و تقدير الكلام، الحمد ثابت أو حق لِلّٰه ربّ العالمين والأمر سَهل بعد وضوح المقصود.

قال الزّمَخشري أصلَه النصب الّذي هو قراءة بعضهم باضمار فعله علىٰ أنّه من المصادر التّي تنصبها العرب بافعال مضمرة في معنىٰ الأخبار كقولهم شكراً أو كُفرا الىٰ أن قال و العدول بها عن النّصب الىٰ الرّفع علىٰ الإبتداء لِلدّلالة علىٰ ثبات المعنىٰ و إستقراره و منه قوله تعالىٰ: قال سلاماً قال سلام) رُفع السّلام الثّاني لِلدّلالة علىٰ أنّ ابراهيم حيّاهم بتَحية أحَسن من تحيتهم لأنّ الرّفع دلّ علىٰ معنىٰ ثبات السّلام لهم دون تَجدّده و حدوثه و المعنىٰ: نحمدُ اللّه حمداً. انتهىٰ كلامه.

أقول: يظهر من كلامه أنّه إختار الرّفع علىٰ الإبتداء لإثبات التَّجدد و الحدوث و أنّىٰ له باثبات ذلك و قد قيل أنّ في النّصب إشعاراً بالفعل و في صيغة الفعل إشعار بالتَّجدد و ليس كذلك الرّفع فأنّه يستدعي إسما ذلك الأسم صفة ثابتة ألا ترىٰ أنّ المقدّر مع النّصب نحمد اللّه الحَمد و مع الرّفع الحمد ثابت أو مستقر فليس لكلّ واحدٍ من الطّرفين الاّ مجرّد الدّعوىٰ من غير دليل و لا مشاحة فيه بعد اتفاقهم علىٰ الرّفع علىٰ الإبتداء هذا كلّه من حيث الإعراب و اللّغة و التفسّير.

والحَمد والمَدح اخوان و هما الثّناء علىٰ الجميل نعمة كان او غيرها تقول حمدت الرّجل علىٰ انعامه و حَمدتُه علىٰ حسنه و شجاعته و أمّا الشّكر فعلىٰ النّعمة خاصّة و هو بالقلب و اللّسان و الجوارح، والحَمد باللّسان وحده قال الشّاعر:

أفـادتكم النّـعماء مِـنّي ثـلاثة يَدي ولسـاني والضّمير المُحّجبا

ونقيض الحَمد الذّم كما أنّ نقيض الشّكر الكفران انتهىٰ ما قاله الزّمخشري في الكشّاف.

والمشهُور بين المحقّقين أنّ الحمد هو الثّناء علىٰ الجميل الإختياري من نعمةٍ أو غيرها والمدح هو الثّناء علىٰ الجميع مُطلقاً سواء كان إختيارياً أم لا و لهذا تقول حمدت زيداً علىٰ علمه وكرمه و لا تقول حمدتُه علىٰ حسنه بل تقول مَدحتُه لإنّ حسنه ليس تحت اختياره بخلاف عِلمه وكرمه و أمّا الشّكر فهو مُقابلة النّعمة قولاً و عملاً و إعتقاداً فالشّكر أعَم منها من وجهٍ و أخصّ من آخر وكيف كان فلاشكّ أنّ جميع المحامد في الحقيقة ترجع اليه تعالىٰ لأنّ العبد و ما في يده كان لمولاه مضافاً الىٰ أنّه تعالىٰ منشأ الخيرات و مفيضها و مُوجِد النِّعم و واهبها و قد ثبت أنّ ما للغير من صِفات الكمال فهو له بالحقيقة و إتّصاف الغير بها باعتبار مظهَرته له لا باعتبار ذاته و نفسه و عليه فلا فرق بين كون اللّام للجنس أو الإستغراق و هو ظاهر.

قد روي صاحب كشف الغمّة عن الباقر عليه السلام قال الصّادق عليه السلام فقد لابي بغلة فقال عليه السلام لأن رَدّها اللّه علّى لاحمدته بمحامِد يـرضاها فما لبِث أن أتىٰ بها بسرجها ولجامها فلّما إستوّىٰ وضمّ اليه ثيابه رفع رأسه الىٰ السّماء وقال، الحمدُ لِلّه ولم يزد ثمّ قال ما تركتُ و لا بقيت شيئاً جعلتُ جميع أنواع المحامد لِلّه عزّ وجّل فما من حمدٍ إلاّ و هو داخل فيما قلت) إنتهىٰ.

يظهر من هذا الحديث أنّ جميع أنواع المحامد داخلة تحت قولنا الحَمد لِلّه ربّ العالمين و هو كذلك.

إعلم أنّ هذه السّورة مكيّة كما عن ابن عباس و قتادة و مدنيّة كما عن مجاهد و قيل أنزلت مرّتين مرّة بمكّة و مرّة بالمدينة و لها أسماء كثيرة و المشهور منها عشرة:

الأول: فاتحة الكتاب سُميّت بذلك لإفتتاح المصاحف بكتابتها ولوجوب قراءتها في الصّلاة فهي فاتحة لما يتلوها من سور القرأن و قيل سميت بها لأنّها أوّل سورة أنزلت في القرآن فهي فاتحة النّزول و ابتدائه.

الثّانى: أُمّ الكتاب قيل سُمّيت بذلك لأنّها مُتقدّمة علىٰ سائر سُور القرآن و قيل سُميت بذلك لأنّها أصل القرآن والام الأصل و انّما صارت أصل القرآن لأنّ اللّه أودع فيها جَميع ما في السُّور لأنّ فيها إثّبات الرّبُوبية و العبودّية و هذا هو المقصود بالقرآن.

الثّالث: سَبع المثاني، سُميت بذلك لأنّها سبع آيات لاخلاف فيها و بالمثاني لأنّها تثنىٰ بقراءتها في كلّ صلٰوة فرض و نفل و قيل لأنّها نَزلت مرّتين.

الرّابع: الوافية فسمّيت بها لأنّها لا ينتصف في الصّلاة..

الخامس: الكافية لأنّها تكفي عمّا سواها و لا يكفي ما سواها عنها.

السّادس: الشّافية، **كما رُوي عن النّبي** ﷺ **فاتحة الكتاب شفاء من كلّ داء).**

السّابع: الأساس لما روي أنّ لكلّ شئٍ أساساً و أساس القرآن الفاتحة و أساس الفاتحة: **بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ.**

الثّامن: الصّلاة لما روي عن النّبي ﷺ **قال اللّه تعالىٰ قسمَت الصّلاة بينى وبين عبدي نصفين نصفها لي و نصفها لعبدي فاذا قال العبد اَلْحَمْدُلِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ يقول اللّه حَمدني عَبدي فاذا قال**

اَلرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ يقول اللّه أثنىٰ علَّي عبدي فاذا قال العَبد مٰالِكِ يَوْمِ الدِّينِ يقول اللّه مجدَّني عَبدي فاذا قال اِيّٰاکَ نَعْبُدُ وَ اِيّٰاکَ نَسْتَعِينُ يقول اللّه هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سَأل فاذا قال اِهْدِنَا الصِّرٰاطَ الْمُسْتَقِيمَ الىٰ آخره، قال هذا لعبدي ولعبدي ما سَأله.

التّاسع: الحَمد سمّيت بذلك لأنّ فيها ذكر الحَمد.

العاشر: أمّ القرآن و معناه قريب من أمّ الكتاب و قد مَرَّ باقي الكلام في ما وَرَد في فضلها فنقول الأخبار الواردة في فضلها كثيرة.

في كتاب الخصال عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم أربع من كنَّ فيه كان في نور اللّه الأعظم الىٰ قوله صلى الله عليه وآله وسلم و من إذا أصاب خيرا قال الحمد لِلّه ربّ العالمين إنتهىٰ.

بأسناده الىٰ علي إبن الحسين قال عليه السلام: ومن قال الحمدُ لِلّه فقد أدىٰ شكر كلّ نعمة لِلّه تعالىٰ إنتهىٰ.

في الكافي بأسناده عن أبي عبد اللّه قال: قال لي ما أنعم اللّه علىٰ عبدٍ بنعمة صغُرَت أو كبُرَت فقال الحَمد لِلّه إلاّ أدّىٰ شكرَها إنتهىٰ.

بأسناده الىٰ حماد بن عثمان قال: خرج أبو عبد اللّه من المسجد و قد ضاعت دابتّه فقال: لإنّ رَدّها اللّه علَّي لاشكُرَنَ اللّه حقّ شُكره قال فما لبث أن أتىٰ بها فقال الحمدُ لِلّه فقال قائل جُعلت فِداك أليسَ قُلت لإشكُرنّ اللّه حقّ شُكره فقال عليه السلام ألم تسمعني قلتُ الحمدُ لَلّه إنتهىٰ.

في من لايحضره الفقيه بأسناده عن الرضا قال عليه السلام: اَلْحَمْدُلِلّٰهِ انّما هو اداء لِما أوجب اللّه عزّ وجّل علىٰ خَلقه من الشكر و شكر لما وفقّ عبده مِن الخير ربّ العالمين) توحيد له و تحميد و إقرار بأنّه هو الخالق المالك لا غيره.

في مجمع البيان قال رسول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلّم: أنّ اللّه تعالىٰ منّ علّى بفاتحة الكتاب الىٰ قوله اَلْحَمْدُلِلّٰه رَبِّ الْعٰالَمِينَ دعوىٰ أهل الجنّة حين شكروا اللّه حُسن الثواب».

و في الكافي بأسناده عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: مَن قال أربع مرّات اذا أصبح، اَلْحَمْدُلِلّٰهِ رَبِّ الْعٰالَمِينَ، فقد أدّىٰ شكر يومه ومن قالها اذا أمسىٰ فقد أدّىٰ ليلته).

بأسناده عنه عليه السلام قال: كان رسول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلّم اذا أصبح. قال: اَلْحَمْدُلِلّٰهِ رَبِّ الْعٰالَمِينَ كثيراً علىٰ كلّ حالٍ ثلاثمائة و ستّين مرّة واذا أمسىٰ قال مثل ذلك.

في مجمع البيان قال رسول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلّم: أنّ اللّه تعالىٰ مَنَّ علّي بفاتحة الكتاب الىٰ قوله: اِهْدِنَا الصِّرٰاطَ الْمُسْتَقِيمَ صراط الأنبياء و هم الّذين أنعم اللّه عليهم.

الأخبار في فضلها كثيرة وفيما ذكرناه كفاية لأولي الدّراية، ولنختم الكلام في تفسير الأية بذكر أمورٍ لا تخلو من فائدة.

الأمر الأوّل: لِمَ قال اللّه تعالىٰ :**اَلْحَمْدُلِلّٰهِ** ولم يقل احمدوا اللّه مثلاً بصيغة الأمر، قال بعض المحققين الوَجه فيه أنّ التكلّيف بما لا يطاق محال و قد قال اللّه في كتابه: **لَا يُكَلِّفُ اَللّٰهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا** [1] و حيث الأمر بالحَمد داخل فيه لذلك لم يأمرنا به و توضيحه أنّ الحَمد عبارة عن مَدح الغير بسبب كونه منعِماً مُتفضلاً و مالم يحصل شعور الإنسان بوصول النِّعمة اليه أمتنع تكليفه بالحَمد و الشّكر فوجب كون الإنسان عاجز عن حَمده و شكره لوجوهٍ:

أحدها: أنّ نعم اللّه كثيرة لا يقوىٰ عقل الإنسان عليها كما قال تعالىٰ: **وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اَللّٰهِ لاٰ تُحْصُوهٰا** [2] و اذا أمتنع وقوف الإنسان عليها أمتنع إقتداره

١- البقرة = ٢٨٦   ٢- ابراهيم = ٣٥

علىٰ الحمد والشّكر والثّناء اللائق بها.

ثانيها: أنّ الإنسان أنّما يمكنه القيام بحمده و شكره اذا قَدره الّله تـعالىٰ عليه و الأقدار لايوجد الاّ بإيجاد المقتضىٰ أعني به الدّاعي اليه و رفع المانع و لاشكّ أنّهما خارجان عن قدرة العبد و عَليه فالعَبد ينبغي له الحمد علىٰ هذا التّوفيق منه تعالىٰ قبل الحَمد علىٰ النّعمة وهكذا الىٰ غير النّهاية والموقوف علىٰ المحال محال فالحَمد علىٰ النّعم محال.

ثالثها: أنّ الإنسان محتاج الىٰ إنعام الّله في ذاته و صفاته و أحواله والّله تعالىٰ غنّي بالذّات كما قال تعالىٰ: **يآ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنْتُمُ ٱلْفُقَرآءُ إِلَى ٱللّٰهِ وَ ٱللّٰهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ**[1] فبهذه الوجوه ظهر لک سِر العدول عن صيغة الأمر و يؤيده ما نقل عن داود النّبي عليه السلام حيث قال ياربّ كيف أشكرك و شكري لك لا يتمّ الاّ بإنعامك علّي و هو أن توفقَني لذلك الشّكر فقال تعالىٰ لِما علمت عجزک عن شكري فقد شكرتني بحسب قدرتك و طاقتك.

أمّا قوله تعالىٰ: **اَلْحَمْدُلِلّٰهِ** فقد دّل علىٰ أنّ الحَمد حقّه و ملكه سواء قدر الخلق علىٰ الإتيان به أم لا.

الامر الثانی: روي عن النّبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال **اذا أنعم الّله علىٰ عبده نعمة فيقول العَبد اَلْحَمْدُلِلّٰهِ يقول الّله تعالىٰ إنظروا الىٰ عَبدي أعطيته مالا قدر له فأعطاني مالا قيمة له).**

توضيحه أنّ النّعم الدنيويّة التّي توجب الحمد علىٰ العبد لا قدر لها عند الّله تعالىٰ و ذلك لأنّ الدّنيا و مافيها أقلّ قدراً من جناح بعوضةٍ عنده تعالىٰ كما ورد في الحديث فاذا حَمد العبد علىٰ النّعمة أيّ نعمة كانت حَمد الّله علىٰ مالا قدر له عنده و هو واضح و هذا معنىٰ قوله صلى الله عليه وآله وسلم أعطيته مالا قدر له، و أمّا قوله فأعطاني مالا قيمة له فمعناه أنّ الحَمد الّذي أتىٰ به فهو ممّا لا قيمة له

١- الفاطر = ١٥

كثرة و ذلك لأنّه لم يقل حمدي للّه بل قال **اَلْحَمْدُلِلّٰهِ** ولما كانت الّلام فيه للجنس أو الإستغراق فلا محالة يشمل كلّ حمدٍ صَدر من الموجودات فيما مضىٰ و في الحال المستقبل من الإنسان أو من غيره من الموجودات من أوّل الدّنيا الىٰ أخره.

بعبارةٍ أُخرىٰ اذا قال العبد، **اَلْحَمْدُلِلّٰهِ** فكأنّه قال جنس الحمد أوكلّ الحمد له تعالىٰ لا لغيره لدلالة لام الإختصاص عليه في كلّ عصر و زمان و من أي موجود صَدر فيدخل فيه حَمد جميع الأنبياء والملائكة والنّاس بل و جميع الموجودات الىٰ أخر الدّهر و من المعلوم أنّ الحَمد بهذا المعنىٰ لا قيمة له بل فوق القيمة و هذا معنىٰ قوله صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فأعطاني مالا قيمة له فثبت و تحقق أنّ قول العبد **اَلْحَمْدُلِلّٰهِ** لا يعلم قيمتها الاّ الّله تعالىٰ.

الامر الثّالث: قال الّله تعالىٰ: **اَلْحَمْدُلِلّٰهِ رَبِّ الْعٰالَمِينَ** ولم يقل مثلاً الحَمد لِلّه علىٰ ما أنعم علينا أو علىٰ سائر الموجودات و فيه دقيقة لابأس بالإشارة اليها و هي أنّ الّله تعالىٰ يستحقّ الحَمد من حيث ذاته التّي يصدر منه الفيض والايجاد في عالم الوجود فهو مستحقّ له من حيث صدور النِّعم منه لا من حيث وصولها الينا و ان شئت قلت من حيث أنّه منشأ الكمالات و مبدأ الخيّرات و مفيضها علىٰ ما سواه و لذلك جعله مختصّا بإسم الجلالة الّذي جمع فيه الكمال كله فقال: **اَلْحَمْدُلِلّٰهِ** ولَم يقل الحَمد للخالق أو الرّازق مثلاً ثم وَصفه بقوله ربّ العالمين فكأنّ العَبد يقول الحَمد ثابت للذّات الواجب الوجود الجامع لجميع الصّفات الكماليّة لأنّه أوجد العالم و أعطىٰ كلّ موجودٍ ما يليق به و لا شكّ أنّ الحامد من الموجودات في العالم الاّ أنّ حمده ليس لأجل النّعمة التّي وصلت اليه بل لأجل ما صدر منه تعالى.

الامر الرّابع: نعم الّله تعالىٰ التّي توجب علىٰ المنعم عليه الحَمد والشّكر ينقسم الىٰ قسمين نِعمة الدّنيا و نعمة الدّين، و من الواضح أنّ نعمة الدّين



أفضل من نِعمة الدّنيا فالحمد علىٰ نِعمة الدّين أفضل منه علىٰ نعمة الدّنيا ثم أنّ النّعم الدّنيوية علىٰ نوعين مادّي كالمأكول و المشروب و الملبوس و أمثاله و معنّوي روّحي كالعلم و الشجاعة و الحلم و غيرها و من المعلوم أنّ المعنّوي العقلي أفضل من المادّي الحِسّي فالحمد عليه أولىٰ و هكذا نعم الدّينية علىٰ قسمين قسم منها تتعلق بالقلب كالمعرفة و الإيمان و الإعتقاد الصّحيح و قسم تتعلق بالجَوارح كالصّلاة و الصّوم و الحَج و أمثالها و ما يتعلق بالقلب أفضل من غيره فالحَمد عليه أفضل و أولىٰ فينبغي للعبد مراعاة هذه الأمور في محامده.

الامر الخامس: ما معنىٰ النّعمة التّي توجب الحَمد فَمن النّاس مَنْ يقول أنّها عبارة عن كلّ ما يصل من الّله تعالىٰ الىٰ العبد اذا كان موافقاً لطبعه و غريزته مثل المال و المقام و الصّحة والاولاد و أمثال ذلک و لذلک تراهم يحمدون الّله علىٰ هذه الأمور و لا يحمدونه علىٰ غيرها بل قد يعبّرون عن كلّ مالا يوافق الطّبع والغريزة بالنّقمة والعذاب و ليس كذلك فأنّ النِّعمة لا تختّص بما يلائم الطبع بل تطلق علىٰ كلّ ما يصل من الرّب الىٰ الخلق سواء كان مطابقاً لهواه و موافقاً لغريزته أم لم يكن و ذلك لأنّ الخالق خير محض و لا يُفاض منه الاّ الخَير فكلّ ما صَدر أو يصدر منه خير فكلّ ما يصل منه الىٰ العبد خير له سواء علم به العبد أم لا والوجه فيه أنّ أفعال الّله تابعة للمصالح الموجودة فيها فما لا مصلحة فيه لا يوجد الاّ أنّ العبد قد يعلم المصلحة و قد لا يعلم و علمه أو جهله بها لايخرج الفعل عنها و علىٰ هذه القاعدة يرتفع الأشكال و يتضح المقال و هو أنّ الّله تعالىٰ إن شاء للعبد المال فهو نعمة منه اليه و إن شاء الفقر هو أيضاً نعمة له و هكذا إن شاء الصّحة فهي نعمة و إن شاء المرض فكذلك و بالجملة كلّ ما يقدر له و يصل اليه فهو نعمة من خالقه يجب له **اَلْحَمْدُلِلّٰهِ** فينبغي للعبد أن يقول **اَلْحَمْدُلِلّٰهِ** في كلّ حال و علىٰ كلّ حال ليكون عبداً شكوراً.

الامر السّادس: ربّما يظن أنّ الحمد عبارة عن قول القائل **اَلْحَمْدُلِلّٰهِ** فاذا قال به فقد حَمِد اللّه وأدّىٰ وظيفته و ليس كذلك لأنّ الحَمد بالحقيقة عبارة عن كلّ فعلٍ يشعر بتعظيم المُنعم بسبب كونه مُنعماً و ذلك الفعل أمّا أن يكون فعل القلب أو فعل اللّسان أو فعل الجوارح فالحامد الحقيقي هو الّذي يحمده قلباً و لساناً و عَملاً فالحَمد بالقلب عبارة عن الإعتقاد بكونه واحداً أحداً متّصفاً بصفات الكمال و الجلال و الحمد باللّسان هو أن يذكر ألفاظاً دالّة علىٰ توحيده و مَعبوديته في الوجود و أنّه يستّحق الحَمد و بالجملة كلّ لفظٍ يقرب العبد الىٰ الرّب والحمد بالجوارح هو أن يأتي بالطّاعات والواجبات و يجتنب عن المنهيّات والمحرّمات فالحامد في الحقيقة لا يكون الاّ عبداً خالصاً بقوله و فعله و قلبه.

اَلرَّحْمٰنِ الرَّحيمِ

قد مضىٰ الكلام في معنىٰ **اَلرَّحْمٰنِ الرَّحيمِ** عند بحثنا في البسملة و قلنا هناك أنّهما وَصفان لِلّه تعالىٰ و في المقام أيضاً كذلك و نزيد في المقام مضافاً علىٰ ما ذكرناه سابقاً أنّه تعالىٰ وصف نفسه بعد ربّ العالمين، بأنّه الرّحمٰن الرّحيم، لأنّه لمّا كان في إتصافه بالرّبوبية ترهيب قرنه **بالرَّحْمٰنِ الرَّحيمِ**.

لما تضمّن من التَّرغيب ليجمع في صفاته بين الرّهبة منه والرغبة اليه فيكون زهون علىٰ طاعته و أمنَع كما قال تعالىٰ في موضعٍ آخر **نَبِّئْ عِبادِيَ أَنّيٓ أَنَا اَلْغَفُورُ اَلرَّحيمُ**[١].

قد روي بطريق العامّة عن رسول الّله ﷺ أنّه قال لو يعلم المؤمن ما عند اللّه من العقوبة ما طمع في جنته أحد و لو يعلم الكافر عن ما عند اللّه من الرّحمة ما قنط من جَنته أحَد.

١- الحجر= ٤٩

هكذا قال القرطبي في تفسيره و لقائل أن يقول أيٌّ ترهيب في قوله تعالىٰ **رَبِّ العالمين**، بل الرّبوبية بالتّرغيب أولىٰ منه بالترهيب فانّ المُربّي أكثر رقّة علىٰ مُربّاه من غيره و هو واضح ألا ترىٰ أنّ مُرّبي الطّفل كيف يواظب علىٰ تربيته إشفاقاً منه والحاصل أنّ اللّه تعالىٰ حيث وصف نفسه بالرّبوبية و أنّه ربّ العالمين بمعنىٰ أنّ جميع ما سواه تحت تعليمه و تربيته فقد أعلمنا بذلك مقام رحمته و رافته بخلقه ثم اردف ذلك بقوله :**اَلرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ**ليدّل الكلام علىٰ أنّ تربيته لما سواه مَبنية علىٰ الرّحمانية والرّحيمية و إن شئت قلت لا يكون ربّاً حقيقياً الاّ لكونه رحماناً و رحيماً فلو لم يكن رحماناً رحيماً لم يكن ربّاً واقعاً فالرّحمٰنية والرّحيمية أصلان لصدق الربوبيّة فما ذهب اليه القرطبي لا يرجع الىٰ محصّل.

مٰالِكِ يَوْمِ الدّيٖنِ

قرأ محمد ابن السميقع بنصب مالك و الجمهور علىٰ كسره، فَمن قرأه بالنَّصب لابدّ له من التّقدير و تقدير الكلام، أعني **مٰالِكِ يَوْمِ الدّيٖنِ** ،فحَذف العامل و بقىٰ المعمول منصوبا علىٰ المفعوليّة و عليه فلا يكون وصفاً بعد وصف بل هي مقطوعة عن الوصفيّة، و من قرأه بالكسر فقد جعل، **مٰالِكِ يَوْمِ الدّيٖنِ** وصفاً بعد وصف لكلمة الجلالة أي أنّ اللّه تعالىٰ موصوف بالرّبوبية والرّحمانية و الرّحيمية والمالكيّة ليوم الجزّاء.

في كلمة**مٰالِك** أربع لغات، **مالِك** بكسر اللاّم، **مَلِك** بفتح الميم وكسر الاّم نجد الألف، **مَلْك** بفتح الميم و سكون اللاّم و الكاف، **مَلِيك** بفتح الميم وكسر الاّم و سكون الياء و الكاف.

و قال الشيخ ﵀ في التّبيان قرأ عاصم والكلائي و خلف و يعقوب، مالِك بالألف، والباقون ملك بغير ألف ولم يمل أحد ألف مالك وكسر جميعهم الكاف و رويّ عن الاعمش أنّه فَتحها علىٰ النّداء و ربيعة بن نزار يخفّفون مالك و

يسقطون الألف فيقولون مَلك، بتسكين اللاّم و فتح الميم ثّم قال و الألف ساقط في الخطّ في القرائتين والمعول علىٰ الأوليتين دون النّصب و اسكان اللاّم و معنىٰ، مَلِك يوم الدّين بإسقاط الألف أنّه المَلِك يومئذٍ لا ملِك غيره و أنّه لا يؤتي في ذلك الوقت أحدا الملك كما أتاه في الدّنيا و قوّي ذلك بقوله تعالىٰ: **لِمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَاحِدِ ٱلْقَهَّارِ**[1] و بأنّه يطابق ما تقدّم من قوله: **رَبِّ الْعَالَمِينَ اَلرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ**، ومَن قرأ مالك بألف معناه أنّه **مَالِكِ يَوْمِ الدّيِنِ** و الحساب لا يملكه غيره و لا يليه سواه انتهىٰ.

و يظهر من كلامه أنّ الصّحيح المُعوَّل عليه قرائتان، مالك، و ملِك والباقي شاذّ.

◁ اللّغة

والمالك هو القادر علىٰ التّصرف في ماله وأن يتصرّف فيه علىٰ وجه ليس لأحد منعه منه و يوصف العاجز بأنّه مالك من جهة الحكم، و الملِك هو القادر الواسع القدرة الّذي له السياسّة والتّدبير و أختلف العلماء فيهما من حيث البلاغة أيّهما أبلغ بعد الإتّفاق علىٰ كون القرائتين مَرّويتان فقيل ملك أعّم و أبلغ من مالك إذ كلّ ملك مالِك وليس كلّ مالِك ملِك، و لأنّ أمر الملك نافذ علىٰ المالك في ملكه حتّىٰ لا يتصرّف إلاّ من تدّبير الملك، و قيل مالك أبلّغ لأنّه يكون مالكاً لِلنّاس و غيرهم فالملك أبلغ تصرّفاً و أعظم إذ اليه إجراء قوانين الشّرع ثمّ عنده زيادة التملّك، و قال بعض حق القراءة في الآية ملِك، و إنّ كان مالِك أبلغ تصرفاً منه و ذلك لأنّ اللّه تبارك و تعالىٰ قد وَصف نفسه بأنّه مالِك كلّ شى بقوله: **رَبِّ الْعَالَمِينَ** فلا فائدة في قراءة مالِك لأنّها تكرار و رُدّها القول بأنّ في التّنزيل له نظائر و هكذا في كلمات البلغاء و ذلک لأنّ ذكر

١- الغافر= ١٦

الخاص بعد العام شائع في الإستعمال قال الّله تعالىٰ: **اَلرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ**، فذكر الرّحيم بعد الرّحمٰن من ذكر الخاصّ بعد العامّ و قال في أوائل البقرة: **اَلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ**، ثم قال: **وَبالْاٰخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ** و معلومٌ أنّ الإيمان بالغيب يعّم الأخرة و غيرها و لكن ذكرها يعظمها والتّنبيه علىٰ وجوب إعتقادها والرَّد علىٰ الكفرة الجاحدين لها و أمثال ذلك كثيرة.

◁ الإعراب

إن قلنا **مِلك** يوم الدّين بكسر الّلام و اسكانها فالإضافة فيه علىٰ هذا محضة و هو معرفة فيكون مجروراً علىٰ الصّفة أو البَدل من، الّله و لا حذف فيه.

و ان قلنا، **مالک** يوم الدّين، بإثبات الألف فهو نكرة و جرّه علىٰ البدل لا علىٰ الصّفة.

أمّا أنّه نكرة لأنّ إسم الفاعل اذا أُريد بـه الحـال أو الإسـتقبال لا يـتّعرف بالإضافة.

و أمّا أنّ جرّه علىٰ البَدل لا علىٰ الصِّفة فلأنّ المعرفة لا توصف بالنّكرة و في الكلام حذف مفعول هو الأمر تقديره و مالک أمر يوم الدّين أو مالك يوم الدّين الأمر و بالإضافة الىٰ يوم، خرج عن الظّرفية لأنّه لا يصحّ فيه تقديره في، لأنّها تفصل بين المضاف و المضاف اليه و قد يقرأ مالكَ بالنّصب علىٰ أن يكـون باضمار، أعني، أو يكون حالاً و أجاز قوم أن يكون نداءً، و يقرأ بالرَّفع أيضاً علىٰ إضمار، هو، أو يكون خبراً، للرَّحمٰن الرّحيم، علىٰ قراءة من رفع الرَّحمٰن و يقرأ مليك يوم الدّين، رفعاً و نصباً و جرّاً و من قرأ ملَك يوم الدّين، علىٰ أنّه فِعل، ويوم مفعول أو ظرف.

◁ المعنىٰ

قد وَصف الّله تعالىٰ نفسه بأنّه **مٰالِكِ يَوْمِ الدّيْنِ** أي مـالكه و صـاحبه يتصرّف فيه كيف يشاء و ليس لأحدٍ مَنعه منه و المراد بيوم الدّين يوم الجزاء

فأنّ الدّين بمعنىٰ الجزاء علىٰ الأعمال والحساب علىٰ قول ابن عبّاس و ابن مسعود و جريح و قتادة و غيرهم و يدّل عليه.

قال اللّٰه تعالىٰ: **يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ** [۱] أي حسابهم.

قال اللّٰه تعالىٰ: **ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ** [۲]

قال اللّٰه تعالىٰ: **الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** [۳]

قال اللّٰه تعالىٰ: **ءَأِنَّا لمَدينون** أي مَجزّيّون محاسبون.

قال لبيد:

حصادك يَوماً مازَرَعت وأنّما يُدان الفتىٰ يَوماً كما هو دائِنُ

و قال :

اذا مارَمونا رَميناهم ودِنّاهم مثل ما يُقرضونا

وأيضاً:

وإعلم يقيناً أنّ ملكك زائل وإعلم بأنّ كما تُدين تُدان

و هو من قول رسول اللّٰه ﷺ **(كما تُدين تُدان)** وقد جاء الدّين بمعنىٰ الطّاعة أيضاً و عليه قول الشّاعر:

وأيّامٍ لنا غُرٍّ طوالٍ عَصينا المَلك فيها أن ندينا

و يطلق علىٰ العادة والشّأن كما قال الشّاعر:

كَدِينك من أُمّ الخُويرث قبلها

كقول المثقب:

تقول اذا دَرأتُ لها وَضينى أَهذا دينه أبداً ودينى

و جاء بمعنىٰ سيرة الملك كما قال الشّاعر:

لإن صلَلَت بجوٍ في بني أسَدٍ وفي دين عمرٍ وحالت بيننا فَدَك

۱- النور = ۲۵
۲- الغافر= ۱۷
۳- الجاثيه ۲۸=

و بمعنىٰ الدّاء كما قيل:

يادين قلبك من مسلمي وقد دينا

والانسب بالمقام هو الّذي ذكرناه و عوَّلنا عليه وفاقاً لجمهور المفسّرين.

و اليوم في الآية عبارة عن زمان الجزاء كلّه و ليس المراد به ما بين المشرق و المغرب و طلوع الشّمس الىٰ غروبها اذ لا شَمس هناك فلا طلوع و لا غروب و لا اليوم بالمعنىٰ المتعارف في الدّنيا فالكلام خَرج مخرج الإستعارة فأستعير فيما بين مبتدأ القيامة الىٰ وقت إستقرار أهل الدّارين فيها ولايّهمنا البحث فيه بعد وضوح المقصود في المقام.

◁ التّفسير

إعلم أنّه تعالىٰ لمّا بيّن ملكه في الدّنيا بقوله: **رَبِّ الْعٰالَمِينَ** بَيَّن ملكه في الأخرة بقوله: **مٰالِكِ يَوْمِ الدِّينِ** والمقصود من اليوم الوقت كما قال تعالىٰ: **فَإِنَّكَ مِنَ اَلْمُنْظَرِينَ،إِلٰى يَوْمِ اَلْوَقْتِ اَلْمَعْلُومِ**[1]

وليعلم أنّ مالكيّته تعالىٰ للموجودات ليست كمالكيّة غيره لأملاكه و لا كمالكّية المملّوك لمالكه و لا كمالكيّة النّفوس لاعضائها بل كمالكيّتها لقواها و صورها العلميّة الحاصلة الحاضرة عندها متىٰ شاءت يفني ماشاء منها و يوجد ماشاء و يمحو و يثبت و عنده أُمّ الكتاب و تخصيص مالكيّة تعالىٰ بيوم الدّين مع أنّه تعالىٰ مالك الدّنيا أيضاً للاشارة الىٰ أنّ المكلّف اذا تصوّر ذلك لابدّ أن يرجو و يخاف في الدّنيا مع إستعداده للموت و أنّه لابّد له من الورود علىٰ الحساب فينبغي أن لا يغفل في الدّنيا عن الأخرة و لازم ذلك مواظبته علىٰ أقواله و أفعاله ضرورة أنّ الإنسان اذا اعتقد بالحساب و الجزاء غداً ان خيراً فَخيرا و ان شرا فَشراً و إنّ اليوم عمل و لا حساب و غداً حساب و لا عمل و أنّه

١- الحجر = ٣٧/٣٨

يوم لا ينفع فيه مال و لا بنون الاّ من أتیٰ اللّه بقلبٍ سليمٍ فَمن يعمل مثقال ذَرةٍ خيراً يَره ومن يَعمل مثقال ذرةٍ شراً يَره لا محالة لايتبع هَواه و لا يسلك مسلك الشّيطان و بالجملة يعمل في الدّنيا عملاً ينتفع به في الأخرة.

فعن الزهّري قال: قال علي ابن الحسين عليه‌السلام لو مّت بين المشرق والمغرب لَما استوحشت بعد أن يكون القرأن معي، و كان عليه‌السلام اذا قرأ مالك يوم الدّين يكرّرها حتّیٰ يكاد أن يموت انتهیٰ [1]

و في تفسير نور الثقلين بأسناده عن الرّضا عليه‌السلام أنّه قال: مالك يوم الدّين إقرار له بالبعث والحساب و المجازاة و إيجاب ملك الأخرة له كإيجاب ملك الدّنيا.

و من طريق العامّة عن أبي هريرة عن رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم قال يقبض اللّه الأرض و يطوي السّماء بيمينه ثم يقول أنا الملك، أين ملوك الأرض، أين الجبّارون، أين المتكبّرون) انتهى.

و من هنا يعلم أنّ تسمية غيره تعالیٰ بالمالک أو الملِك في الدّنيا تكون على سبيل المجاز هذا.

إعلم: أنّ الآية الشّريفة حاوية لامُورٍ لا بأس في الإشارة اليها علیٰ سبيل الإجمال لأنّها توجب زيادة بصيرة في كلام اللّه تعالیٰ.

الأول: أنّه لابّد من الفَرق بين المُحسن والمُسيءِ والمُطيع و العاصي و الموافق و المخالف و ذلك لايظهر الاّ في يوم الجزاء كما قال في كتابه:

قال اللّه تعالیٰ: لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا بِمَا عَمِلُوا وَ يَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى [2]

قال اللّه تعالیٰ: **أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَ عَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ** [3]

١-تفسير البرهان ج ١ ٢- النجم = ٣١
٣-ص = ٢٨

قال اللّٰه تعالىٰ: **إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ**[1]

و أمثال ذلك من الأيات الدّالة علىٰ المدّعىٰ أعني يوم الجزاء و العَقل السّليم أيضاً يحكم به لأنّ من سَلّط الظّالم علىٰ المظلُوم ثم لا ينتقم منه فذلك إمّا للعجز أو للجهل أو لكونه راضياً بذلك الظّلم و هذه الوجوه محال علىٰ اللّه تعالىٰ: **لأنَّه عَلىٰ كلّ شيءٍ قَدير، و هُوَ بِكلّ شَيءٍ عَليم، وَ إِنَّهُ لَيسَ بِظَلاٰمٍ لِلعَبيد، وَ إِنَّهُ قال ألا لَعنَة اللّه عَلىٰ القَوم الظّالِمين.**

و من المعلوم أنّ من ليس بظالم لا يرضىٰ به أيضاً و إذا كان كذلك فلا محالة ينتقم من الظّالم بمقتضىٰ عدله و هذا الإنتقام ليس لِلتشّفي كما هو كذلك في حَقنّا بل لإجراء العَدل و انجاز الوعد و احقاق الحقّ، ثمّ أنّ هذا الإنتقام أو ما شِئّت فسمّه لا يخلو من الدّنيا و الأخرة و حيث أنّ الدّنيا ليست بدار الجزّاء بل هي مزرعة الأخرة فلا جرم يكون في عالم آخر وراء هذا العالم و لا نعني بالأخرة إلاّ هذا فقوله :**مٰالِكِ يَوْمِ الدّيـنِ** إشارة بهذه الدقيقّة العقّلية والشّرعية و ان شِئت قلت الآية تدّلنا و تهدينا الىٰ معاد و هو المطلوب.

الثّانية: يمكن أنّ يقال انّ كان الملك بمعنىٰ القدرة كما فسّرتم المالك بالقادر علىٰ التّصرف فكونه تعالىٰ مالِكاً أو مَلِكاً عبارة عن كونه قادراً و القدرة لا تخلو حالها من وجهين،.

أحدهما: تعلقها بالعدم و ثانيهما: تعلّقها بالموجود و لا ثالث في المقام و بعبارة أخرىٰ إمّا أنّه تعالىٰ قادر علىٰ الموجودات قبل وجودها و هو العَدم.

أو أنّه قادر عليها بعد وجودها فأن كانت القدرة تعلّقت بالأول يلزم أن يكون متّعلق القدرة لإعدام و هو كما ترىٰ و أن كانت بالثاني يلزم تحصيل الحاصل و لا فائدة فيه و الجواب عن الإشكال إنّه تعالىٰ قادر علىٰ الإيجاد و

١- طه = ١٥

الإعدام و هما أي الايجاد و الإعدام واسطتان بين الوجود والعدم فأنّ إخراج الشّيء من العدم الىٰ الوجود و بالعكس لا يقدر عليه أحد غير اللّه تعالىٰ هذا **أولاً.**

ثانياً: قد ثبت في العلوم العقلية أنّ الممكن كما أنّه محتاج الىٰ المؤثر في حدوثه محتاج اليه في بقائه و المقصود من الإحتياج في البقاء الإفاضات من المَبدء الىٰ المخلوق آناً فآنا اذ في صورة قطع الفيض لا يبقىٰ الموجود أصلاً و عليه فالممكن محتاج الى مؤثره حدوثاً و بقاءً و لا نعني بالقدرة إلاّ هذا.

الثالث: أنّ القدرة في المقام ناظرة الىٰ الحشر والنّشر و الحساب للثواب و العقاب و هذه الأمور مترتّبة علىٰ إحياء الموتىٰ بعد الموت و لا يقدر علىٰ الإحياء إلاّ هو، فهو تعالىٰ قادر علىٰ الإحياء أوّلاً و ثانياً و سيأتي لهذه الإصول زيادة تحقيق في الآيات الواردة في الباب إن شاء اللّه تعالىٰ.

اِيَّاكَ نَعْبُدُ وَاِيَّاكَ نَسْتَعِينُ

◁ اللّغة



كلمة اِيّا إسم مظمر عنده الخليل و سيبويه والكاف فيها حرف خطاب عند سيبويه و لا موضع لها و لا تكون إسماً لأنّها لو كانت إسماً لكانت. اِيّا مضافة اليها و المضمرات لا تضاف و أمّا عند الخليل فهي إسم مضمر اضيف أيّا اليه لأنّ اِيّا تشبه المظهر لتقدمها علىٰ الفعل و الفاعل و لطولها بكثرة حروفها و حكي عن العرب اذا بلغ الرّجل السّتين.

فأيّاه: وإيّاه الثّواب، و الكوفيون ذهبوا الىٰ أنّ.

أيّاك:بكمالها إسم و هذا بعيد لانّ هذا الإسم يختلف آخره بحسب إختلاف المتكلم و المُخاطب و الغائب فيقال، **أيّاى**، **إيّاك**، إيّاه و قال قوم الكاف إسم و أيّا عماد له و هو حرف وموضع **اِيَّاكَ نَعْبُدُ**

نَعْبُدُ: فعل مضارع من، **عَبَد يعبُد، أعبُد نَعبُد** و هو مُتكلّم مع الغير مشتقّ من العبادة و هي الخضوع والتذلّل

نَسْتَعِينُ: ايضاً متكلّم مع الغير من **أستعان نستعين**، مأخوذ من **الإستعانة** و هي طلب النُّصرة والعَون، و قيل أصله **نَستعون**، من العَون فأستثقلت الكسرة علىٰ **الواو** فقُلِبت الىٰ العين ثّم قُلِبَت ياء لسكونها و إنكسار ماقبلها.

◁ الإعراب

الجمهور علىٰ كسر الهمزة و تجديد الياء و قرء شاذاً بفتح الهمزة و الأشبه ان يكون لغة مسموعة و قرء بكسر الهمزة و تخفيف الياء والوجه فيه أنّه حذف إحدىٰ اليائيين لإستثقال التّكرير في حرف العلّة و قد جاء ذلك في قول الفرزدق حيث قال :

تنظّرت نصراً والسّماكين أيّهما علّي مع الغيث أستهلّت مواطره

و موضع **أيّاك** نصب علىٰ أنّه مفعول قدّم علىٰ فعله و هو **نَعبُد** لإفادة الحصر و فاعل الفعل مُستترٌ فيه و هو **نحن** و هكذا الكلام في قوله: **إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** من حيث تقديم المفعول علىٰ الفعل لإفادة الحصر وسيأتى البحث فيه.

◁ المعنى

نَعْبُدُ ولا نعبُد غيرك و **نستعينك** و لا نستعين بغيرك و إنّما قلنا ذلك لانّ تقديم المفعول علىٰ الفعل يوجب حصر الفعل عليه فإذا قلنا، ضربتُ زيداً معناه وقوع الضّرب علىٰ زيد و لا ينافيه و قوعه علىٰ عمرو و بكر أيضاً لانّ المقصود هو الإعلام بكون زيد مضروباً و هو حاصل ولم يقصد المتكلّم حصر الضرب عليه و هذا بخلاف قولنا زيدا ضربت بتقديم المفعول فأنّه يشعر بكون الضّربَ واقعاً علىٰ زيد فحسب اذا علمت هذا فنقول في المقام قدّم المفعول

في الموضعين علىٰ الفعل والغرض منه إفادة الحصر أي حصر العبادة في اللّه تعالىٰ أي نعبدك و لا نعبد غيرك و نستعينك و لا نستعين بغيرك، ثّم أنّ العبادة كما قيل ضرب من الشّكر و غاية فيه لانّها الخضوع بأعلىٰ مراتبه مع التعظيم بأعلىٰ مراتبه و لا يستحق إلاّ بأصول النّعم الّتي هي خلق الحياة، والقدرة و الشّهوة و من المعلوم أنّه لا يقدر عليه غير اللّه تعالىٰ و لذٰلك أختصّ سبحانه بأن يعبد و يحسن الطّاعة لغير اللّه و لا تحسن العبادة لغيره و بذلك قد ظهر لك فساد قول من قال أنّ العبادة هي الطّاعة للمعبود و ذلك لانّ الطّاعة موافقة الامر فقط و قد يكون موافقاً لأمره مُطيعاً له و لا يكون عابداً له ألاترى أنّ الإبن يوافق أمر الأب و كذلك العبد يوافق أمر مولاه و يطيعه و لا يكون عابداً له و الكفّار يعبدون الأصنام و لا يكونون مطيعين لها اذ لا يتصوّر من جهتها الأمر فالمعنىٰ في قوله تعالىٰ: **اِيّاكَ نَعْبُدُ** نعبدک و لا نعبد غيرك.

و أمّا الإستعانة في قوله: **اِيّاكَ نَسْتَعِينُ** فالمعنىٰ نستوفق و نطلب المعونة علىٰ عبادتك و علىٰ أمورنا كلّها و لا نطلب المعونة والتّوفيق من غيرك وفيه دلالة علىٰ أنّ مجاري الأمور بيده والخَلق محتاج اليه في جميع شئونه كما قيل:

أزمّـــة الأمـــور طـــرّاً بـــيده والكـــلّ مســـتمدة مـــن مـــدَده

اِيّاكَ نَعْبُدُ وَاِيّاكَ نَسْتَعِينُ و فائدة التّكرير في **اِيّاكَ** قيل أنّها للتأكيد و ليس بشئٍ لأنّ التأكيد لا يحصل الاّ فيما اذاكان المحمول واحداً كما تقول أنا قلت، أنا قُلت، أو تقول زيداً ضربت، زيداً ضربت.

و أمّا في المقام فليس المحمول واحد فأنّ **اِيّاكَ** في الأوّل محمول علىٰ **نَعْبُدُ** و في الثّاني علىٰ **نَسْتَعِينُ** و الاستعانة غير العبادة لأنّ التّفكر في عظمة اللّه مثلاً عبادة و ليس من الاستعانة بشئٍ و ربما يكون العبد مستعيناً باللّه في أمور لعلمِهِ بأنّه قادر علىٰ كلّ شئ و لا يعبده فعلىٰ هذا يكون المقصود بقولنا **اِيّاكَ**

في الأوّل غير ما نقصده في الثّاني فالقول بأنّ التّكرير للتأكيد لا معنىٰ له في المقام، و احتمل بعض المفسّرين أنّ تكراره لدفع التّوهم و هو أنّه لا يمكن التّقرب الىٰ اللّه الاّ بالجمع بين العبادة و الإستعانة و أنّ الفصل بينهما غير ممكن، فكأنه قيل له ليس الأمر كما توهّمت بل هما أعني العبادة والإستعانة شيئان كلّ واحدٍ منهما مؤثر و مقّرب الىٰ اللّه تعالىٰ وأنّ أحدهما لا يغني عن الأخر قاله الطّبرسي في مجمع البيان بتوضيحٍ منا.

و الوجه الثّالث أنّه تعليم لنا في تجديد ذكره عند كلّ حاجةٍ و هو كما ترىٰ و قد ذكروا وجوهاً كثيرة كلّها لا يرجع الىٰ محصلٍ والّذي حصل لنا في المقام هو أنّ البحث في مقامين:

تقديم الضمير علىٰ الفعل، و تكريره في الآية الشّريفة أمّا الوجه في التّقديم مضافاً الىٰ ما مرَّ سابقاً من إفادة الحصر هو أنّ اللّه تبارك و تعالىٰ أصل الوجود و حقيقته و ما سواه فَيئه و ظله والاصل مقدم علىٰ الفرع فاذا قال العبد **إِيّاكَ نَعْبُدُ وَإِيّاكَ نَسْتَعِينُ** بتقديم إِيّاكَ علىٰ الفعل فكأنّه قدّم الخالق المعبود علىٰ نفسه في الذكر كما هو مقدم عليه في الواقع و بعبارةٍ أخرىٰ بدأ بمعبوده أولاً وبنفسه ثانياً و هذا من أدب العبد في مقام العبودية والإستعانة هذا أولاً.

أمّا ثانياً:ففي التّقديم إشارة الىٰ أنّ العبد يكون نظره الىٰ المعبود أولاً و بالذّات و منه الىٰ العبادة ثانياً و بالعرض لا من حيث أنّها عبادة بل من حيث أنّها نسبة اليه وصلة بينه و بين الحقّ.

أمّا ثالثاً: فيه إشارة الىٰ أنّ العبادة ليست مطلوبة لذاتها بل هي مطلوبة لأجل التّقرب بها الىٰ جنابه و لذلك قدمه عليها.

و أمّا المقام الثّاني أعني تكرير اللّفظ ففيه أيضاً فوائد:

الأولىٰ: أنّ تقديم الوسيلة علىٰ طلب الحاجة أَقْرَبُ الىٰ الإجابة فكأنّ العبد يجعل عبادته وسيلة للاستعانة منه تعالىٰ و هذا المعنىٰ لا يستفاد الاّ بالتّكرير.

الثّانية : أنّ العبد لما نسب العبادة الىٰ نفسه في أوّل الكلام فقال :**إِيَّاكَ نَعْبُدُ** و هم ذلك غروراً فَعقبه بقوله: **إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ليكسر غروره و يعلم بأنّ العبادة الحقيقية لاتوجد الاّ بالإستعانة والإستمداد منه تعالىٰ و هذا أيضاً لا يحصل الاّ بالتّكرير والوجوه المحتملة في المقام كثيرة بقىٰ في الآية سؤال للسائل و هو أنّ المصّلي اذا قال :**إِيَّاكَ نَعْبُدُ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** فلا محالة أراد العبادة والإستعانة كما هو مقتضي الصّيغة مع أنّه حين القراءة واحد.

فحقّ الآية إيّاک أعبدُ، و إيّاک أستَعين فما وجه العدول في الصّيغة من الأفراد الىٰ الجمع نقول في الجواب العدُول الىٰ الجمع لوجوهٍ.

احدها: أنّه لو قال إيّاک أعبُد لكان ذلك مُوهماً للتكبّر و ذلك لأنّ معناه أنا العابد والأنانية من العَبد دليل علىٰ ضعف معرفته و إيمانه و أنّه لم يذُق طعم العبُودية واقعا أين التّراب و ربّ الأرباب و بعبارةٍ أخرىٰ هو إظهار الوجود في حضور الخالق المعبود و ليس هذا من شأن العَبد و هذا بخلاف قوله :**إِيَّاكَ نَعْبُدُ** فأنّ معناه أنّي واحدٌ من عبيدك و هو عين التّواضع الممدوح شرعاً و عقلاً.

ثانيها: أنّ النّون في **نَعْبُدُ** و**نَسْتَعِينُ** نون الجمع فإذا قال العَبد، **إِيَّاكَ نَعْبُدُ**، فكأنّه قال جميع العابدين يَعبدونك لا أنا وحدَه و من جملة العابدين الملائكة والأنبياء و الأوصياء و العُلماء فَصلٰوة المُصِلي و عبادته و إن كانت ناقصة في حدّ ذاتها ألاّ أنّها حيث تشترك صلاة الصُلحاء و هي مقبولة فصلوته أيظاً مقبولة لعدم جواز التّبعض في الصّفقة عقلاً و شرعاً ولاجل هذه الدّقيقة تكون الصّلاة مع الجماعة أفضل من غيرها لأنّ اللّه تعالىٰ مع الجماعة والمسلمون يد واحدة علىٰ من سِواهم ألا ترىٰ أنّ الرّجل إذا باع من غيره عشرة من العبيد فالمشتري أمّا أن يَقبل الكّل أو لا يقبل واحداً منها و ليس له أن يَقبل البعض دون البَعض في تلك الصّفقة و هذا معنىٰ قولنا (لعدم جواز التّبعض في



الصّفقة، ففي المقام أيضاً لا يليق بكرمه تعالىٰ أن يُميّز البعض عن البعض و يقبل البعض دون البَعض فأمّا أن يردّ الكلّ و هو غير جائز و أمّا أن يقبل الكلّ فصلاته مقبولة لكونها من الكلّ و هو المطلوب.

هذان الوجهان ذكرهما الرّازي في تفسيره مع توضيح منّا في عباراته و نحن نقول أمّا الوجه الأوّل فلا بأس به و أمّا الوجه الثّاني فلا و إن تلقاه بالقبول أكثر من تأخر عنه من العامّة والخاصّة بل ظنّ بعض المحققّين إنّ ما ذكره الرّازي في المقام أحسن الوجوه وأدّق الإستنباط في فهم الآية و وجه ضعفه هو أنّ قياسه في الصّفقة قياس مع الفارق فعدم جواز التّبعض فيها لا ربط له بما نحن فيه أصلاً.

به عبارةٍ أُخرىٰ نحن أيضاً نقول بعدم جواز التّبعض فيها و أمّا في المقام فنقول بجوازه بل لابّد منه و عدم التّبَعض منافٍ للعدل و الشّرع وتوضيحه إجمالاً أنّ الصّفقة الّذي صارت مبيعة لم يشترط البائع أو المُشتري فيها أن تكون صحيصة كلّها بل البيع تعلّق بالصفقة الموجودة مع مافيها من الصحيح و الفاسد و المشتري أيضاً عالم به و لذلك لايجوز له التّبعض فلو إشترط كونها صحيحة و وجد المشتري فيها جزءً فاسداً فله الأخذ بالصّحيح والردّ للفاسد و ليس للبائع أن يقول لمَ تبعضت فيها لأنّ المشتري يقول أنّما إشتريتُ منك جنساً صحيحاً و حقّ لي أن أردّ الفاسد دون الصّحيح و هو واضح فعدم تبعض الصّفقة لأجل تعلق البيع من أول الأمر الىٰ كلّ الصّفقة من حيث هي مع علم البائع و المشتري بكيفية المعاملة في الصّفقات والأمر في المقام ليس كذلك لأنّ الّله تبارک و تعالىٰ قد أخبر العبيد بواسطة الكتاب والسّنة أنّه لا يقبل العبادة صلاةً كانت أو غيرها من أيّ عبد و في أيّ حال الاّ بالتّقوىٰ فقال: **إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ**[1] ثم جعل لكلّ عبادةٍ شروطاً تُوجب صحّتها فاذا

١- المائده= ٢٧

فرضنا عبداً صلّیٰ مثلاً من عند نفسه و لم يراع ما قرره الشّرع فيها مثل الصّلاة في المكان المغصوب واللّباس المغصوب و غيرهما من المحذورات فصلاته باطلة قطعاً و إن صلّیٰ مع الجماعة.

بل و إن صلّیٰ مقتدياً برسول الّله ﷺ ضرورة إشتراط الصّحة في الصّلاة حتّیٰ تكون مقبولة و لم يقل أحد أنّ شرط الصّحة كونها مع الجماعة و محصل الكلام هو أنّ العبادة لا تكون مقبولة عند الّله الاّ بعد تحقّق شرائطها علیٰ ما قرّره الشّرع فهي عند انتفاء الشّروط لا تقبل قطعاً و عليه فلا إشكال عقلاً و شرعاً في قبول بعض العبادات دون البعض بل في فردٍ دون فرد.

و مجرد قول القائل **اِيَّاکَ نَعْبُدُ** مثلاً لا يوجب صحّته صلاته و الاّ يلزم أن تكون الصّلاة من أىّ شخص كانت مقبولة لقوله: **اِيَّاکَ نَعْبُدُ** و عدم جواز التّبعض في الصّفقة مع أنّا نعلم أنّ الأمر ليس كذلک و كيف يقول عاقل فضلاً عن مؤمنٍ مسلم أنّ صلاة سلمان و أبی ذر و أمثالهما مقبولة و صلاة أبی سفيان و معاوية و أمثالهما من المنافقين الملحدين أيضاً مقبولة لعدم جواز التّبعض في الصّفقة.

و هل هذا الاّ من الخرافات والموهومات و كيف يقول المُسلم،انّ كرمه تعالیٰ يقتضي قبول الكلّ دون رَدّه، ألا يعلم أنّه ليس من الكرم بشيءٍ بل هو تعالیٰ منزّه عن نسبة هذه الأمور اليه و ليس فيه الاّ ترفيع المنافق المُعاند لِلّه و رسوله فأن لم نقُل بأنّه خروج عن طور العدالة نقول أنّه بعيد من الخالق العادل و تكذيب لأياته و أنبيائه نعوذ بالّله منه ثم أنّیٰ لا اتعَجَّب من الرّازي والعَجب مِمن تلّقاه بالقبول من علماء الشيعة و لم يعلم أنّ الأمر في العبادة لو كان كما ذكره الرّازي في قياسه الیٰ الصّفقة فعلیٰ الإسلام السلام.

والحاصل أنّ للمُشتري ليس التبعيّض و لِلّه تعالیٰ التَّبعيض ثابت والقياس مع الفارق.

◁ التّفسير

عن تفسير الإمام قال اللّه تعالىٰ: (قولوا ياأيّها الخلق المُنعم عليهم إيّاك نَعبد أيّها المُنعِم علينا نُطيعك مُخلَصينَ مُوحدّين مَع التذَلّل والخضُوع بلا رياء و لا سمعة).

و في رواية العامّة عن الصّادق عليه السلام: يعني لا يزيد منك غيرك و لا نعبدك بالعوض والبَدل كما يَعبدك الجاهلون بك المنيبون عنك.

عن كتاب من لا يحضره الفقيه عن الرّضا عليه السلام في حديثٍ قال عليه السلام: إيّاك نَعبُد رغبةً و تقربا الىٰ اللّه تعالىٰ ذكره و إخلاص له بالعَمل دون غيره و إيّاك نستعين إستزادةً من توفيقه وعبادته و إستدامة لما أنعم اللّه عليه و نَصَره انتهىٰ.

و عن الإحتجاج للطّبرسى رحمه الله في حديثٍ طويل عن النّبى صلى الله عليه وآله وسلم: انه قال لأصحابه قولوا اِيّاکَ نَعْبُدُ أي واحداً لا نقول كما قالت الدّهرية أنّ الأشياء لابَد و لها و هي دائمة و لا كما قال الثّنوية الّذين قالوا أنّ النّور والظّلمة هما المدّبران.

و لا كما قال مشركوا العَرب أنّ أوثاننا ألهة، فلا نشرك به شيئاً ولا ندعو من دونك أنّها كما يقول هؤلاء الكفّار و لا نقول كما تقول اليهود والنّصارىٰ أنّ لك ولداً تعاليت عن ذلك عُلّواً كَبيراً.

و من طريق العامّة علىٰ ما ذكره أبو جعفر الطّبري في تفسيره بأسناده عن عبد اللّه ابن عبّاس قال: قال جبرئيل لمحمّد صلى الله عليه وآله وسلم قل يامحّمد إيّاك نَعبُد إيّاك نُوحّد و نخاف و نَرجُو ياربّنا لا غيرك انتهىٰ.

و قال في اِيّاکَ نَسْتَعِينُ و إيّاك ربّنا نستعين علىٰ عبادتنا إيّاك و طاعتنا لك و في امورنا كلّها لا أحد سواك اذ كان من يكفر بك يستعين في أموره معبوده الّذي يعبده من الأوثان دونك و نحن بك نَستعين في جميع أمورنا مُخلصين لك العبادة.

ثمّ رَوىٰ عن عبد اللّه ابن عبّاس أنّه قال إيّاك نَستعين علىٰ طاعتك و علىٰ أمورنا كلّها اللّهم إجعلنا من العابدين والمستعينين ولا تجعَلنا من الغافلين المعرضين بحقّ أوليائك المقرّبين آمين ربّ العالمين.

اِهْدِنَا الصِّرٰاطَ الْمُسْتَقِيمَ

◁ اللّغة

اِهْدِنَا: بكسر الألف فعل أمرٍ من هَدىٰ يَهدي والفاعل مستتر فيه وكلمة نا مفعول للفعل.

الصِّرٰاطَ: أصله السَّراط بالسّين المُهملة لأنّه من سرط الشّيئ إذا بلعه و سُمّي الطّريق سراطاً لجريان النّاس فيه كجريان الشيّ المبتلع فمن قرأه بالسّين جاء به على الأصل و من قرأه بالصّاد قلّب السّين صاداً لتجانس الطّاد في الأطباق و من قرأ، بالزّاي قلّب السّين زاياً لأنّ الزّاي و السّين من حروف التّصغير و الزّاي أشبه بالطاء لأنّهما مجهورتان.

الْمُسْتَقِيمَ: اصله المستقوم و هو إسم فاعل من إستقام يستقيم و أصله إستقوم يستقُوم ثّم عمل فيه ما ذكرنا في نستعين من كون الكثرة ثقيلة علىٰ الواو فنُقلت الىٰ العين ثّم قُلبت ياءً لسكونها و إنكسار ما قبلها،

والمُستَفعل هنا بمعنىٰ الفعيل أيّ السّراط القويم ويجوز أن يكون بمعنىٰ القائم أي الثابت.

◁ الإعراب

اِهْدِنَا لفظه أمر والأمر مبنّي علىٰ السّكون عند البصريّين و معرّب عند الكوفيّين فحذف اليّاء عند البصريّين علامة السّكون الّذي هو بناء.

و هو عند الكوفيّين علامة الجزّم و هدىٰ يتعدّىٰ الىٰ مفعول بنفسه فأمّا

تعدّيه الىٰ مفعولٍ آخر فقد جاء متعدّياً اليه بنفسه و منه هذه الآية و قد جاء مُتعدّياً **بإلىٰ** كقوله تعالىٰ: **هَدىٰنِى رَبّىٓ إلىٰ صِراٰطٍ مُسْتَقِيمٍ** [1].

و باللاّم كقوله تعالىٰ: **اَلَّذي هَدىٰنا لِهٰذا** و عليه فكلمة **نا** مفعوله الأوّل و **الصِّراٰطَ** مفعوله الثّاني و موضع المفعول النَّصب.

◁ المعنىٰ

ذكروا في معنىٰ **اِهْدِنَا** وجوهاً:

أحدها: التَّثبيت أي ثبتّنا علىٰ الدّين الحّق و ذلك لأنّ الإنسان قد يزّل و يخطئ و ترد عليه الخواطر الفاسدة فيحسن أن يسأل اللّه تعالىٰ أن يثبته علىٰ دينه و يديمه عليه و يعطيه زيادات الهدىٰ الّتي هي أحد أسباب الثّبات علىٰ الدّين كما قال تعالىٰ: **وَ اَلَّذينَ اَهْتَدَوْا زاٰدَهُمْ هُدًى** [2].

ثانيها: الثّواب لقوله تعالىٰ: **يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإيمٰانِهِمْ** [3] و صار معناه، اِهْدنَا الىٰ طريق الجنّة ثواباً و يؤيده قوله تعالىٰ: **اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ اَلَّذي هَدىٰنا لِهٰذا** [4]

ثالثها: الدّين الحّق أيّ **اِهْدنَا** و إرشدنا الىٰ الدّين الحقّ في مُستَقبل عُمرنا كما دَلَّتنا عليه في الماضي و هذه الوجوه نقلتها من مجمع البيان.

ذكر بعض المحققّين في المقام إنّ العبد في جميع اموره مُحتاج الىٰ الهداية آناً فآناً و لحظة فَلحظة فإدامة الهداية هي هداية أُخرىٰ بعد الهداية الأولىٰ فتفسير الهداية بأدامتها ليس خروجاً عن ظاهر اللّفظ انتهىٰ.

أنا أقول: ما ذكره ﴿ره﴾ مشعر بأنّه فَسرّ الهداية في قولنا **اِهْدِنَا الصِّراٰطَ الْمُسْتَقيمَ** بأدامة الهداية أي أدِم لنا الهداية فيما بَقىٰ من عُمرنا و هذا أمرٌ معقولٌ مشروع لا بأس به ولكن حقّ المعنىٰ في هذه الآية يستدّعي التّكلم فيها بوجه ابسط و هو لايتّم إلاّ في فصلين:

١- الانعام = ١٦١   ٢- المحمد = ١٧

٣- يونس = ٩   ٤- اعراف = ٤٣

الفصل الأوّل: في معنىٰ الهداية. **والفصل الثّانى**: في معنىٰ الصّراط.

أمّا البحث في الفصل الأوّل: فنقول **الهداية** في أصل اللّغة الإرشاد الىٰ الخير و هو علىٰ قسمين:

ارائة الطّريق، والإيصال الىٰ المطلوب و قد جاءت الهداية في القرآن بكلا المعنيّين:

فمن الأوّل: قوله تعالىٰ: **إِنَّا هَدَيْنَاهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَ إِمَّا كَفُورًا**[١]

ومن الثّانى: قوله تعالىٰ: **إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَ لَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَآءُ**[٢]

ذَهَب أكثَر عُلماء الأَدَب الىٰ أنّ الهِداية إذا تعدّتَ **بإلىٰ** فهيَ بمعنىٰ ارائة الطّريق.

كقوله تعالىٰ: **وإنَّكَ لِتَهْدي الىٰ صراطٍ مُستَقيم)** وإنّ تعدّت الىٰ المفعول الثّاني بنفسها فهي بمعنىٰ الإيصال الىٰ المطلوب كقوله تعالىٰ: **وَ هَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**[٣] والفرق بين ارائة الطّريق والإيصال الىٰ المطلوب واضح فأنّ الأوّل عبارة عن مجرّد الإرشاد الىٰ الخير سواء وصَلَ الىٰ مقصده أم لا.

و في الثّاني الإرشاد الموصل الىٰ المطلوب فالأوّل ارشاد مُطلق و الثّاني مقيّد بالإيصال و قد أنكرَ هدا التفصيل صاحب تفسير الميزان و حاصل كلامه أنّه لا يتفاوت معنىٰ الهداية بإختلاف التّعدية و ذلك لأنّ النفي أعني نفي الايصال الىٰ المطلوب في صورة تعدّيتها الىٰ المفعول الثّاني بنفسها نفيٌ لحقيقة الهداية الّتي هي قائمة باللّه لا نفي الهداية مُطلقا.

ثمّ قال و بعبارةٍ أُخرىٰ هو نفي الكمال دون نفي الحقيقة مضافاً الىٰ أنّه مَنقُوص بقوله تعالىٰ حكايةً عن مؤمن آل فرعون: **يَا قَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ**[٤] انتهىٰ.

١- الانسان = ٣ | ٢- القصص = ٥٦
٣- الانعام = ٨٧ | ٤- الغافر = ٣٨

يعني أنّ الهداية في هذه الآية تعّدت الىٰ المفعول الثّاني بنفسها و مع ذلك ليس بمعنىٰ الإيصال الىٰ المطلوب بل هي فيها بمعنىٰ إراءة الطّريق قطعاً.

ثمّ قال و بالجملة فالهداية هي الدّلالة و اراءة الغاية باراءة الطّريق و هي نحو إيصالٍ الىٰ المطلوب و أنّما تكون من اللّه سبحانه و سنته سنّة الأسباب بإيجاد سبب ينكشف به المطلوب و يتحقّق به وصول العبد الىٰ غايته في سيره و قد بَيَّنه اللّه سُبحانه بقوله: **فَمَنْ يُرِدِ ٱللّٰهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلٰامِ** (١) انتهىٰ.

أقول: تطويل الكلام في هذا الباب لا فائدة فيه علماً و عملاً و ذلك لأنّ أصل الهداية ممّا لا خلاف فيها و أمّا أنّها بمعنىٰ إراءة الطّريق أو إيصال الىٰ المطلوب فهو أمرٌ لا يهّمنا البحث فيه بعد وضوح أصل الّلغة و من المعلوم أنّ الهداية من اللّه و رسُوله و لكن يَنبغي أن يُعلم أنّ الهداية من الرّسول تَشْريعي محّض و أمّا الهداية من اللّه فهي علىٰ قسمين: تشْريعي و تكْوينى.

أمّا أنّها من الرّسول تشّريعي محض فلأنّ الرّسول مأمور بتَبليغ الأحكام التَّشريعية الىٰ الخَلق من صلٰوةٍ و صومٍ و حجٍّ و غيرها من العبادات و المعاملات و الاخلاق و هو واضح:

قال اللّه تعالىٰ: **وَ ٱدْعُ إِلٰى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلٰى هُدًى مُسْتَقِيمٍ** (٢)

قال اللّه تعالىٰ: **هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدٰى وَ دِينِ ٱلْـحَقِّ لِـيُظْهِرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِ** (٣)

و أمّا بالنّسبة اليه تعالىٰ فتارة تكون تكوينيّة و أخرىٰ تَشريعية.

والأولىٰ تَضّم المَوجُودات كلّها لأنّ الهداية بهذا المعنىٰ عبارة عن الغَريزة والجبِّلة والطبيعة و حيث نرىٰ أنّ كلّ موجودٍ من الموجودات لا يتخطىٰ عن قانون الطبيعة بل لا يشتبه الأمر عليه أصلاً في طول حياته نستكشف منه أنّ

١-الإنعام= ١٢٥
٢- الحجّ =٦٧
٣- الصّف= ٩

الّله تبارك و تعالىٰ لمّا خَلق الموجود أودع في طَبعه و ذاته ما يوجب إيصاله الىٰ كماله و أهدافه و لا يَنحرف عن مسيره الطبيعي أبداً و نعبّر عنه بالهداية التكوينيّة ولأجل أنّ الهداية مودّعة في طبعه و ذاته فهو فيها لا يحتاج الىٰ غيره.

و أمّا الهداية الثّانية أعني التّشريعي فهي مخصوصه بالمكلّف البالغ العاقل و هو الإنسان فقط و لذلك أرسل الرّسُل و أنزَل الكتب و شرع الدّين ليستفيد الإنسان بواسطة النّبي منها و لولا الهداية بهذا المعنىٰ لم تكن فائدة في بعث الرّسول و جعل الأحكام:

قال الّله تعالىٰ: **لَقَدْ أَرْسَلْنٰا رُسُلَنٰا بِالْبَيِّنٰاتِ وَ أَنْزَلْنٰا مَعَهُمُ اَلْكِتٰابَ وَ اَلْمِيزٰانَ لِيَقُومَ اَلنّٰاسُ بِالْقِسْطِ**(١).

قال الّله تعالىٰ: **الٓرٰ كِتٰابٌ أَنْزَلْنٰاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ اَلنّٰاسَ مِنَ اَلظُّلُمٰاتِ إِلَى اَلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلٰى صِرٰاطِ اَلْعَزِيزِ اَلْحَمِيدِ**(٢).

فالهداية التكوينيّة لا واسطة بين الخالق والمَخلوق في إيصالها اليه بل جعلها الّله في خَلقه بدون واسطة النّبي و هذا بخلاف التشريعي اذ لابّد لها من الواسطة اذا عرفت هذا فنقول فائدة الهدايّة بحسب التكوين ترجع الىٰ جسم الموجود و أن شئت قلت توجب إيصال الجسم بكماله الطّبيعي و فائدة الهّداية بحسب التشريع ترجع الىٰ الرّوح لأنّها توجب إيصاله الىٰ الكمال المَعنوي والإنسان يشترك غيره من الموجودات في التكوّيني و يختصّ من بينها بالتّشريعي فهو جامع بينهما و يستفيد منهما ثّم أنّ الّله تعالىٰ فوضّ أمر التّشريعي الىٰ الأنبياء والأوصياء و من يحذو حذوهم و جَعل التّكويني لِذاتّه ولم يشرك فيه أحد و حيث أنّ الإنسان في الوصول الىٰ كماله الرّوُحي محتاج الىٰ الهداية آنّاً فآنّاً فلا مُحالة تطلبها مِن خالِقه و يقول **إِهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ**.



١- الحديد = ٢٤
٢- ابراهيم = ١

أمّا البحث في الفصل الثّانى: أعني به المُراد من **الصِّرٰاطَ الْـمُسْتَقِيمَ** فنقول قد مرّ معنىٰ **الصِّرٰاطَ** بحسب اللّغة و أنّ الأصل فيه السّراط **بالسّين**.

قال الرّاغب في المُفردات، **الصِّرٰاطَ** الطّريق المُستهل أصله من سَـرطت الطّعام و زردتُه، ابتلعته ثّم قال و كذا سُمّي الطّريق اللّقم والملتقم إعتباراً بأنّ سالكه يلتقمه إنتهىٰ.

فالصِّرٰاط عبارة عن الطّريق والمُراد من الطّريق طريق الدّين لا طريق الدّنيا أو المُراد به الطّريقان معاً و وصفه بالمسقيم لأنّ الصِّراط قد لا يكون مستقيماً و إذا كان كذلك فهو غير مطلوب للسالِك الى اللّه و هذا بخلاف المُستقيم منه فأنّه يوصل السّالك الىٰ المطلوب قطعاً و مع ذلك هو أقصر من غيره والسِّر فيه هو أنّ الخطّ المُستقيم اقصر خطٍّ بين النقطتين المبدء والمُـنتهىٰ مـن حـيث المسافة و طول الخّط و هو واضح لا خفاء فيه و هكذا الأمر في طريق الدّين و قد قيل أنّ طريق الحّق لا يكون إلاّ مُستقيماً.

قال اللّه تعالىٰ :**وَ هٰذا صِراٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا**[1]

قال اللّه تعالىٰ :**وَ أَنَّ هٰذا صِراٰطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ**[2]

قال اللّه تعالىٰ :**وَ يَهْدِيهِم إِلَيْهِ صِراٰطًا مُسْتَقِيمًا**[3] وأمثالها من الأيات.

بل لا ترىٰ في القرآن صراطاًيوصف بكونه غير مُستقيم لأنّ صراط الحّق لا يكون إلاّ كذلك واليه أشار الشّبستري في مدح رسول اللّه حيث قال :

چه كرد او بر صراط حق اقامت بأمرنا مُستقيم مـيداشت قـامَت

و فيه إشارة الىٰ قوله تعالىٰ مُخاطباً لرسوله (**فأستقم كما أُمِرت**).

و قال رسول اللّه ﷺ شيبتّني سورة هود لِمكان هذه الآية ويظهر منه أنّ الوصول الىٰ الحّق و ان كان مُشكلاً إلاّ أنّ الثّبات أشكل و هذا هو السّر في

١- الأنعام= ١٢٤ ٢- الأنعام= ١٥٣
٣- النّساء= ١٧٥

طلب المكلّف الهداية من اللّه تعالىٰ لحظةً فلحظة و في كلّ آنٍ.

فأنّ الإنسان كما أنّه في بقائه من حيث الوجود محتاج الىٰ المؤثر بمعنىٰ أنّه لابّد من الإفاضة من مبدأ الفيّاض علىٰ المستفيض في كلّ الآنات كذلك في بقائه علىٰ الهداية محتاج الىٰ توجه الحقّ و قد ورد في الدّعاء: الّلهم لاتكلنا الىٰ أنفسنا طرفة عين أبداً.

فاذا قال الانسان **اِهْدِنَا الصِّرٰاطَ الْمُسْتَقِيمَ** طلب من خالقه الهَداية و الإرشاد الىٰ الطّريق المستقيم الّذي لا عوج فيه و تكرار الطّلب في كلّ يومٍ و ليلة في الحقيقة لأجل التّثَبت علىٰ الحقّ بعونه تعالىٰ و مَدَده فالإنسان محتاج الىٰ الرّب في حدوث الهداية و بقائها و هو المطلوب.

◁ التّفسير

عن كتاب من لايحضره الفقيه بأسناده عن الرّضا عليه‌السلام قال:اِهْدِنَا الصِّرٰاطَ الْمُسْتَقِيمَ إسترشاد لدينه وإعتصامٌ بحبله، وإستزادة في المعرفة لِرّبه عزّ وجلّ ولِعَظمته و كبريائه انتهىٰ.

و في مجمع البيان قال رسول اللّه ۶:إنّ اللّه مَنَّ عَلَّي بفاتحة الكتاب الىٰ قوله اِهْدِنَا الصِّرٰاطَ الْمُسْتَقِيمَ ، صراط الأنبياء و هم الّذين أنعم اللّه عليهم) انتهىٰ.

و في تفسير علّي ابن إبراهيم في المُوّثق عن أبي عبد الّله عليه‌السلام اِهْدِنَا الصِّرٰاطَ الْمُسْتَقِيمَ قال عليه‌السلام الطّريق و معرفة الإمام و عنه عليه‌السلام قال والّله نحن الصّراط المستقيم.

و في كتاب معاني الأخبار بأسناده الىٰ أبي عبد اللّه عليه‌السلام: فى قول اللّه عزّ وجلّ اِهْدِنَا الصِّرٰاطَ الْمُسْتَقِيمَ قال: هو أمير المؤمنين و معرفته والدّليل علىٰ أنّه أميرالمؤمنين قول اللّه عزّ وجلّ: وَ إِنَّهُ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ

حَكيمٌ[1] و هو أميرالمؤمنين في أمّ الكتاب في قوله: اِهْدِنَا الصِّرٰاطَ الْمُسْتَقِيمَ.

و بأسناده الىٰ المُفضّل بن عمر قال سألت أبا عبد الّله عليه‌السلام عن الصّراط فقال هو الطّريق الىٰ معرفة الّله و هما صراطان، صراطٌ في الدّنيا و صراط في الأخرة.

فأمّا الصّراط في الدّنيا فهو الإمام المفترض الطّاعة من عرفه في الدّنيا و اقتدىٰ بهداه مرَّ علىٰ الصّراط الّذي هو جسر جهنم في الأخرة و من لم يعرفه في الدّنيا زلّت قَدَمه عن الصّراط في الأخرة فَتردىٰ في نار جهنم انتهىٰ.

في تفسير علّي ابن إبراهيم بأسناده الىٰ جعفر ابن غياث قال وَصف أبو عبد الّله عليه‌السلام الصّراط فقال ألف سنّة صُعود و ألف سنّة هبوط و ألف سنة حذاك انتهىٰ.

و بالأسناد عن موسىٰ ابن جعفر عليه‌السلام عن أبائه عن علّي ابن أبي طالب عليه‌السلام في قوله: اِهْدِنَا الصِّرٰاطَ الْمُسْتَقِيمَ قال عليه‌السلام: أدِم لنا تَوفيقك الّذي به أطعناك فيما مضىٰ من أيّامنا حتّىٰ نطيعك كذلك في المستقبل من أعمارنا والصّراط المستقيم هو صراطان: صراطٌ في الدّنيا و صراطٌ في الأخرة.

فأمّا الطّريق المستقيم في الدّنيا فهو ماقصر عن الغلّو و إرتفع عن التّقصير و إستقام فلم يَعدل الىٰ شئ من الباطل.

و أمّا الطّريق الأخرة طريق المؤمنين الىٰ الجنّة الّذي هو مستقيم لا يعدلون عن الجنّة الىٰ النّار و لا الىٰ غير النّار سوىٰ الجنّة.

قال: و قال جعفر ابن محمّد الصّادق في تفسير الأية: أيّ إرشدنا الىٰ الصّراط المستقيم، إرشدنا لِلزوم الطّريق المؤدي الىٰ محبّتك و المبلغ

١- الزخرف = ۴

دينك و المانع من أن نتّبع أهواءنا فنعطب أو نأخذ بأراءنا فَنهلك انتهىٰ.

و بأسناده عن علّي ابن الحسين عليهما السلام قال: (نحن أبواب الّله ونحن الصّراط المستقيم).

و بأسناده عن أبي جعفر قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم يا علّي اذا كان يوم القيامة أقعد أنا و انت و جبرائيل علىٰ الصّراط فَلم يَجز أحد الاّ من كان معه كتاب فيه برائة بولايتك.

و في أصول الكافي الىٰ أبي جعفر عليه السلام قال: أوحىٰ الّله الىٰ نبّيه صلى الله عليه وآله وسلم و استمسك بالّذي أوحي اليك أنّك علىٰ صراطٍ مستقيم قال أنّك علىٰ ولاية علّيٍ و علّى هو الصّراط المستقيم.

و بأسناده عن محمّد ابن الفُضيل عن أبي الحسن الماضي قال: قلت له عليه السلام **أَفَمَنْ يَمْشي مُكِبًّا عَلٰى وَجْهِهِۦٓ أَهْدٰىٓ أَمَّنْ يَمْشي سَوِيًّا عَلٰى صِراٰطٍ مُسْتَقيمٍ**[١] قال عليه السلام أنّ الّله ضَرب مثل من حاد عن ولاية علّيٍ كمَثل من يمشي علىٰ **اِهْدِنَا الصِّراٰطَ الْمُسْتَقيمَ**. وجهه لا يهتدي لأمره وجَعل من تَبعه سَوّياً علىٰ صراطٍ مستقيم والصّراط المستقيم أمير المؤمنين انتهىٰ.

و الأحاديث كلّها نقلناها عن تفسير نور الثقلين[٢].

وفي كتاب غاية المرام بأسناده عن أبي عبد الّله عليه السلام قال سألته عن قوله تعالىٰ: **وَ أَنَّ هٰذاٰ صِراٰطي مُسْتَقيمًا فَاتَّبِعُوهُ** قال عليه السلام هو والّله علّيٌ هو والّله الميزان والصّراط انتهىٰ[٣].

و فيه بأسناده عن أبي جعفر عليه السلام في قول الّله عزّ وجلّ لنبيه: **وَ إِنَّكَ لَتَهْديٓ إِلٰى صِراٰطٍ مُسْتَقيمٍ**[٤] إنّك لتأمر بولاية علّي أمير المؤمنين و تدعو لها و علّيٌ هو الصّراط المستقيم ،صراط الّله يعني علّياً، له ما في السّموات

١- الملک = ٢٢
٢- نور الثّقلين ج ١ ص ٢٠ الىٰ ص ٢٢
٣- نور الثقلين ص ٢٤۶
۴- الشورى = ٥٢

و ما في الأرض يعني علّيا أنّه جَعَله خازناً علىٰ ما في السّموات و ما فى الأرض وائتمنه عليه ألا الىٰ اللّه تصير الأمور انتهىٰ[١].

أقول: الأحاديث من طرفنا كثيرة جدّاً كلّها تشير الىٰ أمرٍ واحد وهو أنّ الصّراط المستقيم، المراد به أمير المؤمنين و أولاده أئمة المعصومين.

و قد ذكر صاحب غاية المرام أربعةً و عشرين حديثاً بين مفصّلٍ و مختّصرٍ إن شئت الإطّلاع عليها فعليك بكتاب غاية المرام و أمثاله من المّطوّلات و قد ذكر فيه أيضاً من طريق العامّة ثلاثة أحاديث في إثبات المّدّعىٰ لَم أتعرّض لِنقلها مُراعاةً لِلإختصار

و أمّا ما ذهب اليه أهل السّنة في تفسير الآية من أنّ المراد **بالصِّرٰاطَ الْمُسْتَقِيمَ الإسلام** أو الجنّة أو الإيمان أوكتاب اللّه و أمثال ذلك ممّا ذكروه في كتبهم و تفاسيرهم فنحن لا ننكُر بل نقول به الاّ أنّ البحث في الطّريق لا في المَقصد والمطلوب.

و كيف يقول عاقل فضلاً عمّن يدعي الفضل أنّ الطّريق المستقيم هو الإيمان، و الجنّة و الكتاب و أمثالها و لا يعلم أنّ الطّريق المستقيم هو الّذي يؤصلنا الىٰ هذه المقاصد.

اذ كلّ طالبٍ يعلم مطلوبه و أنّما يَتفحّص عن الطّريق المستقيم الّذي يوصله اليه فلو كان الطّريق الىٰ المقصد نفس المقصَد لدار و هو كما ترىٰ و عليه فأهل الحقّ يقولون بأنّ الطّريق المستقيم المؤدي الىٰ المطلوب هو التّمسك بولاية علّيٍ والائمة عليهم السّلام إن قلت المقصود التّقَرُب الىٰ اللّه تعالىٰ والإيمان والإسلام والكتاب من الأسباب المؤدية اليه، قلت فهم الكتاب و درك حقيقة الإيمان لايمكن لأحد من النّاس الاّ عن طريق أهل البيت الّذين طهرهم اللّه عن الأرجاس و جعلهم من الرّاسخين في العلم والشّاك فيه مُعاند



١- نور الثقلين ص ٢۴۶

و تفصيل الكلام في هذا الباب موكولٌ الىٰ محلّه و لنعم ما قيل في علّي عليه‌السلام:

ولا يُـنجي مـن الرّحـمٰن شـيُّ ومـن هـول القـيامة والحسـاب
ومـن نـارٍ تـلّهب فـي جـحيم سـوىٰ حبّ الإمـام أبـي تـرابٍ
شـفيع الخـلق فـي يوم التّلاق هـو المـنعوت فـي أيّ الكـتاب

و قال ابن حمّاد:

يـا أيـة الّـله التّـي قـدرها ليس له فـي الخـلق مـن قـادرٍ
ويـاصراطـاً لم يـجزه سـوىٰ كـلّ تـقي مـؤمنٍ صـابر
و يـا حـجاباً ليس مـن غـيره الىٰ إلٰـه العـرش مـن صائرٍ
لا يـغفر الّـله لمـن لم تكـن له غـداة البـعث بـالغافر

و قال الحميري:

ولدىٰ الصّـراط تـرىٰ علّياً واقفاً يـدعو اليـه ولّـيه المَـنصورا
اللّـه أعـطىٰ ذا عـلّيا كـلّه وعـطاء ربّـي لم يكـن مَـحظورا

و قال ابن شهر آشوب:

أنّـي وجـبرئيل و أنّك يـاأخي يوم الحساب وذو الجلال يـرانـي
لَعلىٰ الصّراط فـلا مـجاز بـجائزٍ الاّ لِـمن مـن ذي الجـلال أتـاني
بـبراءةٍ فـيها ولايـتك التّـي يـنجو بـها مـن نـاره الثّـقلانِ

قال اللّه تعالىٰ: **أَفَمَنْ كانَ عَلٰى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوٓءُ عَمَلِهِ**[1]
وستقف انّ شاء اللّه في تضاعيف الكتاب من فضائله ومناقبه المستفاد من الأيات ما يكفيك ويّغنيك.

وأنّـي لأرجـو يـاإلهـي سلامةً بـعفّوك مـن نـارٍ تـلّظىٰ هـمومها
أبا حسنٍ لو كـان حبّك مُـدخلي جهنّم كان الفوز عـندي جـحيمها
وكيف يخاف النّار من كان مُؤمناً بأنّ أمـير المـؤمنين قسـيمها

والحمد لِلّه ربّ العالمين.

١- محمد= ١۴

صِرٰاطَ الَّذِينَ اَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضّٰالِّينَ

◁ اللّغة

صِرٰاطَ: بكسر الصاد قد مضىٰ الكلام فيه في الآية الشريفة السّابقة،
الَّذِينَ: جمع والّذي، وهو إسم موصول.
اَنْعَمْتَ: بِفَتح الألف فعل ماضٍ من أَنعَم يُنعِم إنعاماً، والإنعام الإحسان بإعطاء النّعمة.
عَلَيْهِمْ: علىٰ من حروف الجارة و هُم،ضمير جمع يرجع الىٰ الّذين وكلمة غير، لِلإستثناء.
والْمَغْضُوبِ: إسم مفعول من غضب يغضب.
وَلاَ الضّٰالِّينَ: كلمة لالِلنّفي والضّٰالِّينَ جمع ضّال و هو إسم فاعل من ضَلّ يَضِلّ بمعنىٰ العدُول عن الطّريق المستقيم و يضّاده الهداية و قد يقال الضَلال لكلّ عدولٍ عن المنهج عَمداً كان أو سَهواً قليلاً كان أو كثيراً فأنّ الطّريق المستقيم ولضح.

◁ الإعراب

صِراط مضاف الىٰ الَّذِينَ و محّل الصّراط النّصب لأنّه بدل من الصّراط الأوّل أعني قوله تعالىٰ :صِرٰاطَ الَّذِينَ و لذلك قُرأ بفتح الطّاء اذ البدل في حكم الميدل منه اَنْعَمْتَ صلّة، الّذين، والعائد عليه في عَلَيْهِمْ و الألف و اللّام في الّذي زائدتان و تعريفها بالصّلة والأصل في الَّذِينَ اللّذيون، لأنّ واحدة الّذي، الاّ أنّ ياء الجمع حذفت ياءالأصل لئلا يجتمع ساكنان.
والَّذِينَ بالياء في كلّ حال لأنّه إسم مَبني و من العرب من يجعله في الرّفع بالواو و في الجرّ والنّصب بالياء كما جعلوا تثنية بالألف في الرّفع والياء في الجرّ والنّصب و في الّذي خمس لغات:

أحدها: الّذي بلام مفتوحة من غير لام التّعريف و قد قرأ به شاذاً.

الثانية: الّذى بسكون الياء.

الثالثة: بحذفها و إبقاء كسرة الذّال.

الرّابعة: حذف الياء و إسكان الذّال.

الخامسة: به ياء مشّددة **غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ** بالجرّ و فيه ثلاثة أوجه:

أحدها : أنّه بَدلٌ من الَّذِينَ.

الثاني: أنّه بَدلٌ من الهاء و الميم في **عَلَيْهِمْ**.

الثالث: أنّه صفة للّذين فأن قُلت الّذين معرفة، و غير، لا يتّعرف بالأضافة فهو نكرة فلا يصحّ أن يكون صفة له قلت أجابوا عنه بوجهين:

أحهدهما: أنّ غير، اذا وقعت بين متضّادتين و كانا معرفتين تعرّفت بالأضافة كقولك حجبت من الحركة غير السّكون و كذلك الأمر هنا لأنّ المنعم عليه والمغضوب عليه متضّادتان معرفتان.

الثّاني: أنّ الّذين قريب من النكّرة لأنّه لم يقصد به قوماً بأعيانهم و **غَيْرِ الْمَغْضُوبِ** قريبة من المعرفة بالتخصّيص الحاصل من الأضافة فكلّ واحدٍ منهما فيه إبهام من وجهٍ و اختصاص من وجهٍ و قرأ (غير) بالنّصب أيضاً بناءً علىٰ أنّه حال من **هم** و العامل فيها، **أَنْعَمْتَ** أو أنّه حال من الّذين، لأنّه مضاف اليه و يمكن أن يكون منصوباً علىٰ الإستثناء من الّذين، أو من هم.

الثالث: أنّه منصوب بإضمار **أعنى** و **الْمَغْضُوبِ** مفعول من غضب عليه و هو لازم و القائم مقام الفاعل هو **عَلَيْهِمْ** والتّقدير غير الفريق المغضوب و لا ضمير في المغضوب لقيام الجار و المجرور مقام الفاعل و لذلك لم يجمع فيقال غير المغضوبين عليهم لأنّ إسم الفاعل والمفعول اذا عمل فيما بعد لم يُجمع جمع السّلامة و هو مجرور باضافة الغير اليه.

وَلاَ الضَّالِّينَ كلمة لا زائدة عند البصريّين للتّوكيد و عند الكوفيّين بمعنىٰ

غير، والجمهور علىٰ ترك الهَمز في **الضّالّين** و قرأ بهمزة مفتوحة و هي لغة فاشية في العَرب في كلّ ألف وقع بعدها حرف مشّدد نحو، ضالّ، و دابّة، والعلّة أنّه قلّب الألف همزة لتُصّح حَركتها ولئلا يجمع بين ساكنين و محلّها الجرّ لأنّه معطوف علىٰ المغضوب عليهم فكأنّه قيل و غير الضّالين.

◁ المعنىٰ

إعلم أنّ الآية في الحقيقة بيان و توضيح للأية السّابقة و هي قوله تعالىٰ: **اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** فكأنّه سئِل و ما الصِّراط المستقيم، فقيل صراط الّذين أنعمتُ الآية أي إهدنا صِراط من أنعمت عليهم بطاعتك كما قال الّله تعالىٰ: **وَ مَنْ يُطِعِ اَللّٰهَ وَ اَلرَّسُولَ فَأُولٰئِكَ مَعَ اَلَّذِينَ أَنْعَمَ اَللّٰهُ عَلَيْهِمْ مِنَ اَلنَّبِيِّنَ وَ اَلصِّدِّيقِينَ وَ اَلشُّهَدٰاءِ وَ اَلصّٰالِحِينَ**(١).

غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ يعني غير اليهود عند جميع المفسّرين وإستدلوا عليه بقوله تعالىٰ: **مَنْ لَعَنَهُ اَللّٰهُ وَ غَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ اَلْقِرَدَةَ وَ اَلْخَنٰازِيرَ**(٢)

و هؤلاء هم اليهود **وَلاَ الضّالّينَ** قالوا يعني النّصارىٰ بدليل قوله تعالىٰ: **وَ لا تَتَّبِعُوٓا أَهْوٰآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَ ضَلُّوا عَنْ سَوٰآءِ اَلسَّبِيلِ**(٣)

و قيل المراد بغير المغضوب عليهم و لا الضّالين جميع الكّفار من اليهود والنّصارىٰ و غيرهما من أصناف الكفّار و أنّما ذكروا بالصِّفتين لإختلاف الفائدتين نقل هذين القولين صاحب مجمع البيان.

ثم نقل قولاً ثالثاً عن عبد القاهر الجرجاني و حاصل ما نقل عنه هو أنّه قال حقّ الّلفظ أن يكون خَرج مَخرج الجنس كما تقول نعوذ بالّله أن يكون حالنا حال **الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ** و لا تقصد به قوماً خاصّاً بأعيانهم الىٰ أخر ما قال.

١- النساء = ٦٩
٢- المائدة = ٥٩
٣- المائدة= ٧٧

أقول كلام الجرجاني لا بأس به و عليه فذكر اليهود والنّصارىٰ لكوهما مصداقين كاملين للأية و هو لا ينافي دخول غيرهما من أصناف الكفّار فيها.

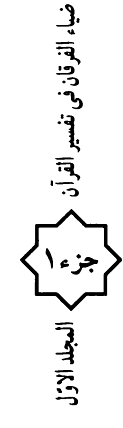
و أمّا الغضب منه تعالىٰ فقد قال صاحب المجمع في المقام ما لفظه.

و أمّا الغضب من اللّه فهو ارادته إنزال العقاب المستحّق بهم ولعنهم و براءته منهم و أصل الغَضب الشّدة و منه الغضبة و هي الصخّرة الصّلبة الشدّيدة المركبة في الجَبل والغضوب الحيّة الخشبية والنّاقة العبوس و أصل الضّلال الهلاك و منه قوله تعالىٰ: **(أءِذا ضَللنا في الأرض)** أي أهلكنا ومنه قوله: **(وأضَّل أعمالهم)** أي أهلَكها والضّلال في الدّين الذّهاب عن الحقّ و أنّما لم يقل الَّذين غضبت عليهم مراعاة للأدَب في الخطاب وإختيار الحَسَن الّلفظ المستطاب انتهىٰ.

و قال المحقّق الفيض ﷺ في الصّافي بعد نقله ما نقلناه في معنىٰ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضّالّينَ نقلاً عن تفسير الإمام ما لفظه ثم قال أمير المؤمنين ﷺ: (كلّ من كفَر باللّه فهو مغضوب عليه وضّال عن سبيل اللّه.

وفي المعاني عن النّبي ﷺ: الّذينَ انْعَمْتَ عَلَيْهِمْ شيعة علّيٍ يعني أنعَمت عليهم بولاية علّي ابن أبي طالب لم تَغضب عليهم ولم تضلّوا.

و عن الصّادق ﷺ: يعني محمّداً وذُرّيته الىٰ أن قال ﷺ أقول و يدخل في صراط المنعم عليهم كلّ وسَط و استقامة في إعتقاد أو عَمل فهُم الّذين قالوا ربّنا اللّه ثمّ إستقاموا، و في صِراط المَغضوب عليهم كلّ تفريط و تَقصير و لا سيّما اذا كان عن علمٍ كما فعلت اليهُود بموسىٰ و عِيسىٰ و محمّد ﷺ و في صِراط الضّالين كلّ إفراط و غلّو و لا سيّما اذا كان عن جهلٍ كما فعلت النّصارىٰ بعيسىٰ



و ذلك لأنّ الغضب يلزمه البعد والطّرد و المقصر هو المدبر المُعرض فهو البعيد الضّلال هو الغيبة عن المقصود والمُفرط هو المقبل المجاوز فهو الّذي غاب عنه المطلوب انتهىٰ. ماذكره ﷺ في معنىٰ الآية وتَفسيرها.

و يظهر منه أنّه لا وجه لإختصاص الآية باليهود والنّصارىٰ بل هي عامّة لكلّ من كَفَر و خالَفَ الحقّ و أنّ المراد، بالمُنعَم عليهم، كلّ من كان مُعتدلاً في الإعتقاد والعَمل.

ثّم أنّ الّذي ذكرناه و نقلناه عن المجمع والصّافي في معنىٰ المغضُوب عليهم والضّالين هُوَ المُعتَمد عند مُفَسِّري الشّيعة مِمّن تقدم منهما أو تأخر فأنّهم قدّس اللّه أسرارهم فسرواكتاب اللّه وأخذُوا تفسيره عن أهل البيت و أمّا أهل السّنة فقد إتّفقوا في تفاسيرهم علىٰ أنّ المُراد بالمغضُوب عليهم اليهُود، و بالضّالين النّصارىٰ. نقل الألوسي في تفسيره عن ابن أبي حاتم أنّه قال لا أعلم فيه فلاناً للمفسّرين فمن زعم أنّ الحمل علىٰ ذلك ضعيف لأنّ مُنكري الصّانع أو المشركين أخبث ديناً من اليهود والنّصارىٰ فكان الإحتراز منهم أولىٰ بل الأولىٰ أن تحمل المغضوب عليهم علىٰ كلّ من أخطأ في الأعمال الطّاهرة و هو الفسّاق و يحمَل الضّالون علىٰ كلّ من أخطأ في الإعتقاد لأنّ اللّفظ عام و التّقييد خلاف الأصل فقد ضلّ ضلالاً بعيداً إن كان قد بلغه ما صّح عن رسول اللّه ﷺ وإلاّ فقد تجاسر علىٰ تفسير كتاب اللّه مع الجهل بأحاديث رسول اللّه ﷺ.

و ما قاله في منكري الصانع لا يعتّد به لأنّ من لا دين له لا يعتّد بذكره والعجب من الإمام الرّازي أنّه نقل هذا و لم يتّعقبه بشيءٍ سوىٰ أنّه زاد في الشّطرنج بغلاً فقال و يحتمل أن يُقال المغضُوبُ عليهم هم الكفّار و الضالون هم المنافقون وَ عَلله بما في أوّل البقرة

من ذكر المؤمنين ثّم الكفّار ثّم المُنافقين فقايس ما هنا علىٰ ما هناك و هل بعد قول رسول اللّه الصّادق الأمين قول لقائل أو قياس لِقائس هيهات هيهات دون ذلك أهوال إنتهىٰ.

ما ذكره الألوسي بلفظه و عبارته و انّما نقلنا ما نقلنا عنه بعين عباراته لِتعلم أنّ العّامة قد أجمَعوا في تفاسيرهم علىٰ الحديث المرّوي بعقيدتهم عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم أنّ المراد بغَيْرِالْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضّالّيِنَ، اليهود والنّصارىٰ ولأجل هذا قال القُرطبي في تفسيره فالجمهور علىٰ أنّ المغضوب عليهم اليَهود والضّالين النّصارىٰ و جاء ذلك مُفسِّرا عن النّبي صلى الله عليه وآله وسلم في حديث عدّي إبن حاتم و قصّة إسلامه أخرجه أبو داوُد الطيانسي في مسنده والتّرمذى في جامعه ألخ.

و بالجملة ما رأيت بعد التّفحُص التّام في تفاسيرهم الموجودة عندنا ما يُشعر بَخلافه سوىٰ ما ذكره الرّازي مِن أنّ المغضوب عليهم الكفّار والضّالين المنافقين علىٰ سبيل الإحتمال و نحن نقول أمّا أولاً.

أنّ الحديث الّذي تمسّكوا به في تفسير الآكسائر الأحاديث المّروية عنه صلى الله عليه وآله وسلم في كتبهم إذ لم يدّع مُدّع أنّه سَمعه من رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم بإذنيه حتّىٰ يُقال من مشىٰ علىٰ خلافه فقد تَجاسر علىٰ تفسير كتاب اللّه مُضافاً الىٰ أنّ التّجاسر يصدق إذاكان السّامع قال بخلاف ما سمعه منه صلى الله عليه وآله وسلم و أمّا غيره فلا لجواز أن يكون مُدّعي السّمع كاذباً في دعواه وثانياً علىٰ فرض صحّة الحديث نقول ذكر اليَهود والنّصارىٰ من باب تعيين المصداق و لا تخصيصه أو أنّ اليَهود والنّصارىٰ من أكمل المصاديق في زمانه صلى الله عليه وآله وسلم حيث خالفوه وأذوه مع علمهم بصدق دعواه و أمثال ذلك من الإحتمالات كثيرة.



وكيف يمكن أن يقال أنّ اليهود والنّصارىٰ كانوا كذلك و عَبَدت الأوثان و سائر المُشركين لم يكونوا من مصاديق الآية فأنّ الإنسان لا يخلو من المغضوب عليهم و المنعَم عليهم فعبدة الأوثان مثلاً إن كانوا من المغضوب عليهم أو الضّالين فالمُدّعي ثابت و إلاّ يلزم عدّهم من المُنعم عليهم إذ لا واسطة بين الحالين وبِعبارةٍ اخرىٰ لكلّ إنسانٍ باالنّظر الىٰ دينه أوصاف أربعة.

١- أحدُها الهداية.

٢- و ضدّها الضّلالة، فإن كان في طريق الهُدىٰ لا يكون في طريق الضّلال و بالعكس لإستحالة إجتماع الضّدين

و ثانيها.أن يكون من المنعَم عليهم، و ضّدها المغضوب عليهم فإن كان من الأوّل لا يكون من الثّاني و بالعكس لما ذكرناه من الإستحالة بل نقول بإرجاع الوصفين الأخيرين الىٰ الأوّلَين لأنّ الهادين المهديّين هم الّذين قد أنعم اللّه عليهم و أيّ نعمةٍ أعلىٰ وأفضل من كون الإنسان علىٰ طريق الهُدىٰ ببركة الإيمان والمعرفة.

والمغضوب عليهم هم الضّالون بلاكلام إذ لو لم يكن الانسان ضالاً لم يكن مغضوباً و علىٰ هذا التّقرير فلا مجال للقول بإختصاص الآية باليهود والنّصارىٰ و خروج سائر الكفّار عنها لانّ الإجماع والعقل حاكمان بخروج هؤلاء من صِنف المؤمنين المُنعم عليهم و من خرج عنهم دخل فى غيرهم و هم الضالّون و هذا واضح لمن له أدنىٰ تأمّلٍ و تعمّقٍ ثمّ أنّي كنت مُتّحيراً مُتعجباً من إتّفاقهم علىٰ تخصيص الآية باليَهود والنّصارىٰ بِمُجّرد روايةٍ رووها عن رسول اللّه ﷺ و حكموا صّحتها و انسابهم اليه هوالتّجاسُر علىٰ تفسير كتاب اللّه لمن خالفهم و حكم بضعف الرّواية أو بكلاهما أو أنّها ناظرة الىٰ تعيين المِصداق لا الىٰ التخصّيص و لم يحكموا بالتّجاسُر لمن أنكَر أكثر من ألف حديث من الفريقين:

قال اللّه تعالىٰ: **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اَللّٰهُ وَ رَسُولُهُ**[١]

قال اللّه تعالىٰ: **يَآ أَيُّهَا اَلرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ**[٢]

قال اللّه تعالىٰ: **إِنَّمَا يُرِيدُ اَللّٰهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ اَلرِّجْسَ**[٣]

و أمثالها ممّا ورد في علّيٍ عليه‌السلام وأهل البيت كما ستقف عليها إن شاء اللّه في موضعه.

ثمّ بعد ذلك ألهمت بِعون اللّه وتوفيقه إنّ السِّر في عدم عدولهم عن الحديث الوارد في تفسير الآية و هو تخصيص الأكثر بمعنىٰ أنّ المغضوب عليهم والضّالين إن كان المراد بهم مُطلق الكفار والمُنافقين و بالجملة كل من عدل عن طريق الحّق و أتّبَع هواه فلا يبقىٰ في المقام إلاّ المؤمن المعتقد العامل بما أمره اللّه و رسوله و هو قليل فيلزم منه دخول أكثر المسلمين في المغضوب عليهم والضّالين و هم لا يقولون به.

و أمّا نحن فنقول به ونُثبته بالدّليل القاطع كما ستعرفه إن شاء اللّه تعالىٰ هذا كله ما وصَل إلينا من تفاسير العّامة والخّاصة في تفسير الأية.

و ملخصه أنّ الشّيعة تقول بإطلاق الآية وعُمومها والعّامة تقول بإختصاصها باليَهود و النّصارىٰ.

و الّذي حصل لنا في المقام يظهر من قولنا في إهدنا الصّراط المُستقيم، لأنّ الصّراط الثّاني بَدَلٌ عن الأوّل بدل الكلّ من الكلّ فإذا كان المُراد بالصّراط الأوّل هو الموالاة لأهل البيت والتمسّك بولايتهم والعمل بما أمرونا به ونهونا عنه فلا محالة يكون المراد بالصّراط الّذي أنعم اللّه به علىٰ عباده هو الولاية والموّدة لهم و بالمغضوب عليهم، والضّالين، مخالفوهم و معاندوهم سواء فيهم الكفّار والمُنافقين والمعاندين و غيرهم من المُخالفين المُنكرين للحّق و

١- المائدة = ٥٥ ٢- المائدة = ٦٧

٣- الاحزاب = ٣٣

عليه نحيا و نموت و نبعث حيّاً.

◁ التّفسير

عن كتاب معاني الأخبار بأسناده الىٰ جعفر إبن محمّد عليه السلام قال: قول اللّه عزّ وجّل في الحَمد،صِراطَ الَّذِينَ اَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ يعني محمّداً وذريتّه عليهم السّلام إنتهىٰ.

وروي في تفسير نور الثّقلين عن الإمام الهادي عليه السلام في قول اللّه عزّ وجّل:صِراطَ الَّذِينَ اَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ أي قولوا إهدنا صراط الذّين أنعمت عليهم بالتوفيق لِدينك وطاعتك وهم الّذين قال اللّه عزّ وجّل: وَ مَنْ يُطِعِ اَللّٰهَ وَ اَلرَّسُولَ فَأُولٰئِكَ مَعَ اَلَّذِينَ أَنْعَمَ اَللّٰهُ عَلَيْهِمْ مِنَ اَلنَّبِيِّنَ وَ اَلصِّدِّيقِينَ وَ اَلشُّهَدٰاءِ وَ اَلصّٰالِحِينَ وَ حَسُنَ أُولٰئِكَ رَفِيقًا[1]

و حكىٰ هذا بعينه عن أمير المؤمنين ثمّ قال عليه السلام: ليس هؤلاء المُنعَم عليهم بالمال و صحّة البَدن و إن كان كل هذا نِعمة من اللّه ظاهرة ألا ترون أنّ هؤلاء قد يكونون كفّاراً أو فسّاقاً فما ندبتم الىٰ أن تدعوا بأن ترشدوا الىٰ صراطهم و أنّما أمرتم بالدّعاء بأن ترشدوا الىٰ صراط الّذين أنعم اللّه عليهم بالإيمان باللّه و تصديق رسوله و بالولاية لمحّمدٍ و آله الطّيبين و أصحابه الخيّرين المنتجبين و بالتقيّة الحسنة الّتي نسلم بها من شرّ أعداء اللّه و من الزّيادة في آثام أعداء اللّه وكفرهم بأن تداريهم و لا تعزّيهم بأذاك و أذىٰ المؤمنين و بالمعرفة بحقوق الإخوان من المؤمنين إنتهىٰ.

و بأسناده قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم في قول اللّه عزّ وجّل:صِراطَ الَّذِينَ اَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِالْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضّالِّينَ.

١- النساء = ٦٩

قال صلى الله عليه وآله وسلم: شيعة علّى الّذي أنعَمت عليهم بـولاية عـلّي إبـن أبـي طالب عليه السلام لم يغضب عليهم ولَم يضّلوا إنتهىٰ.

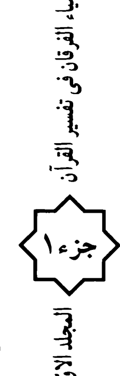
و بأسناده عن أبي عبد الله عليه السلام: في **غَيْرِ الْـمَغْضُوبِ عَـلَيْهِمْ وَلاَ الضَّـالِّينَ** قـال: عليه السلام المَـغضوب عـليهم، النـصاب، والضّـالين الشّكاكين الّذين لا يعرفون الإمام انتهىٰ.

و عن كتاب من لايحضره الفـقيه بأسـناده عـن الرّضـا عليه السلام أنّـه قال: **صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ** توكيد في السؤال والرغبة و ذكر لما تقدم مـن نـعمه عـلىٰ أوليـائه و رغـبته فـي مـثل تـلك النِّـعم **غَيْرِالْمَغْضُوبِ عَـلَيْهِمْ وَلاَ** إسـتعاذة مـن أن يكـون مـنَ المـعاندين الكافرين المستخفين به و بأمره و نَهيه **وَلاَالضَّالِّينَ** إعتصام من أن يكون من الذّين ضلّوا عن سبيله من غير معرفة و هـم يـحسبون أنّهم يحسنون صنعاً انتهىٰ.

و فـي الإحـتجاج للـطّبرسي عـن العسكـري عليه السلام أنّ أبـا الحسـن الرّضا عليه السلام قال: من تجاوز بأمـير المـؤمنين العـبودية فـهو مـن **الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ** انتهىٰ.

و في تفسّير الصّافي، قال أمير المؤمنين عليه السلام: كلّ من كَفَر باللّه فهو مغضوبٌ عليه و ضال عن سبيل اللّه.

و عن الصّادق عليه السلام **أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ**: يعني محمّداً و ذرّيته انتهىٰ.



أقول في هذه الأخبار كفاية لأولي الأيد والأبصار في الوقوف علىٰ تفسير الأية و من أراد الإطلاع علىٰ أكثر مما ذكرناه فَعَليه بمظانّه، بقي في المقام شئ و هو أنّه ما المراد بالغَضب في حقّ اللّه تعالىٰ و ما الفرق بين الغَضب في حقّه والغضب فينا فنقول:

الغضب فينا، ثوران دَم القَلب لإرادة الإنتقام والتَّشفي واذا وُصف اللّه تعالىٰ به فالمراد به الإنتقام دون غيره و قيل أنّه فيه تعالىٰ بمعنىٰ إنزال العقاب المُستّحق بهم و لَعنهم و براءته منهم و أصل الغَضب الشّدة و قد وَصف اللّه تعالىٰ به نفسه في كثير من الأيات:

قال اللّه تعالىٰ: **وَ بَآءُو بِغَضَبٍ مِنَ ٱللَّهِ**(١)

قال اللّه تعالىٰ: **فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ**(٢)

قال اللّه تعالىٰ: **وَ مَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبي**(٣)

قال اللّه تعالىٰ: **وَ غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ**(٤)

قال بعض الفلاسفة، الغَضب في البَدن ثوران الدَّم و في النّفس حالة نفسانية إنفعالية في العمل صِفَة فعلّية.

و في الواجب القهارّية و هي روح الغَضب و ما في عالم الصّورة صورته انتهىٰ.

فالفرق بين الموردين هو أنّه فينا بمعنىٰ المبدأ لحصول الغاية و في الواجب بمعنىٰ العامّة والمنتهىٰ لا غير و ذلك لأنّه ليس هناك جسم و بدن فلا دَم و لا ثَوران و لا قلب.

و ثانياً أنّ الإنتقام فيه تعالىٰ ليس كالإنتقام فينا فإنّه في حقّنا لدفع ضررٍ أو جلب منفعة و في حقّه تعالىٰ إحقاق الحقّ و إجراء العَدل و إن شئت قلت هو فينا مسبّب عن ثوران دَم القَلب الّذي هو مسبّب أيضا عن ضرر أو إيذاءٍ وصل من الغير الينا.

و أمّا فيه تعالىٰ فهو سبب عن العصيان والظّلم والتعدّي من شخصٍ أو أشخاصٍ علىٰ غيره و ذلك لأنّه تعالىٰ لا تضره معصية من عَصاه و لا تَنفعه

١- البقرة = ٦١
٢- البقرة = ٩٠
٣- طه = ٨١
٤- الفتح = ٦

طاعة من أطاعه فالعاصي من حيث أنّه مُتعدّ والتعدّي مُخل بالنّظم مُضر بالجامعة يصير مَغضوبٌ عليه في الدّنيا والأخرة والحاصل أنّه فينا يدّل علىٰ النّقض و في الواجب يدلّ الكمال والقهر و تفصيل البحث فيه في محلّه هذا تمام الكلام في تفسير سورة الحَمد و لنذكر في خاتمة البحث أموراً لا تخلو من الفوائد في المقام، و غيره من سور القرأن.

الأمر الأوّل: أنّ هاء الضّمير نحو، **عليهم**، **عليه**، **فيه**، **فيهم**،**لهم** و أمثال ذلك قد تكرر في القرأن فَينبغي أن يعلم القارى أنّ الأصل في هذه الهاء الضّم لأنّها تضم بعد الفتحة والضمّة والسّكون، نحو، أنّه و لَهُ و غلامهُ و سَمعهُ و منهُ و غيرها من الألفاظ و أنّما يجوز كسرها بعد الياء نحو، عليهم و أيديهم، و بعد الكسر نحو به و بداره و ضمَّها في المَوضعين جائز لأنّه الأصل و أنّما كسُرت لتجانس ما قبلها من الياء و الكسرة و بكلٍّ قد قرأ و أمّا عليهم ففيها عشر لغات و كلّها قد قرأ به خَمسُ مع ضمّ الهاء و خَمسٌ مَع كَسر الها، فالتّي مَع الضّم إسكان الميم و ضمّها من غير إشباعٍ، و ضمّها مع واوٍ وكسر الميم من غير ياء وكسرها مَع الياء.

و أمّا التّي مع كَسر الهاء فإسكان الميم وكسرها من غير ياء وكسرها مَع الياء، و ضمّها مَع الواو والأصل في ميم الجمع أن يكون بعدها **واو** فالميم لمجاوزة الواحد والألف دليل التّثنية نحو عليهما و **الواو** للجمع نظير الألف.

الأمر الثّانى: قال بعض المحقّقين أنّ في سورة الفاتحة عشرة أشياء:

خمسة منها في صفات الرّبوبية و هي، الّله و الرّب و الرّحمٰن و الرّحيم و المالك، و خمسة منها من صفات العبد و هي العبّودية و الإستعانة و طلب الهداية و طلب الإستقامة و طلب النّعمة.

فإنطبقت تلك الأسماء الخمسة علىٰ هذه الأحوال الخمسة فكأنّه قيل: **اِيّاکَ نَعْبُدُ** لأنّك أنت الّله: **وَاِيّاکَ نَسْتَعِينُ** لأنّك أنت الرّب: **اِهْدِنَا الصِّراطَ**

الْمُسْتَقِيمَ لأنّك أنت الرّحمٰن، و إرزقنا الإستقامة لأنّك أنت الرّحيم، و أفِض علينا سجال نعمك و كرمك لأنّك: **مٰالِكِ يَوْمِ الدّيِنِ**.

الأمر الثالث: قال أهل التّحقيق لمّا كانت كلمة **الحمد** فاتحة الشّكر جَعلها اللّه فاتحة كلامه في الكتاب ولمّا كانت خاتمة الشّكر جَعلها اللّه خاتمة كلام أهل الجنّة فقال: **وأخر دَعواهُم أن اَلْحَمْدُلِلّٰهِ رَبِّ الْعٰالَمِينَ** ففاتحة كلام العبد وخاتمته به.

رُوي عن علّي عليه‌السلام أنّه قال خَلق اللّه العقل من نور مكنون مخزون من سابق عِلمه فَجعل العلم نفسه و الفهم روحه و الزّهد رأسه و الحَياء عينه و الحِكمة لسانه و الخير سمعه و الرّأفة قلبه و الرّحمة هَمّه و الصبر بطنه ثمّ قيل له تكلّم فقال الحمد للّٰه لِلذّي ذلّ كلّشيء لعزّته فقال الرّب و عزّتي و جلالي ما خلَقت خَلقاً أعَز عَلّيَ مِنك و أيضاً فقل أنّ آدم عليه‌السلام لمّا عَطَس فقال الحمدُ لِلّٰه فكان أوّل كلامه ذلك ثمّ قال إذا عرفت هذا فنقول أوّل مراتب المخلوقات العقل و آخر مراتبها آدم و قد نقلنا أنّ أوّل كلام العقل، الحَمد لِلّٰه و هكذا آدم فثبت أنّ أوّل كلام لفاتحة المحدثات هو هذه الكلمة و أوّل كلامٍ لخاتمتها أيضاً هو هذه الكلمة فهي الأوّل في الكلمات والآخر فيها فلا جَرَم جعلها اللّه فاتحة كتابه وقال:اَلْحَمْدُلِلّٰهِ رَبِّ الْعٰالَمِينَ و فيها أسرار لا يُحصيها إلاّ اللّه تعالىٰ.

* * *

سورة البقرة

إعلم أنّ هذه السّورة مَدَنية كلّها إلاّ آية واحدة منها وهي قوله تعالىٰ: **وَ ٱتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فيهِ إِلَى ٱللَّهِ**[1].

فأنّها نزلت في حجة الوداع بِمنىٰ، وعَدد الآيات فيها مائتان و ستّ و ثمانون عند الكوفيّين و سَبع عند البصريّين و خمس عند أهل الحِجاز و أربع عند الشّافي، و عدد الكلمات فيها (٦٢٢١) و عدد الحروف (٢٥٥٠٠) فضلها.

عن أبي إمامة عن أبي إبن كَعب عن النّبي ﷺ قال ﷺ أنّ لكلّ شئ سناما و سنام القرآن سورة البقرة.

و عنه عن النّبي ﷺ قال من قرأها فصلوات اللّه تعالىٰ عليه و رحمته و أعطىٰ من الأجر كالمُرابط في سبيل اللّه شنة لا تسكن روعته، و عنه أيضاً قال النّبي لي يا أبي مُرالمسلمين أن يتعلّموا سورة البقرة فإنّ تعلّمها بركة و تركها قسرة لا يستطيعها البطلة قلت يا رسول اللّه ما البطلة قال السّحرة.

و عن سهل إبن سعد قال: قال رسول اللّه ﷺ: لكلّ شئٍ سناما و سنام القرآن سورة البقرة من قرأها في بيته نهاراً لم يدخل بيته شيطان ثلاثة أيّام و من قرأها في بيته ليلاً لم يدخل بيته شيطان ثلاثة ليال.

١- البقرة = ٢٨٠

و عن كتاب ثواب الاعمال باسناده الىٰ أبي عبد اللّه قال عليه السلام: من قرأ سورة البقرة و آل عمران جاء الىٰ يوم القيامة تظلّانه علىٰ رأسه مثل الغيابتين، العياشي عن سعد الإسكاف قال سمعت أباجعفر يقول قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم أُعطيت الطّوال مكان التّوراة و أعطيت المائين مكان الإنجيل أُعطيت المثّاني مكان الزّبور و فضّلت بالمفصّل سبّع و ستيّن سُورة.

و عنه قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم: مَن قرأ أربع آيات من أوّل البقرة و آية الكُرسي و آيَتين بعدها و ثلاث آيات مِن آخرها لم يَرَ في نفسه و ماله و أهله شيئاً يكرهه و لم يضّر الشّيطان و لم يَنسَ القرآن و الأخبار في فضلها كثيرة جداً.

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

أَلَمٓ ﴿١﴾ ذٰلِكَ الْكِتٰابُ لاٰ رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ اَلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلوٰةَ وَمِمّٰا رَزَقْنٰاهُم يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمٰا أُنْزِلَ اِلَيْكَ وَمٰا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْاٰخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولٰئِكَ عَلىٰ هُدىً مِّنْ رَّبِّهِمْ وَ أُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴿٥﴾

◁ اللّغة

ذٰلِكَ: إسم إشارة و الألف من جملة الإسم و قال الكوفيون الذّال وحدها هي الإسم و الألف زيدت لِتكثير الكلمة، و أمّا اللاّم فحرفُ زيد ليدّل علىٰ بعد المُشار اليه و قيل هي بدل من هاء و تقول هذا و هذاك و لا يجوز، هـذلك وكُسرت اللاّم علىٰ أصل إلتقاء السّاكنيين و قيل غير ذلك.

الْكِتٰابُ: كتاب بكسر الكاف مصدر قولك، كتبَ كتباً وكتاباً و هو ما صوّر فيه اللّفظ بحروف الهجاء و قال الرّاغب في المُفردات، الكتّب ضّم أديم الىٰ أديم بالخياطة يقال كتبت الشّتاء و كتبت البغلة جمعتُ بين شفريها بحلقةٍ و في التّعارف ضمّ الحروف بعضها الىٰ بعضٍ بالخطّ و قد يقال ذلك للمضموم بعضها الىٰ بعضٍ باللّفظ فالأصل في الكتابة النظّم بالخطّ لكن يستعار كلّ واحدٍ لِلأخر و لهذا سُمّي كلام اللّه و إن لم يُكتب كتاباً كقوله: **أَلَمٓ، ذٰلِكَ الْكِتٰابُ**، و الكتاب في الأصل مصدر ثمّ سُميّ المكتوب فيه كتاباً و الكتاب في الأصل إسمٌ للصّحيفة مَع المكتوب فيه انتهىٰ.

واللاّم الدّاخل عليه للتّعريف.

لاٰ رَيْبَ فِيهِ: كلمة **لا** لِنفي الجنس و **الرّيب** الشّك.

هُدًى: بضّم الهاء مصدر بمعنىٰ إسم الفاعل والألف مُنقلبة عن ياء لقولك **هَديتُ**:، و**الهِداية** دلالة بلطفٍ و منه **الهَدِيّة** و قيل **الهِداية** إرشادٌ للخير و المآل واحد

لِلْمُتَّقِينَ : **المُتّقين** جمع **مُتّقِي** و هو إسم فاعل من **إتّقىٰ يَتّقى** و أصل الكلمة من **وقىٰ** ففاؤها واو و لامها ياء، فإذا بنيت من ذلك، إفتعل **قُلِبَت الواو تاءً** و أدغَمتها في التّاء الأُخرىٰ فَقُلتَ، **إتّقىٰ**، و ياؤه الّتي هي لام محذوفة في الجمع لسكونها و سكون حرف الجمع بعدها كقولك **مُتّقون، ومُتّقين**، و وزنَه في الأصل **مُفتعلون** لإنّ أصله **مُوتقيُون** فحُذِفَت اللاّم لِما ذكرنا فَوزنه الأن **مُفتعُون وَ مُفتَعين** و إنمّا حُذفت **اللاّم** دون علامة الجمع لإنّ علامة الجمع دالة علىٰ معنىٰ إذا حُذفت لا يبقىٰ عليه دليل فكان إبقاؤها أولىٰ.

◁ الإعراب

موضع **ذلك** رفع علىٰ أنّه خبر ألم. **والْكِتٰابُ** عطف بيان. **لاٰ رَيْبَ** في موضع النّصب علىٰ الحال و يمكن أن يكون **ذلك** مبتداء و **الكتاب** خبره و **لاٰ رَيْبَ** حال فموضع ذالک رفع على الابتداء و **والْكِتٰابُ** على الخبر و **لاٰ رَيْبَ** فوضعة النصب على الحال وكلمة **ريب** فمعنى عنه الاكثر لانّه ركّب مع **لا** و صير بمنزلة (خمسة عشر) و علّة بنائه تَضمنّه معنىٰ **مِن** إذ التّقدير **لا من** ريب و أحتيج الىٰ تقدير **مِن** لتدّل كلمة **لا** علىٰ نفي الجنس. **هُدًى** منصوب علىٰ الحالّية من الهاء. **فيه** أيّ لا ريب فيه هادياً فالمَصدر بمعنىٰ إسم الفاعل. و يُمكن أن يكون موضعه الرّفع علىٰ أنّه خبر مبتدأ محذُوف أيّ هو هُدىٰ أو أنّه مُبتدأ وخبره **لِلْمُتَّقِينَ ولِلْمُتَّقِينَ اللاّم** متعلّقة بمحذوف تقديره كائن أو كائناً و **المُتّقين** مجرورٌ به وعلامة جرّه الياء كما هو القاعدة في الجمع فأنّ رفعه بالواو و نَصبه و جره بالياء المكسور ما قبلها.

◁ التفسير

اختلفوا في الحروف المفتّح بها السّور في القرآن فقال بعضهم هي من المُتشابهات الّتي إستأثرها اللّه بعلمها ولا يعلم تأويلها إلاّ اللّه و هو المرّوي عن الأئمة المعصُومين و قال عامر الشّعي و سفيان الثّوري و جماعة من العامّة هي سرّ اللّه في القرآن و لِلّه في كلّ كتابٍ من كُتبه سِرٌّ فهي من المُتشابه الّذي إنفرَد اللّه تعالىٰ بعلمه و لا يجب أنّ يتكلّم فيها و لكن نُؤمن بها و تقرأ كما جاءت و ذكر أبواللّيث السّمرقندي عن عمرو و عثمان و ابن مسعود قالوا الحروف المُقطّعة من المكتوم الّذي لا يفسّر و قال أبو حاتم ما ندري معناها أقول فكأنّه من المتّفق عليه بين الفريقين أنّه لا يعلم تأويلها و لا تفسيرها إلاّ اللّه تعالىٰ و قال جمع من العلماء علىٰ ما نقله القُرطبي في تفسيره.

بل يجب أن نتكلم فيها و نلتمس الفوائد الّتي تحتها الىٰ أن قال قالوا في تفسير **الٓمٓ** **الألف من اللّه** واللاّم من جبرائيل و **الميم من محمّدٍ** صلّى اللّه عليه وآله وسلّم و قيل **الألف** مفتاح إسمه **اللّه** والميم مفتاح إسمه **مجيد** واللاّم مفتاح إسمه **لطيف**.

روي عن ابن عباس أنّ تفسيره أنا اللّه أعلم، و الأقوال فيه كثيرة إلاّ أنّه لا معوّل عليها لأنّها إستنباطات شخصّية لا ربط لها بتفسير القرأن:

ذٰلِكَ الْكِتَابُ لاٰ رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ.

لاشكّ أنّ المراد بالكتاب في الآية القرأن و هو المشار اليه بقوله **ذلك** و نفي الرّيب عنه بلاء الّتي لنفي الجنس المشعر لنفي الرّيب عنه بالكلّية دليل علىٰ أنّ الكتاب منزّلٌ من عنده تعالىٰ المنزّه عن النّقص ذاتاً و صفةً اذ لوم كان من عند غيره كائناً من كان لم يكن خالياً من الرَّيب و ذلك لأنّ المخلوق ناقص في حدّ ذاته لأمكانه و فقره و من كان كذلك يكون ناقصاً في جميع صفاته و أفعاله فكيف يمكن أن يكون كتابه ممّا لا ريب فيه بالكلّية إن قُلت كيف نفي الرّيب عن الكتاب و أنّه من عند اللّه مع أنّا نرىٰ كثيراً من النّاس بل أكثرهم في

كلّ عصرٍ و زمانٍ حتّىٰ زمان رسول اللّه صلّى الله عليه و آله و سلّم الىٰ زَمانِنا هذا حكموا بخلافه و أنّه ليس مِن عند اللّه فضلاً عن ريبهم و شكّهم ضرورة أنّهم لو قطعوا بكونه من عند اللّه أمنوا به فَعدم إيمانهم به دليل علىٰ قطعهم بأنّه ليس من عنده تعالىٰ قلت الجواب عنه من وجوهٍ:

أحدها: أن يكون المراد من الآية نفي الرّيب عن الكتاب في الواقع و نفس الأمر لا في الظّاهر أي أنّ ذلك الكتاب لا ريب فيه واقعاً عند من تَعمّق و تَدّبر فيه و حيث أنّ المنكرين لم يتدّبروا فيه حقّ التّدبر لا محالة وقعوا في الشكّ و الإرتياب و هذا كما نرىٰ في كثير من النّاس أنّهم يشكّون في شيء بل ينكرونه ثمّ بعد التّأمل والتدّبر فيه ينكشف لهم الخلاف و بالعكس فأنّ الإنسان محلّ الخطأ والنّسيان ولأجل هذا أمرنا بالتفكّر والتدّبر في كثير من الأيات و عليه فلو تَعمّق و تَدّبر المنكر والشاكّ حقّ التدّبر لِعلم أنّه حقٌّ من عند اللّه و هو المطلوب.

ثانيها: أنّ المنكرين الشاكّين من النّاس علىٰ صنفين، صِنف العلماء، و صنف الجّهال والعوام، أمّا العلماء فيمكن أن يكون مَنشَأ إنكارهم حبّ الدّنيا أو التعصّب والعناد و أمثال ذلك دون قلوبهم فأنّهم كثيراً ما يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والوجه فيه ظاهر فأنّ العلماء من أهل الكتاب قد علموا من كتبهم أنّ الإسلام حقّ والرّسول صادق في دعواه و الكتاب منزل من عند اللّه الاّ أنّهم لم يتفوهوا به حبّاً للدّنيا والرّئاسة أو عناداً و تعصباً و أمثال ذلك من الأمور المترتبة علىٰ حبّ الدّنيا فأنّه رأس كلّ خطيئة والدّليل علىٰ ما ذكرناه:

قال اللّه تعالى: **اَلَّذِينَ اٰتَيْنٰاهُمُ اَلْكِتٰابَ يَعْرِفُونَهُ كَمٰا يَعْرِفُونَ أَبْنٰآءَهُمْ وَ إِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ اَلْحَقَّ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ**[1]

قال اللّه تعالى: **اَلَّذِينَ اٰتَيْنٰاهُمُ اَلْكِتٰابَ**[2]

١- البقرة= ١٤٦ ٢- الأنعام= ٣٠

قال اللّه تعالى: **يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللّٰهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَ أَكْثَرُهُمُ ٱلْكَافِرُونَ**(١)

فالإنكار من المنكر لا يدّل علىٰ جهله أو إنكاره بقلبه اذا كان عالماً و هو واضح.

و أمّا صِنف الجّهال فالإنكار منهم باللّفظ وان كان حاكياً عن الإنكار القلبي أحياناً الاّ أنّ مَنشأ الإنكار و العلّة فيه هو جهلهم واقعاً و أنّهم لم يصلوا الىٰ الواقع بل لم يَقدروا عليه لجهلهم و عَدم إعلام العلماء حقيقة الأمر لهم لأنّهم إن بَقوا علىٰ جهلهم أولىٰ و أنفع لِعلمائهم من كشف الحقيقة لهم لأنّهم في صورة العلم يالحقيقة يتفرّقُون بل يعرضون عن علمائهم و يتّبعون الحقّ و هذا هو السرّ في إبقائهم العلماء علىٰ الجهل وكم له من نظير.

ثالثها: أن يكون المراد أنّ ذلك الكتاب لا ينبغي الإرتياب فيه إمّا لأنّه من عند اللّه أو لأنّه جامع الخيرات والسّعادات لمن تَدَّبر فيه وعمل بمقتضاه و عليه فنفي الإرتياب يرجع الىٰ نفيه من جهته هدايته وكونه كافياً وافياً و بعبارةٍ أخرىٰ لا شكّ فيه من هذه الجهة و هو المطلوب.

رابعها: أن يقال الرّيب فيه عند المسلمين المؤمنين لا فى غيرهم من الكفّار و ذلك لأنّ غير المسلم الّذي أنكر خالقه الّذي أوجده من العَدم كيف يقرّبان القرآن منزّل من عنده والإقرار به فرع علىٰ الإقرار بالتّوحيد و غير ذلك من الوجوه المحتملة في المقام.



إن قلت لمّا كان الكتاب حاضراً فحقّ الكلام أن يقال هذا القرآن **لاٰ رَيْبَ فِيهِ** و ذلك لأنّ **هذا**، موضع للإشارة الىٰ القريب **وذلك** ليس للقريب، قلتُ نقل عن الأخفش أنّه قال، **ذلك** في المقام بمعنىٰ، هذا، و أنشد قول الشّاعر:

أقول له والرّمح باطر متنه   تأمّل خفافاً أنّني أنا ذا بكاء

١- النّحل = ٨٣

أي أنا هذا نقله الطّبرسي ﷺ في المجمع ثمّ قال يمكن إجراءه علىٰ ظاهره أي انّني ذلك الرّجل الّذي سمِعتُ شجاعته و إذا جرىٰ للشيئ ذكر يجوز أن يقول السّامع هذا كما قلت إنتهىٰ.

و قيل إنّ اللّه وعد نبّيه ﷺ أن ينزل عليه كتاباً لا يمحوه الماء و لا يخلق علىٰ كثرة الرّد فلّما أنزل القرآن قال هذا القرآن ذلك الكتاب الّذي وعَدتك و هذا القول منقول عن الفّراء و أبو علّي الحبائي و قيل معناه هذا القرآن ذلك الكتاب الّذي وعدتك به في الكتب السّالفة عن المبرّد و هذه الوجوه نـقلها المفسّرون في كتبهم.

قال الزّمخشري في الكشّاف ما لفظه ـ فإن قلت لم صحّت الإشارة بذلك إلىٰ ما ليس ببعيد، قلت وقعت الإشارة الىٰ اِلَم بعد ماسَبق التكلّم به وتَقضّي والمقتضّىٰ في حكم المتباعد و هذا في كلّ كلامٍ يحدّث الرّجل بحديث ثمّ يقول و ذلك ممّا لا شكّ فيه الىٰ أن قال ولأنّه لّـما وَصـل مـن المـرسِل الىٰ المُرسَل اليه وقع فيه حدّ البعد تقول لصاحبك و قد أعطيته شيئاً إحتفظ بذلك و قيل معنىٰ ذلك الكتاب الّذي وعدوا به إنتهىٰ ما ذكره بلفظه و عباراته.

أقول يظهر من كلامه في الوجه الأوّل أنّ المُشار اليه اِلَم الّذي سبق ذكره في الكلام و عليه فالمعنىٰ لا يستقيم إلاّ علىٰ القول بأنّ اِلَم إسم الكتاب أو السّورة و **ذلك** إشارة اليه و هذا القول مضافاً الىٰ ضعفه في حدّ نفسه مردودٌ عقلاً و ذلك لأنّه أن أراد بالمشار اليه أعني اِلَم لفظه الّذي وَصَل الىٰ السّامع ف ذلك ليس إشارة اليه بل الىٰ ما دّل به عليه وإن أراد جميع السّورة أو المُنّزل فقبل أن يصل اليه هذا كان لفظ **ذلك** علىٰ حاله فما ذكره لا يرجع الىٰ محصلٍ و هكذا قوله.

و لأنّه لّما وصل من المُرسِل الىٰ المُرسَل اليه وقع في حّد البُعد، إذ القائل أن يقول هذا في غير الخالق والمخلوق له وجه و أمّا فيه فلا إذا الكّل حاضر

عنده ماضى و هو أيضاً حاضر عند الكّل بل هو أقرب اليهم من حَبل الوَريد فالبُعد في المقام ليس بمعقولٍ والّذي نقول في المـقام هـو أنّ الكـتاب هـو المشار اليه و ذلك، ليس للقريب كلّ ذلك صحيح.

إلاّ أنّ القريب قد يُنزّل منزلة البعيد بالنّظر الىٰ الواقع و نفس الأمر و ان كان قريباً بالنّظر الىٰ الظّاهر و بالعكس قد يكون الشّئ بعيداً ظاهراً مع أنّه قريبٌ واقعاً و نعّبر بالقُرب والبُعد التّنزيلى و هو يقابل القُرب والبُعد الواقعي و هذا كما ترىٰ في أبي لهب و سلمان.

فأنّ أبالهب قريب لِلرّسول ظاهراً لأنّه عمهٌ بـعيدٌ عـنه واقـعاً لأنّـه عَـدّوه وسلمان بالعكس بعيدٌ عنه ظاهراً قريباً منه واقعاً ولذا قال ﷺ أنّه من أهل البيت و هذه القاعدة جارية في جميع الموارد وعليها مدار التّـخاطب عـند البُلغاء إذا عرفت هذا فنقول، الكتاب أعني به القرآن و إن كان قريباً في الظاهر حاضراً لدىٰ القارى إلاّ أنّه بعيد عن فهمه و عقله بحسب الواقع و أن شئت قلت ألفاظه ظاهرة قريبة و معناه بعيدة جدّا فنُزّل في المقام القـريب مـنزلة البعيد فقال تعالىٰ :**ذٰلِكَ الْكِتٰابُ** و عليه فالمعنىٰ أنّ ذلك الكتاب الّـذي لا يُحيطون به لأنّ عقولكم قاصرة من إدراك حقائقه و هو بعيد عن أفهامكم هو هذا الّذي بين أيديكم و عليه فالّلام في الكتاب للعهد الحاضر فأفهم.

قوله تعالىٰ: **هُدىً لِلْمُتَّقِينَ** قد مرّ الكلام في معنىٰ الهداية في سورة الحَمد و أنّها بمعنىٰ إراءة الطّريق أو الإيصال الىٰ المطلوب فـلا نـعيد الكـلام بـذكر معناها ثانياً.

والّذي نقول في المقام هو أنّ المصدر بمعنىٰ إسم الفاعل أي أنّ القرآن هادٍ للمتّقين والبحث يقع في مقامين:

المقام الأوّل: في معنىٰ التّقوىٰ وأنّ المتّقين من هُم.

المقام الثّانى: في بيان وجه إختصاص الهداية بالمُتّقين دون غيرهم مـن النّاس.

أمّا المقام الأوّل: فنقول قد مَرَّ في شرح اللّغات أنّ المُتّقين جمع مُتّقي و أصل الكلمة من (وقىٰ والوقاية في اللّغة الحِفظ فالمُتّقون هم الحافظون لأنفسهم و أعمالهم و أقوالهم عن المحرّمات بل المَكروهات و قيل أنّ التَّقوىٰ عبارة عن المواظبة علىٰ فعل الواجب و ترك الحرام وقيل غير ذلك و أحسن ما قيل في تعريف المُتّقين ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته المشهورة بخطبة المُتّقين من كتاب نهج البلاغة فقال عليه السلام:

فَالْمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ مَنْطِقُهُمْ الصَّوَابُ وَمَلْبَسُهُمُ الإقْتِصَادُ وَمَشْيُهُمْ التَّوَاضُعُ غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ وَوَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَىٰ العِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ الىٰ أخر الخطبة)

بتفصيلها وإن شئت الوقوف على معنى الخطبة فَعليك بكتاب النّهج و شروحه اذ لم تجد أوصاف المتّقين في جميع الأثار مثل ما وَصفهم أمير المؤمنين عليه السلام في كلامه و نحن بعون اللّه وتَوفيقه قد شَرحنا الكتاب من أوّله الىٰ أخره شرحاً جامعاً وافياً مبسوطاً في نحو ثلاثين مجلّد و ذكرنا فيه مالم يسبقنا اليه أحد من الشّراح و نَرجو من اللّه أن يُوفقنا لإتمام التَّفسير الّذي بين أيدينا إن شاء اللّه تعالىٰ والأيات والأثار في مدح التّقوىٰ و أوصاف المتّقين أكثر من أن تُحصىٰ ولاشكّ لأحدٍ أنّه أي التّقوىٰ من أجلّ النِّعم وأحَسن الزّاد ليوم القيامة.

و أمّا في مقام البحث فاللّه تعالىٰ بيّن للمتّقين أوصافاً ستّة هي بمنزلة الأصول:

و هي الإيمان بالغيب، و إقامة الصّلاة، والإنفاق ممّا رَزقهم اللّه سبحانه، و الإيمان بما أنزل علىٰ الأنبياء السّابقين، والإيمان بما أنزل علىٰ رسول الإسلام، و اليقين بلاخرة.

المقام الثّانى: في بيان إختصاص الهداية بهم، فنقول لا شكّ أنّ القرآن هادٍ لجميع النّاس :

قال اللّه تعالىٰ: **شَهْرُ رَمَضٰانَ اَلَّذىٓ أُنْزِلَ فيهِ اَلْقُرْاٰنُ هُدًى لِلنّٰاسِ وَ بَيِّنٰاتٍ مِنَ اَلْهُدٰى وَ اَلْفُرْقٰانِ** (١)

و قال تعالىٰ في مقام آخر: **وَ نَزَّلْنٰا عَلَيْكَ اَلْكِتٰابَ تِبْيٰاناً لِكُلِّ شَىْءٍ وَ هُدًى وَ رَحْمَةً وَ بُشْرىٰ لِلْمُسْلِمينَ** (٢)

و أمثال ذلك من الأيات و عليه فما وجه إختصاص هداية الكتّاب بالمُتّقين في المقام.

و الجواب عنه هو أنّ اللّه تعالىٰ بيّن أوصاف المُتّقين في أوّل البقرة ليعلم القارئ أنّ الكتاب بعد الحمد والثّناء عليه تعالىٰ موضوع لإيصال المكلّف الىٰ درجة التّقوىٰ بل هي الغاية لإنزال الكتاب علىٰ عبده فأن العمل لا يقبل إلاّ بها لقوله تعالىٰ :**إِنَّمٰا يَتَقَبَّلُ اَللّٰهُ مِنَ اَلْمُتَّقينَ**(٣) وحيث أنّه أراد ذكر المتّقين وبيان أوصافهم ذكر أنّ الكتاب هادٍ لهم و هو كذلك هذا أوّلاً.

و ثانياً أنّ الهداية بالكتاب مَشرُوط بالقابلية والإستعداد و لا شكّ أنّ الموصوفين بالتّقوىٰ أشدّ اهتماما في الإستضائة بنور القرآن من غيرهم فلا جرم هدايتهم به أكثر.

إن قلت ظاهر قوله تعالىٰ يدّل علىٰ انّ المتّقين قبل هدايتهم بالكتاب كانوا م مُتصفين بها أيضاً فَعليه يلزم وجود هدايتين، هداية قبل القرآن و هداية بعده بَسبه و ذلك لأنّهم لو لم يكونوا مَهديّين فكيف صاروا متّقين و إذا كان كذلك فبيّنوا لنا حقيقة الأمر قلت ظاهر الكلام يدّل عليه و لذلك ذهَب بَعض المُفَسّرين الىٰ وجودهما، هداية من اللّه، و هداية من القرآن ونحن ننقل عين

١- البقرة= ١٨٥ ٢- النحل= ٩٠
٣- المائده = ٢٧

كلامه بألفاظه و عباراته قال ﷺ و قد وَصفهم بأنّهم علىٰ هُدىٰ من ربّهم لعلّه إشارة: قوله تـعالىٰ : **أُولٰئِكَ عَلىٰ هُدىً مِّنْ رَّبِّهِمْ وَ أُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** فدّل ذلك علىٰ أنّ تلبسّهم بهذه الصّفات الكريمة بسبب تلَبّسهم بلباس الهداية من اللّه سبحانه فهم أنّما صاروا مُتّقين أولىٰ هذه الصّفات بهدايةٍ منه تعالىٰ ثّم وصَف الكتاب بأنّه هُدىٰ لهؤلاء المُتّقين بقوله تعالىٰ :**ذٰلِكَ الْكِتٰابُ لاٰ رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِّلْمُتَّقِينَ** فَعلمنا بذلك أنّ الهداية غير الهداية و أنّ هؤلاء وهم مُتقون محفُوفون بهدايتين، هداية أُولىٰ بها صاروا مُتّقين و هداية ثانية أكرمهم اللّـه سبحانه بها بعد التّقوىٰ و بذلك صحّت المـقابلة بـين المُـتّقين وبـين الكـفّار والمُنافقين فأنّه سبحانه يجعلهم في وَصفهم بين ضلالين وَمماتين ضلال أوّل هو الموجب لاوصافهم الخبيثة من الكفر والنّفاق و ضلال ثان يتأكّد به ضلالهم الأوّل ويتصّفون به بعد تحقّق الكفر والنّفاق كما يقول تعالىٰ في حقّ الكفّار:

قال اللّه تعالىٰ: **خَتَمَ اَللّٰهُ عَلىٰ قُلُوبِهِمْ وَ عَلىٰ سَمْعِهِمْ وَ عَلىٰ أَبْصٰارِهِمْ غِشٰاوَةٌ**(١).

فَنسب الختم الىٰ نفسه تعالىٰ والغشاوة الىٰ أنفسهم وكما يقوله في حـقّ المُنافقّين:

قال اللّه تعالىٰ: **فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزٰادَهُمُ اَللّٰهُ مَرَضًا**(٢)

فَنسب المرض الأوّل اليهم والمرض الثّاني الىٰ نفسه علىٰ حدّ ما يستفاد:

قال اللّه تـعالىٰ: **يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَ يَهْدِي بِهِ كَـثِيرًا وَ مٰـا يُـضِلُّ بِـهِ إِلاَّ اَلْفٰاسِقِينَ**(٣)

قال اللّه تعالىٰ: **فَلَمّٰا زٰاغُوٓا أَزٰاغَ اَللّٰهُ قُلُوبَهُمْ**(۴).

و بالجملة المُتّقون واقعون بين هدايتين كما أنّ الكفّار واقعون بين ضلالين

١- البقرة= ٧
٢- البقرة= ١٠
٣- البقرة= ٢۶
۴- الصّف= ۵

ثمّ أنّ الهداية الثّانية لمّا كانت بالقرأن فـالهداية الأولىٰ قـبل القـرأن وبسبب الفطرة الىٰ أخر ما قال ﷺ مّصّراً علىٰ إثبات الهدايتين والضلالين في المقام إن شئت الإطلاع علىٰ ما ذكره فراجعه[1] و أنمّا نقلنا عبارته بطولها لتنظر اليها فلعلك تفهم منها غير ما فهمناه عنه و كيف كان لا نفهم معنىٰ الهدايتين في المقام كما لا نفهم معنىٰ الضّلالين و سيجيئ البحث في الضّلالة في محلّه.

و أمّا الهداية فهي محّل البحث في المقام فنقول إن كـان مـراده ﷺ مـن الهداية الأولىٰ الهداية التّكويني فهي خارجة عن مورد البحث مضافاً الىٰ أنّها تعمّ جميع الموجودات و جميع أفراد الإنسان ولا إختصاص لها بالمُتّقين وإن كان المراد بها غيرها فَينبغي أن يُبيّنها و مجرد قوله ﷺ في أواخر كلامه أنّها بسبب سلامة الفطرة لا يكفي لإثباتها فـقوله أنّـما صـاروا مـتّقين أولىٰ هـذه الصّفات بهدايةٍ منه تعالىٰ ثمّ وَصف الكتاب بأنّه هُدىً لهؤلاء المتّقين الىٰ أن قال فَعلمنا بذلك أنّ الهداية غير الهداية كلامٌ لا نفهم مـعناه و أيّ فـرقٍ بـين هداية الّله تعالىٰ و بين هداية القرأن و هداية الرّسول اذ الكلّ يرشد الإنسان الىٰ ما هو خير له فلو كان ما ذكره ﷺ في الهداية والضّلالة السّابقة قبل الهداية والضّلالة الثّانية حقّاً لزم الجَبر و ذلك لأنّ الّله تعالىٰ هدىٰ قوماً و هم المُتّقون و أضّل قوماً و هم الكفّار قبل أن يهديهم بكتابه و دينه و لا نعني بالجَبر الاّ هذا و كيف يكون ضلالهم الأوّل موجبا لأوصافهم الخَبيثة من الكُفر والنّفاق الّلهم الاّ أن يقال أنّ الهداية و الضّلالة في مرتبة الأولىٰ كانتا بإختيارهم لا أنّ الّله تعالىٰ جعلهم كذلك و لكن كلامه ﷺ يأبىٰ عن ذلك و محصّل الكلام أنّ الهداية في التّشريع واحدة لا ثاني لها وهي الهداية التّي تحصل للإنسان بمتابعة الرّسول والعمل بما أمَرَه به و نَهاه عنه.

١- الميزان في تفسير القرأن لطباطبائي (قده) ج ١ ص٤٤

و أمّا الأيات كقوله تعالىٰ: **يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِـالْقَوْلِ ٱلثَّـابِتِ**[1] الخ و أمثالها لا تدّل علىٰ المدّعىٰ أصلاً علىٰ ما سيأتي إن شاء اللّه تعالىٰ.

والّذي أوقَع بعض المُفسّرين في هذه الوَرطات هو جمودهم علىٰ ظواهر الألفاظ كما ذكرناه في صدر المَبحث و قلنا أنّ ظاهر اللّفظ يقتضي ذلك فأنّ هداية الكتاب.

للمُتّقين فرع وجودهم أوّلاً و من المعلوم أنّ المتّقي لا يكون الاّ مهدياً و حيث لا تكون هدايتهم بالقرأن علىٰ الفرض حين إتّصافهم بالتّقوىٰ فلا جَرم هدايتهم باللّه تعالىٰ أولاً و بالقرأن ثانياً و لم يعلموا أنّا اذا قلنا مثلاً، السّلاح عصمة للمعتصم، و المال غنىٰ للغني، و العلم نور للعالم، ليس معناه أنّ السّلاح و المال و العلم كلّ واحد منها سبب لوجود المُسّبب اذ ليس هناك سبب و مُسبّب واقعاً و أن كان ظاهر اللّفظ يوهمه بل معناه أنّ المال والغنىٰ واحد و العلم و العالم كذلك و بعبارةٍ أخرىٰ ليس كلّ واحدٍ منها سبباً لأمر حادث غير ما هم فيه و المقام من هذا القبيل فأنّ المُتّقي مهتدٍ بهذا الهُدىٰ أعني هداية الكتاب حقيقة لا أنّ الكتاب أحدث فيه هداية غير ما هو فيه و لذلك ذهب بعض المحققين الىٰ أنّ، مَن قَتل قتيلاً فَله سَلبه، حقيقة لا مجاز و لا يقال أنّه لا مفاد لإثبات القتل لمقتولٍ به، لأنّ قصد البليغ بمعونة القرنية العقلية أنّ القتل المتّصف به صادر عن هذا القاتل دون غيره فكأنّه قيل لم يشاركه فيه غيره فسلبه له دونه غيره فقوله تعالىٰ: **هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ** معناه أنّه لا هُدىٰ لهم الاّ بكتاب اللّه والعلم عند اللّه فهو بكلامه من غيره.

■

١- ابراهيم = ٢٦

الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنٰاهُم يُنْفِقُونَ﴿٣﴾

◁ اللّغة

الَّذِينَ: جمع الّذي و أصله اللّذيون الاّ أنّ ياء الجمع حذفت ياء الأصل و قد مرّ الكلام فيه عند قوله تعالىٰ **صَرٰاطَ الَّذِينَ**.

يُؤْمِنُونَ: أصله يأمَنون لأنّه من الأمن و الماضي منه (أمن، فالألف بدل من الهَمزة السّاكنة قلّبت ألفاًكراهية إجتماع همزتين.

بِالْغَيْبِ: هنا مصدر بمعنىٰ الفاعل أي يؤمنون بالغائب عنهم و يجوز أن يكون بمعنىٰ المفعول أي الغَيب كقوله هذا خلق الّله أي مخلوقه.

يُقِيمُونَ: أصله يُوقومون و ماضيه أقام وأصله أقوم قلّبت الواو ألفاً فصار أقامَ: والثلاثي منه قام و أصله قَوم و النّون فيه مَفتوحة لأنّها نون الجمع.

الصَّلوٰةَ: في أصل اللّغة الدّعاء و في الشّرع عبارة عن الأركان المَخصوصة و ألفها منقلبة عن واوكقولك صَلَوات و الصّلاة مصدرصَلّىٰ و يراد بها هاهنا الأفعال والأقوال المخصوصة فلذلك جرت مجرىٰ الأسماء غير المَصادر.

وَمِمَّا: كلمة ما بمعنىٰ الّذي، و يعبر عنها بماء المَوصولة.

رَزَقْنٰاهُم: متكلم و أصله من رَزَق و هم مفعوله الأوّل والثّاني محذوف و ذلك لأنّ رزقنا يتّعدىٰ الىٰ مفعولين، و تقديره رزقناهموه أو رزقناهم أيّاه و يجوز أن تكون ما نكرة موصولة بمعنىٰ شئ رزقناهم أو من مالٍ رزقناهم و لا يجوز أن تكون ما مصّدرية لأنّ الفعل لا يَنفق و مِن للتّبعيض و يجوز أن تكون لإبتداء غاية الإنفاق.و أصل يُنْفِقُونَ يؤنفقون، لأنّ ماضيه أَنْفَقَ وقد تَقدّم نظيره.

◁ الإعراب

قوله: **اَلَّـذِينَ يُـؤْمِنُونَ** فـي مـوضع جرٍّ صفة للـمتّقين والصّـفة تـابعة للموصوف و يجوز أن يكون في موضع نصب علىٰ موضع **لِلمتّقين** أو بإضمار **أعني** و يجوز الرّفع أيضاً علىٰ اضمار **هُم** أعني هم الّذين يؤمنون، فيكون خبراً لمبتدأ محذوف أو أنّه مبتدأ وخبره أولئك علىٰ هُدىً. **بِالْغَيْبِ الغَيب** مصدر مجرور بالباء. **يُقيمُونَ** في موضع الرفع لأنّه معطوف علىٰ (يؤمنون) كأنّه قيل **اَلَّذِينَ يُـقِيمُونَ الصَّـلاٰةَ**، والصّـلٰوة مـفعول الفـعل مـوضعها النّـصب. **وَمِـمَّا رَزَقْنٰاهُم** كلمة مِـن متعلّقة بـينفقون والتـقّدير و يـنفقون **مِـمَّا رَزَقْـنٰاهُم** و رزقناهم، لا موضع له من الإعراب لأنّ الصّلة لا موضع لها.

نعم أن قلنا أن **ما** نكرة موصولة بمعنىٰ، شئ، أي و من مالٍ رزقناهم فيكون رزقناهم في موضع جرٍّ صفةٍ لِما و قد قلنا أنّ **من** للتّبعيض أو لإبـتداء غـاية الإنفاق.

◁ التّفسير

لمّا بيّن اللّه تعالىٰ في الآية السّابقة أنّ القرأن **هُدَىً لِّلْمُتَّقِينَ** فكأنّه قيل وما المراد بالمتّقين، و مَن هُم فقال تـعالىٰ: **اَلَّذِينَ يُـؤْمِنُونَ بِـالْغَيْبِ** الىٰ أخر الأوصاف الخمسة أو السِتّة و قد ذكر اللّه تعالىٰ في هذه الآية أوصافاً ثلاثة، الإيمان بالغيب، و إقامة الصّلٰوة، والإنفاق ممّا رزقه اللّه.

نحن نبحث في هذه الأوصاف علىٰ ترتيب الآية و عليه فالبحث يقع في فصول ثلاثة:

الفصل الأوّل:

في الإيمان بالغَيب و البحث فيه يقع في مقامين:

المقام الأوّل: في معنىٰ الإيمان.



المقام الثّاني: في معنىٰ الغَيب والمراد به في المقام.

أمّا البحث في المقام الأوّل فنقوّل: الإِيمان بكسر الألف مصدر والفعل مِنه أمَنَ وهو مشتق من **الأَمن** وهو طمأنينة النّفس وزوال الخوف و **الأمن** و **الأمانة** و **الأمان** في الأصل مصادر قاله الرّاغب في المفردات و قال في المنجد امنه ايماناً، صَدّقه و وَثق به، له خَضع وانقاد.

و قال في المجمع، الإيمان لغة هو التصدّيق المطلق إتّفاقاً من الكلّ و منه قوله تعالىٰ: **وما أنتَ بِمؤمنٍ لنا** و شرعاً علىٰ الأظهر هو التصدّيق بالّله بأن يصدّق بوجوده وبصفاته وبرّسله لان يَصدّق بأنّهم صادقون في ما أخبَروا به عن الّله و بكتبه بأن يّصدق بأنّها كلام الّله وأنّ مضمونها حقّ و بالبعث من القبور والصّراط والميزان وبالجنّة والنّار و بالملائكة بأنّهم موجودون و أنّهم عباد مكرمون لا يعصون الّله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمَرون ويُسبّحون الّله بالّليل و النّهار لا يفترون مطهّرون من أنواع الشهوّات من الأكل والشّرب والجماع الىٰ غير ذلك مبّرأون عن التّناسُل والتّوالد ليسوا بذكورٍ ولا إناث بل خلقهم اللّه تعالىٰ من نوره و جعلهم رسلاً الىٰ من يشاء من عباده انتهىٰ.

و قال الرّاغب في المفردات والإيمان يستعمل تارةً للشّريعة الّتي جاء بها محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم و علىٰ ذلك قوله تعالىٰ: **إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَ ٱلَّذِينَ هَادُوا وَ ٱلصَّابِئُونَ**[1].

و يوصف به كلّ من دخل في شريعته مقّراً بالّله و بنبوّته قيل و علىٰ هذا قال تعالىٰ: **وَ مَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّٰهِ إِلَّا وَ هُمْ مُشْرِكُونَ**[2].

و تارةً يستعمل علىٰ سبيل المدح ويراد به إذعان النّفس للحقّ علىٰ سبيل التّصديق و ذلك باجتماع ثلاثة أشياء:

١- المائدة= ٦٩ ٢- يوسف = ١٠٦

تحقيق القلب، و إقرار باللّسان، و عَمَلٌ بحَسب ذلك بالجوارح و علىٰ هذا قوله تعالىٰ: **وَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ أُولٰئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ**(١).

و يقال لكلّ واحدٍ من الإعتقاد والقول الصدّق والعَمَل الصّالح إيمان قال تعالىٰ: **وَ مَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ**(٢) أي صلاتكم.

و جعل الحياء وإماطة الأذىٰ من الإيمان قال تعالىٰ: **وَ مَآ أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَ لَوْ كُنَّا صَادِقِينَ**(٣).

قيل معناه بمصدّقٍ لنا الاّ أنّ الإيمان هو التصدّيق الّذي مَعه أمنٌ و قوله تعالىٰ: **أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ ٱلْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَ ٱلطَّاغُوتِ**(٤)

فذلك مذكور علىٰ سبيل الذّم لهم وأنّه قد حصل لهم الأمن بما لا يقع به الأمن اذ ليس من شأن القلب ما لم يكن مطبوعاً عليه أن يطمئن الىٰ الباطل انتهىٰ.

و قد نقلنا كلام الرّاغب وقبله كلام صاحب المجمع لما كان فيه من الفوائد اذا عرفت هذا فنقول الأيمان والأسلام يختلفان و قد يجتمعان.

أمّا مورد الفرق هو أنّ الإيمان يشترط فيه الإعتقاد والتصدّيق باللّه وبرسُله الخ

بعد الإقرار باللّسان و بعبارةٍ أخرىٰ الإيمان هو التّصديق المطلق في اللّغة بالاتّفاق والتصدّيق باللّه و رسله في الشّريعة ففي الموردَين لابدّ له من وجود التّصدّيق و مجرّد الإقرار لا يكفي في تحققه فكلام الرّاغب أنّه يستعمل للشّريعة الىٰ قوله و يوصف به كلّ من دخل في شريعة مُقرّاً باللّه و بنبوّته، لا معنىٰ له اذ ليس كلّ من دَخل في الشّريعة بالإقرار اللّساني مؤمن والدّليل علىٰ بطلانه قوله تعالىٰ: **قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لٰكِنْ قُولُوٓا أَسْلَمْنَا**(٥).

١- الحديد= ١٩
٢-البقرة = ١٤٣
٣- يوسف = ١٧
٤- النساء = ٥١
٥- الحجرات = ١٤

نعم ما ذكره في ثاني المعينين وعبَّر عنه باستعماله علىٰ سبيل المَدح فهو صحيح و هذا هو المراد بالأيمان في الشَّريعة فأنّ الأيمان الشّرعي عبارة عن الإقرار باللّسان أوّلاً والأعتقاد بالقلب ثانياً، والعمل بالجوارح ثالثاً و ما ليس فليس.

و أمّا الإسلام فهو عبارة عن الإقرار باللّسان بالشّهادتين فقط و لا يشترط فيه الأعتقاد والعمل فعلىٰ هذا كلّ مؤمنٍ فهو مُسلمٌ ولا عكس هذا كلّه في مورد الفَرق بينهما.

و أمّا مورد الإجتماع فهو فيما اذا أُريد من الاسلام ما ذكرناه من الشّروط في الإيمان، و لأجل هذه الدّقيقة قال اللّه تعالىٰ في المقام: **اَلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ** ولم يقل يسلمون بالغَيب و لو قال تعالىٰ يُسلمون بالغيب، لكان جميع المسلمين أعني كلّ من أقرّ بالشّهادتين، من المُتّقين و هو كما ترىٰ.

روي صاحب كشف الغُمة بأسناده عن الصّادق عليه السلام أنّه قال: الإيمان ثابت في القلب واليقين خطرات فمرّة يقوىٰ فيصير كأنّه زُبَر الحديد، و مرّة يصير كأنّه خِرقة بالية إنتهىٰ.

و في حديث رفاعة قال عليه السلام: أتدري يا رفاعة لِمَ يُسّمىٰ المؤمن مؤمناً قال لا أدري قال عليه السلام: لأنّه يؤمن علىٰ اللّه فيُجّز أمانه إنتهىٰ.

والمؤمن من أسماء اللّه تعالىٰ سُمّي اللّه تعالىٰ به لأنّه يؤمن من عذابه من أطاعه والأيات و الأخبار في فضل الإيمان و شرف المؤمن كثيرة لا بأس بالإشارة الىٰ بعضها.

قال اللّه تعالىٰ: **وَ مَا مَنَعَ اَلنَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوٓا إِذْ جَآءَهُمُ اَلْهُدٰى** (١)

قال اللّه تعالىٰ: **يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَ اَلْيَوْمِ اَلْاٰخِرِ وَ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ** (٢)

قال اللّه تعالىٰ: **وَ إِذَا جَآءَكَ اَلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاٰيَاتِنَا فَقُلْ سَلاٰمٌ عَلَيْكُمْ** (٣)

١- الكهف= ٥٥
٢- آل عمران= ١١٤
٣- الأنعام= ٥٤

قال اللّه تعالىٰ: **إِنَّ ٱلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ ٱللّٰهِ لا يَهْدِيهِمُ ٱللّٰهُ**(١)

قال اللّه تعالىٰ: **يٰٓ أَيُّهَا ٱلَّذِينَ اٰمَنُوٓا إِنْ تَنْصُرُوا ٱللّٰهَ يَنْصُرْكُمْ**(٢)

قال اللّه تعالىٰ: **إِنَّ ٱلَّذِينَ اٰمَنُوا وَ عَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ ٱلنَّعِيمِ**(٣)

و الأيات في الباب كثيرة جدّاً وستمرّ عليها إن شاء اللّه تعالىٰ.

و من الآثار: ما رواه في البحار بأسناده عن البّاقر والصّادق في قول اللّه: العروة الوثقىٰ قال هي الإيمان باللّه وحدَه إنتهىٰ(٤).

و بأسناده: عن أبي عبد اللّه عليه السلام أنّه سأل عن أهل السّماء هل يرون أهل الأرض قال عليه السلام لا يرون إلاّ المؤمنين لأنّ المـؤمن مـن نـورٍ كنور الكواكب قيل فهم يرون أهل الأرض قال لا يرون نوره حيث ماتوجّه ثمّ قال عليه السلام: لكّل مؤمنٍ خمس ساعات يوم القيامة يشفع فيها إنتهىٰ(٥).

و عن زرارة قال سئل أبوعيداللّه وأنا جالس عن قول اللّه عزّ وجّل من جاء بالحَسنة فله عشر أمثالها أيجري لهؤلاء مِـمن لا يـعرف منهم هذا الأمر قال عليه السلام إنّما هي لِلمؤمنين خاصّة إنتهىٰ(٦).

و عنه عليه السلام ليس لأحدٍ علىٰ اللّه ثواب علىٰ عمل إلاّ المؤمنين و أيضاً قال عليه السلام أنّ المؤمن ولّىٰ اللّه يعينه و يصنع له ولا يقول علىٰ اللّه إلاّ الحّق ولا يخاف غيره.

و قال أنّ المؤمنين يلتقيان فيتصافحان فلا يزال اللّه عزّ وجّل مُقبلاً عـليهما بـوجهه والذّنـوب تـتّحات عـن وجـوههما حـتّىٰ يـفترقا إنتهىٰ(٧).

١- النحل = ١٠٤
٢- محمّد = ٧
٣- لقمان = ٨
٤- ج ١٥ ط كمباني ص ١٧
٥- ص ١٨
٦- صفحة ١٨
٧- ص ١٨

قال النّبي صلى الله عليه وآله وسلم: ما من شئ أحبّ الىٰ اللّـه مـن الإيـمان والعَمل الصالح وتَرك ما أمر أن يُترك، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم قال لا يُعذّب اللّه أهل قريةٍ و فيها مائة مـن المـؤمنين لا يـعذّب اللّـه أهـل قـريةٍ و فـيها خمسون من المؤمنين لا يعذّب اللّه أهل قريةٍ و فـيها عشـرة مـن المؤمنين لا يعذّب اللّه أهل قريةٍ و فـيها خـمسة مـن المـؤمنين لا يعذّب اللّه أهل قريةٍ وفيها رجل واحد من المؤمنين إنتهىٰ[١].

و عنه صلى الله عليه وآله وسلم قال من آذىٰ مؤمناً فقد آذاني وَ من آذاني فقد آذىٰ اللّه عزّ وجّل و من آذىٰ اللّه فهو ملعون فى التّوراة والإنجيل و الزّبور و الفرقان.

و عنه صلى الله عليه وآله وسلم قال مثَل المؤمن كَمَثَلِ ملك مقرّب و أنّ المؤمن أعظم حُرمة عند اللّه و أكرم عليه من ملكٍ مُقّرب وليس شيُ.

أحبّ الىٰ اللّه من مؤمنٍ ثابت (تائب) ومـؤمنةٍ ثـابتة (تـائبة) وأنّ المؤمن يعرف في السّماء كما يعرف الرّجل أهله و ولده انتهىٰ[٢].

و.عنه عن الصّادق عليه السلام قال: المـؤمن أعـظم حـرمة مـن الكـعبّة انتهىٰ[٣].

اذا عرفت معنىٰ الإيمان و فضل المؤمن فلنرجع الىٰ المقام الثّاني و هـو معنىٰ الغيب والمراد به في المقام.

المقام الثّاني: في معنىٰ الغيب، قال الرّاغب في المفردات الغيب مصدر غابت الشّمس و غيرها إذا إستترت عن العَين يُقال غابَ عنّي كذا و استعمل في كلّ غائبٍ عن الحاسّة و عمّا يغيب عن علم الإنسّان بمعنىٰ الغائب الىٰ أن قال و يقال لِلشّيئ غيبٌ و غائب بإعتباره بالنّاس لا باللّه تعالىٰ فأنّه لا يغيب عنه

١-ص ٢٠ ٢-ص ٢٠
٣-ص ٢٠

شّيَ الىٰ أن قال والغيب في قوله تـعالىٰ:**يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ** مـا لا يـقع تـحت الحّواس و لا تقتضيه بداية العقول و انّما يعلم بخبر الأنبياء و بدفعه يقع علىٰ الإنسّان إسم الإلحاد و مَن قال الغيب هو القرآن و مَن قال هو القدر فإشارة منه الىٰ بعض ما يقتضيه لفظه و قال بعضّ مَعناه يؤمنون إذا غابوا عنكم و ليس كالمُنافقين الّذين قيل فيهم: **وَ إِذٰا خَلَوْا إِلىٰ شَيٰاطِينِهِمْ قٰالُوٓا إِنّٰا مَعَكُمْ إِنَّمٰا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ**[1] انتهىٰ ما أردنا نقله عنه.

فقد ظهر أنّ الغيب عبارة عن كلّ غائبٍ عن الحاسّة وعمّا يغيب عن علم الأنسان و عليه فالمراد بالغيب ما لا يقع تحت الحّواس و لا تـقتضيه بـدايـة العقول الىٰ آخر ما قاله الرّاغب في المفردات.

فمعنىٰ الآية أنّ المؤمنين يعتقدون بـقلوبهم بـما وراء عـالم الطّبيعة مـن الحشّر و النشّر و الصّراط و الحساب و بالجملة كلّ ما غاب عن حواسّهم و لا يُدركه العقول و هذا معنىٰ عام يَشمل جميع ما أخبَر به الصّادق المصّدق في ما وراء عالم المادّة و مع ذلك فقد إختلفوا في المراد بالغيب في الآية بـعد إتفاقهم علىٰ معناه اللغوّى.

قال في تفسير الميزان، الغيب خلاف الشّهادة و ينطبق علىٰ ما لايقع عليه الحس و هو اللّه سبحانه وأياته الكبرىٰ الغائبة عن حواسنا و منها الوَحي و هو الّذي أشير بقوله تـعالىٰ:**وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمٰا أُنْزِلَ اِلَيْكَ وَمٰا أُنْـزِلَ مِـنْ قَبْلِكَ**

فالمراد بالإيمان بالغيب في مقابل الإيمان بالوَحي والإيقان بالأخرة هـو الإيمان باللّه تعالىٰ ليتّم بذلك الإيمان بالأصول الثّلاثة و القرأن يُؤكّد القـول علىٰ عدم القصر علىٰ الحسّ ويَحرص علىٰ إتباع سليم العَقل وخالص اللّب انتهىٰ.

١- البقرة = ١٤

وأنا أقول ما ذكره ﷺ لا بأس به الاّ أنّ تقسيمه الإيمان بالأصول الثلاثة للذّين أعني كون الإيمان بالغَيب في مقابل الإيمان بالوَحي والإيمان بالأخرة ممّا لا يساعده العقل و لا النّقل فأنّ الايمان علىٰ قسمين:

الإيمان بالغَيب، والإيمان بالشّهود فكلّ ما ليس بمشهود و لا محسوس فهو داخل في الغَيب و عليه فالإيمان بالوحي والإيمان باللّه تعالىٰ والإيقان بالأخرة كلّ هذه الأقسام داخل في الإيمان بالغَيب.

و ثانياً: كيف يكون الإيمان بالغَيب أعني به الإيمان باللّه علىٰ تفسيره ﷺ في مقابل الإيمان بالوَحي و الإيقان بالأخرة و الحقّ أنّ الأخيرين داخلين في الأوّل فأنّ المؤمن باللّه واقعاً مؤمن بالوَحي والأخرة أيضاً لأنّ اللّه تعالىٰ قد أخبَر بوجودهما بواسطة أنبيائه فكيف يكون مؤمنا به تعالىٰ و لا يكون مؤمنا بقوله و قوله ﷺ و القرأن يؤكد القول علىٰ عدم القصر ويحرّص علىٰ إتباع سليم العقل، كلام متين و نحن نقول به أيضاً ولم نقل أنّ الإيمان بالغيب مختصّ بما غاب عن الحوّاس فقط بل هو و ما لا يقتضيه بداية العقول و ما ذكره داخل في هذا القيد فتأمل.

إن قلت لم صار الإيمان بالغيب من أوصاف المتّقين دون مطلق الإيمان ألَيس هذا يدّل علىٰ أنّ الايمان بالغَيب أفضل من الإيمان بالشّهود قلت نعم لاشكّ في أفضّليته عليه و لأجل هذا خصّ بالذِّكر والوجه فيه ظاهر علىٰ المُنصف المتأمل.

ضرورة وجود الفرق بين الرّؤية للشّئ والإيمان به و بين عدم الرّؤية والإيمان به والثّاني أفضل من الأوّل بمراتب كثيرة و العجب من الألوسي حيث أنكَرَ هذا الأصل في تفسيره عند البحث في هذه الآية و إستدّل علىٰ إنكاره بخروج الصّحابة عن هذا العُموم:

وأنّما قال ذلك بعد نقله عن سنن الدّارمي عن ابن مسعود أنّ الحرث بن قيس قال له عند اللّه نحتسب ما سَبقتمونا اليه من رؤية رسول اللّـه صلى الله عليه وآله وسلم فـقال له ابـن مسـعود عـند اللّـه نَـحتسب إيمانكم بمحمّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم ولَم تروه أنّ أمر محمّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم كـان نـبيّاً لِـمن رأه والّذي لا إلٰه الاّ هو ما من أحدٍ أفضَل من إيمانٍ بغيب ثمّ قرأ الآية الىٰ قوله: هم المُفلحون.

قال الألوسي يا ليت ابن مسعود سَكن لوعة الحَرث بما ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم مرفوعاً (نِعم قومٍ يكونون بعدكم يؤمنون بي ولَم يَروني)

و ما كان أغناه عليه السلام عمّا أجاب به اذ يخرج الصّحابة عنِ هذا العموم الّذي في هذه الآية كما يشعر به قراءته لها مستَشهداً بها وبه.

و قال بعض أهل العِلم و أنا لا أميل الىٰ ذلك انتهىٰ ما ذكره بألفاظه.

وأنا أقول أمّا أوّلاً فالحديث الّذي رواه الألوسي نعم قوم يكونون الخ.

و قال ليث ابن مسعود سكن لَوعة الحَرث به، لم يـعلم بـه ابـن مسـعود والحديث من مجعولات بني أُميّة و لو كان من كلام رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم لقال به ليرضي الألوسي في آخر الزّمان.

و ثانياً أيّ إشكال عقلا و شرعاً في خروج الصّحابة عن عموم الآية و أيّ دليلٍ دل علىٰ أفضّلية الصّحابة علىٰ من بعدهم من المؤمنين بقول مطلق و هل يحكم العقل السّليم علىٰ أنّ من رأىٰ النّبي و صار من أصحابه بَحسب اللّغة دون الواقع أفضل مِمّن لم يَره وآمن به واقعاً و أيّ فضيلةٍ لِلإنسان إذا رأىٰ النّبي و صاحبه و عاشره لم يؤمن به واقعاً علىٰ غيره و لو كـان الأمـر كـما زَعـمه الألوسي من أنّ صدق الصّحابي يكفي في فضيلة الإنسان كما هو ظاهر كلامه فعلىٰ الإسلام السلام وكيف يقول بهذه المقالة من يدّعي العلم والإسلام بل الإيمان و هو يفسّر كلام اللّه بَزعمه و هو يعلم أنّ مِن الصّحابة أبو سفيان و

معاوية و خالد ابن الوليد و مسلم ابن عُقبة و الأشعث ابن قيس و أمثالهم مِمّن يستحي القَلم عن تحرير أسمائهم و يأبىٰ اللسّان عن بيان حالاتهم، بل و أخبث منهم من غَصب حقّ بعث رسُول اللّه ﷺ مع أعوانه و أنصاره من الصّحابة و لم يقنع به فأحرقُوا داره و فَعلوا بها ما فَعلوا حتّىٰ ماتت ساخطةً عليهم و هؤلاء أصحاب رسُول اللّه ﷺ الّذين يقول الألوسي مُدافِعاً عنهم و أنَا لا أميل الىٰ ذلك أو إذا وصل أمر الصّحابة الىٰ هذا المقام في صدر الإسلام فللّه درّ ابن مسعود حيث قال عند اللّه نحتسب إيمانكم به محمّدٍ ولَم يَروه، والكلام طويل اللّهم أرزُقنا الإنصاف وجنبنا الاعتساف بمحمّدٍ وآله الطّاهرين.

الفصل الثّانى:

في تفسير قوله تعالىٰ: **وَيُقِيمُونَ الصَّلوٰةَ** والبحث يقع في مقامين: الأوّل في الصّلاة. الثّاني في إقامتها.

المقام الأوّل في الصّلاة: فَنقول قد مرّ الكلام منا فيها و قلنا أنّها مصدر و الفعل منها صَلىٰ، يقال صلّىٰ صَلاة و ألفها منقلبة عن واو لقولك في جمعها صلوات و هي في أصل اللّغة بمعنىٰ الدّعاء والتّبريك والتّحميد يقال صلّيت عليه أي دعوت له و زكّيت و منه قوله ﷺ إذا دعِيَ أحدكم الىٰ طعامٍ فليجب و إن كان صائماً فليُصَّل، أي ليدعُ لأهله و صلوات الرّسول و صلاة اللّه للمسلمين في التّحقيق تزكية ايّاهم و من الملائكة هي الدّعاء والإستغفار كما هي من النّاس هذا بحسب الأصل و أمّا في الإصطلاح و إن شِئت قلت في عرف المتشرعة هي العبادة المخصوصة أصلها الدّعاء و سُمّيت هذه العبادة بها كتسمية شيىء بإسم ما يتضّمنه مجازاً.

قاله الرّاغب في المفردات و قيل أصل الصّلاة في الصّلاء و معنىٰ صلّىٰ الرّجل أنّه أزال عن نفسه بهذه العبادة (الصّلاء) الّذي هو نار اللّه الموقدة و قد

سُمّي موضع العبادة الصّلاة و لذلك سمّيت الكنائس (صَلَوات). قال اللّه تعالىٰ: (**لهُدِمّت صَوامِع وبِيَع وصَلواتٌ ومساجد**).

قال الرّاغب فيها و كيف كان الأمر فلا شكّ أنّها عند المُسلمين عبارة عن أفعالٍ مخصوصة من القيام الرّكوع والسجُود و أمثالها مع إذكارٍ مخصوصة أمَرنا الشّرع بها و هي من الواجبات بل من أركان الدّين فأنّه قد ورد أنّ الإسلام بُنِي علىٰ خمس:

أحدها الصّلاة و مع ذلك هي أوّل الفرائض كما قيل و لذلك قد وَرد في فضلها والحّث عليها من الأيات والأخبار ما لا يُحصىٰ كثيرةً و لا بأس بالإشارة الىٰ بعضها تيمّناً و تبرّكاً فنقول.

قال اللّه تعالىٰ: **وَ ٱسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَ ٱلصَّلٰوةِ وَ إِنَّهٰا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخٰاشِعِينَ**[١]

قال اللّه تعالىٰ: **إِنَّ ٱلصَّلٰوةَ كٰانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتٰابًا مَوْقُوتًا**[٢].

قال اللّه تعالىٰ: **وَ أَنْ أَقِيمُوا ٱلصَّلٰوةَ وَ ٱتَّقُوهُ وَ هُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**[٣]

قال اللّه تعالىٰ: **رِجٰالٌ لٰا تُلْهِيهِمْ تِجٰارَةٌ وَ لٰا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ ٱللّٰهِ وَ إِقٰامِ ٱلصَّلٰوةِ**[٤]

قال اللّه تعالىٰ: **قُلْ لِعِبٰادِىَ ٱلَّذِينَ اٰمَنُوا يُقِيمُوا ٱلصَّلٰوةَ**[٥] والايات كثيرة.

جامع الأخبار - قال رسول اللّه ﷺ: الصّلاة عِماد الدّين فمن ترك صلاته مُتّعمداً فقد هَدم دينه و من ترك أوقاتها يدخل الويل

١- البقرة= ٤٥
٢- النّساء= ١٠٣
٣- الأنعام= ٧٢
٤- النّور= ٣٧
٥- إبراهيم= ٣١

والويل وادٍ في جهّنم كما قال تعالىٰ: **فَوَيْلٌ لِلْمُصَلّينَ،اَلَّذينَ هُمْ عَنْ صَلٰاتِهِمْ سٰاهُونَ**(١).

و قال ﷺ: حافظوا علىٰ الصّلاة فإنّ اللّه تبارك وتعالىٰ إذا كان يوم القيامة يأتي بالعبد فأوّل شيءٍ يسأل عنه الصّلاة فإن جاء بها تامّة وإلاّ زح في النّار إنتهىٰ.

و قال ﷺ: لا تضيّعوا صلاتكم فأنّ من ضيّع صلاته حَشره اللّه مَعَ قارون و فِرعون و هامان لعنهم اللّه و أخزاهم وكان حقّاً علىٰ اللّه أن يدخله النّار مع المُنافقين فالويل لِمن لم يحافظ علىٰ صلاته.

و قال ﷺ: من ترك صلاته حتّىٰ تفوته من غير عذرٍ فقد حبط عمله ثّم قال ﷺ: بين العبد وبين الكُفر ترك الصّلاة إنتهىٰ.

قال ﷺ: من ترك صلاة لا يرجو ثوابها و لا يخاف عقابها فلا أُبالي أيموت يهودّياً أو نصرّانياً أو مجوّسياً إنتهىٰ(٢).

و عن ثواب الأعمال بأسناده عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: للمصّلي ثلاث خصال إذا قام في صلاته يتناثر عليه البّر من أعنان السّماء الىٰ مفرق رأسه و تحّف به الملائكة من تحت قدميه الىٰ أعنان السّماء و ملكٌ ينادي أيّها المصّلي لو تعلم من تناجي ما أنفلتت إنتهىٰ(٣).

و بأسناده عن البّاقر عليه السلام قال: قال رسول اللّه ﷺ ما بين المسلم و بين أن يكفر إلاّ أن يترك الصّلاة الفريضة متعمّداً و تهاون بها فلا يصلّيها إنتهىٰ(٤).

١- الماعون= ٤/٥
٢- بحار الأنوار ج ١٨ ص ٥ ط كمباني
٣-ص ٨
٤-ص ٩

و بأسناده عن أبي عبد اللّه عليه السلام: قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم مثل الصّلاة مِثل عمود الفِسطاط إذا ثبت العمود نفعت الأطناب والأوتاد والغِشاء و إذا إنكسر لم يَنفَع طنب و لا وَتد ولا غشاء إنتهىٰ[١].

و عن المحاسن بأسناده عن زرارة قال سألت أبا عبد اللّه عن قول اللّه عزّ وجلّ: ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عَمَله قال عليه السلام: ترك الصّلاة الّذي أقر به قلت فما موضع ترك العَمل حتّىٰ يَدَعه أجمع قال منه الّذي يدع الصّلاة مُتّعمداً إلاّ من سُكرٍ ولا من عِلّةٍ إنتهىٰ[٢].

و عن تفسير الإمام قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم من صلّىٰ الخمس كفّر اللّه عنه من الذّنوب ما بين كلّ صلاتين و كان كمَن علىٰ بابه نهرٍ جار يغتسل فيه خمس مرّات لاتبقىٰ عليه من الذّنوب شيئاً إلاّ الموبقات التّي هي مَجد النّبوة و الإمامة أو ظلم أخوانه المؤمنين أو ترك التقيّة حتّىٰ يضرّ بنفسه وأخوانه المؤمنين انتهىٰ[٣].

و الأحاديث كثيرة وسيأتي بعضها في تضاعيف الكتاب إن شاء اللّه تعالىٰ.

المقام الثّاني: في إقامتها قال الطّبرسي قدس سره **وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ** يُؤدونها بحدُودها و فرائضها يقال أقام القوم سُوقهم اذا لم يعطّلوها عن البيع والشّراء.

قال الشّاعر:

اقامت غزالة سوق الطّرب لأهل العراقين حَولاً قميطاً

و قال أبو مسلم يقيمون الصّلاة أي يديمون أداء فَرائضها يقال فلان يقيم أرزاق الحند انتهىٰ.

و قال الفيض قدس سره في الصّافي، يقيمون الصّلاة بإتمام ركوعها وسجُودها و حفظ مواقيتها و حدُودها و صيانتها ممّا يُفسدها أو ينقصها انتهىٰ.

١-ص ٩ ٢-ص ٩
٣-ص ٩

و قال صاحب الكّشاف ومعنىٰ إقامة الصّلاة تعديل أركانها و حفظها من أن يَقع زيغ في فرائضها و سُننها وأدابها و من أقام القُود اذا قوّمه أو الدَّوام عليها و المحافظة عليها كما قال عزّ وجلّ وعلا: **وَ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ**[1].من قامت السّوق اذا أنفقت وأقامها الىٰ أن قال لأنّها اذا حُوفظ عليها كانت كالشيئ النّافق الّذي تتوجّه اليه الرّغبات و يتنافس فيه المحصّلون و اذا عُطّلت و أُضيعت كانت كالشيئ الكاسد الّذي لا يرغب فيه أو التجلّد والتَّشمر لأدائها و أن لا يكون في مؤدّيها فتور عنها و لا توانٍ من قولهم قام بالأمر وقامت الحرب علىٰ ساقها.

أو أدائها فعبّر عن الأداء بالأقامة لأنّ القيام بعض أركانها كما عبّر عنه بالقنوت والقنوت القيام الىٰ أخر ما قال و به قال أكثر المفسّرين من العامّة الّذين جاءوا بعده كالألوسي والسّيوطي وغيرهما.

و بالجملة كلمات المفسّرين حَول الآية لا تفاوت فيها الاّ من جهة اللّفظ و العبارة والمأل في الكلّ واحد وأنّىٰ بعد التَّفَحص في تفاسير العامّة و الخاصّة بقدر الإستطاعة لم أجد في معنىٰ إقامة الصّلاة ما يَطمئن به القلب و ما ذكروه في تفسير الآية لا يسمن و لا يَغني اذ لو كان معنىٰ الإقامة ما ذكروه في تفسيرها في المقام يلزم أن يكون المواظب علىٰ الصّلاة والمُديم عليها في أوقاتها مِمّن يقيم الصّلاة و ليس كذلك فأنّ المواظبة علىٰ إتيانها و الإدامة عليها أمر حسن لا بحث فيه الاّ أنّ الإقامة شيئ أخر والدّليل علىٰ ما ذكرناه هو أنّ الخَوارج كانوا من المواظبين عليها ليلاً و نهاراً والمحافظين عليها ركوعاً وسجوداً و قياماً و قراءةً و المُديمين عليها في أوقاتها من غير تعطيل فهل يمكن أن يقال أنّهم من المقيمين لِلصّلاة اذ لو كانوا كذلك لكانوا من المتّقين فأنّ إقامة الصّلاة من أوصافهم والمُتّقي لا يحارب إمام المتّقين لقوله ﷺ.

١- المومنون = ٩

ياعلّي حَربك حَربي وسِلمك سِلمي وأن لم يكونوا منهم كما هو الحقّ فما تقول في صلاتهم وصومهم و غيرهما من العبادات وهكذا الأمر في أكثر المصّلين المُرائين و المنافقين والمُتزّهدين والذّين لا تجد في صَلاتهم عيب و لا نقص بحسب الظّاهر من جميع الجهات من حيث القراءة والقيام والرّكوع و السّجود و الإذكار و غيرها مع أنّ صلاتهم باطلة بالإتّفاق فضلاً عن كونهم من المُقيمين لها و هذا هو الّذي يوجب الإضطراب فيما ذكروه في تفسيراللّهم إلاّ أن يقال ما ذكره الطّبرسي قدّس سرّه و غيره من مفسري الشّيعة من أنّها عبارة عن تأديتها بحدُودها و فرائضها يشمل كلّ شئ من النّية والقربة والخلُوص و غيرها ممّا يشترط في صحّتها و لاسيّما الولاية فأنّه ما نُودي بشئٍ كما نُودي بها علىٰ مذهبنا بل نقول هي الأصل في قبول الأعمال و ما سواهاً فرع عليها.

و لا يبعد أن يكون المراد من الإقامة لها هو الإقامة النّاشئة منها لا الإقامة في الظّاهر فَمن صلّىٰ كذلك فقد أقامها و من صَلّىٰ بدونها فقد أدّاها و هذا هو الفرق بين الإقامة **والتّأدية** فتأمل في المقام لعلّك تفهم من الآية غير ما فَهمنا منه فان اقامة الصّلوة غير ادائها.

الفصل الثّالث:

في تفسير قوله تعالىٰ: **وَمِمَّا رَزَقْنَاهُم يُنْفِقُونَ** و هذا هو الوَصف الثّالث للمتّقين، الإنفاق الإعطاء في سبيل اللّه طلباً لمرضاته و أصله من، نَفَق الشّئ مَضىٰ و نَفَد و قيل أصل الإنفاق، الفقر من قولهم أنفقَ الرّجل اذا إفتَقر و ذَهب ماله ثمّ أنّ الإنفاق قد يكون في المال و قد لا يكون فيه بل في شئ أخر و أيضاً قد يكون واجباً و قد يكون تطوعاً و قد وَردت الأيات و الأثار في مدحه:

قال اللّه تعالىٰ: **وَ أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَ عَلَانِيَةً**(١)

قال اللّه تعالىٰ: **وَ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَ لَمْ يَقْتُرُوا** (٢)

١- الرّعد= ٣٢ ٢- الفرقان= ٦٧

قال اللّه تعالىٰ: **وَ مَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ**(١)

قال اللّه تعالىٰ: **وَ مَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللّٰهَ بِهِ عَلِيمٌ**(٢)

قال اللّه تعالىٰ: **وَ مَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللّٰهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ**(٣)

قال بعض المفسّرين في معنىٰ الآية أي يتصدّقون و يحتملون الكلّ و يؤدّون الحقوق لأهاليها و يقرضون و يسعفون الحاجات و يأخذون بأيدي الضّعفاء يقودون الضّرائر و ينجونهم من المهالك و يحملون عنهم المتاع و يحملون الرّاجلين علىٰ دَوابّهم و يؤثرون من هو أفضل منهم في الإيمان علىٰ أنفسهم بالمال والنّفس و يساوون من كان في دَرجتهم فيه بهما و يعلمون العِلم لأهله و يَروون فضائل أهل البيت لمحبّيهم و لمن يرجون هدايته.

و في المجمع والعياشي عن الصّادق عليه السلام ومّما عَلمناهم يبثبون انتهىٰ.

و قال الطّبرسي رحمه الله (ما) هذه حرف موصول و رزَقناهم صلَته و هما جميعاً به معنى المصدر و تقديره، و من رَزقنا إيّاهم ينفقون، قال والرزق هو العطاء الجاري و هو نقيض الحرمان.

و الإنفاق إخراج المال يقال أنفق ماله أي أخرجه عن ملكه انتهىٰ.

و استّدل بعض علماء التّفسير بهذه الآية علىٰ أنّ الرّزق لا يكون حراماً و ذلك لأنّ الرّزق عبارة عن كلّ ما ينتفع به الحيّ و لا يمكن لأحدٍ مَنعه منه فَيشمل جميع ما يَنتفع به كما يقال رزقه اللّه داراً و عقاراً و ولداً و علماً و غير ذلك و من المعلوم أنّ اللّه تعالىٰ لا يُعطي حراماً لأنّه مَمنوع مَحظور و الحاصل أنّ الرّزق لا يختّص بالمال و عليه فالأية تُحمل علىٰ العمُوم أي يُنفقون من كلّ ما رَزقناهم من المال و العلم و الاولاد والنّفس و غيرهما في سبيل اللّه.

١- البقرة= ٢٧٢
٢- البقرة= ٢٧٣
٣- الأنفال= ٦٠

و قد نقل عن ابن عبّاس أنّه قال المراد بالإنفاق هنا الزّكٰوة و عن ابن مسعود أنّ المراد نفقة الرّجل علىٰ أهله و عياله و قال الضّحاك أنّ المراد به الصدّقة و الحقّ ما قلناه من أنّها للعمُوم و سيأتي الكلام في الإنفاق والإيثار في الأيات الواردة بما لا مزيد عليه إنشاء اللّه في تضاعيف الكتاب.

■

وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾

◁ اللّغة

قد مرّ الكلام في، الّذين يؤمنون في الآية السّابقة **بِمٰا أُنْزِلَ**: **ما** هاهنا بمعنىٰ الّذي أي إنّها موصولة و لا يجوز أن تكون موصوفة، أي بشئٍ أُنزل اليك اذ لا يكمل إيمان العبد بشئٍ ممّا أنزل علىٰ الرّسول بل بَعمل الإيمان بكلّه.

أُنْزِلَ: بضم الألف مجهول، أَنزَل.

إِلَيْكَ: الكاف هنا ضمير المخاطب و هو النّبي ﷺ و يجوز أن تكون ضمير الجنس و تكون في معنىٰ الجمع كما صرّح بهذا المعنىٰ في قوله: **لَقَدْ أَنْزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتٰابًا فيهِ ذِكْرُكُمْ**[1].

مِنْ قَبْلِكَ: كلمة، **من** حرف جَرٍ و **قبل** مضافاً الىٰ الكاف و هي للخطاب.

بِالْآخِرَةِ: الباء متعلّقة به **يُوقِنُونَ** والأخرة، صفة والموصوف محذوف و تقديره بالسّاعة الأخرة أو بالدّار الأخرة كما قال تعالىٰ: **وللدّار الأخرة خير** و قال تعالىٰ: **واليوم الأخر**.

هُمْ يُوقِنُونَ: من **الإيقان** وأصله **الإوقان** قلبت الواو ياء فصارت إيقاناً واليقين ضدّ الشّك.

أُولٰئِكَ: صيغة جمع علىٰ غير لفظ واحدة و واحدة (ذا) ويكون أولئك للمذّكر والمؤنث والكاف فيه، للمخاطب وليست إسماً إذ لو كانت إسماً لكانت إمّا مرفوعة أو منصوبة و لا يصّح شئٌ منهما إذ لا رافع هنا و لا ناصب و إمّا أن

١- الانبياء= ١٠

تكون مجرورة بالإضافة و هي أيضاً لا تصّح لأنّه مُبهم والمُبهمات لا تضاف فبقي أن تكون حرفاً مجرداً للخطاب.

عَلىٰ هُدىً: قد مرّ معنىٰ الهداية.

مِّنْ رَّبِّهِمْ: قد مضّىٰ معنىٰ الرّب أيضاً.

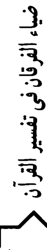
الْمُفْلِحُونَ: بضّم الميم وكسر اللاّم صيغة الجمع و مفرده **المُفلِح** مِن **أَفلَح يُفلِح** وأصل **الفَلح** الشَّق.

◁ الإعراب

وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ موضع **الَّذِينَ** خفض علىٰ أنّه نعة **لِلمُتقين** و يجوز الرَّفع علىٰ القطع أيّ هم الّذين و يجوز النّصب علىٰ المَدح **بِالْآخِرَةِ** الباء متّعلقة **بيُوقِنُونَ** **وهُمْ يُوقِنُونَ** **هُم** مبتدأ **يُوقِنُونَ** خبره، فموضع، هُم، الرّفع علىٰ الابتداء **أُولٰئِكَ** في موضع الرّفع علىٰ الإبتداء **عَلىٰ هُدىً** خبره و حرف الجّر متّعلق بمحذوفٍ أيّ أولئك ثابتون علىٰ هدىٰ **مِّنْ رَّبِّهِمْ** في موضع جرٍّ صفة لهدىٰ و يتّعلق الجّار بمحذوف تقديره، هدىٰ كائن، **أُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**، **أولئك** مبتدأ، **هُم** مُبتدئتان و**الْمُفْلِحُونَ** خبر المبتدأ الثّاني و خبره، خبر الأّول.

◁ التّفسير

ثمّ وصف اللّه المتقين بكونهم مؤمنين بما أنزل اللّه علىٰ محمّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم و ما أنزل علىٰ من قَبله من الأنبياء والرّسل والإيقان بالأخرة فهذه أوصاف ثلاثة لهم بعد الأوصاف الثّلاثة الّتي مرّ ذكرها و بعض المُفسّرين جعل الأوصاف كلّها خمسة بناءً علىٰ عدّه قوله تعالىٰ: **يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ**.



وصفاً واحداً و الحقّ أنّهما وصفان لإنّ الإيمان بِما أُنزل علىٰ محمّدٍ ﷺ لا يلازم الإيمان بما أُنزل علىٰ الأنبياء قبله و بالعكس فمن قال بالمُلازمة قال بأنّ الوصف واحد و من لم يقُل بها جعل الوصف إثنين والأمر سَهل بعد وضوح المعنىٰ وكيف كان فالبحث في المقام يقع في فصول أربعة :

الفصل الأوّل: في تفسير قوله تعالىٰ: **وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ** قد مرّ المعنىٰ منا في الإيمان، و قلنا أنّه ، إقرار باللّسان و إعتقاد بالقلب و عمَلٌ بالجوارح فالمعنىٰ أنّ المُتقين الّذين يقرّون و يعتقدون و يَعملون **بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ** من ربّك في الإسلام بمعنىٰ أنّ كلّ ما جاء به الرّسول من الحلال و الحرام و غيرهما ممّا يرتبط بأمور الأخرة من الحشّر و المعاد و السؤال و أمثال ذلك حقّ لا مرّية فيه و هذا الإعتقاد واجب لازم علىٰ كلّ مُسلم و لا يكفيه الإعتقاد ببعضٍ دون بعضٍ كما يُستفاد من قوله: **بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ** و قد قلنا في شرح اللّغات أنّ كلمة **ما** بمعنىٰ **الّذي** و ليست بموصوفة.

و إذا كانت كذلك فهي عامّ يشمل الجميع فينتج أنّ الإيمان لا يكمل إلاّ بجميع ما أُنزل علىٰ النّبي ﷺ.

أن قلت لا نحتاج الىٰ هذا التوضيح إذ كلّ مسلم فهو معتقِد بالكّل و هل يمكن أن يكون المُسلم مُعتقداً ببعضٍ دون بعضٍ قلت نعم بل نقول أكثر المسلمين من صدر الإسلام الىٰ زماننا هذا كانوا علىٰ هذا المنوال أيّ إعتقدوا ببعضٍ ما جاء به النّبي دون بعضٍ و بعبارةٍ أُخرىٰ أكثر المسلمين إختاروا بعد النّبي من دينه ما شاؤوا و أرادوا لأنفسهم لا ما شاء و أراد اللّه و رسوله لهم و مع ذلك عدّوا أنفسهم من المُتّقين في الآية و زعموا أنهم من الّذين يُؤمنون بجميع ما أنزل اللّه عليه والأن أيضاً يظنون كذلك.

و لا بأس بالإشارة الىٰ بعض ما أنكروه ممّا أنزِل علىٰ الرّسول فمنه مسألة الخلافة و هي من المنزَل عليه بنّص الكتاب قال اللّه تعالىٰ: **يَآ أَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ**

ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ (١) والأية صريحة في المُدّعىٰ بدليل (ما أُنزل اليك) و قد تبَين الأمر فى غدير خم و اخذ منهم البيعة لعلّي ثمّ بعد موته صلى الله عليه وآله وسلم أنكروه و بايعوا غيره.

و سيأتي تفصيل الكلام في تفسير الآية فإن قال قائل أنّه لم ينزل علىٰ رسول اللّه شيءفي أمر الخلافة والرّسول عَمل بها من عند نفسه فقد كذّب القرآن و أن قال نزَلَت الآية في عليٍ والرّسول صلى الله عليه وآله وسلم أخذ منهم البيعة بأمرٍ من اللّه تعالىٰ كما هو كذلك فالمدّعىٰ ثابت لإنكارهم بعد موته صلى الله عليه وآله وسلم.

٢- و منه مسألة التّوارث بين الرّسول و إبنته فاطمة عليها السلام :

قال اللّه تعالىٰ: **يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ** (٢).

قال اللّه تعالىٰ: **وَ أُولُوا ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ** (٣).

فأن قالوا بعدم نزول الآية وأنّها ليست من القرآن فقد كذّبوا اللّه في كتابه وأن قالوا نزلت في كتاب اللّه فأنكروها بعد موته صلى الله عليه وآله وسلم حيث قالوا أنّ فاطمةعليها السلام لا ترث أباها فَمَنعوها عن إرثها و هو أيضاً واضح وتفصيل الكلام موكول الىٰ محلّه.

٣- و منه تحريم عمر المتعتين لقوله متعتان مُحَلّلتان في عهد النّبي أنا أحرمّهما وأعاقب عليهما، وكلامه صريح بكونهما محللّتين في عهد النّبي و هو حرّمهما.

۴ - و منه إنكار عمر التّيمم بعد رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم قال اللّه تعالىٰ: **فَلَمْ تَجِدُوا مَآءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا** (۴) و هذا أيضاً إنكار لبعض ما أُنزِل عليه صلى الله عليه وآله وسلم

۵ - ومنه مسألة الفراش، قال رسول اللّه الوَلد لِلفراش و لِلعاهر الحَجر و معاوية أنكره و جعل الولد لِلعاهر فالحقّ زياد ابن سُمّية بأبيه و هو مشهور.

١- المائدة = ۶٧
٢- النساء = ١١
٣- الانفال = ٧۵
۴- النساء = ١٧

٦ – و منه، قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم البيّان بالخيار ما لم يفترها فإذا افترقا وجب البيع، و أبوحنيفة أنكر هذا الحكم و قال بلزوم البيع قبل الإفتراق و نظائرها كثيرة جدّاً.

و قد إدّعىٰ الغزالي و هو منهم أنّ أبا حنيفة ردَّ علىٰ رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم أربع مائة حكم و قِسّ علىٰ هذا الشّافعي و مالك و ابن حنبل و أمثالهم و لو لا خوف الإطالة ثمّ الملالة و خروج كتابنا عمّا هو موضوع له لنقلنا من المُنكرات الّتي صَدرت منهم ما يعجبك و يستوحشكّ و لكن فيما نقلناه كفاية في المقام.

والحاصل أنّ الإيمان بما أنزل عليه صلى الله عليه وآله وسلم لا يتّحقق الاّ بعد الأخذ بجميع ما أنزل عليه والأخذ بالبعض لا يكفي و لا يصّدق الإيمان بهذا المعنىٰ إلاّ علىٰ إتّباع أهل البيت وشيعتهم و ذلك ممّا لا يخفي علىٰ أحدٍ من أهل الإنصاف لأنّهم يعتقدون بجميع ما أُنزل علىٰ الرّسول كائناً ما كان و يقرّون بها و يَعملون بها علىٰ قدر طاقتهم.

و أنّما أخذوا ما أخذوا وإعتقدوا ما إعتقدوا من أئمّتهم المَعصومين الّذين أذهب اللّه عنهم الرّجس و طهرهم تطهيراً و هو واضح.

الفصل الثّاني: في تفسير قوله تعالىٰ: **مٰا أُنْزِلَ اِلَيْكَ مِنْ قَبْلِكَ**، أي أنّ المتّقين كما يلزمهم الإعتقاد بأنّ جميع ما أنزل علىٰ رسول الإسلام حقّ لا مرية فيه كذلك يلزمهم الإعتقاد بأنّ الأنبياء من أدم الىٰ الخاتم كانوا مبعوثين من قبل اللّه تعالىٰ لإرشاد الخَلق و أنّ جميع ما جائوا به حقّ الآنّ كلام فيه إلاّ أديانهم وشرائعهم منسوخة بالإسلام ولذلك لا يجوز العَمل بها بعد مجئ الإسلام:

قال اللّه تعالىٰ: **إِنَّ اَلدِّينَ عِنْدَ اَللّٰهِ اَلْإِسْلاٰمُ**

قال اللّه تعالىٰ: **وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ اَلْإِسْلاٰمِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَ هُوَ فِى اَلْاٰخِرَةِ مِنَ اَلْخٰاسِرِينَ**[1]

---

١ – آل عمران = ٨٥

و أنّ دائرة النبوّة والتّشريع قد ختمت بوجود الرّسول الخاتم فلا رسول بعده و لا دين و هذا هو الإعتقاد الصّحيح الّذي يجب الأخذ به و من كان كذلك فهو من المتّقين حقّاً و من ليس فليس:

قال اللّه تعالىٰ: **لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**(١)

قال اللّه تعالىٰ: **وَ ٱلَّذِينَ اٰمَنُوا بِاللّٰهِ وَ رُسُلِهِ وَ لَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَ كَانَ ٱللّٰهُ غَفُورًا رَحِيمًا**(٢)

و أمّا المنكرون القائلون بالفرق فقال اللّه تعالىٰ في حقّهم:

قال اللّه تعالىٰ: **إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللّٰهِ وَ رُسُلِهِ وَ يُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ ٱللّٰهِ وَ رُسُلِهِ وَ يَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَ نَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذٰلِكَ سَبِيلًا،أُولٰئِكَ هُمُ ٱلْكَافِرُونَ حَقًّا وَ أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا**(٣)

الفصل الثّالث: في تفسير قوله تعالىٰ: **وَبِالْاٰخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ**، الأخرة بكسر الخاء دار البقاء كما أنّ الدّنيا دار الفناء و ذلك لأنّ الأخر ضد الأوّل و مقابله ويُعبّر بالدّار الأخرة عن النَّشأة الثّانية كما يعبّر بالدّار الدّنيا عن النشأة الأولىٰ.

قال اللّه تعالىٰ: **وَ إِنَّ ٱلدّٰارَ ٱلْاٰخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوٰانُ**(۴)

و ربّما ترك ذكر الدّار نحو قوله تعالىٰ: **أُولٰئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْاٰخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ**(۵) و قد تُوصف الدّار بالأخرة تارةً كما مرّ و تضاف اليها أخرىٰ قال اللّه تعالىٰ: **(ولَلدّار الأخرة خَيرٌ للّذين يتّقون)** إلاّ أنّ الدّار اذا أضيفت الىٰ الأخرة تحتاج الىٰ التّقدير لأنّ الشئ لا يضاف الىٰ نفسه والدّار عين الأخرة والتّقدير

١- أل عمران= ٨۴
٢- النّساء= ١۵٢
٣- النّساء= ١۵١/١۵٠
۴- العنكبوت = ۶۴
۵- هود = ١۶

في قوله تعالىٰ ولَدار الأخرة خير، ولدار السّاعة الأخرة، وكيف كان فالمراد بها في الآية و في كلّ موضعٍ هو النشأة الثّانية واليَقين بوجودها من علامة الإيمان:

قال اللّه تعالىٰ: **اَلَّذِينَ يُقِيمُونَ اَلصَّلوٰةَ وَ يُؤْتُونَ اَلزَّكوٰةَ وَ هُمْ بِالْاٰخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ**[١]

قال اللّه تعالىٰ: **وَ أَنَّ اَلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْاٰخِرَةِ أَعْتَدْنٰا لَهُمْ عَذٰاباً أَلِيماً**[٢]

قال اللّه تعالىٰ: **إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَ هُمْ بِالْاٰخِرَةِ هُمْ كٰافِرُونَ**[٣]

و اليقين، العلم و زوال الشكّ وربّما عبّروا بالظن عن اليقين و بالعكس و في الحديث لم يُقسم بين النّاس شئ أقل من اليَقين.

و قال علماء الأخلاق اليقين ضد الجهل المرّكب و الحيرة و الشكّ و أول مراتبه إعتقاد ثابت جازم مطابق للواقع غير زائل بشبهةٍ فالإعتقاد الّذي لا يطابق الواقع ليس يقيناً و إن جَزم به صاحبه واعتقد مطابقته للواقع بل هو كما أُشير اليه جهلٌ مرّكب ينشأ من إعوجاج القَريحة أو خطأٍ في الإستّدلال أو حصول مانعٍ من افاضة الحقّ كتقليدٍ أو عَصبية فاليقين من حيث إعتبار الجزم فيه يكون ضد الحيرة والشكّ و من حيث إعتبار المطابقة للواقع يكون ضدّاً للجهل المرّكب ثمّ أنّ العلم إن لم يُعتبر فيه المطابقة للواقع ففرقه عن اليَقين ظاهر و إلاّ فيتساويان و يَتَشاركان في المراتب المُثبة في اليقين.

اذا عرفت اليقين و معناه فإعلم أنّ اليقين تارةً يتعلّق بالإيمان و لوازمه من وجود الواجب وصفاته الكماليّة و سائر المباحث الالٰهية من النّبوة وأحوال النشأة الأخرة.

و أخرىٰ بغيرها من حقائق الأشياء الّتي لا يتم الإيمان بدونها.

١- النمل = ٣
٢- الإسراء= ١٠
٣- يوسف= ٣٧

و قد ثبت في موضعه أنّ الإيمان متوقف علىٰ اليقين بل هو أصله وركنُه.

و أمّا غيره من المراتب فهو فرعَه و غصنه والنّجاة في الأخرة لا تحصل إلاّ به.

و الفاقد له خارج عن زمرة المؤمنين داخل في حزب الكافرين.

و بالجملة اليقين أشرف الفضائل الخلقية و أهمها و أفضل الكمالات النّفسية و أعظمها و هو الكبريت الأحمر الّذي لا يُظفر به إلاّ أو حَدّي من أعاظم العرفاء أو المَعيّ من أكابر الحكماء و من وصل اليه فاز بالرّتبة القصوىٰ والسّعادة العظمىٰ.

قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: اليقين الإيمان كلّه.

و قال صلى الله عليه وآله وسلم: أقل ما أُوتِيتم اليقين و عزيمة الصّبر ومن أُوتي حظه منها لم يُبال ما فاته من صيام النّهار و قيام اللّيل.

و قال صلى الله عليه وآله وسلم: ما أدمي إلاّ و له ذنوبٌ و لكن من كانت غريزته العقل و سَجّيته اليقين لم تضره الذّنوب لأنّه كلّما أذنب ذنباً تاب و إستغفر و نَدم فتكّفر ذنوبه و يبقىٰ له فضل يدخل به الجنّة.

و قال الصّادق عليه السلام: أنّ العَمل الدّائم القَليل علىٰ اليقين أفضل عند اللّه من العَمل الكثير علىٰ غير اليقين.

و الأحاديث في فضله كثيرة نقلناها عن جامع السّعادات[1].

اذا عرفت اليقين و فضله فقد علمت لم جعل اللّه تبارك و تعالىٰ اليقين بالأخرة من أوصاف المتّقين و ذلك لأنّ اليقين بالأخرة من الإيمان بالغيب و حيث أنّ الإيمان بالغيب من أوّل الأوصاف له فمن لم يؤمن بالأخرة ليس من المتّقين أصلاً و من ليس منهم فهو خارج عن البحث في المقام.

١- جامع السّعادات ج ١ص ١١٩

إن قلت ما فائدة اليقين و أيّ أثرٍ يَترتب عليه في الدّينا والأخرة و علىٰ فرض ترتّب الأثر عليه هل هو في الأخرة فقط مثل أن يُثاب عليه في عالم البقاء لكونه من الإعتقادات الصّحيحة المطلوبة للشّارع أو أنّ تَرتب الأثر في الدّارين.

و علىٰ الثّاني فما هو، قلت لليقين بالأخرة أثاركثيرة في الدّارين أمّا الأخرة فلا بحث فيه لأنّ صاحب اليقين في أعلىٰ مرتبة الإيمان فالعَمل الصّادر منه مطلوب للشّارع و هو عليه مثاب يوم القيامة.

و ثانياً: أنّه ببَركة اليقين صار أفضل من الملائكة فهو في الحقيقة في زمرة الصدّيقين و معدود في الأولياء الصّالحين و محشور غداً مع الأنبياء المُرسلين.

و أمّا أثاره في الدّنيا فأقلّها المواظبة علىٰ الأعمال و الأقوال و ذلك لأنّ صاحب اليقين بالأخرة لا يَعمل ولا يقول ما ينافي الأخرة فأنّ المفروض يقينه بها والسّؤال عنه فيها و من إعتقد إعتقاداً جازماً بأنّه مسؤل في الأخرة عمّا يعمل و يقول فلا محالة يخالف هواه لأنّه يعلم أنّ النّفس لأمارة بالسّوء فلا يقول إلاّ حقّاً و صدقاً و لا يعمل إلاّ عَملاً صالحاً و لا يظلم و لا يغتاب و هكذا.

و لو لم يكن في اليقين بالأخرة أثرٌ في الدّنيا إلاّ هذا لَكفي، إن قلت إن كان اليقين بالأخرة يوجب الصّلاح والسّداد في الدّينا والخروج من حضيض النّاسوت الىٰ أوج الملكوت والعمل بمقتضىٰ الشّرع فلم لا يحصل لنا هذا المقام في طول حياتنا مع إعتقادنا بالأخرة فأنّ اليقين بالأخرة بعد نشأة الدّنيا ممّا لا يشكّ فيه مُسلم وهو واضح قلت لليقين ثلاث مراتب:

علم اليقين، عين اليقين، حقّ اليقين، و لكلّ مرتبةٍ منها أثر مَخصوص به و لتوضيح المراتب نقول.

الاوّل : علم اليقين فهو عبارة عن الإعتقاد الثّابت الجازم المطابق للواقع و هو يحصل من الإستّدلال باللّوازم علىٰ المَلزوم.

و إن شئت قلت من الأثر على المؤثر و مثاله اليقين بوجود النّار من مشاهدة الدّخان فأنّ الرّائي اذا رأى الدّخان من بعيد يحصل له اليقين بوجود النّار لأنّ الأثر دالّ على المؤثر.

ثانيها: عين اليقين، و هو مشاهدة المطلوب ورؤيته بعين البَصيرة والباطن و هو أقوى في الوضوح والجلاء من المشاهدة بالبصر و الى هذه المرتبة أشار أمير المؤمنين عليه‌السلام بقوله لم أعبد ربّاً لم أره، بعد سؤال ذعلب اليماني منه، أرأيت ربّك، وبقوله عليه‌السلام **(رأى قلبي ربّي)** و مثاله في المحسوسات اليقين بوجود النّار عند رؤيتها عياناً.

ثالثها: حقّ اليقين و هو أن تحصل وحدةٌ معنويّة و ربط حقيقى بين العاقل والمَعقول بحيث يرى العاقل ذاته رشَحّة من العقول ومُرتَبطاً به غير منفكّ عنه و يشاهد دائماً ببصيرته الباطنية فيضان الأنوار والأثار منه اليه.

و مثاله اليقين بوجود النّار بالدخول فيها من غير إحتراقٍ و هذا المقام لا يحصل إلاّ ليكمّل الغارمين باللّه المُستغّرقين في لُجّة حبّه و أنسه و قد زاد أهل السّلوك على هذه المراتب مرتبة أخرى و عبّر عنها بحقيقة حقّ اليقين و الفناء في اللّه و هو أن يرى العارف ذاته فانياً في أنوار اللّه محترقاً في سمات وجهه بحيث لا يرى إستقلالاً و لا تحصيلاً أصلاً و مثاله اليقين بوجود النّار بدخوله فيها و احتراقه منها، إذا عرفت مراتب اليقين فأعلم أنّ الآثار المترتّبة على اليقين في النّشأتين مختلفة بإختلاف مراتبها فصاحب اليقين أن كان في المرتبة الأولى منها لا يترتب على يقينه ما يترتب على المرتبة الثّانية مثلاً و هكذا كما أنّ الإيمان أيضاً له مراتب فكلّ مرتبة من الإيمان يلزم يقيناً مناسباً لها فقوله تعالى: **وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ** يُحمل على العموم الشّامل للمراتب كلّها وهو أولى.

الفصل الرّابع: في تفسير قوله تعالىٰ: **أُولٰئِكَ عَلىٰ هُدىً مِّنْ رَّبِّـهِمْ وَ أُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** و هذه الآية بمنزلة النّتيجة لما تقّدم منها في هذه السُّورة وأن شئت قلت كأنّ هذه الآية **جزاءُ من ربّهم** و بشارة لهم حيث يقول اللّه تعالىٰ **أولئك** أعنى المتّقين المتصّفين بالأوصاف المذكورة علىٰ هدىٰ من ربّهم أي علىٰ طريق الهداية و الفلاح و السّعادة في الدّارين ففي الحقيقة لا خوف عليهم و لا هم يحزنون و قيل في معناها أي علىٰ دين ربّهم و قيل علىٰ دلالة و بيان عن ربّهم و إنّما قال تعالىٰ من ربّهم، لأنّ كلّ خير و هدىٰ فمن اللّه تعالىٰ أمّا لأنّه فعله وأمّا أنّه عوض له بالدلالة عليه والإنابة علىٰ فعله و علىٰ هذا يجوز أن يقال أنّ الإيمان هداية منه تعالىٰ و أن كان من فعل العبد ثمّ كرّر تضخيماً فقال:**وَ أُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** قاله الطّبرسي ﷺ في المجمع.

قال بعض العُلماء أنّ الفلاح في العرف الظافر بالمطلوب والنّجاة من المرهوب إنتهىٰ.

و عليه فمعنىٰ قوله تعالىٰ:**وَ أُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** أولئك هم الظّافرون بالمطلّوب و الناجّون من المرهوب.

و قال الشيخ في التبيان المفلحون، هم المنجون الّذين ادركوا ما طلبوا من عند اللّه باعمالهم و إيمانهم، والفلاح النجّاح قال الشّاعر:

إعقلي إن كنت لما تعقلى ولقد أفلَح من كان عقل

تذنيب في أولئك لغات فلغة أهل الحُجاز، أوليك بالياء و أهل نجد و قيس و رَبيعة و أسَد يقولون، أولئك به هَمز، وبعض بني سعيد من بني تميم يقولون **الاّك** مشدّدة و بعضهم يقول ألالك كما قال الشّاعر:

ألالك قومُ لم يكونوا شابة وهل يَعَظ الضّليل إلاّ ألالكا

و قالوا أنّ، أولاء للقريب و هؤلائك للبعيد و أولئك لِلمتوسط، و الكاف

لِلخطاب، و أولئك إسم مُبهم يصلح لكّل حاضر تعرفه الإشارة اليه كقولك في الواحد ذاك.

و **أولاء** جمع ذاك في المعنىٰ و قد قرأ همزة من بين القّراء، اولئك بالمدّ، و الباقون بالقصر إنتهى، ما أردنا ذكره في التّذنيب وأنّما أطنَبنا الكلام فيه لتكّرره في القرآن كثيراً.

■

أِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاٰ يُؤْمِنُونَ﴿٦﴾

◁ اللّغة

أِنَّ الَّذِينَ: إنّ من حروف المُشبّهة بالفعل و هو يفيد للتأكيد والتحقّيق.

الَّذِينَ: قد مرّ الكلام فيه.

كَفَرُوا: فعل ماضي والواو للجمع و أصل الكفر السّتر.

سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ: سواء بفتح السّين مصدر واقع إسم الفاعل، و هو مُستو، و هو أي المستوي يعمل عَمل يستوي و من اجل انّه مصدر لايثّنىٰ و لا يُجمع و الهمزة في سَواء، مبدلة من ياء.

ءَأَنْذَرْتَهُمْ: بَهمزَتين و قرأ ابن المحيص به همزة واحدة علىٰ لفظ الخبر و همزة الإستفهام فرادة و لكن حذفوها تَخفيفاً، و أنذَرتهم فعل ماضي من أنذَر و التّاء للمخاطب، نحو أكرمت، و أعلَمت و هم مفعول الفعل.

أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاٰ يُؤْمِنُونَ: أَم، هذه معادلة لهمزة الإستفهام و تَـنذرهم، مضارع أَنذَر ويُؤمنون قد مرّ معناه.

◁ الإعراب

الَّذِينَ في موضع النّصب لأنّه إسم أنَّ وعلامته الياء، وكفروا صلة الّذين و الموصول مع صيلة، في محلّ النّصب و أمّا خَبرها فيمكن أن تكون الجملة أعني بها سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ و عليه فيكون سَوَاءٌ مرفوع علىٰ الإبتداء و الجملة بعده خبره و المبتدأ و الخبر في موضع رفع بأنها خبر و قوله لاٰ يُؤْمِنُونَ حال من الضّمير المنصوب و قيل أنّ لاٰ يُؤْمِنُونَ خبر أنّ و قوله تعالىٰ سَوَاءٌ الىٰ قوله أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ، جملة معترضة بين المبتدأ والخَبر وكلا الوجهين ممّا لا بأس به.

◁ التّفسير

لمّا بيّن اللّه تعالىٰ أوصاف المتّقين في الأيات السّابقة أَردف كلامه بذكر الكفّار فقال **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا** الخ. و ذلك لأنّ الكفر يقابل الإيمان ثمّ أنّهم إختلفوا في محلّها علىٰ العموم و الخصوص علىٰ قولين فمن قال بالعموم قال بأنّ المراد مطلق الكفّار و من قال بالخصوص قال أنّها نزلت في ابى جَهل و في خمسةٍ من قومه من قادة الأعراب قتلوا يوم بدر وإختار هذا القول الرّبيع ابن أنس و البلخي و المغربي و قال ابن عبّاس نزلت فى أعيانهم من أحبار اليهود الّذين كانوا حَول المدينة و قال قوم أنّها نزلت في مشركي العَرب ثمّ قال صاحب التّبيان بعد نقله الأقوال المذكورة والّذي نقوله أنّه لابدّ أن تكون مخصوصة لأنّ حملها علىٰ العموم غير ممكن لأنّا أنّا علمنا أنّ في الكفّار من يؤمن فلا يمكن العموم و أمّا القطع علىٰ واحدٍ ممّا قالوا فلا دليل عليه انتهىٰ.

أقول لابدّ لنا أوّلاً بيان معنىٰ الكفر و الانذار في الآية ثمّ التكلّم في عمومها و خصوصها فنقول الكفر في أصل اللّغة، السّتر.

قال الرّاغب في المفردات الكفر في اللّغة ستر الشّئ و وصف اللّيل بالكافر لِستره الأشخاص، والزّارع لِستره البذر في الأرض الىٰ أن قال و كُفران النّعمة سترها بترك أداء شكرها انتهىٰ.

قال الشّيخ الطّوسي قدّس سرّه في التّبيان، و في الشّرع عبارة عمَّن جحد ما أوجَب اللّه عليه معرفته من توحيده و عدله و معرفته نبّيه و الأقرار بما جاء به من أركان الشّرع فمن جحد شيئاً من ذلك كان كافراً انتهىٰ.

و قد رَوىٰ في تفسير البرهان عن محمّد ابن يعقوب بأسناده عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال الزّبيري قلت له يابن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم أحبرني عن وجوه الكفر في كتاب اللّه عزّ وجلّ قال عليه السلام: الكفر في كتاب اللّه علىٰ خمسة أوجه:

منها كفر الجحُود، و كفر الجحُود علىٰ وَجهين، والكفر بترك ما أمر اللّه و كفر البراءة و كفر النِّعم، فأمّا كفر الجحود بالرّبوبية، و هو قول من يقول لا ربّ و لا جنّة و لا نار و هو قول صنفَين من الزّنادقة يقال لهم الدّهرية و هم الّذين يقولون ما يهلكنا إلاّ الدّهر.

و هو دين وضعوه لأنفسهم بالإستحسان منهم علىٰ غير تثبيت منهم و لا تحقّيق لشيئ ممّا يقولون قال اللّه عزّ وجّل (إن هُم إلاّ ليظنّون و قال: **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوٰاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاٰ يُؤْمِنُونَ** يعني بتوحيد اللّه فهذا أحَد وجوه الكفر و أمّا الوجه الآخر من الجحود علىٰ معرفته و هو أن يجحَد الجّاحد و هو يعلم أنّه حقّ قد إستقرّ عنده و قد قال اللّه عزّ وجلّ: **وَ جَحَدُوا بِهٰا وَ اَسْتَيْقَنَتْهٰآ أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَ عُلُوًّا**[1] وقال اللّه عزّ وجلّ: **وَ كٰانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى اَلَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمّٰا جٰآءَهُمْ مٰا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اَللّٰهِ عَلَى اَلْكٰافِرِينَ**[2] فهذا تفسير وجهي الجحود والوجه الثّالث من الكفر كفر النّبي و ذلك قوله تعالىٰ يحكي قول سليمان: **هٰذٰا مِنْ فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِى ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَ مَنْ شَكَرَ فَإِنَّمٰا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِيٌّ كَرِيمٌ**[3] وقال: **لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَ لَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذٰابِى لَشَدِيدٌ**[4] و قال: **فَاذْكُرُونِى أَذْكُرْكُمْ وَ اَشْكُرُوا لِى وَ لاٰ تَكْفُرُونِ**[5] والوجه الرّابع من الكفر ترك ما أمَر اللّه عزّ وجّل به وهو قول اللّه عزّ وجّل: **وَ إِذْ أَخَذْنٰا مِيثٰاقَكُمْ لاٰ تَسْفِكُونَ دِمٰآءَكُمْ وَ لاٰ تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيٰارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ، ثُمَّ أَنْتُمْ هٰؤُلآءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَ تُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيٰارِهِمْ تَظٰاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَ اَلْعُدْوٰانِ وَ إِنْ يَأْتُوكُمْ**

١- النمل = ١٤
٢- البقرة = ٨٩
٣- النمل = ٤٠
٤- ابراهيم = ٧
٥- البقرة = ٥٢

أُسارى تُفادُوهُمْ وَ هُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْراجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ اَلْكِتابِ وَ تَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ [١] **فكفرهم بترك ما أمَر اللّه عزّ وجلّ به و نسبهم الىٰ الإيمان ولَم يقبله منهم و لم ينفعهم عنده فقال: فَما جَزاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذٰلِكَ مِنْكُمْ إِلّا خِزْيٌ فِي اَلْحَيٰوةِ اَلدُّنْيا وَ يَوْمَ اَلْقِيٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلىٰ أَشَدِّ اَلْعَذابِ وَ مَا اَللّٰهُ بِغافِلٍ عَمّا تَعْمَلُونَ** [٢]

والوجه الخامس - من الكفر كفر البراءة و ذلك قول اللّه عزّ وجلّ يحكي قول إبراهيم: كَفَرْنا بِكُمْ وَ بَدا بَيْنَنا وَ بَيْنَكُمُ اَلْعَداوَةُ وَاَلْبَغْضاءُ أَبَدًا حَتّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللّٰهِ وَحْدَهُ [٣] **يعني تبرأنا منكم وقال يذكر إبليس وتَبرئته من أولياءه من الإنس يوم القيامة: إِنِّي كَفَرْتُ بِمآ أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ** [٤] **وَ قالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اَللّٰهِ أَوْثانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي اَلْحَيٰوةِ اَلدُّنْيا ثُمَّ يَوْمَ اَلْقِيٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَ يَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا** [٥] **يعني تبرأ بعضكم من بعضٍ انتهىٰ.**

أقول و يظهر من هذا الحديث أنّ أصناف الكفر في الشّرع علىٰ أقسام الخمسة المذكورة الحديث: كفرالجُحود بقسميه وكفُر النِّعم و ترك ما أمَر اللّه به وكفر البراءة.

و أمّا الكفر المبحوث عنه في الآية الشّريفة التّي نحن بصدد تفسيرها هو الكُفر الجحود بالرّبوبيّة و هو القسم الأوّل من قسمي الجحود كما صَرّح به الإمام عليه السلام في الحديث و عليه فلا خفاء في تفسيرها اذ المعنىٰ أنّ المنكرين لرّبوبيته تعالىٰ يساوي في حقّهم الإنذار و عدمه و ذلك لأنّ معنىٰ الإنذار الإنذار من عقابه تعالىٰ و من المعلوم أنّ الخوف من عقابه فرعٌ علىٰ معرفته فمن لم يعرفه بل أنكر وجوده كيف يخاف من عقابه و هو واضح.

■

١- البقرة = ٥٨
٢- البقرة = ٨٥
٣- الممتحنة = ١٥
٤- ابراهيم = ٢٢
٥- العنكبوت = ٢٥

خَتَمَ اللّٰهُ عَلىٰ قُلُوبِهِمْ وَ عَلىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلىٰ أَبْصٰارِهِمْ غِشٰاوَةٌ وَلَهُمْ عَذٰابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾

◁ اللّغة

الخَتَم: في الأصل الطّبع و هو تأثير الشّئ كنقش الخاتم والطّابع و قيل، الأثر الحاصل عن النّقش و يتجوّز بذلك تارةً في الاشتياق من الشّئ والمَنع منه إعتباراً بما يحصل من المَنع بالخَتم علىٰ الكُتب والأبواب و تارةً في تَحصيل أثرٍ عن شئٍ إعتباراً بالنّقش الحاصل وتارة يعتبر منه بلوغ الأخر ومنه قيل خَتمتُّ القرأن أي انتهيتُّ الىٰ أخره. قاله الرّاغب في المفردات.

قُلُوب: جمع قلب.

سَمْعِهِمْ: السّمع مصدر قولك سَمَع يَسمع سمعاً.

اَبْصٰارِهِمْ: جمع بَصَر.

غِشٰاوَةٌ: الغَشاوة مصدر غَشي غشاوةً ما يغطّىٰ به الشّئ غَشيه.

عَذٰابٌ:بفتح العين معناه واضح.

◁ الإعراب

خَتَم فعل ماض **اللّٰهُ** فاعله **عَلىٰ قُلُوبِهِمْ** الجار والمجرور متعلّق بقوله **خَتَم** و هكذا قوله: **وَ عَلىٰ سَمْعِهِمْ**، متعلّق به بحكم العَطف و **وَعَلىٰ أَبْصٰارِهِمْ غِشٰاوَةٌ**،فالغشاوة إن قرأ بالرّفع كما هو المَشهور بين القّراء فهو مبتدأ مؤخر و علىٰ أبصارهم خبره مقّدم عليه، و أن قرأ بالنّصب كما نقل عن بعض القّراء فالعامل فيه فعل مقدّر أي جَعل علىٰ أبصارهم غشاوةً و لا يجوز أن ينتصب بخَتم، لأنّه لا يتعدّىٰ بنفسه و في الغَشاوة ثلاث لغات:

كسر الغيّن و فتحها و ضمّها، والمشهور الكسر **لَهُمْ عَذٰابٌ** مبتدأ و خَبر و الخبر قُدّم **خَتَمَ اللّٰهُ عَلىٰ قُلُوبِهِمْ وَ عَلىٰ سَمْعِهِمْ**.

علىٰ المبتدأ و علىٰ قول الأحفش. **عَذٰابٌ** عذاب مرفوع بالجار كارفاع الفاعل بالفعل و هكذا **وَعَلىٰ أَبْصٰارِهِمْ غِشٰاوَةٌ** عظيم، صفة للعذاب و فيه ضمير يرجع اليه كما هو شأن الصّفة.

◁ التّفسير

بعد ما قال اللّه تعالىٰ في الآية السّابقة **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا**، سواء عليهم الإنذار و عدمه قال تعالىٰ في هذه الآية **خَتَمَ اللّٰهُ عَلىٰ قُلُوبِهِمْ** أي شَهد عليها بأنّها لا تقبل الحقّ يقول القائل، أراك تَختم علىٰ كلّ ما يقول فلان أي تَشهد به و تصدّقه و قد خَتمت عليك بأنّك لا تعلم أي شهدتُّ و ذلك إستعارة و قيل أنّ، **خَتَم** بمعنىٰ طَبع فيها أثراً للذّنوب كالسمة و العلامة لتعرفها الملائكة فَيتبرؤا منهم و لا يوالوهم و لا يستغفروا لهم مع إستغفارهم للمؤمنين و قيل المعنىٰ في ذلك أنّه ذمّهم بأنّها كالمَختوم عليها في أنّها لا يدخلها الإيمان و لا يخرج عنها الكفر كقول الشّاعر:

لقد أسمعتُ لو ناديتُ حيّاً   ولكن لا حياة لمن تنادي

أي كأنّه لا حياة فيه والختم أخر الشيء ومنه قوله تعالىٰ و ختامه مسك و منه خاتم النّبيين أي أخرهم و منه ختم الكتاب لأنّه أخر حال الفراغ منه و هذه الوجوه ذكرها الشّيخ ﷺ في التّبيان ثمّ قال و ما يختم اللّه علىٰ القلوب من السّمة والعلامة التّي ذكرناها ليست بمانعةٍ من الإيمان كما أنّ ختم الكتاب و الظّرف والوعاء لا يمنع من أخذ ما فيه، الىٰ أن قال ﷺ وقيل أنّ قوله تعالىٰ: **خَتَمَ اللّٰهُ**، إخبار عن تكبّرهم و اعراضهم عن الإستماع لما دُعوا اليه من الحقّ كما يقال فلان أصَم، عن هذا الكلام اذا إمتنع عن سماعه و رفع نفسه عن تفهّمه انتهىٰ ما نَقلناه عنه.

و قال الطّبرسي ﷿ في المجمع قيل في معنىٰ الختم وجوه:

أحدها أنّ المراد بالخَتم العلامة و اذا انتهىٰ الكافر من كفره الىٰ حالةٍ يعلم اللّه أنّه لا يؤمن فأنّه يعلم علىٰ قلبه علامة و قيل هي نقطة سوداء تشاهدها الملائكة فيعلمون بها أنّه لا يؤمن بعدها فَيذّمّونه و يدعون عليه الىٰ أخر ما قال.

ثمّ نقل أقوالاً في أمثالها من الأيات وأنّ المراد بالختم ما هو أن شئت الإطّلاع عليه فراجعه في تفسيره.

و قال البيضاوي من العامّة المراد أنّ اللّه تعالىٰ يحدث في نفوسهم هيئة تؤمرّنهم علىٰ إستحباب الكفر والمعاصي و إستقباح الإيمان و الطّاعات بسبب غيّهم و إنهماكهم في التّقليد و إعراضهم عن النّظر الصحّيح فيجعل قلوبهم بحيث لا ينفذ فيه الحقّ وأسماعهم تعاف إستماعه فتصير كأنّها مستوثق منها بالختم و أبصارهم لا تجتلي الأيات المنصُوبة لهم في الأنفس والأفاق كما تجتليها أعين المُستبصرين فتصير كأنّها غُطىٰ عليها و حِيل بينها و بين الأبصار و سَمّاه علىٰ الإستعارة خَتماً و تغشية انتهىٰ ما ذكره بألفاظه.

ويه قال الزّمخشري في الكشاف والبيضاوي أخذَ عنه وغيره من مفّسرين العامّة لم يأتوا بشئٍ يعتمد عليه بل أخذَ هذامن هذا و ذاك من ذاك و الكشّاف من أحسن التفاسّير عندهم لأنّ مؤلفه من أكابر علماء أهل السّنة وقد إعترفوا بالفَضل له.

و حيث أنّ الآية الشّريفة بظاهرها تدّل علىٰ الجَبر لأنّ اللّه تعالىٰ اذا ختم و طبع علىٰ قَلب العبد الكفر وجعل علىٰ بصره غشاوة فماذا يصنع العبد ضرورة عدم قدرة العبد علىٰ خلاف ما ختم علىٰ قلبه و سمعه و بصره و حيث أنّ المطبوع عليه الكفر فلا يقدر العبد علىٰ الإيمان و اذا لم يقدر عليه فما ذنبه ثمّ كيف يعاقب و يحاسب علىٰ الكفر المطبوع علىٰ قلبه مِن اللّه غداً في القيامة و

المفروض أنّ اللّه تعالىٰ قائم بالقسط و أنّه ليس بظلام للعبيد و هذا هو أصل الإشكال في المقام الّذي جعل النّاس حيارىٰ وإختاركلّ واحدٍ من المفسّرين مسلكاً و حمل الآية عليه و لم يعلم أنّه وَقع فيما هرب عنه و محصّل الكلام أنّ المقام من مزّال الأقدام وكم لها نظير في الأيات.

و قد ذكرنا في صَدر البحث نقلاً عن صاحب التّبيان والمجمع محاملهما في الأية.

و أقوال النّاس فيها وكيف كان لمّا كانت المسألة إعتقادّية قالوا فيها ما قالوا فلابدّ لنا أيضاً أن نتّكلم فيها بقدر الفهم والإستطاعة في هذا المقام ليسهل علينا البحث في نظائرها فيما يأتي.

فنقول إختلف النّاس في هذا الختم والمراد به في المقام فقال بعضهم أنّ العبد لا يقدر مَعه علىٰ الإيمان و قال بعضهم يقدر عليه و ذلك الخلاف أنّما نَشَأ من إختلافهم في أفعال العباد هل هي من اللّه تعالىٰ أو من العبد أو منهما معاً فالأقوال والمسالك ثلاثة:

الأوّل: أن يكون فعل العَبد مخلوقاً له تعالىٰ لا تأثير للعبد فيه أصلاً و أنّما هو في فعله كالألة مثل السّيف في كونه ألة للقتل في يد القاتل والسّهم في يد الرّامي و أمثال ذلك من الألات والأسباب و يعبّر عن القائلين بهذه المقالة بالجبريّين و مفاده سلب الإختيار من العبد في فِعله.

الثّاني: أن يكون فعل العبد مخلوقاً لنفسه لا تأثير لِلّه و لا لغيره في فعل العبد فأنّ اللّه تعالىٰ خلق العبد وفوَضَّ أمره اليه أن شاء فعل و أن لم يشاء لم يفعل.

و هذا القول مخالف للقول الأوّل و ضدّه و يعبّر عن القائلين به بالمفوّضية لأنّ المفروض تفويض الأمر الىٰ العَبد بالكلّية.

الثّالث: أن يكون أفعال العباد لهما أي للخالق والمخلوق معاً فلا يكون

واحداً منهما مستّقلاً في الفعل بحيث لا دخل فيه في تأثير الغير بل التّأثير لهما والفعل صَدر بالحقيقة منهما و يستند اليهما و هذا القول يعبّر عنه بالأمر بين الأمرين الّذي ورَد في الحديث لا جبر و لا تَفويض بل أمر بين الأمرين.

اذا عرفت المذاهب في الأفعال الصّادرة في الخارج من العبد ظاهراً فإعلم أنّ الآية المبحوث عنها في المقام علىٰ مَسلك القائلين بالجَبر لا خفاء فيها و لا كلام لأحدٍ في تفسيرها اذ هو علىٰ هذا المذهب واضح لأنّ المفروض عدم قدرة العبد علىٰ الفعل بل القادر والموجد فيه هو اللّه تعالىٰ مُستّقلاً و لا دخل و لا تأثير للعَبد فيه فصحّ أن يقال أنّ اللّه ختم علىٰ قلوب الكفّار الكُفر بحيث لا يقدرون علىٰ الإيمان أصلاًكما أنّه تعالىٰ خَتَم علىٰ قلوب بعضٍ أخر بالإيمان فلا يقدر علىٰ الكفر اذ المفروض أنّ العَبد لا قدرة له أصلاً و هو واضح.

فحقٌّ أن يقال خَتم اللّه قلوبهم الىٰ أخر الآية اذ لا فرق في عَدم قدرة العَبد علىٰ الفعل بين الأفعال النّفسانية أعني بها الخَواطر و الإرادات وبين الأفعال الخارّجية الصّادرة منه بواسطة الجوارح بل النّفسانيات أولىٰ لكونها الأصل بالنّسبة الىٰ غيرها.

و أمّا القائلون بالتفوّيض، والأمر بين الأمرين فظاهر الآية لا يوافق مَذهبهما فلابدّ لهما من البحث فيها و حمل الآية علىٰ غير ظاهرها.

ثمّ أنّ القائلين بالجبر و هم أكثر الأشاعرة إختلفوا في معنىٰ الخَتم في المقام والمراد به، فقال بعضهم الختم من اللّه تعالىٰ هو خلق الكفر في قلوب الكفّار.

و قال بعض أخر الختم هو خلق الدّاعية الّتي اذا أنضمّت الىٰ القدرة صار مجموع القدرة معها سبباً موجباً لوقوع الكفر و علىٰ التّقديرين فالخاتِم هو اللّه و لا يقدر العبد علىٰ دفعه و رفعه و محصّل إستدلالهم علىٰ المدّعىٰ هو أنّ القادر علىٰ الكفر أن كان قادراً علىٰ تركه أيضاً فكانت نسبة تلك القدرة الىٰ فعل الكفر و الىٰ تركه علىٰ السّواء فإختياره التّرك أو الفعل محتاج الىٰ المُرّجح فأنّ

الترجّيح بلا مُرّجح مُحال فلابدّ له في الخروج عن الإستواء من مرجّح و المُرّجح لا يخلو حاله من وجهين:

أمّا أنّه من فعل اللّه أو من فعل نفسه فأن كان من اللّه فثبت المطلوب و أن كان من نفسه يلزم التّسلسل و أن كان لا بفعل اللّه و لا بفعل العَبد فيلزم حدُوث شيءٍ لا لمؤثر و هو محال فلا محالة يستند المرّجح الىٰ اللّه فهو فاعل في الحقَيقة و العبد لا يؤثر في فعله فالمطلوب ثابت فينتج أنّ اللّه تعالىٰ هو الّذي خلق الكفر في قلوبهم أمّا بواسطة الدّاعية أعني بها المُرّجح.

و أمّا بلا واسطة و علىٰ التقدّيرين فالفاعل هو تعالىٰ لا غيره هذا مخلّص كلامهم و إستدلالهم علىٰ المدّعي علىٰ ما نقله الرّازي في تفسيزه مَع تلخيص منّافي العبارة و قال في آخر كلامه إذا ثبت هذا كان القول بالجبر لازماً لأنّ قبل حصول ذلك المُرّجح كان صدور الفعل مُمتنعاً و بعد وصوله يكون واجباً ثمّ قال إذا عرفت هذا كان خلق الدّاعية الموجبة لكفر في القلب ختماً علىٰ القلب و منعاً له عن قبول الإيمان فأنّه سبحانه لّما حكم عليهم بأنّهم لا يؤمنون ذكر عقبه ما يجري مجرىٰ السبّب الموجب له لأنّ العلم بالعلّة يفيد العلم بالمعلول والعلم بالمعلول لا يكمل إلاّ إذا أُستفيد من العلم بالعلّة فهذا قول مَن أضاف جميع المحدثات الىٰ اللّه تعالىٰ إنتهىٰ.

ما ذكره و حيث أنّه أي الإمام الرّازي من الأشاعرة القائلين بهذه المقالة أعني الجبر، أطال الكلام في إثبات مدّعاه في تفسيره و سائر كتبه و نحن نجيب عنه بحول اللّه و قوّته فنقول قولهم الختم من اللّه تعالىٰ أمّا خلق الكُفر في قلوب الكفّار و أمّا خلق الدّاعية الموجبة له، كلام لا طائل تحته و ذلك لأنّ خلق الكُفر لا معنىٰ له إذا الكُفر عدم الإيمان والأمر العَدَمي لا يكون مُتَعَلّقاً لِلإيجاد وبعبارة أخرىٰ الإيجاد لا يتعّلق بما لا َشيئّتة له فيبقىٰ في المقام تعلّق الإيجاد من الموجد بالدّاعية فالتقسيّم الىٰ الوجهين لا معنىٰ له و علىٰ فرض



التّسليم لِصحّة التّقسيم نختار الشّق الثّاني و هو تعلّق الإيجاد بالدّاعية، قولكم أنّها إذا إنضّمت الىٰ القُدرة صار المجموع سبباً مُوجباً لوقوع الكُفر ممنوع و ذلك لأنّ الإرادة حاكِمة علىٰ الدّاعية فلا تكون الدّاعية مع القُدرة مُوجبة لِلكُفر إذا لم يرد الفاعل الكُفر وقد ثبت أنّ الإرادة مسبوقة بالإختيار و توضيح ذلك إجمالاً انّ الدّاعي علىٰ الفعل في الإنسان ليس إلاّ تصديقه بالفائدة و ذلك لأنّ الإنسان إذا أراد أن يفعل شيئاً، فلابّد له من تصوّره أوّلاً ثمّ التّصدّيق بِفائدته ثانياً سواء كان التّصديق ظنّياً أو تخّييلياً أو علّمياً والمراد بالتصدّيق هو أنّ فيه صلاحاً و منفعة بالنسّبة الىٰ جوهر ذاتنا، ثمّ ينبعث مِن ذلك شوق الىٰ إيجاد الفصل ثمّ أنّ ذلك الشّوق يحرّك القّوة المنبعثة في العضلات و هنالك يتحرّك الأعصاب و الأعضاء فذلك الشّوق المنبعث من القوّة الشّوقية الحيوّانية أو النطقيّة العلمية هو الإرادة وتلك القوّة المنبعثة هي القدرة و عليه فالدّاعي ليس إلاّ التصدّيق بالفائدة إذ ليس في عبادي الفعل شيئاً فَيُسّمىٰ بالدّاعي إذا علمت هذا فنقول ما معنىٰ خلق الدّاعي أو الدّاعية الّتي إذا إنضَمت الىٰ القُدرة توجب الكفر أو الإيمان أليست الإرادة واسطة بين الدّاعية عني بها التصدّيق والقدرة ألَيست الإرادة شيئاً والقدرة شيئاً أخر مع أنّا نقول عَلمنا وأرَدنا و قَدرنا و فعلنا و لتفصيل البحث فيه موضع أخر.

و أمّا قوله في الإستدلال علىٰ المدّعىٰ أن كان المرّجح بفعل اللّه فثبت المطلوب وأن كان بفعل العَبد يلزم التسّلسل فنقول في جوابه أنّ المُرّجح بفعل العبد قولكم يلزم التّسلسل فهو ممنُوع لأنّ المرّجح هنا الأرادة لتّوسطها بين الدّاعي والقُدرة كما عرفت والإرادة مسبوقة بالإختيار و علىٰ هذا لايلزم التّسلسل و هو معلوم لا خفاء فيه.

نعم لو كان المُرّجح من اللّه يلزم الجَبر و لا نقول به و ممّا ذكرناه يظهر لك أنّ كلامه لا أساس له و ما لا أساس له لا يتبنىٰ عليه شئ هذا أوّلاً.

ثانياً:نقول أنّ معنىٰ الإختيار في العَبد هو إستواء الطّرفين (الفعل والتّرك) بالنّسبة الىٰ القُدرة وحَدها و هذا لا ينافي وجوب أحَد الطّرفين بسبب الإرادة فمتىٰ فعل المرّجح و هو الدّاعي علىٰ قولكم، و تعلّق به الإرادة الجازمة وجب الفعل و متىٰ لم يحصل إمتنع و هذا غير منافٍ للقدرة فأنّ القادر هو الّذي يصحّ منه الفعل و التّرك قبل تحقّق الدّاعي و مع قطع النّظر عن الإرادة و لهذا قالوا الوجوب بالإختيار لا ينافي الإختيار بل يحقّقه فالقول بالجَبر لا معنىٰ له.

و أمّا القائلون بالتفوّيض و هو أنّ العبد فاعل مستقل بالإيجاد بلا مدخليّة لإرادة اللّه في فعل العبد فنقول في جوابهم هذا القول تفويض محض و تَشريك في الخالقيّة و قد ورد في ذمّ هؤلاء القدرية، أنّ القدّرية مجوس هذه الأمّة و يأبى اللّه تعالىٰ عزّ وجلّ من أن يجري في ملكه شئ بغير إرادته كما ورد عن النّبى صلّى الله عليه وآله وسلّم.

ماشاء اللّه كان وما لَم يَشاء لَم يَكن و سيأتي الكلام في بحث الجَبر والتفوّيض في محلّه مفصّلاً إن شاء اللّه تعالىٰ.

فيبقىٰ في المقام القول الثّالث و هو أنّه لا جَبر و لا تفويض بل أمرٌ بين الأمرين، و هذا هو الحقّ الّذي لا مرية فيه وهو المأثور عن أئمتنا الطّاهرين سلام اللّه عليهم أجمعين و حاصله أنّ الإرادة علىٰ الفعل من العبد و التّوفيق أعني به عدم إيجاد المانع أورَفعه من إجراء الإرادة فهو من اللّه تعالىٰ و لأجل ذلك نقول و أياك نستعين ثمّ نقول.

أزمّة الأمور طرّاً بيده والكلّ مستّمدة من مدَده

فلو كان إيجاد الفعل علىٰ وجه الإستقلال من اللّه تعالىٰ كما يقول به الجَبري أو أنّه كذلك من العبد كما يقول به القَدّري لا معنىٰ للإستعانة من اللّه تعالىٰ لأنّ معنىٰ الإستعانة طلب الإعانة من اللّه تعالىٰ علىٰ الفعل و هو دليل عدم إستقلال العَبد به أو إستقلال اللّه به بل الفعل يصدر من العبد بتَوفيق اللّه

و ارادته و لا شكّ أنّ الجَبر إفراطٌ و التّفويض تفريط و ما نحن فيه هو الوَسَط و خير الأمور أوسَطها.

اذا عرفت هذه المقّدمة الّتي أوضَحنا فيها المسالك في المقام بحسب الأعمال فنقول:

قوله تعالىٰ: **خَتَمَ اللّٰهُ عَلىٰ قُلُوبِهِمْ وَ عَلىٰ سَمْعِهِمْ** معنىٰ الخَتم علىٰ القلب والسَّمع ليس ما ذكره الجبري من خلق اللّه تعالىٰ الكفر في العبد بحيث لا يقدر علىٰ الخروج منه اذ لو كان كذلك يلزم الظّلم عليه تعالىٰ وأيّ ظلم أفحش من إيجاد الكفر في الإنسان و سلب القدرة عن دَفعه و رَفعه ثمّ العقاب علىٰ كفره يوم القيامة أليس للعبد أن يقول غداً في موضع الحساب العقاب.

إلٰهي ما ذنبي و تقصيري و لأيّ شئٍ صرت مستحقّاً للعقاب و قد خلقتني كافراً في الدّنيا و لم أقدر علىٰ الخروج من الكفر والدّخول في الإيمان، فما يقول اللّه في جوابه و هذا واضح و لا أظنّ أنّ العقل السّليم يقبل هذا القول واللّه تعالىٰ و رسوله بريئان منه

أن قلت فما معنىٰ الآية قلتُ معنىٰ الآية أنّ الكفّار في قوله تعالىٰ:**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا** لما جَحدوا الرّبوبية و أنكروا الخالق بالمرّة علىٰ ما سبق شرحه في السّابقة بحيث لم يفدهم الإنذار من النّبي و كان ذلك أي إختيارهم الكفر بارادتهم و سُوء سريرتهم لا جرم سلب منهم التّوفيق فَوكلهم اللّه الىٰ أنفسهم فبقوا في الكُفر ولم يخرجُوا منه فعبّر عن سلب التّوفيق لِلإهتداء بالخَتم والطّبع مجازاً فقال تعالىٰ: **خَتَمَ اللّٰهُ عَلىٰ قُلُوبِهِمْ وَ عَلىٰ سَمْعِهِمْ** ، فإسناد الخَتم الىٰ تعالىٰ مجاز لا حقيقة فكأنّه قال اللّه تعالىٰ لمّا أنكروا الرّبوبية وأصرّوا عليه لم يوفقهم اللّه علىٰ الإيمان.

و حيث أنّ الخَتم علىٰ القلب مسبب عن عدم التّوفيق فالكلام خرج مَخرج الإستعارة من قبيل ذكر المسّبب و إرادة السّبب و هذا ممّا لا إشكال فيه و

◁ الإعراب

أُمِّيُّونَ مبتدأ و منهم خبره قدّم عليه لأنّ الظّرف ممّا تُوسع عليه و يجوز علىٰ مذهب الأخفش أن يرتفع بالظّرف لاٰ يَعْلَمُونَ في موضع رفع صفة لقوله، أُمّيون اَلاّٰ اَمٰانِيَّ إستثناء منقطع لأنّ الأماني ليست من جنس العلم وَاِنْ هُمْ إن بمعنىٰ النفى اِلاّٰ يَظُنُّونَ أي قومٌ يظنون فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ مبتدأ و خبر الْكِتٰابَ مفعول به بمعنى المكتوب لِيَشْتَرُوا اللام متعلقة بيقولون قَليلاً حال مِمّٰا كَتَبَتْ اَيْديهِمْ ما بمعنىٰ الّذي أو نكرة موصوفة أو مصّدرية وكذلك ممّا يكسبون اِلاّٰ اَيّٰاماً منصوب علىٰ الظّرف وأصل أيّام أيوام، لأنّه من اليوم قلّبت الواو ياءً و أدغمت الياء في الياء تخفيفاً اَتَّخَذْتُمْ الهمزة للإستفهام و همزة الوصل محذوفة إستغناءً بها عنها و هو بمعنىٰ جعلتم المتعدّية الىٰ مفعولٍ واحد فَلَنْ يُخْلِفَ التقدّير فيقولون لَن يخلف مٰا لاٰ تَعْلَمُونَ ما بمعنىٰ الّذي أو نكرة و لا تكون مصّدرية هُنا بَلىٰ حرف يثبت به المجيب المنّفي قبله مَنْ كَسَبَ في مَن، وجهان.

أحدهما هي بمعنىٰ الّذى.

الثّانى: أنّها شرّطية و علىٰ الوجهين مِن مبتدأ إلاّ أنّ، من كسب، لا موضع لها أن كانت مَن موصولة ولها موضع أن كانت شرّطية والجواب فَاُولٰئِكَ و هو مبتدأ و أصحاب النّار خبره، والجملة جواب الشّرط أو خبر مَن.

◁ التّفسير

قوله: وَمِنْهُمْ اُمِّيُّونَ الىٰ أخر الآية معناه أنّ من اليهود و قيل من اليهود و المنافقين أُمّيون، أي مَن لا يكتب و لا يقرأ إلاّ أمانّي قيل إلاّ بمعنىٰ لكن فهو إستثناء منقطع كقوله تعالىٰ و مالهم به علم إلاّ إتّباع الظّن، و في الآية مسائل:

الأولىٰ: أنّه يستفاد من قوله تعالىٰ: مِنْهُمْ بعض اليهود كانوا كذلك لأنّ كلمة

مِن، للتّبعيض و أنّما قلنا ذلك لأنّ كلّهم لم يكونوا من الأُمّيين فأنّ علمائهم كانوا يكتبون و يقرأون.

الثّانية: قالوا في وجه تسمّية من لا يحسن الكتابة بأمّي وجوهاً:

أحدها: أنّ الأمة الخلقة فسمّي أُمّياً لأنّه باقٍ علىٰ خلقته و منه قول الأعشي:

و أنّ معاوية الأكرمين حسان الوجوه طوال الأمَم

ثانيها: أنّه مأخوذ من الأمّة التّي هي الجماعة أي هو علىٰ أصل ما عليه الأُمّة في أنّه لا يكتب لأنّه يتستفيد الكتابة بعد أن لم يكن يكتب.

ثالثها: أنّه مأخوذ من الأُمّ أي هو علىٰ ما ولدته أُمّه في أنّه لا يكتب و قيل أنّما نسب الىٰ أُمّه لأنّ الكتابة أنّما تكون في الرّجال دون النّساء و هذه الوجوه الثّلاثة ذكرها الطّبرسی.

رابعها: ما ذكره بعض المفسّرين من العامّة و هو أنّهم سمّوا به لأنّهم لم يصّدقوا بِامّ الكتاب نقلوه عن ابن عبّاس.

خامسها: ما نُسب الىٰ أبي عبيدة أنّه قال قيل لهم أُمّيون لنزُول الكتاب عليهم كأنّهم نُسبوا الىٰ أُمّ الكتاب فكأنّه قال ومنهم أهل الكتاب لا يعلمون الكتاب.

سادسها؛ ما قيل هم قومٌ من أهل الكتاب رفع كتابهم لذنُوب إرتكبوها فصاروا أُمّيين.

أقول هذه الوجوه السّتة كلّها لا يرجع الىٰ محصّل و أنّما اخترعوها من عند أنفسهم و قد غفلوا عن أصل المعنىٰ و ذلک لأنّ الأُمّي منسوب الىٰ الأُمّ و هذا ممّا لا كلام فيه و الامّ في اللّغة الأصل فأنّهم يقولون أُمّ الشّئ أصلَه كما نقلناه عن الرّاغب.

و قال في المُنجد **الأُمّ**، الوالدة، أصل الشّئ و قال في مجمع البَحرين وأنّه في أُمّ الكتاب أي في أصل الكتاب و أُمّ الكتاب أيضاً فاتحة الكتاب لأنّها أوّله و

أصله و بالجملة هذا قول جميع أهل اللّغة فيما نَعلم و عليه فالأُمّي مَنسُوب الىٰ الأُمّ الّذي هو أصله والأصل في الإنسان عدم الكتابة والقراءة لأنّه حين الولادة لا يعلم شيئاً من القراءة والكتابة فكلّ من يطلق عليه الأُمّي فهو بهذا المعنىٰ و إطلاق الأُمّ علىٰ الوالدة لكونها هي الأصل دون الأب فأنّ الإنسان يولد من والدته لا من أبيه و أمّا ما ذكره الطّبرسي ﵀ في الوجه الثّالث من أنّ الكتابة تكون في الرّجال دون النّساء فلا وجه له بل أنّما نَسب الىٰ أُمّه لما ذكرناه من الوجه و هو إصالتها بالنّسبة لىٰ الأولاد.

و بالجملة لا يطلق الأُمّ الا علىٰ الأصل اذا عرفت هذا فنقول النّاس علىٰ قسمين:

قسم منهم باقون علىٰ أصل و لادتهم لا يعلمون شيئاً من القراءة و الكتابة فهم الأُمّيون و قسمٌ عالم بهما فهُم غير أُمّيين أن قلت فما معنىٰ الأُمّي في رسول اللّه ﷺ قلتُ معناه أنّه وُلد في أُمّ القرىٰ و أصلها و هو أرض مكّة الا انّه كان الىٰ أخر عمره أُمّيا بالمعنىٰ الّذي ذكروه أي كان ﷺ لا يقرأ و لا يكتب و ذلک لأنّ النّبي و لا سيّما نبيّنا الّذي هو أفضل الأنبياء و أكملهم لا يجوز أن يكون أُمّياً بهذا المعنىٰ الّذي ذكروه أي كان لا يعلم القراءة و الكتابة وأيّ نقصٍ في الرّسول أعظم من نقص الجهل بهما أليست الكتابة و القراءة من الكمالات و قد ثبت أنّ الرّسول جامع لجميع الكمالات و سيأتي تحقيقه إن شاء اللّه.

فقوله تعالىٰ: **وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاٰ يَعْلَمُونَ الْكِتٰابَ** معناه أنّ بعض اليهود كانوا باقين علىٰ الأصل لا يعلمون بعض الكتاب أي لا يكتبون و لا يقرأون كما هو شأن العوام من كلّ قومٍ و أمّا قوله تعالىٰ: **اِلاّٰ اَمٰانِيَّ وَاِنْ هُمْ اِلاّٰ يَظُنُّونَ** فقد قيل في معناه وجوه:

أحدها: أن تكون الاماني بمعنىٰ الأكاذيب و عليه فالمعنىٰ أنّ الأُمّيين لا

يعلمون من الكتاب إلاّ الأكاذيب و الموهومات التّي ليست من الكتاب بشئٍ.

ثانيها: أنّ الأماني بمعنىٰ ما يتمّناه الإنسان ويشتهيه يعني لا يعلمون من الكتاب إلاّ ما يَتمّنونه من حطام الدّنيا و لذلك يحرّفونه.

ثالثها: أنّهم يتمّنون علىٰ اللّه ما ليس لهم.

رابعها: أن تكون الأمنية بمعنىٰ التّلاوة والمعنىٰ لا يعلمون من الكتاب إلاّ تلاوته كما قال الشّاعر:

تـمّنىٰ كـتاب اللّـه أول ليـلةٍ　　وأخـره لا فـي حـمام المـقادر

و قال أخر:

تَـمّنىٰ كـتاب اللّـه أخـر لـيـلة　　تَـمّنىٰ داود الزّبُـور عـلىٰ رسلٍ

خامسها: أنّ المراد بالأماني الأحاديث المُختلفة نقل هذا القول عن القّراء

سادسها: أن يكون الأماني بمعنىٰ التّقدير يـقال مـنى له أي قَـدّر حكـاه القرطبي عن الجوهري و منه قول الشّاعر:

لا تَأمَنَّن وأن أمَسَيت فـي حَـرَم　　حتّىٰ تلاقي ما يَمني لك المـاني

أي يقدّر لك المقّدر قال في الكشّاف والأماني من الإستثناء المنقطع و قرأ بأماني بالتخفّيف، ذكر العلماء الّذين عاندوا بالتّحريف مع العلم والإستيقان ثمّ العوام الّذين قلّدوهم ونبّه علىٰ أنّهم في الضّلال سواء لأنّ العالم عليه أن يَعمل بعلمه و علىٰ العامي أن لا يرضىٰ بالتقلّيد والظّن و هو متمكّن من العلم و قوله: **وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ** إن نافية نحو قوله تعالىٰ: **إِنِ ٱلْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ**[1] و قوله **يَظُنُّونَ** أي لا علم لهم بصحّة ما يقولون لأنّهم مقلدون لأحبارهم فـيما يقررون به والظّن ترجيح أحد الجانبين علىٰ الأخر لإمارةٍ صحيحة و ليس هو من قبيل الإعتقادات علىٰ الصحّيح من المَذهَب و من النّاس من قال أنّه إعتقاد ثمّ إعلم أنّ معنىٰ الآية بناءً علىٰ ما ذكروه في معنىٰ الأُمّي والأمانّي يصير هكذا

۱- الملک = ۲۰

ومن اليهود أُمّيون لا يعلمون معاني الكتاب و أنّما حفظوا ألفاظاً ممّا ألقاه اليهم أحبارهم و ظنّوا أنّها من الكتاب و ليست منه و كيف كان فالأية دالّة علىٰ ذمّ التّقليد في الإعتقادات كما هو الحقّ هذا تمام الكلام في هذه الأية.

و أمّا الآية الثّانية: و هي قوله تعالىٰ: **فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابِ** الىٰ آخر الأية.

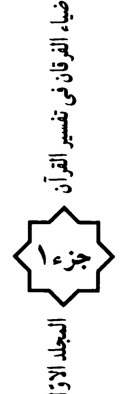
فهي نزلت في شأن علماء اليهود والمراد بالكتاب في الآية معناه اللّغوي لا التّوراة والإنجيل مثلاً و الّدليل عليه قوله تعالىٰ: **ثُمَّ يَقُولُونَ هٰذَا مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ** و هو دليلٌ علىٰ أنّهم كانوا يكتبون كتاباً من عند أنفسهم ثمّ يقولون هو من عند اللّه والكتّاب مصدر بمعنىٰ المكتوب و أنّما فعلوا ذلك **لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَليلاً** قيل كتابتهم بأيديهم أنّهم عمدوا الىٰ التّوراة و حرّفوا صفة النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ليواقعوا الشكّ بذلك للمتّقين من اليهود و هو المرّوي عن أبى جعفرالباقر و عن جماعة من أهل التفسّير و قيل كانت صفة في التّوراة إسمه ربعة فجعلوه آدم طويلاً و نقل عن عكرمة عن إبن‌عبّاس قال أنّ أحبار اليهُود وجدوا صفة النّبي مكتوبة في التّوراة أكحل أعين ربعة حسن الوجه فمحوه من التّوراة حسداً و بغياً فأتاهم نفر من قريش فقالوا أتجدون في التّوراة نبّياً منّا قالوا نعم نجده طويلاً أرزق سبط الشّعر ذكره الواحدي بأسناده في الوسيط وكان غرضهم من هذا الفعل أخذ الأموال من عوامهم و ذِكرُ لفظ الإشتراء من باب التّوسع والمراد أنّهم تركوا الحقّ و أظهروا الباطل ليأخذوا علىٰ ذلك شيئاً كمن يشتري السّلعة بما يعطيه ثمّ هَدَّدهم اللّه بقوله: **فَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ اَيْديهِمْ** أي عذاب و خزى لهم ممّا فعلوا من تحريف الكتاب **وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ** من الأموال أو من المعاصي والرّشىٰ الّتي يأخذويها من العوام.

قد روي عن الإمام العسكري عليه السلام في قوله تعالىٰ: فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ[1] قال عليه السلام: قال اللّه تبارك و تعالىٰ هذا القوم من

١– البقرة= ٧٩

اليهود كتبوا صفة زعموا أنّها صفة محمّدٍ و هي خلاف صفته و قالوا لِلمستضعفين منهم هذه صفة النّبي المبعوث في آخر الزّمان أنّه طويل عظيم البدن والبَطن أهدَف أصهَب الشّعر و محمّد بخلافه و هو يجئ بعد هذا الزّمان بخمس مِائة سنة وأنّما أرادوا بذلك لتبقىٰ علىٰ ضعفائهم رئاستهم و تدوم لهم أصاباتهم ويكفّوا أنفسهم مؤونة خدمة رسول اللّه و خدمة علّيٍ و أهل خاصّته فقال اللّه عزّ وجلّ: **فَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ اَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ** من هذه الصّفات المحرّنات المخالفات لِصفة محمّدٍ و علّيٍ الشدّة من العذاب في أسوَء بقاع جهنّم و ويلٌ لهم الشّدة من العذابٌ ثانية مضافة الىٰ الأولىٰ ممّا يكسبونه من الأموال الّتي يأخذونها إذا أثبتوا أعوانهم علىٰ الكّفر بمحمّدٍ والجَحَد لوّصيه و أمينه علّيٍ ولي اللّه انتهىٰ.

أمّا الآية الثّالثة: و هي قوله تعالىٰ: **وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ اِلاَّ اَيَّاماً مَّعْدُودَةً** فالمعنىٰ أنّ اليهود قالت لن تَمسَّناالنّار أي لن تصيبنا إلاّ أيّاماً مَعدُودة أي أيّاماً قلائل فقال اللّه تعالىٰ قل لهم يا محمّد، أتّخذتم عند اللّه عَهداً، أي موثقاً أنّه لا يعذّبكم إلاّ هذه المدّة و عَرفتم ذلك بوحيه و تنزيله فأن كان كذلك فلن يخلف اللّه عهده، أم تقولون علىٰ اللّه ما لا تعلمون جهلاً منكم به و قيل أنّ النّبي صلّى اللّه عليه وآله وسلّم قال لليهود، من أهل النّار، قالوا نحن ثمّ تخلفونا أنتم فقال كذبتم لقد علمتم إنّا لا نخلفكم فنزلت هذه الآية ونقل عن عكرمة من إبن عبّاس قدم رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم المدينة واليهود تقول أنّما الدّنيا سبعة آلاف و أنّما يعذّب النّاس في النّار لكلّ ألف سَنةٍ من أيّام الدّنيا يوم واحد من أيّام الأخرة و أنّما هي سبعة أيّام فأنزّل اللّه الآية و قالت طائفة أخرىٰ قالت اليهود أنّ في التّوراة أنّ جهنّم مسيرة أربعين سنة وأنّهم يقطعون في كلّ يومٍ سنة حتّىٰ



يكملوها و تذهب جهنّم و عن إبن عاس زعم اليهود أنّهم وجدوا في التّوراة مكتوباً أنّ ما بين طَرَفي جَهنّم مسيرة أربعين سنة الىٰ أن يـنتهوا الىٰ شـجرة الزّقُوم و قالوا أنّما نُعذّب حتّىٰ ننتهي الىٰ شجرة الزّقوم فنذهب جهنّم و تهلك.

و عنه أيضاً أنّ اليهود قالت أنّ اللّه أقسم أن يدخلّنهم النّار أربعين يوماً عَدَد عبادتهم العِجل فأكذبهم اللّه كما تقّدم أقول و يُؤيد القول الأخير ما في تفسير علّي ابن إبراهيم عند هذه الآية قال عليه‌السلام قال بنو إسرائيل لَن تَمسّنا النّار إلاّ الأيّام المعدودات التّي عَبدنا العِجل فرَدّ اللّه عَليهم قل يا محمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم لهم أتَّخَذتم عند اللّه عَهداً أم تَقولون علىٰ اللّه ما لا تعلمُون، و في قوله تعالىٰ فَلن يخلف اللّه عَهده.

■

وَإِذْ اَخَذْنٰا مِيثٰاقَ بَنِىَ إِسْرٰآئِيلَ لاٰ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّٰهَ وَبِالْوٰالِدَيْنِ إِحْسٰاناً وَذِي الْقُرْبىٰ وَالْيَتٰامىٰ وَالْمَسٰاكِينَ وَقُولُوا لِلنّٰاسِ حُسْناً وَاَقِيمُوا الصَّلٰوٰةَ وَآتُوا الزَّكٰوةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْكُمْ وَاَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ وَاِذْ اَخَذْنٰا مِيثٰاقَكُمْ لاٰ تَسْفِكُونَ دِمٰائَكُمْ وَلاٰ تُخْرِجُونَ اَنْفُسَكُمْ مِّنْ دِيٰارِكُمْ ثُمَّ اَقْرَرْتُمْ وَاَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾

◁ اللّغة

اَخَذْنٰا: الأخذ حوز الشّئ وتحصيله.

وَبِالْوٰالِدَيْنِ: الأَب والأُمّ.

الْقُرْبىٰ: مصدر قربت منّي رحِم فلان قرابةً وقُربىٰ وقرباء.

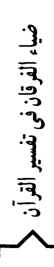
وَالْيَتٰامىٰ: جمع يتيم مثل ندامىٰ جمع نديم واليتيم الّذي مات أبوه.

وَالْمَسٰاكِينَ: جمع مسكين و هو المُتَخشع المُتّذلل من الحاجة.

تَوَلَّيْتُمْ: أي أعرضتُم.

تَسْفِكُونَ: السّفك الصَّب.

دِمٰائَكُمْ: الدّماء جمع الدّم.



◁ الإعراب

لاٰ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّٰهَ فيها وجوهٌ من الإعراب أحَسَنها أنّها في موضع نصب علىٰ الحال تقديره أخذنا ميثاقهم مُوَحدين وإلاّ الّله، مفعول، تعبدون، إلاّ قليلاً منكم، النّصب علىٰ الإستثناء المُتّصل **وَاَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ** مبتدأ وخبر والجملة في موضع الحال المُؤكدة **وَاَنْتُمْ تَشْهَدُونَ** مبتدأ و خبر في موضع الحال.

◁ التّفسير

و أذكروا **وَإِذْ اَخَذْنا ميثاقَ بَنِيَ اِسْرآئيلَ** و هم أولاد يعقوب كما مرّ شرحه علىٰ أمور:

أحدها: أن **لاٰ تَعْبُدُونَ اِلاَّ اللّٰهَ**.

ثانيها: **وَبِالْوٰالِدَيْنِ اِحْسٰاناً**.

ثالثها: **وَّذِي الْقُرْبىٰ وَالْيَتٰامىٰ وَالْمَسٰاكينَ**.

رابعها: **وَقُولُوا لِلنّٰاسِ حُسْناً**.

خامسها: **وَاَقيمُوا الصَّلٰوةَ وَاٰتُوا الزَّكٰوةَ** فالمسائل خمسة.

المسألة الأولىٰ: في تفسير قوله: **لاٰ تَعْبُدُونَ اِلاَّ اللّٰهَ** قلنا سابقاً أنّ العبَودية إظهار التذلّل والعبادة أبلغ منها لأنّها غاية التذلّل و لا يستحقّها إلاّ من له غاية الإفضال و هو اللّه تعالىٰ ولهذا قال اللّه و لا تَعبدوا إلاّ إيّاه ثمّ أنّ العبادة تارةً بالتّخيير كما مرّ في السّجود و أخرىٰ بالإختيار و هي لِذوي النّطق و هي المأمور بها في المقام وغيره نحو قوله أعبُدوا ربّكم، وأعبدُوا اللّه، و لا تَعبدُوا إلاّ إيّاه، وأعبد ربّك حتّىٰ يأتيك اليقين و أمثالها من الأيات ثمّ أنّ العبادة في أصل اللّغة غاية التذلّل كما مَرّ وفي الإصطلاح هيَ المواظبة علىٰ الفعل المأمور به.

قال المحقّق الطّوسي ﺭﺣﻤﻪ ﺍﻟﻠﻪ علىٰ ما نقل عنه، عبادة اللّه ثلاثة أنواع، الأوّل ما يجب علىٰ الأبدان كالصّلاة والصّيام والسّعي في المواقف الشّريفة لمناجاته تعالىٰ شأنه.

الثّانى: ما يجب علىٰ النّفوس كالإعتقادات الصّحيحة من العلم بتوحيد اللّه و ما يستّحقه من الثّناء والتّمجيد والفكر في ما أفاضه اللّه سبحانه علىٰ العالم من وجوده و حكمته ثمّ الإتّساع في هذه المعارف.

الثّالث: ما يجب عند مشاركات النّاس في المدن و هي في المعاملات و المزارعات و المناكحات و تأدية الأمانات و نصح البعض للبعض بضروب المعاونات و جهاد الأعداء والذّب عن الحريم و حماية الحوزة انتهىٰ ماذكره و أمّا حقيقة العُبودّية كما ورد عن الصّادق عليه‌السلام في حدث عنوان البصري ثلاثة أشياء:

أحدها: أن لا يرىٰ العبد لنفسه فيما خوَّله اللّه مِلكاً لأنّ العبيد لا يكون لهم ملك بل يرون المال مال اللّه يصنعونه حيث أمَرهم اللّه.

ثانيها: أن لا يدّبر العبد لنفسه تدبيراً.

ثالثها: جملة إشتغاله فيما أمَرَه اللّه و نهاه عنه فاذا لم يَر العبد فيما خَوّله مِلكاً هان عليه الإنفاق واذا فوض العبد تدبير نفسه الىٰ مدّبرها هانت عليه مصائب الدّنيا و اذا إشتغل العبد فيما أمره اللّه و نهاه لا يتفرغ منها الىٰ المراء و المباهات مع النّاس فاذا أكرم اللّه العبد بهذه الثّلاث هانت عليه الدّنيا الحديث.

المسألة الثّانية:**وَبِالْوٰالِدَيْنِ إِحْسٰاناً** الإحسان مصدر قولك أحسن إحساناً و هو مأخوذ من الحسن، والحسن عبارة عن كلّ مُبتهج مرغوب فيه و ذلك ثلاثة أضرب، مُستحسن من جهة العقل، مُستحسنٌ من جهة الهَوىٰ، مُستّحسنٌ من جهة الحسّ، والحسنة يعبّر بها عن كلّ ما يسّر من نعمةٍ تنال الإنسان في نفسه و بَدنه وأحواله والسّيئة تضّادها، والإحسان يقال علىٰ وجهين:

أحدهما: الإنعام علىٰ الغير يقال أحَسَن فلان.

الثّاني: الاحسان في فعله و ذلك اذا علم علماً حَسناً أو عَلم عملاً حَسَناً و علىٰ **هذا قول أمير المؤمنين** عليه‌السلام **النّاس أبناء ما يُحسنون، أي منسُوبون الىٰ ما يعلمون، وما يعملونه من الافعال الحَسَنة** قال اللّه تعالىٰ:**اَلَّذىٓ أَحْسَنَ**

كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُ[١] و الإحسان أعمّ من الإنعام قال اللّه تعالىٰ: **إِنَّ ٱللّٰهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ ٱلْإِحْسٰانِ** [٢] فالإحسان فوق العَدل و ذلك لأنّ العدل هو أن يُعطي ما عليه و يأخذ ماله، والإحسان أن يُعطي أكثر ممّا عليه و يأخذ أقلّ ممّا له فالإحسان زائد علىٰ العَدل فتحرّي العَدل واجب و تحرّي الإحسان ندب و تطوّع اذا عرفت معنىٰ الإحسان فنقول قوله تعالىٰ: **وَبِالْوٰالِدَيْنِ إِحْسٰاناً** معناه أن تُعطي الوالَدين أكثر ممّا عليك و تأخذ منهما أقلّ وكيف كان فالإحسان مطلقاً أمرٌ مرغوب فيه شرعاً و عقلاً بالنّسبة الىٰ اى شخصٍ كان مع ذلك هو بالنّسبة الىٰ الوالدين أحَسن و أفضل وكفىٰ في ذلك أنّ اللّه تعالىٰ قرن الإحسان بهما الىٰ عبادة اللّه و طاعته في كثير من الأيات فذكر بعد الأمر بالعبادة الإحسان الىٰ الوالدين و هو يدّل علىٰ أنّ الإحسان بهما بعد عبادة اللّه وطاعته في الشّرف والفَضل:

قال اللّه تعالىٰ: **وَ ٱعْبُدُوا ٱللّٰهَ وَ لا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَ بِالْوٰالِدَيْنِ إِحْسٰانًا**[٣]

قال اللّه تعالىٰ: **قُلْ تَعٰالَوْا أَتْلُ مٰا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلّٰا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَ بِالْوٰالِدَيْنِ إِحْسٰانًا**[٤]

قال اللّه تعالىٰ: **وَ قَضٰى رَبُّكَ أَلّٰا تَعْبُدُوٓا إِلّٰآ إِيّٰاهُ وَ بِالْوٰالِدَيْنِ إِحْسٰانًا**[٥]

قال اللّه تعالىٰ: **أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَ لِوٰالِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ**[٦]

قال اللّه تعالىٰ: **وَ وَصَّيْنَا ٱلْإِنْسٰانَ بِوٰالِدَيْهِ إِحْسٰانًا**[٧]

قال اللّه تعالىٰ: **وَ وَصَّيْنَا ٱلْإِنْسٰانَ بِوٰالِدَيْهِ حُسْنًا**[٨]

قال اللّه تعالىٰ: **وَ بَرًّا بِوٰالِدَيْهِ وَ لَمْ يَكُنْ جَبّٰارًا عَصِيًّا**[٩] و غيرها من الأيات.

١- السجدة = ٧
٢- النحل = ٩١
٣- النّساء = ٣٦
٤- سورة الأنعام أية ١٥١
٥- الإسراء = ٢٣
٦- لقمان = ١٤
٧- الأحقاف = ١٥
٨- العنكبوت = ٨
٩- مريم = ١٤

ومن الأخبار :

قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: كُن بارّاً وأقصر علىٰ الجنّة وأن كنت عاقّاً فأقصر علىٰ النّار.

و عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم في كلام له إيّاكم و عقوق الوالدين فأنّ ريح الجنّة تُوجد من مسيرة ألف عامٍ و لا يجدها عاق الحديث.

و قال صلى الله عليه وآله وسلم: من أصبَح مسخطاً لأبويه أصبَح له بابان مفتوحان الىٰ النّار.

و قال الصّادق عليه السلام: من نظر الىٰ أبويه نظر ماقت وهما ظالمان له لم يقبل اللّه له صلاة.

و قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: كلّ المسلمين يَروني يوم القيامة إلاّ عاق الوالدين وشارب الخمر.

و قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: برّ الوالدين أفضل من الصّلاة و الصّوم و الحجّ و العمرة و الجهاد في سبيل اللّه.

و قال صلى الله عليه وآله وسلم: مَن أصبَح مرّضياً لأبويه أصبَح له بابان مفتوحان الىٰ الجنّة.

و قال رجل للرّضا عليه السلام: أدعوا لوالّدي اذ كانا لا يعرفان الحقّ قال عليه السلام أدعُ لهما و تصّدق عنهما و أن كانا حيين لا يعرفان الحقّ فدارهما فأنّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم قال أنّ اللّه بَعثني بالرّحمة لا بالعقوق.

و الأحاديث نقلناها عن جامع السّعادات لِلنّراقي [1].

و يظهر من الأيات أنّ الإحسان اليهما والبّر بهما ممّا هو كان ثابتاً في جميع

۱- ج ۲ ص ۲۵۷

الأديان كما ترىٰ في الآية المبحوثة عنها مع أنّها خطاب لبني إسرائيل و هو كذلك فأنّ الإحسان بهما لا يختّص بقوم خاصّ.

المسألة الثّالثة: في تفسير قوله تعالىٰ **وَّذِي الْقُرْبىٰ وَالْيَتامىٰ وَالْمَساكِينَ** الواو للعطف أي وأحسنُوا الىٰ ذي القُربىٰ واليتامىٰ و المساكين أيضاً، والإحسان الىٰ ذي القُربىٰ أي تصلوا رحمه و تعرفوا حقّه و باليتامىٰ بأن تعطّفوا عليهم بالرّأفة و الرّحمة، وبالمساكين أن توفوهم حقوقهم التّي ألَزمها اللّه في أموالكم وقد أُشير الىٰ هذا في كثير من الأيات:

قال اللّه تعالىٰ: **وَ اٰتَى اَلْمالَ عَلىٰ حُبِّهِ ذَوِى اَلْقُرْبٰى وَ اَلْيَتٰامىٰ وَ اَلْمَسٰاكِينَ**[1].

قال اللّه تعالىٰ: **وَبِالْوالِدَيْنِ اِحْسٰاناً وَّذِي الْقُرْبىٰ وَالْيَتٰامىٰ وَالْمَسٰاكِينَ**[2].

قال اللّه تعالىٰ: **إِنَّ اَللّٰهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ اَلْإِحْسٰانِ وَ اِيتٰآءِ ذِى اَلْقُرْبٰى**[3]

و أمثالها من الأيات.

و عن تفسير الإمام قال عليه السلام: و أمّا قوله عزّ وجلّ و ذىالقُربىٰ فهم من قراباتك من أبيك و أُمّك قيل لك أعرف حقّهم كما أخذ به العهد علىٰ بني إسرائيل وأخذ عليكم معاشر أُمّة محمّدٍ بمعرفة حقّ قرابات محمّد الّذين هم الأئمة بعده و من يليهم بعد من خيار أهل دينهم.

قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: من رَعىٰ حقّ قرابات والديه أعطىٰ في الجنّة ألف درجة ما بين الدّرجتين حفر الفَرس المضمر مائة سنة إحدىٰ الدّرجات من فضّة والأخرىٰ من ذَهَب والأخرىٰ من لؤلؤ والأخرىٰ

١- البقرة= ١٧٧
٢- سورة النّساء أية ٣٦
٣- النّحل= ٩٠

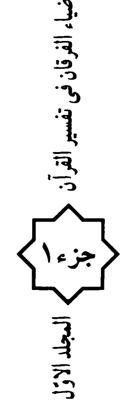
من زُمّرد و أخرىٰ من زَبرجد و أخرىٰ من مسكٍ و أخرىٰ من عَنبرٍ و أخرىٰ من كافور و تلك الدّرجات من هذه الأصناف و من رَعىٰ حقّ قربىٰ محمّدٍ و علّي أعطىٰ من فضل الدّرجات و زيادة المثوبات علىٰ قدر زيادة فضل محمّدٍ وعلّي علىٰ أبوي نَسَبه و أمّا قول اللّه عزّ وجلّ واليتامىٰ فأنّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم قال حثّ اللّه عزّ وجلّ علىٰ برّ اليتامىٰ لإنقطاعهم عن أبائهم فمن صانهم صانه اللّه و من أكرَمهم أكَرمه اللّه ومن مسح يده برأس يَتيم رِفقاً به جعل اللّه له في الجنّة لكلّ شعرةٍ من تحت يده قصراً أوسَع من الدّنيا بما فيها و فيها ما تشتهي الأنفس وتلّذ الأعين وهم فيها خالدون الىٰ أن قال عليه السلام و أمّا قوله عزّ وجلّ: وَالْمَسٰاكِينَ و هو من سكن الضرّ و الفقر حركته ألا فمن و اساهُم بحواشي ماله وسَّع اللّه عليه خبانه و أناله غفرانه و رضوانه.

المسألة الرّابعة: قوله تعالىٰ: **وَقُولُوا لِلنّٰاسِ حُسْناً** قد مرّ معنىٰ الحُسن، و المقصود من هذا القَول الحَسن الجميل و هو ممّا إرتضاه اللّه و أحَبّه نقل هذا عن ابن عبّاس.

و قيل المراد به الأمر بالمعروف والنّهي عن المُنكر عن سفيان الثّوري و قال الرّبيع بن أنَس أي قولوا لِلنّاس مَعرُوفاً.

و روي عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: قولوا للنّاس أحَسن ما تحبّون أن يقال لكم فأنّ اللّه يبغض اللّعان السّباب الطّعان علىٰ المؤمنين الفاحش السّائل المخلف و يحبّ الحليم العفيف المتّعفف.

قال الطّبرسي رحمه الله بعد نقله ما نقلناه ثمّ إختلف فيه من وجهٍ أخر هو عامّ في المؤمن والكافر علىٰ ما روي عن الباقر عليه السلام: و قيل هو خاصّ في المؤمن أقول الحقّ أنّه عامّ فيهما لما رُوي عن



الصّادق عليه السلام: أنّه قال قولوا لِلنّاس حُسناً كلّهم مؤمنهم ومخالفهم أمّا المؤمنون فيبسط لهم وَجهه و بَشره و أمّا المخالفون فيكلّمهم بالمداراة لإجتذابهم الىٰ الإيمان فأن ييأس من ذلك يكّف شرورهم عن نفسه وأخوانه المؤمنين ثمّ قال عليه السلام مداراة أعداء اللّه من أفضل صدقة المرء علىٰ نفسه وأخوانه كان رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم في منزله اذا إستأذن عليه عبد اللّه بن أبي بن مسلول فقال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم بئس أخو العشيرة أئذنوا له فلما دَخل أجلَسه و بشر في وجهه فلمّا خرج قالت له عائشة يارسول اللّه قلت فيه ماقلت و فَعلت فيه من البشر ما فعلت فقال رسول اللّه ياعويش ياحُميراء أنّ شرّ النّاس عند اللّه يوم القيامة من يكرم إتّقاء شرّه انتهىٰ.

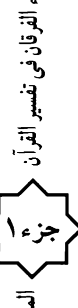
و في الكافي عن الصّادق عليه السلام: لا تقولوا إلاّ خيراً حتّىٰ تعلمُوا ماهو انتهىٰ.

المسألة الرّابعة: قوله تعالىٰ: **وَاَقيمُوا الصَّلٰوةَ وَآتُوا الزَّكٰوةَ** و قد مرّ الكلام في إقامة الصّلاة و إيتاء الزّكاة عند قوله تعالىٰ: **وَ أَقيمُوا الصَّلٰوةَ وَ اٰتُوا الزَّكٰوةَ وَ ارْكَعُوا مَعَ الرّٰاكِعينَ** (١) فلا نعيد الكلام في المقام و أمّا قوله: **ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ اِلاّٰ قَليلاً مِنْكُمْ وَاَنْتُمْ مُعْرِضُونَ** ففيه إشارة الىٰ إعراضهم و إدبارهم عن الحقّ إلاّ قليلاً منهم لقوله تعالىٰ: **وَ قَليلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ** (٢) و هو لا يَختّص باليهود بل حكم عامّ يشمل جميع الأُمم ثمّ قال تعالىٰ: **وَ إِذْ أَخَذْنا ميثاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِمٰاءَكُمْ وَ لا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ** (٣) فالمعنىٰ فأذكروا يابني إسرائيل اذا أخذنا ميثاقكم علىٰ أسلافكم و علىٰ كلّ من يصل اليه الخبر بذلك من أخلافكم الّذين أنتم فيهم، **لا**

١- البقرة= ۴۳
٢- سبا=١٣
٣- البقرة= ٨۴

تَسْفِكُونَ دِمٰائَكُمْ بـقتل بـعضكم بـعضاً، **وَلاٰ تُـخْرِجُونَ اَنْـفُسَكُمْ مِّـنْ دِيٰارِكُمْ**، أي لا يخرج بعضكم بعضاً من ديـارهم، و ذلک لأنّ ملّتهم كـانت واحدة وأمرهم واحد وكانوا في الأُمم كالشّخص الواحد جعل قتل بـعضهم بعضاً و إخراجهم كذلك قتلاً وإخراجاً لأنفسهم ونفياً لها و قيل المراد القصاص أي لا يقتل أحد فيُقتل قصاصاً فكأنّه سَفَك دمه وكذالک لا يزني و لا يرّتد فأنّ ذلك يبيح الدّم و لا يُفسد فينفىٰ فيكون قد أخرج نـفسه مـن ديـاره، و نـقل الشّيخ قدّس سرّه في التّبيان قولاً أخر و هو أن يكون المراد لا يقتل الرّجل منكم غيره فيُقاد به قصاصاً فيكون بذلك قاتلاً نفسه لأنّه كالسّبب فيه و اضيف قتل الوّلي إيّاه قصاصاً اليه بذلك كما يقال لرجلٍ يعاقب لجنايةٍ جناها علىٰ نـفسه أَنت جَنيت علىٰ نفسك، قال وفيه قول ثالث و هو أنّ قـوله:و **اَنْـفُسَكُمْ** أراد بـه أخوانكم لأنّهم كنفسٍ واحدة، ثمّ أقـرّرتم و أنـتم تشـهدون، أي ثـمّ أقَـرّرتم بالميثاق و إعترفتم علىٰ أنفسكم بلزومه و أنتم تشهدون عليهاكقولك فلان مُقرٌّ علىٰ نفسه بكدا أي شاهد عليها، و قيل معناه أنتم تشـهدون اليـوم يـامعشر اليهود علىٰ إقرار أسلافكم بهذا الميثاق.

■



ثُمَّ اَنْتُمْ هٰؤُلاۤءِ تَقْتُلُونَ اَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِّنْكُمْ مِّنْ دِيارِهِمْ تَظٰاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْاِثْمِ وَالْعُدْوانِ وَاِنْ يَّأْتُوكُمْ اُسارىٰ تُفٰادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ اِخْراجُهُمْ اَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَما جَزآءُ مَنْ يَّفْعَلُ ذٰلِكَ مِنْكُمْ اِلاَّ خِزْيٌ فِى الْحَياةِ الدُّنْيا وَيَوْمَ الْقِيامَةِ يُرَدُّونَ اِلىٰٓ اَشَدِّ الْعَذابِ وَمَا اللّٰهُ بِغٰافِلٍ عَمّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ اُولٰٓئِكَ الَّذينَ اشْتَرَوُا الْحَياةَ الدُّنْيا بِالْاٰخِرَةِ فَلاٰ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذٰابُ وَلاٰهُمْ يُنْصَرُونَ ﴿٨٦﴾

◁ اللّغة

تَظٰاهَرُونَ: أي تعاونون يقال ظاهرته عليه أي عاونته.

بِالْاِثْمِ وَالْعُدْوٰانِ: الإثم والأثام إسمٌ للأفعال المبطئة عن الثّواب و جمعه أثام.

العدوان والعَدو: التّجاوز و منافاة الإلتئام فتارة يعتبر بالقلب فيقال له العدّاوة والمعاداة و تارةً بالمشي فيقال العدو و تارة في الإخلال بالعدالة في المعاملة فيقال له العُدوان والعدو.

اُسٰارىٰ: جمع أسير و هو مأخوذ من الأسر و هو الشّد بالقيد ثمّ قيل لكلّ مأخوذٍ ومقيّد وأن لم يكن مشدّداً.

◁ الإعراب

ثُمَّ اَنْتُمْ هٰؤُلاۤءِ: أنتم مبتدأ وفي خبره ثلاثة أوجه:

أحدها: تقتلون فعلىٰ هذا في **هؤلاء** وجهان:

أحدهما: في موضع نصب بإضمار أعنى.

الثّانى: هو منادىٰ أي ياهؤلاء.

والوجه الثّانى: أنّ الخبر **هؤلاء** علىٰ أن يكون بمعنىٰ، الّذين، وتقتلون صلّة.

والوجه الثّالث: أنّ الخبر **هؤلاء** علىٰ تقدير حذف مضاف تقديره ثمّ أنتم مثل هؤلاء فعلىٰ هذا، تقتلون حال يعمل فيها معنىٰ التّشبيه **تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ** في موضع نصب علىٰ الحال العامل فيها تخرجون و صاحب الحال الواو والأصل **تتظاهرون**، فقلبت التّاء الثّانية ظاءً و أدغمت و يقرأ بضمّ التّاء وكسر الهاء و التّخفيف و ما فيه ظاهر **وَالْعُدْوَانِ** مصدر مثل الكفران **أُسَارىٰ** حال **وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ** هو مبتدأ و محرّم خبره **إِخْرَاجُهُمْ** مرفوعٌ بمحرّم و يجوز أن يكون مبتدأ و محرّم خبره و إخراجهم، بَدل من الضّمير في، محرّم أو من هُو **فَمَا جَزَاءُ** ،ما نفي والخبر، خزي و يجوز أن يكون، ماء إستفهامية و هو مبتدأ و جزاء خبره **إِلاَّ خِزْيٌ** بدلٌ من جزاء **يَفْعَلُ ذٰلِكَ مِنْكُمْ** في موضع نصب علىٰ الحال من الضّمير في يفعل **فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** صفة للخزي و الباقي ظاهرٌ.

◁ التّفسير

إعلم أنّه لمّا ذكر اللّه تعالىٰ في الآية السّابقة أنّه أخَذ الميثاق منهم أن لا يَسفكوا دمائهم و أن لايُخرجوهم من ديارهم ذكر في هذه الآية أنّهم قد نَقضُوا عهد اللّه و ميثاقه و عملوا بخلاف ما عاهدوا اللّه عليه فلذلك وبخّهم و قال ثمّ أنتم هؤلاء يامعشر اليهود تقتلون أنفسكم الآية و في قوله: **أَنْتُمْ هٰؤُلَاءِ**:

أحدهما: أنّه بحذف حرف النّداء و التقدّير ثمّ أنتم يا هؤلاء فترك ياء، لدلالة الكلام عليه كما في قوله يوسف أعرض عن هذا، أي يايوسف أعرض عن هذا، و عَليه فمعنى الكلام ثمّ أنتم يامعشر اليهود بعد إقراركم بالميثاق الّذي أخَذته عليكم ألاّ تَسفكوا دمائكم الىٰ أخر الآية ما وَفيتُم به مع أنّه كان حقّاً لازماً عليكم فتَصلُون أنفسكم و تخرجون فريقاً منكم من ديارهم متعاونين عليهم في إخراجكم إيّاهم بالإثم و العُدوان و التّظاهر التّعاون وأنّما قيل



للتّعاون التّظاهر لتقوية بعضهم ظَهر بعضٍ فهو تفاعل من الظَّهر قال الشّاعر:

تـظاهرتُم أشباه نـيب تَـجَّمَعت عـلىٰ واحدٍ لازلتـم قَـرن واحدٍ

قال اللّه تعالىٰ: **وَ إِنْ تَظاهَراٰ عَلَيْهِ فَإِنَّ اَللّٰهَ هُوَ مَوْليٰهُ**[۱].

قال اللّه تعالىٰ: **وَ لَوْ كاٰنَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**[۲].

قال اللّه تعالىٰ: **وَ اَلْمَلاٰئِكَةُ بَعْدَ ذٰلِكَ ظَهِير**[۳].

ثانيها: أن يكون المعنىٰ ثمّ أنتم القوم **تَقْتُلُونَ اَنْفُسَكُمْ** فيرجع الى الخبر عن أنتم و قال بعضهم أنّ هؤلاء في الآية تنبيه و توكيد، لأنتم و أن كان كناية عن أسماء جميع المخاطبين فأنّما جاز أن يؤكّد بهؤلاء وأولاء يكنّى بها عن المخاطبين كما قال الشّاعر:

أقـول له والرّمـح يأطـر مَـتَنه تَـبّين خـفافاً أنّـني أنـا ذالكـا

و الإثم قيل في معناه هو ما تنّفر عنه النّفس و لم يطّمئن اليه القلب و منه قول النّبي لنواس ابن سمعان، البّر ما إطّمأنت اليه نفسك و الإثم ماحك في صَدرك، و قال قوم الإثم ما يتحقّ عليه الذّم و هو الأصحّ و أمّا العدوان فهو مجاوزة الحقّ و قيل أنّه الإفراط في الظّلم، وأسارىٰ فقد قيل أنّها جمع أسير، و قيل أنّ الأسير جمعه أسرىٰ و جمع أسرىٰ أُسارىٰ و الأوّل أشهر وكيف كان فالأُسارىٰ هم الّذين في الوثاق والأسرىٰ الّذين في اليد و أن لم يكونوا في الوثاق هكذا قيل، ومعنىٰ تُفادوهم، طلب الفدية من الأسير الّذي في أيديهم من أعداءهم قال الشّاعر:

قِـفي فأدي أسـيرك أنّ قـومى وقـومك مـاأرىٰ لهـم إجتماعاً

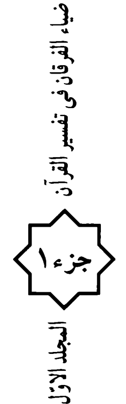
و قوله: **وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرٰاجُهُمْ** إشارة الىٰ أنّ طلب الفدية منهم كان حراماً في مذهب اليهود و أن كان مباحاً لنا في شرعنا ولذلك وَبخّهم الّه تعالىٰ عليه و قال قومٌ أنّه إفتداء الأسير منهم اذا أسرَه أعداءهم و هذا مدحٌ لهم ذكره

۱- التحريم = ۴ ۲- الاسرا= ۸۸

۳- التحريم = ۴

من بعد ذمّهم أنّهم خالفوه في سفك الدّماء و تابعُوه في إقتداء الأُسارىٰ إستشهاداً علىٰ هذا الباطل بقوله: **اَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ.**

و قال قوم الفرق بين تفدوهم وتفادوهم، أنّ نفدوهم هو إنفكاكٌ بمال و تُفادوهم هو إفتكاك الأُسارىٰ بالأُسارىٰ و إختلفوا فيمن قصد بهذه الآية فعن ابن عبّاس أنّ قوله: **ثُمَّ اَنْتُمْ هٰؤُلاٰءِ** الىٰ قوله: **وَالْعُدْوانِ** أُريد بهم أهل الشّرك حتّىٰ يسفكوا دمائهم معهم و يخرجوهم من ديارهم معهم قال أخبَرهم بذلك عن فِعلهم و قد حرّم عليهم في التّوراة سفك دمائهم و إفترض عليهم فيها فداء أسراهم و كانوا فريقين طائفة منهم بنو قينقاع و أنّهم حلفاء الخزرج و حلفاء النّضير و قريظة وأنّهم حلفاء الأُوس وكانوا اذا كانت بين الأُوس و الخزرج حربٌ خرجت بنو قينقاع مع الخزرج وبنو النّضير و قريظة مع الأُوس يظاهر كلّ فريقٍ حلفاؤه علىٰ أخوانه حتّىٰ يتسافكوا دمائهم بينهم و بأيديهم التّوراة يعرفون منها ما عليهم و لهم والأُوس والخزرج أهل شركٍ يعبدون الأوثان و لا يعرفون جنّةً و لا ناراً و لا قيامةً و لا كتاباً و لا حراماً و لا حلالاً فاذا وضعت الحَرب أوزارها إفتدوا أسراهم تصديقاً لما في التّوراة، و أخذاً به يفتدي بنوقينقاع من كان من أُساراهم في أيدي الأُوس و يفتدي بنو النّضير و قريظة ماكان في أيدي الخزرج ويطلبون ما أصابوا من الدّماء و ما قتلوا من قَتلوا منهم فيما بينهم مُظاهرة لأهل الشّرك عليهم يقول اللّه تعالىٰ حين أخبرهم بذلك **اَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ** أي تفادونهم بحكم التّوراة و في حكم التّوراة أن لا يقتل و لا يخرج من داره و يظاهر عليه من يشرك باللّه و يعبد الأوثان من دونه إبتغاء عرض الدّنيا ففي ذلك من فِعلهم مَع الأُوس والخزرج نزلت هذه القصّة و قوله: **يَأْتُوكُمْ أُسارىٰ تُفادُوهُمْ** الىٰ قوله: **وَتَكْفُرُونَ** القصد بذلك توبيخهم وتعنيفهم علىٰ سُوء أفعالهم فقال تعالىٰ (ثمّ أنتم بعد إقراركم بالميثاق الّذي أخذته عليكم تقتلون أنفسكم يعني يقتل



بعضكم بعضاً و أنتم مع قتلكم من تقتلون منكم اذا وجدتم أسيراً منكم في أيدي غيركم من أعدائكم تفادوهم و يخرج بعضكم بعضاً من ديارهم و قتلكم إيّاهم و إخراجكم إيّاهم من ديارهم حرامٌ عليكم كما حرام عليكم تركهم أُسارىٰ في أيدي عدّوكم فكيف تَستجيزون قتلهم و لا تَستجيزون ترك فدائهم و هما جميعاً حرامٌ عليكم،**اَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتٰابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ** فتقتلون من حَرّمت عليكم قتله من أهل دينكم ومن قومكم و في قوله: **فَمٰا جَزٰآءُ مَنْ يَّفْعَلُ ذٰلِكَ مِنْكُمْ اِلاّٰ خِزْيٌ فِى الْحَيٰاةِ الدُّنْيٰا** فالخزي الذّل والصّغار ثمّ إختلفوا في الخزّي الّذي أخزاهم اللّه بما سَلف منهم في المعصية فقال بعضهم ذلك حكم اللّه الّذي أنزله علىٰ نبّيه من أخذ القاتل بما قَتَل والقود به قصاصاً والإنتقام من الظّالم للمظلوم.

و قال بعض أخر بل ذلك هو الجزية منهم ما أقاموا علىٰ دينهم ذلّةً لهم و صغاراً.

و قال أخرون، الخزي الّذي خَزوا به في الدّنيا إخراج رسول اللّه بني النّضير من ديارهم لأوّل الحشر، و قيل مقاتلة بني قُريظة و سبي ذراريهم و كان ذٰلِك مِنْكُمْ اِلاّٰ خِزْيٌ فِى الْحَيٰاةِ الدُّنْيٰا و في الأخرة عذابٌ عظيم، و يوم القيامة يردّون الىٰ أشدّ العذاب، أي أسوء العذاب بعد الخزي في الدّنيا الّذي أعدّه اللّه لأعدائه و قوله: **وَمَا اللّٰهُ بِغٰافِلٍ عَمّٰا تَعْمَلُونَ**، أي عمّا تعملون في الدّنيا فأنّ الدّنيا مزرعة الأخرة ثمّ أردف كلامه في اليهود وما فعلوا من الإثم والعُدوان بقوله: **أُولٰئِكَ اَلَّذِينَ اَشْتَرَوُا اَلْحَيٰوةَ اَلدُّنْيٰا بِالْاٰخِرَةِ فَلاٰ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ اَلْعَذٰابُ وَ لاٰ هُمْ يُنْصَرُونَ** [1] أي أُولئك الّذين أخَبر عنهم بأنّهم يؤمنون ببعض الكتاب و يكفرون ببعضٍ هم الّذين إشتروا رئاسة الدّنيا والحياة الفانية فيها عِوضاً من نعيم الأخرة الّذي أعدّه اللّه للمؤمنين فَجَعل اللّه تعالىٰ تركهم حظوظهم من

١- البقرة=٨٦

نعيم الأخرة بكفرهم باللّه ثمناً لما إبتاعوه من خسيس الدّنيا و من كان كذلك فلا حظ لهم في الأخرة و لهم عذابٌ فيها غير مخّفف عنهم و لا هم ينصرون، أي لا ينصرهم أحد في الأخرة فيدفع عنهم العذاب و هذا هو الخسران المبين و قال الطّبري في تفسير قوله تعالىٰ: **ثُمَّ أَنْتُمْ هَٰؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ**.

قال كان في بني إسرائيل اذا إستضعفوا قوماً أخرجوهم من ديارهم و قد أخَذ عليهم الميثاق أن لا يسفكوا دمائهم و لا يخرجوا أنفسهم من ديارهم و أخَذ عليهم الميثاق أن أسر بعضهم أن يُفادوهم فأخرجوهم من ديارهم ثـمّ فادوا منهم فأمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض أمنوا بالفداء فـفَدوا و كَـفروا بالإخراج من الدّيار فأخرجوا.

و نقل عن ابي العالية أنّ عبد اللّه ابن سلام مرّ علىٰ رأس الجالوت بالكوفة و هو يُفادي من النّساء من لم يقع عليه العَرب و لا يُفادي من وقع عليه العَرب فقال له عبد اللّه ابن سلام أما أنّه مكتوب عندك في كتابك أن فادوهنّ كلّهنّ انتهىٰ.

أقول و قد ورد في رواياتنا أنّه لمّا نـزلت الآيـة فـي اليـهود الّـذين نقضوا عَهد اللّه من بعد ميثاقه و كَذّبوا رسل اللّه و قتلوا أولياء اللّه قال رسـول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: أفلا أُنبئكم بمن يضاهيهم مـن هـذه الامّـة قالوا بلىٰ يارسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال قوم من أُمّتي ينتحلون أنّهم من أهل مـلّتي يـقتلون أفـاضل ذرّيـتي و أطـائب أرومـتي و يُـبدّلون شريعتي و سُنّتي و يقتلون ولَـدي الحَسـن و الحُسـين كـما قَـتل أسلاف اليهود زكرّيا و يحيىٰ ألا و أنّ اللّه يلعنهم كما لَعنهم و يبعث علىٰ بقايا ذرّاريهم قبل يوم القيامة هادياً مهَدياً مـن ولد الحسـين المظلوم يجرّهم بسيوف أولياءه الىٰ نار جهنّم انتهىٰ.

و قيل نزلت في أبى ذر و عثمان و القصّة مشهورة.

■



وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسىَ الْكِتابَ وَقَفَّيْنا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنا عيسىَ ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّناتِ وَأَيَّدْناهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّما جاءَكُمْ رَسُولٌ بِما لا تَهْوىٰ أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقالُوا قُلُوبُنا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللّٰهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً ما يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمّا جاءَهُمْ كِتابٌ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُمْ وَكانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمّا جاءَهُمْ ما عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللّٰهِ عَلَى الْكافِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِما أَنْزَلَ اللّٰهُ بَغْياً أَنْ يُنَزِّلَ اللّٰهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلىٰ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ فَباؤُوا بِغَضَبٍ عَلىٰ غَضَبٍ وَلِلْكافِرِينَ عَذابٌ مُهِينٌ ﴿٩٠﴾

◁ اللّغة

وَقَفَّيْنا:القفا، معروف يقال قفوتَه أحسبت قفاه وقَفَوتُ أثره تَبعتُ قفاه وقَفيّته جعلته خَلفَه.

أَيَّدْناهُ: التأييد التّقوية.

بِرُوحِ الْقُدُسِ: و هو جبرائيل عليه السلام.

تَهْوىٰ: الهوىٰ ميل النّفس الىٰ الشّهوة و قيل سُمّي بذلك لأنّه يهوي بصاحبه في الدّنيا الىٰ كلّ داهية و في الأخرة الىٰ الهاوية.

غُلْفٌ: قيل هو جمع أغلف كقولهم سيفٌ أغلَف أي هو في غلاف والحقّ أنّه جمع غلاف و الأصل فيه غُلف بضمّ اللاّم و قد قرأ به نحو كتب.

بَغْياً: البَغى طلب تجاوز الإقتصاد فيما يتحرّر تجاوزه أو لم يتجاوزه.
غَضَبٍ: الغَضب ثوران دمّ القَلب إرادة الإنتقام.
مُّهِينٌ: من أهانَ يُهين و هو مأخوذ من الهَوان والهَوان العذاب المتضمن لِشدّةٍ و إهانةٍ ويُمسكه علىٰ هُونٍ، بضمّ الهَاء أي علىٰ هوانٍ و ذلٍّ.

◁ الإعراب

وَقَفَّيْنَا الياء بدلٌ من الواو لقولك قفَوته و هو يَقفُوه أَفَكُلَّمَا الهَمزة لِلإستفهام التّوبيخي فَقَلِيلاً منصوب علىٰ أنّه صفة لِمصدرٍ محذوفٍ و ما زائدة أي فإيماناً قليلاً يؤمنون مِّنْ عِنْدِ اللّٰهِ في موضع نصب لإبتداء غاية المجئ أو في موضع رفع صفة لِكتاب مُصَدِّقٌ بالرّفع صفة لِكتاب أو بالنصب علىٰ الحال بِئْسَمَا اشْتَرَوْا ما نكرة غير موصوفة منصوبة علىٰ التّمييز اَنْ يَّكْفُرُوا خبر مبتدأ محذوف أي هو أن يكفروا بَغْياً مفعول له أو منصوبٌ علىٰ المصدر اَنْ يُّنَزِّلَ اللّٰهُ مفعول لاجله مَنْ يَّشَآءُ من نكرة موصوفة مِنْ عِبَادِهِ حال من لهاء المحذوفة.

◁ التّفسير

ذكر اللّه سبحانه أنعامه علىٰ قوم اليهُود بإرساله الرّسُل و إنزاله الكُتب و ما قابلوه بالتكذّيب فقال لَقَدْ اٰتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ و هو التّوراة الّتي أنزَله اللّه تعالىٰ علىٰ مُوسىٰ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ أي أتبَعنا و أردَفنا من بعد موسىٰ، بِالرُّسُلِ رسولاً بعد رسولٍ يتبع الأخر الأوّل في الدَّعوة الىٰ التّوحيد والأخذ بدين الحقّ الّذي فيه سعادة الدّارين و حلاوة النّشأتين علىٰ منهاجٍ واحد لأنّ جميع الأنبياء بعد موسىٰ الىٰ عيسىٰ عليه السلام كانوا علىٰ طريق موسىٰ بُعثوا لإقامة التّوراة والعمل بما فيها الىٰ أن وصلت النّوبة الىٰ عيسىٰ إبن مَريم عليهما السلام كما قال



وَ ءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ أي أعطيناه المُعجزات والكرامات الدّالات علىٰ نُبوّته من إحياء الموتىٰ وإبراء الأكمه و الأبرص وغير ذلك و قيل المراد بالبيّنات الإنجيل و ما فيه من الأحكام والأيات **وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ** أي قوّيناه به و إتّفقوا علىٰ أنّ المراد به جبرئيل قال حسّان:

وجبريل رسُول اللّه فينا ورُوح القُدس ليس به خفاءُ

قال النحّاس، و سمّي جبرئيل روحاً وأضيف إليه القُدس لأنّه كان بتكوين اللّه عزّ وجّل له رُوحاً من غير و لادة والد ولده وكذلك سُمّي عيسىٰ رُوحاً لذلك.

و روي عن مجاهد أنّه قال: القُدس هو اللّه عزّ وجل ورُوحه جبريل.

عن إبن عبّاس أنّه قال، رُوح القُدس، هو الإسم الّذي كان يحي به عيسىٰ الموتىٰ و قيل هو إسم اللّه الأعظم و قيل المراد به الإنجيل فسمّاه رُوحاً كما سمّىٰ القرأن روحاً في قوله: **وَ كَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا**[1] والقُدس الطّهارة، و قيل في وجه تسمّية جبريل بالرُّوح لأنّه يُحي بما يأتي من البّينات الأديان كما تُحيىٰ بالأرواح الأبدان، و قيل سُمّي به لغَلبة الرُّوحانية عليه و كذلك سائر الملائكة و أنّما خصّ بهذا الإسم تشريفاً له.

و أمّا قوله تعالىٰ: **أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنْفُسَكُمُ** الىٰ أخر الأية ففيه إشعار بأنّ مخالفة اليهود بل كلّ النّاس للانبياء أنّما هي لأجل مخالفة الأديان للطّبائع والأهواء فلو كان الرّسول يأتي بدينٍ يُوافق طبائع النّاس و أهوائهم و غرائزهم لم يُخالفوه قطعاً فعِنادهم لِلرّسول أنّما هو لأجل دينه الّذي أتىٰ به وما قاله اللّه تعالىٰ صدق و من أصدَق من اللّه قيلاً و لذلك لا تُوجد نبّياً بعثه اللّه الىٰ النّاس في كلّ عصرٍ و زمانٍ إلاّ و هو كان مُواجهاً بمخالفة العامّة مع أنّهم كانوا من أفضَل النّاس خُلقاً و خلقاً و حَسباً و نَسَباً و عِلماً و

١- الشورى = ٥٢

أُرومةً ألا ترىٰ أنّ نبيّنا ﷺ كان قبل البعثة مَحبوباً في النّاس ملقّباً فيهم بالأمين و لمّا بُعث صار مبغُوضاً إليهم و رَمُوه بالكذِب والجُنون والسِّحر و أمثالها ومن المعلوم أنّه ﷺ كان بمعزلٍ عن هذه الأمُور إلاّ أنّه دعاهم الىٰ التّوحيد و العَدل و المعاد و أمثالها من الأُمور التّي لا تقبلها طبائع النّاس و غرائزهم قالوا فيه ما قالوا و هذا كان جارياً في جميع الأنبياء من البَد و الىٰ الخَتم فأنّ حكم الأمثال واحد و لذلك قال اللّه تعالىٰ: **أفكلّما جاءَكم رَسُولٌ** أي من عند اللّه، بما لا تَهوىٰ، أي لا تميل، **اَنْفُسَكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ** أي أنّ الأنبياء كانوا كذلك، إمّا مَقتولُون، كما قتلوا يحيىٰ و زكرّيا.

و قد روي أنّ بنىإسرائيل قتلوا في يوم واحدٍ سبعين نبيّاً و لذلك سَلَّط اللّه عليهم بخت النَّصر فقتل منهم من قتل.

و أمّا قوله تعالىٰ: **وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللّٰهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَا يُؤْمِنُونَ** معناه أنّ اليهُود قالوا قلُوبنا غُلفٌ أي أوعية للعلم فما بالها لا تفهم.

و قال عَكرمة أي عليها طابع و قال بعض أي أنّها مستُورة عن الفهم والتّمييز.

و قال الشّيخ في التّبيان المعنىٰ عندنا أنّ اللّه أخبر أنّ هؤلاء الكّفار إدعوّا أنّ قلوبهم ممنوعة من القبول و ذهبوا الىٰ أنّ اللّه مَنعهم من ذلك فقال اللّه تعالىٰ رَدّاً عليهم **بَلْ لَعَنَهُمُ اللّٰهُ بِكُفْرِهِمْ** أي أنّهم لمّا كفروا منعهم اللّه من الألطاف والفوائد ما يؤتيه المؤمنين ثواباً علىٰ إيمانهم و تَرغيباً لهم في طاعتهم و زجر الكافرين عن كفرهم لأنّ من سَوّىٰ بينَ المُطيع و العاصي له فقد أساءَ إليهما و في الآية ردّ عَلى المجبّرة أيضاً لأنّهم قالوا مثل ما قال اليهود إنتهىٰ موضع الحاجة من كلامه.

أقول لمّا كانت الآية بظاهرها تدّل علىٰ الجَبر لأنّ قولهم قلوبنا غُلفٌ، أي أجنّها مغشّاة بأغطية مانعة من وصول أثر الدَّعوة إليها ومن المعلوم أنّهم لم

يجعلوا قلوبهم كذلك بل اللّه تعالىٰ خلق القلُوب كذلك و إذا كان الأمر علىٰ هذا المِنوال فليس الإنسان مُقصّراً في عدم قبوله الحقّ.

والجواب عنه من وجهين:

أحدهما: أنّا لا نسلّم أنّ اللّه تعالىٰ خلق قلُوبهم كذلك بل الغُلف فيها كانت بسبب أعمالهم الشّنيعة لأنّ المعصية تُوجب القساوة في القلب كما وَردت به الأخبار.

ثانيهما: أنّ اللّه تعالىٰ لَعنهم أي طرَدهم عن الحقّ بسبب كفرهم ثمّ إستولى الشّيطان عَليهم و أوقَعهم في موارد الهَلكة و لذلك أتىٰ في الآية بكلمة، بَل، التّي تفيد الإستدراك أي ليس الأمر كما ظنّوا من أنّ اللّه خلقهم كذلك بل العلّة في كون قلوبهم غُلفاً هو أنّه تعالىٰ أبعَدهم عن رحمته لكفرهم وعصيانهم و لازم ذلك عدم صلاّحية القلب لِدَعوة الحقّ و سيأتي فيه زيادة تحقيق في موضعه إنشاء اللّه تعالىٰ.

و أمّا قوله تعالىٰ: **وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللّٰهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ** فالمراد بالكتاب الإنجيل الّذي أتىٰ به عيسىٰ إبن مريم وكان مُصدّقاً لِما مَعهم، يعني التّوراة و هم أنكروه و أنكروا عيسىٰ أيضاً.

و قيل المراد بالكتاب القرأن و هو مُصدّق لِما مَعهُم من التّوراة والإنجيل والأخبار الّتي فيهما و أمّا قوله تعالىٰ: **وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا** أي كانوا يستَنصرُون علىٰ الأوس و الخزرج برسول اللّه قبل مَبعثه فلمّا بَعَثه اللّه في العَرب فقال لهم معاذ بن جبل و بشير إبن معرور يا معشر اليهود إتّقوا اللّه و أسلموا فقد كنتم تَستفتحُون علينا بمحمّدٍ صلى الله عليه وآله و نحن أهل الشّرك وتخبرونا بأنّه مبعوث فقال سلام بن مثكم ما جاء بشئٍ و ما هو بالّذي كنّا نذكر لكم فأنزل اللّه ذلك.

و قال قوم يستفتحُون معناه يستحكمُون ربّهم علىٰ كفّار العَرب كما قال

الشّاعر:

ألا أبلغ بني عصمٍ رسُولاً فأنّي عن فتاحتِكم غنّيُ

أي عن محاكمتكم و قالَ قوم معناه يستعلمُون من علمائهم صفة نبيٍ يبعث من العَرب و كانوا يصفونه فلمّا بُعث أنكروه.

أن قلت تدّل الآية علىٰ أنّهم كانوا عارفين بنُبوّته ﷺ لما رأوا من أوصافه في التّوراة فكيف أنكروه كفرهم بالرّسول بعد بعثه لا يخلو من وجوه ثلاثة.

أحدها: أنّهم كانوا يظّنون أنّ المَبعوث يكون من بني إسرائيل لكثرة من جاء من الأنبياء منهم و كانوا يرغبون النّاس في دينه و يدعونهم اليه فلمّا بَعث اللّه تعالىٰ محمّداً ﷺ من العَرب من نسل إسماعيل أعظم ذلك عليهم فأظهروا التّكذيب و خالفوا طريقهم الأوّل.

ثانيها: أنّهم كانوا معترفين بنبوّته واقعاً عند أنفسهم إلاّ أنّهم لم يظهروا به خوفاً منهم علىٰ زوال رئاستهم و اموالهم فأبوا و اصرّوا علىٰ الإنكار.

ثالثها: لَعلّهم ظّنوا أنّه مَبعُوث الىٰ العَرب خاصّة فلا جرم كفَروا به و في قوله تعالىٰ: **كَفَرُوا بِهِ** دليل علىٰ أنّ الكفر لا يختصّ بالجهل باللّه تعالىٰ و إنكاره فقط و أمّا قوله: **فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ** فالمراد الإبعاد من خيرات الأخرة لأنّ المبعد من خيرات الدّنيا لا يكون ملعُوناً و أيضاً فيه إشارة بأنّ لَعن من يستحقّ اللّعن من القول الحَسَن فلا يُنافي لعنهم في الآية قوله تعالىٰ: **وَ قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا**.

وأمّا قوله تعالىٰ: **بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْياً** ففيه إشارة الىٰ أنّ الكفر بما أنزل اللّه يتصوّر علىٰ قسمين.

الأوّل: أن يكون منشأ الكفر هو الجهل البسيط.

الثّاني: أن يكون منشأه العمد بمعنىٰ أنّه يعلم أو يقدر علىٰ أن يعلم و هو مع ذلك أنكر الحقّ بداعٍ من الدّواعي من حبّ الجاه والمال و أمثالهما.

أمّا الأوّل: فليس فيه كثير ذمّ نعم يجب عليه تحصيل العلم و هو أمر آخر.

أمّا الثّانى: فهو مذمومٌ عقلاً و شرعاً و عرفاً و هذا هو الّذي أُشير في الآية اليه فقال: **بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِۦٓ أَنْفُسَهُمْ** لأنّ الإشتراء لا يكون إلاّ مع العلم بالثّمن والمثّمن والبائع و المُشتري و حيث أنّ اليهود كان إنكارهم علىٰ هذا الأساس ونجّهم اللّه تعالىٰ والدّليل علىٰ ما ذكرناه قوله: **بَغْياً** أي إنّهم كفروا بالرّسول بسبب البَغي الموجود فيهم الدّال علىٰ كونهم ظالمين باغين معاندين، قال بعض المُحقّقين في معنى الشّراء في الآية وجهان:

أحدهما: أنّه بمعنى البيع و بيانه أنّه تعالىٰ لّما مكّن المكلّف من الإيمان الّذي يفضي به الىٰ الجنّة والكُفر الّذي يُؤدّي به الىٰ النّار إختياره لأحدهما علىٰ الأخر بمنزلة إختيار تملّك سلعةٍ على سلعة فإذا إختار الإيمان الّذي فَوزه فيه و نجاته به قيل نِعم ما أشتري و لّما كان الغَرض بالبيع و الشّراء هو إبدال مُلكٍ بِمُلكٍ صلح أن يُوصف كلّ واحدٍ منهما بأنّه بائع و مُشترٍ لوقوع هذا المعنىٰ من كلّ واحدٍ منهما فَصحّ تأويل قوله تعالىٰ: **بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِۦٓ أَنْفُسَهُمْ** بأنّ المراد باعوا أنفسهم بِكُفرهم لأنّ الّذي حصلّوه علىٰ منافع أنفسهم لّما كان هو الكُفر صاروا بائعين أنفسهم بذلك الوَجه الثّاني أنّ المكلّف إذا كان يخاف علىٰ نفسه من عقاب اللّه يأتي بأعمال يظّن أنّها تخلّصه من العقاب و توصلّه الىٰ الثّواب فقد ظنّوا أنّهم قد إشتروا أنفسهم بها فذّمهم اللّه تعالىٰ و قال: **بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِۦٓ أَنْفُسَهُمْ** ثمّ أنّه تعالىٰ بيّن تفسير ما أشتروا به أنفسهم بقوله: أن **يَّكْفُرُوا بِمَآ أَنْزَلَ اللّٰهُ** و لا شبهّة أنّ المراد بذلك كُفرهم بالقرآن لأنّ الخطاب لِليهود و كانوا مؤمنين بغيره ثمّ بيّن الوجه الّذي لأجله إختاروا هذا الكُفر بما أنزَل اللّه تعالىٰ فقال: **بَغْياً** و أشار بذلك الىٰ غرضهم بالكُفر كما يقال يُعادي فلان فُلاناً حَسَداً تَنبيهاً بذلك علىٰ غرضه و لولا هذا القول لَجوّزنا أن يكفروا جَهلاً لا بغياً إنتهىٰ.

و قوله: أن **يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلىٰ مَنْ يَشَآءُ مِنْ عِبادِهِ** فيه إشارة الىٰ أنّ منشأ البَغي فيهم هو الحَسَد لا شئ أخر و في قوله تعالىٰ: **فَبَآؤُوا بِغَضَبٍ عَلىٰ غَضَبٍ** يمكن أن يكون المراد مِن الغَضب الأوّل ما وجد من تكذيبهم عيسىٰ إبن مريم و من الثّاني من تَكذيبهم محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم فصار ذلك دخولاً في غَضبٍ بعد غَضبٍ و بسخطٍ بعد سَخط من قبله تعالىٰ لأجل أنّهم دخلوا في سَببٍ بعد سَببٍ، و يحتمل أن يكون المراد به تأكيد الغَضب و تكثيره لأجل أنّ هذا الكُفر و إن كان واحداً إلاّ أنّه عظيم و هو قول أبي مُسلم و ثالث الأقوال أنّ غَضَب الأوّل بِعبادتهم العِجل و الثّاني بِكتمانهم صِفة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم و جحدهم بنبوّته و رابعها ليس المراد إثبات غضبين فقط بل المراد اثبات أنواع من الغَضب مترادفة لأجل أُمور مُترادفة صَدرت عنهم نَحو قولهم عزيز إبن اللّه، يَد اللّه مغلُولة أنّ اللّه فقير و نحن أغنياء، إنكارهم صفة محمّد في التّوراة و نبوّته وغير ذلك من الأمور، و خامسها أنّ الغَضب الأوّل حين غيروا التّوراة قبل مبعث النّبي والغَضب الثّاني حين كَفروا بِمحمّدٍ صلّى الله عليه وآله وسلّم.

و أمّا قوله: **وَلِلْكافِرِينَ عَذابٌ مُهِينٌ** معناه للجاحِدين بِنبوّة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم عذاب مُهين من اللّه أمّا في الدّنيا و أمّا في الأخرة والمُهين هو الّذي يذّل صاحبه و يخزيه ويلبسه الهوان و قيل المُهين الّذي لا ينتقل منه الىٰ إعزازٍ و اكرامٍ و قد يكون غير مُهين إذا كان تَمحيصاً و تكفيراً يُنتقل بعده الىٰ إعزازٍ و تعظيم فعلىٰ هذا من ينتقل من عَذاب النّار الىٰ الجنّة لا يكون عذابه مُهيناً ثمّ أنّ الغضب عِبارة عن التغيّر الّذي يعرض لِلإنسان في مَزاجه عند غليان دَم قلبه بِسبب مُشاهدة أمرٍ مكروه و ذلک محال في حقّ اللّه تعالىٰ فهو مَحمول في المَقام و أمثاله علىٰ إرادته لِمن عَصاه الإضرار به من جهة اللّعن والأمر بذلك هذا تَمام الكلام في تفسير الآية و هو أعلم بكلامه و مفاده.

■

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٩٢﴾

◁ اللّغة

الْحَقُّ: مُقابل لِلباطل، و هو القول المُطابق لِلواقع و باقى اللّغات قد مرّ الكلام فيه غير مرّة.

◁ الإعراب

يَكْفُرُونَ أي و هم يكفرون والجّملة حال و العامل فيها قالوا **بِمَا وَرَاءَهُ** الضّمير تعود الىٰ **ما** والهمزة في وراء بدلّ من ياء لأنّ ما فاده واو لا يكون لامه، واو و يدّل علىٰ أنّه ياء ما في تَوأرَيتُ.

و قال إبن جنّي هي عندنا همزة لِقولهم و رئيّة بالهمز في التّصغير **وَهُوَ الْحَقُّ** جملة في موضع الحقّ والعامل فيها يكفرون **مُصَدِّقاً** حال مؤكّدة والعامل فيها ما في الحقّ من معنىٰ الفعل إذا المعنىٰ و هو ثابتٌ مصّدّقاً **فَلِمَ** ما هنا إستفهام و حذفت ألفها مع حَرف الجرّ للفرق بين الإستفهامية و الخبرّية و مثله فيم أنت، و عَمّ يتساءلون و مم خلِق **إِنْ كُنْتُمْ** جوابها محذوف دلّ عليه ما تقدم **بِالْبَيِّنَاتِ** يجوز أن يكون في موضع الحال من موسىٰ ويجوز أن يكون مفعولاً به أي بسَبب إقامة البيّنات **وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ** مُبتدأ و خبر والجّملة في موضع الحال أي والحال أنتم ظالمون.

◁ التّفسير

وَاِذٰا قيل لَهُمْ يعني لِليَهود الّذين تقّدم ذكرهم غير مرّةٍ في الأيات السّابقة **اٰمِنُوا** بالقلب و اللّسان و العَمل **بِمٰا اَنْزَلَ اللّٰهُ** من القرآن علىٰ محمّد والأحكام الّتي جاءَ بها **قٰالُوا نُؤْمِنُ بِمٰا اُنْزِلَ عَلَيْنٰا** يعني التّوراة **وَيَكْفُرُونَ** اليَهود، **بِمٰا وَرٰاءَه** أي يجدون بما بعده و هو الإنجيل والقرآن أو بما سوىٰ التّوراة من الكتب المنزّلة، **وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِّمٰا مَعَهُمْ** يعني أنّ القرآن والإنجيل حقٌّ مُصدّق لِما معهم من التّوراة **قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ اَنْبِيٰاءَ اللّٰهِ مِنْ قَبْلُ اِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ** أي قل لهم إن كنتم صادقين في إدّعائكم الإيمان بالتّوراة، **فَلِمَ تَقْتُلُونَ اَنْبِيٰاءَ اللّٰهِ** وقد حرّم اللّه تعالىٰ قتلَهم و قتل غيرهم فيها **وَلَقَدْ جٰاءَكُمْ مُّوسىٰ بِالْبَيِّنٰاتِ** الدّالة علىٰ صدقه، ثمّ إتخّذتم العجل الٰهاً و معبوداً لكم، من بعده أي من بعد موسىٰ لمّا فارقكم و مضىٰ الىٰ ميقات ربّه، ، **وَاَنْتُمْ ظٰالِمُونَ** أي والحال أنتم ظلمتم أنفسكم بإتّخاذكم العِجل إلٰهاً فيعلم منه أنّكم لَستُم بِصادقين في دعواكم الايمان بما أنزل عليكم.

إعلم أنّهم إختلفوا فى أنّ لفظة، ما، تفيد العموم أو لا تفيد، فالقائلون بافادتها العموم إستدّلوا علىٰ المُدّعىٰ بهذه الآية قالوا لأنّ اللّه تعالىٰ أمرهم بأن يؤمنوا بما أنزَل اللّه و لَم يعّين المراد به هل هو الإنجيل أو القرآن إتّكالاً علىٰ لفظة، ما، و حيث لم يدّل دليل علىٰ إرادة أحدهما فلفظة، ما، تشمل جميع ما أنزَل اللّه و لا نعني بالعمُوم إلاّ هذا و عليه فالمعنىٰ أنّهم أمروا بالإيمان بما أنزَل اللّه تعالىٰ من التّوراة و الإنجيل و القرآن، ولمّا لم يؤمنوا بالجّميع صاروا مُستحقّين للذّنب والتّوبيخ و ذلک لأنّهم قالوا **قٰالُوا نُؤْمِنُ بِمٰا اُنْزِلَ عَلَيْنٰا** يعني التّوراة فقط.

و قوله تعالىٰ: **وَيَكْفُرُونَ بِمٰا وَرٰاءَه وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِّمٰا مَعَهُمْ** دليل علىٰ أنّهم لم يؤمنوا بِجميع ما أنزَل اللّه لأنّهم كَفروا بما وراء التّوراة من الإنجيل

والقرآن، فقال تعالىٰ ردّاً عليهم ايمانهم بالتّوراة قُل: **فَلِمَ تَقْتُلُونَ اَنْبِيَآءَ اللّٰهِ مِنْ قَبْلُ اِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ** بالتّوراة فقد ثبت كذبهم في إدّعائهم الإيمان بها وفي الآية إشعار بأنّ الإيمان الواقعي لا يتحقّق إلاّ بقبول جميع الشّرائع والكُتب السّماوية و تصدّيق جميع الأنبياء والمُرسلين و هو كذلك والدّليل عليه أنّ الأنبياء كلّهم سُفراء اللّه الىٰ خَلقه لا فرقٌ بينهم من هذه الجهّة و أن كان بعضهم أفضل من بعضٍ و هو أمرٌ أخر، و إذا كان كذلك فإنكار أحدهم بمنزلة إنكار الجميع والدّليل علىٰ ما ذكرناه من كلام اللّه هو قوله في أوائل البقرة: **وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمٰا أُنْزِلَ اِلَيْكَ وَمٰا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ** و قوله: **لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ**.

و سيأتي تفصيل البحث فيه في موضعه و لاجل ذلك ذمّ اليَهود بما قالوا من الإيمان بالتّوراة والكُفر بما وراءه و في قوله: **مُصَدِّقاً لِّمٰا مَعَهُمْ** إشارة الىٰ أنّ التّوراة كانت مُشتملة علىٰ الأخبار عن نبوّته صلى الله عليه وآله وسلم وإلاّ لم يكن القرآن مُصدّقاً لها بل كان مكذّباً لها و إذا كانت التّوراة مشتملّة علىٰ نبوّته و هُم قد إعترفوا بِوجوب الإيمان بها لزمهم من هذه الجّهة وجوب الإيمان بالقرآن و نبوّته صلى الله عليه وآله وسلم وحيث لم يُؤمنوا به فهم كاذبون في دعواهم و هو المطلوب.

أن قُلت قوله تعالىٰ: **فَلِمَ تَقْتُلُونَ اَنْبِيَآءَ اللّٰهِ** يَدل علىٰ أنّ اليَهود حين الخطاب كانوا كذلك قضاءً لِحق المضارع الدّال علىٰ الحال والإستقبال و من المعلوم أنّ قتل الأنبياء كان في أسلافهم و آبائهم فحَق العبارة أن يقال فَلِمَ قتلتُم أنبياء اللّه.

قُلتُ أمّا أوّلاً فقد إرتفع الإشكال بقوله: **من قبلُ** و ثانياً يَجوز أن يأتي الماضي بمعنىٰ المضارع وبالعكس قال الشّاعر:

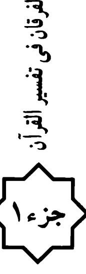
شَهَد الحطيئة يومَ يلقىٰ ربّه أنّ الوليد أحقّ بالعُذرِ

فقوله شَهِدَ بمعنىٰ يشهد و يمكن أن يقال في الجواب أنّ الإتيان بالمضارع

الدّال علىٰ الحال و الإستقبال لِلإشعار بأنّ المخاطبين بالأية لو كانوا قادرين علىٰ قتل النّبي لقتلوهُ فالمعنىٰ أنّكم تقتلون أنبياء اللّه في الحال ايضاً لو قدرتم عليه كما كان أسلافكم كذلك من قبل أو يقال أنّكم يا معشر اليَهود ترضون بما فعل أسلافكم من قتلهم الأنبياء فأنتم أيضاً من قَتَلتهم كأسلافكم لأنّ من رضىٰ من فعل قومٍ فهو منهم.

و أمّا قوله تعالىٰ: **وَلَقَدْ جَآءَكُمْ مُّوسىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ** أي أن كنتم صادقين في إدّعائكم الإيمان بالتّوراة و رسولكم موسى ابن عمران فأنّه قد جاءكم بالبيّنات، وهي العصا، والسّنون واليَد و الدّم، والطّوفان، والجراد، والقمّل، والضّفادع، وفَلق البحر، و قيل المراد بالبيّنات التّوراة و ما فيها من الدّلالات ثمّ إتّخذتم العِجل، كما مرّ شرحه وأنتم ظالمون علىٰ أنفسكم والحاصل أنّكم لو كنتم صادقين في دعواكم فَلِمَ فعلتم ما فعلتم و في الإتيان بثمّ دون **الواو** دلالة على انّ **ثمّ** أبلَغ في التّقريع من **الواو** أي أنّكم بعد النّظر في الأيات والإتيان بها إتخّذتم ما إتخّذتم و هذا يدّل علىٰ أنّهم أنّما فعلوا ذلك بعد مُهلةٍ من النّظر في الأيات و ذلک أعظم لجرمهم اعظم ذنباً لهم.

■



وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾

◁ اللّغة

قد مرّ شرح الميثاق والطّور والقوّة وباقي اللّغات واضح.

◁ الإعراب

فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ أي حُبّ العِجل فَحُذِف المُضاف **بِكُفْرِهِمْ** اي بسبب كُفرهم و يجوز أن يكون حالاً من المَحذُوف **وَأُشْرِبُوا** في موضع الحال والعامل فيها قالوا **قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ** فهو جواب قولهم سَمِعنا و عَصينا.

◁ التّفسير

قوله تعالىٰ: **وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ** الىٰ قوله: **بِقُوَّةٍ** قد تقدّم الكلام فيه في تفسير أية (٦٣).

و أمّا قوله **وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا** فقوله **اسْمَعُوا** أي أطيعوا وليس معناه الأمر بإدراك القول فقط وأنّما المراد أعملوا بما سمعتم والتزِمُوه و منه قولهم سَمِعَ اللّه لِمن حَمِده، أي قَبِل وأجاب قال الشّاعر:

دعوتُ اللّه حتّىٰ خفتُ ألاّ ... يكون اللّه يَسمع ما أقولُ

أي يقبل و قال الأخر:

والسّمع والطّاعة والتّسليمُ ... خيرٌ وأعفىٰ لبني تميم

وأمّا قوله **سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا** ففيه قولان:

أحدهما: أنّهم قالوا هذا القول في الحقيقة إستهزاءً أي سمعنا قولك و عَصينا أمرك.

ثانيها: أنّهم لم يقولوا **سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا** باللّفظ و أنّما فعلوا فعلاً قام مقام القول فيكون مجازاً كقول الشّاعر:

إمــتلئ الحــوض وقــال قــطنى مــهلاً رويــداً قد مــلأت بــطني

و الضّمير في **قالوا** يرجع الىٰ اليهود الّذين كانوا في زمن النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم و قيل الىٰ اليهود الّذين كانوا في عصر موسىٰ اذ ردّوا عليه قوله وقابلوه بالعصيان و قوله **وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ** ففيه إلتفات عن لفظ الخطاب الىٰ الغيبة و هو من محسّنات علم البلاغة و أنما قلنا ذلك لأنّ الضّمير في **أُشْرِبُوا** يرجع الىٰ اليهود في عصر موسىٰ قطعاً لأنّهم كانوا بهذه الصّفة يعني دَخل قلوبهم حبّ العِجل بالشّرب وأنّما عبّر عن حبّ العِجل دون الأكل لأنّ شرب الماء يتغلغل في الأعضاء حتّىٰ يصل الىٰ بواطنها والطّعام يجاور الأعضاء و لا يتَغلغل فيها قال الشّاعر:

تَــغلغل حــيث لم يــبلغ شراب ولا حـــزنٌ ولم يــبلغ سُــرورُ

قال المفسّرون ليس المعنىٰ في قوله تعالىٰ: **وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ** أنّ غيرهم فعل ذلك لهم بل هم الفاعلون لذلك كما يقول القائل، أنسيتُ ذلك، يقال أُوتي فلان عِلماً جمّاً، وأن كان هو المكتسب له قاله الطّبرسي في المجمع و به قال القُرطبي عن السّدي و ابن جُريح أنّ موسىٰ بَرد العِجل و ذرّاه في الماء و قال لبنى إسرائيل أشربوا ذلك الماء فَشرب جميعهم فَمن كان يُحبّ العِجل خَرجت برادة الذّهب علىٰ شفتيه و روي أنّه ما شَربه أحدٌ إلاّ جنّ ثمّ قال أما تذرّيته في البحر فقد دّل عليه قوله تعالىٰ ثمّ لِننسِفّنه في اليمّ نسفاً، و أمّا شرب الماء ظهور البرادة علىٰ الشّفاه فيرّده قوله تعالىٰ: **وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ** انتهىٰ

قلتُ يظهر من كلامه أنّه لم يقبل قول السّدي و ابن جريح لعدم دليلٍ يدّل عليه و هو حقّ و قال الشّيخ في التّبيان بعد نقله ما نقله القرطبي عن السّدي ما لفظه والأوّل عليه أكثر محصّلي المفسّرين و هو الصّحيح لأنّ الماء لا يقال فيه أشرب منه فلان في قلبه و أنّما يقال ذلك في حبّ الشّئ على ما بيّناه ولكن يترك ذكر الحُبّ إكتفاءً بفهم السّامع لمعنىٰ الكلام اذ كان معلوماً أنّ العجل لا يشربه القلب و أنّ الّذي أشرب منه حبّه كما قال و أسأل القرية و أنّما أراد أهلها انتهىٰ موضع الحاجة من كلامه.

أقول ما ذكروه لا بأس به و أن كان خلاف ظاهر اللّفظ ومن المُحتمل أن يكون المراد أنّ إبليس و السّامري و شياطين الإنس و الجنّ زينُوا عبادة العِجل لأنفسهم و دَعوهم اليها فَعَبّر اللّه تعالىٰ عن هذا بقوله: **وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ** علىٰ سبيل الإستعارة.

و أمّا القائلون بالجبر فهُم في فسحةٍ عن هذا لأنّهم إعتقدوا أنّ مُحدث كلّ الأشياء هو اللّه و عليه فهو الفاعل لا غير نعوذ باللّه منه و أمّا قوله: **بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** له يمكن أن يكون المراد بئس ما يأمركم به إيمانكم بالتّوراة لأنّه ليس في التّوراة عبادة العِجل وإضافة الأمر الىٰ إيمانهم تهّكم كما في قوله تعالىٰ في قصّة شعيب **أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ**

أن قلت أنّ الإيمان عَرَض و لا يصّح منه الأمر والنّهي قلتُ الدّاعي الى الفعل قد يشبه بالأمر كقوله تعالىٰ: **إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَ ٱلْمُنْكَرِ** [1] وحيث أنّ الإيمان أو الدّاعي لا يأمر به علّق إيمانهم علىٰ الشّرط فقال أن كنتم مؤمنين أي اذ ليس فَليس.

■

١- العنكبوت = ٤٥

قُلْ إِنْ كٰانَتْ لَكُمُ الدّٰارُ الْاٰخِرَةُ عِنْدَ اللّٰهِ خٰالِصَةً مِّنْ دُونِ النّٰاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ اِنْ كُنْتُمْ صٰادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَنْ يَّتَمَنَّوْهُ اَبَداً بِمٰا قَدَّمَتْ اَيْدِيهِمْ وَاللّٰهُ عَلِيمٌ بِالظّٰالِمِينَ ﴿٩٥﴾

◁ اللّغة

الدّٰارُ: المنزل إعتباراً بدورانها الّذي لها بالحائط ثمّ تُسمّى البلدة داراً والصّقع داراً والدّنيا داراً والأخرة داراً.

الْمَوْتَ: ضدّ الحياة.

اَيْدِيهِمْ: جمع يَد.

◁ الإعراب

الدّٰارُ إسم كان وفي الخبر ثلاثة أوجه:

أحدها: هو خالصةً و عند ظرف لها أو للإستقرار الّذي في لكم و يجوز أن تكون **عند** حالاً من الدّار.

الوجه الثّاني: أن يكون خبر كان لكم و عند اللّه ظرف و خالصةً حال و الفاعل كان أو الإستقرار.

الوجه الثّالث: أن يكون عند اللّه، هو الخبر و خالصةً حال والعامل فيها إمّا عند أو ما يتعلّق به اَبَداً ظرف بِمٰا قَدَّمَتْ أي بسبب ما قدّمت مفعول به و ما بمعنىٰ الّذي أو نكرة موصوفة أو مصدّرية وَاللّٰهُ عَلِيمٌ مبتدأ و خبر و الجملة في موضع حال.



◁ التّفسير

هذا نوع أخر من قبائح اليهود و هو إدّعائهم أنّ الدّار الأخرة خالصةً لهم من دُون النّاس و ذلک لِما حکاه اللّه تعالیٰ عنهم:

قال اللّه تعالیٰ: **وَ قَالُوا لَنْ يَدْخُلَ اَلْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ**[۱]

قال اللّه تعالیٰ: **نَحْنُ أَبْنَآءُ اَللّٰهِ وَ أَحِبَّآؤُهُ**[۲]

قال اللّه تعالیٰ: **وَ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا اَلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَعْدُودَةً**[۳]

و أيضاً أنّهم كانوا مُعتقدين في أنفسهم أنّهم هم المُحقّون لإعتقادهم أنّ النّسخ غير جائز في دينهم و أنّ سائر الفرق على الباطل و إعتقادهم أيضاً أنّ إنتسابهم الیٰ أكابر الأنبياء عليهم السّلام أعني يعقوب و إسحاق و إبراهيم يخلصهم من عقاب اللّه و يوصلهم الیٰ ثوابه فلهذه الأُمور و أمثالها كانوا يفتخرون علیٰ العَرب و يصرفون النّاس بسبب هذه الشّبه عن إتّباع محمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ثمّ أنّ اللّه تعالیٰ إحتّج علیٰ فساد قولهم و عقائدهم بقوله قُل يامحمّد لهم **اِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْاٰخِرَةُ** كما تدّعون **عِنْدَ اللّٰهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ** أي ليس لهم فيها حظٌ و لا مقام **فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ اِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** في دعواكم **وَلَنْ يَّتَمَنَّوْهُ** أي لن يتّمنیٰ اليهود الموت **اَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ اَيْدِيهِمْ** اى بسبب ما قدّمت ايديهم من الظّلم والأفعال القبيحة **وَاللّٰهُ عَلِيمٌ بِالظّٰلِمِينَ** لا يجهل بحالهم و لا يخفیٰ عليه شيئ من أقوالهم و أفعالهم و نيّاتهم لأنّه تعالیٰ قد أحاطَ بكلّ شيئٍ علماً فهو بكلّ شيئ عليم.

إعلم أنّ اللّه تعالیٰ إحتّج علیٰ اليهود بقوله: **قُلْ اِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْاٰخِرَةُ عِنْدَ اللّٰهِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ اِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ.**

۱- البقرة= ۱۱۱ ۲- المائدة= ۱۸

۳- البقرة= ۸۰

أنّ قلت أيّ ملازمةٍ بين إدّعائهم و بين التّمني للموت قلت الملازمة ثابتة و ذلک لأنّ نعم الدّنيا بالنّسبة الىٰ نِعم الأخرة قليلة حقيرة ثمّ أنّها علىٰ قلّتها وحقارتها كانت مُنّغصة عليهم بعد ظهور الإسلام ومنازعته معهم بالجدال و القتال مضافاً الىٰ أنّها لا تخلو عن الأفات والهموم فأنّ الدّنيا دارٌ بالبلاء مَحفُوفة و بالغدر مَعرُوفة و أمّا الأخرة و نِعمها بَريئةٌ عن هذه الأفات و الألام والدّنيا فانية داثرة و الأخرة باقية لا فناء لها و من المعلوم أنّ العاقل يطلب ما هو خير له و أبقىٰ فَمن يعلم أنّ الأخرة خالصة له فكيف لا يطلبها و لا يتّمناها بل يهرب منها و حيث أنّ اليهود لا يطلب الموت نستكشف منه كذبهم و هو المطلوب ألا ترىٰ أنّ أمير المؤمنين عليه السلام يقول:

والله لإبن أبي طالب آنس بالمَوت من الطّفل بثدي أُمّه

و قد روي أنّه كان يطوف بين الصَّفين بصفّين في غلالة فلمّا قال له إبنه الحسن عليه السلام ما هذا ذي الحَرب قال له يابنّي أنّ أباك لا يُبالي وقَع على المَوت أو وقع الموت عليه وقال عمّار بن ياسر بصّفين الأن... الأحبّة محمّداً و حزبه و قوله تعالىٰ:وَلَنْ يَّتَمَنَّوْهُ اَبَداً دليل علىٰ كذب اليهود في إدّعائهم لأنّهم قد علموا بما قدّمت أيديهم في الدّنيا أنّه ليس لهم في الأخرة نصيب و ذلك لِما فعلوا من المعاصي والقبائح و تكذيب الكتاب والرّسول أو بما كتموا من صفة النّبي أو غير ذلك مما يسوقهم الىٰ النّار و في قوله تعالىٰ:وَاللّٰهُ عَلِيمٌ بِالظّٰالِمِينَ و أن كان عليماً بغيرهم أيضاً إشارة الىٰ الزّجر والتّهديد.

و قيل معناه أنّ اللّه عليم بالأسباب التّي منعتهم عن تمّني الموت وبما أضمروه و أسّروه من كتمان الحقّ عناداً مع علم كثير منهم أنّهم مبطلون.



و روي عن النّبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: لو أنّ اليهود تمنّوا الموت لماتوا و لرأوا مقاعدهم من النّار و لذلك قال اللّه تعالىٰ أنّهم وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ اَبَداً تحقيقاً لكذبهم وفي ذلك دلالة علىٰ صدق نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم وصحّة نبوّته لأنّه أخبر بالشّيء قبل وجوده فكان كما أخبر.

■

وَلَتَجِدَنَّهُمْ اَحْرَصَ النَّاسِ عَلىٰ حَيٰاةٍ وَّمِنَ الَّذينَ اَشْرَكُوا يَوَدُّ اَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ اَلْفَ سَنَةٍ وَّمٰا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذٰابِ اَنْ يُّعَمَّرَ وَاللّٰهُ بَصيرٌ بِمٰا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قُلْ مَنْ كٰانَ عَدُوّاً لِّجِبْريلَ فَاِنَّهُ نَزَّلَه عَلىٰ قَلْبِكَ بِاِذْنِ اللّٰهِ مُصَدِّقاً لِّمٰا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَّبُشْرىٰ لِلْمُؤْمِنينَ ﴿٩٧﴾ مَنْ كٰانَ عَدُوًّا لِّلّٰهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْريلَ وَميكٰالَ فَاِنَّ اللّٰهَ عَدُوٌّ لِّلْكٰافِرينَ ﴿٩٨﴾

◁ اللّغة

اَحْرَصَ النّٰاسِ: الحرص فرطُ الشّره وفُرط الإرادة وأصل ذلك من حرْص القّصار الثّوب أي قشره بدّقةٍ.

يَوَدُّ: الوّد محبّة الشّئ و تمّنىٰ كونه.

لَوْ يُعَمَّرُ: العمر إسم لِمدّة عمارة البدن بالحياة فهو دون البقاء.

بِمُزَحْزِحِهِ: زَحزَح بزُحزُح الزّحزحة والزّحزاح الإزالة قال اللّه تعالىٰ: **فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النّٰارِ**[1] أي أزيل عن مقّره فيها.

عَلىٰ قَلْبِكَ: قلب الشّئ تصريفه و صرف عن وجهٍ الى وجهٍ كقلب الثّوب و قلب الإنسان أي صرفه عن طريقته والإنقلاب والإنصراف.

بُشْرىٰ: يقال أبشرتُ الرّجل وبَشَّرت وبَشَرته، أخبرته بسّارٍ بسط بشرة وجه.

◁ الإعراب

وَلَتَجِدَنَّهُمْ هي المتعدّية الىٰ مفعولين اَحْرَصَ مفعوله الثّاني عَلىٰ متّعلقة بأحرص ومِنَ الَّذينَ اَشْرَكُوا معطوفة علىٰ النّاس في المعنىٰ والتقدّير أحرص

١- آل عمران = ١٨٥

من النّاس أي الّذين في زمانهم و أحرص مِنَ الَّذِينَ اَشْرَكُوا يعني به المجوس **يَوَدُّ** فيه وجهان:

أحدهما: أنّه حال من الّذين أشركوا.

الثّاني: أن يكون حالاً من الهاء و الميم في و لتجدّنهم والوجه الثّاني من وجهي **مِنَ الَّذِينَ** أن يكون مستأنفاً **لَوْ يُعَمَّرُ** لو هنا بمعنىٰ أن النّاصبة للفعل ولكن لا تنصب **يُعَمَّرُ** يتعدّىٰ الىٰ مفعول واحد وقد أُقيم مقام الفاعل **اَلْفَ سَنَةٍ** ظرف **وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ** في هو وجهان:

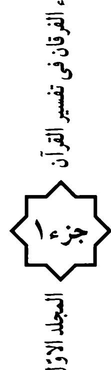
أحدهما: أحَد **بِمُزَحْزِحِهِ** خبر ما و من العذاب متعلّق بمزحزحه و أن يعمر في موضع رفع بمزحزحه والوَجه الأخر أن يكون هو ضمير التّعمير و قد يدّل عليه قوله لو يُعمر و قوله أن يُعمر بدلٌ من هو **مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ** مَن شرطّية و جوابها محذوف وتقديره فليمت غيظاً أونحوه **بِإِذْنِ اللّٰهِ** في موضع الحال من ضمير الفاعل في نزّل و هو ضمير جبرئيل **مُصَدِّقاً** حال من الهاء في نزّله و كذلك **وَهُدًى وَبُشْرىٰ** أي هادياً و مُبشراً.

◁ التّفسير

ثمّ أخبر اللّٰه تعالىٰ عن اليهود فقال **وَلَتَجِدَنَّهُمْ** أي لتجدّن يامحمّد اليهود **اَحْرَصَ** علىٰ حياةٍ أي أنّهم علىٰ الحياة الدّنيا والبقاء فيها أحَرص من سائر النّاس **وَمِنَ الَّذِينَ اَشْرَكُوا** أي أنّهم أحَرص عليها من المشركين و هم المجوس و من لا يؤمن بالبَعث أيضاً، قال بعض المفسّرين أنّ الكلام قد تَم عند قوله علىٰ حياةٍ، **وَمِنَ الَّذِينَ اَشْرَكُوا** جملة مستأنفة تقديره **وَمِنَ الَّذِينَ اَشْرَكُوا يَوَدُّ اَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ اَلْفَ سَنَةٍ** فَحذف من **وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ** أي و ما أحدهم بمنجيه من عذاب اللّٰه و لا بمُبعده منه تعميره و هو أن يطول له البقاء لأنّه لابدّ من الفناء **وَاللّٰهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ** أي أنّـه تـعالىٰ بأعـمالهم

محيطٌ فلا يخفىٰ عليه شيئ من أقوالهم و أفعالهم و نيّاتهم **قل** يامحمّد **مَنْ كٰانَ عَدّواً لِّجِبْرِيلَ** و هو روح القُدس فأنّه أي فأنّ جبرئيل **نَزَّلَه عَلىٰ قَلْبِكَ** لأنّه أمين وحيه علىٰ أنبياءه **بِإِذْنِ اللّٰهِ** أي أنّ جبرئيل مأذون من اللّه ومأمور من قِبله فما نزّله علىٰ قلبك من القرأن أنّما هو بأذن اللّه الا من تلقاء نفسه **مُصَدِّقاً لِّمٰا بَيْنَ يَدَيْهِ** أي موافقاً لما بين يديه من التّوراة ومصدّقاً له بأنّه حقّ و أنّه من عند اللّه تعالىٰ لا مكذّباً لها **وَهُدًى وَّبُشْرىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ** أي أنّ القرأن الّذي نزّله جبرئيل علىٰ قلبك هدىٰ و بُشرىٰ للمؤمنين أي يهديهم الىٰ الطّريق المستقيم و يبّشرهم بالنّعيم الدّائم في الأخرة وأنّما خصّ الهُدىٰ بالمؤمنين من حيث كانوا هم المُهتدين به لقابلّيتهم و إستعدادهم و أن كان هدىً لغيرهم أيضاً و قد مرّ البحث فيه عند قوله: **هُدىً للمتّقين** في أوّل البقرة ثمّ قال اللّه تعالىٰ: **مَنْ كٰانَ عَدُوًّا لِّلّٰهِ**

قيل أنّما أعاد ذكرهما لأنّ اليهود قالت جبرئيل عدّونا و ميكائيل ولّينا و لذلك خصّهما اللّه بالذّكر لفضلهما و منزلتهما لئلاّ تزعم اليهود أنّهما مخصوصان من جملة الملائكة و ليسا بداخلين فيهم فنَّص اللّه عليهما ليبطل ما يتأولونه من التخصّيص ثمّ قال فأنّ اللّه عدّو للكافرين و لم يقل فانّه و كرّر إسم اللّه لئلاّ يظّن أنّ الكناية راجعة الىٰ جبرائيل و ميكائيل قاله بعض المفسّرين.



قال بعض المفسّرين من العّامة أنّ سبب نزول هذه الآية قُل من كان عدّواً لِجبرايل فَإِنَّهُ نَزَّلَه عَلىٰ قَلْبِكَ الىٰ قوله: عَدُوٌّ لِّلْكٰافِرِينَ هو أنّ النّبي ﷺ لمّا قَدم المَدينة أتاهُ عبد اللّه إبن صوريا فقال يا محمّد كيف نومك فقد أُخبرنا عن نوم النّبي الّذي يجيئ في آخر الزّمان فقال عليه السلام: تنام عيناي و لا ينام قَلبي قال صدقت يا محمّد فأخبرني عن الولد أَمن الرّجل يكون أم من المرأة فقال عليه السلام: أمّا العظام

والعصب والعروق فَمن الرّجل وأمّا اللّحم والدّم والظّفر والشّعر فَمِن المرأة فقال صدقت فما بال الرّجل يشبه أعمامه دون أخواله أو يشبه أخواله دون أعمامه فقال صلى الله عليه وآله وسلم: أيّهما غَلَب ماءه ماء صاحبه كان الشبّه له قال صدقت ثمّ قال أخبرني أي الطعام حرَّم إسرائيل علىٰ نفسه و في التّوراة أنّ النّبي الأُمّي يخبر عنه فقال عليه السلام: أنشدكم باللّه الّذي أنزل التّوراة علىٰ موسىٰ هل تعلمون أنّ إسرائيل مرض مرضاً شديداً فقال سقم فنذر للّه نذراً لأن عافاه اللّه من سقمه ليحرّمن علىٰ نفسه أحبّ الطّعام والشّراب و هو لحم الإبل و ألبانها فقال نعم فقال له بقيت خصلة واحدة أن قلتها آمنتُ بك أيّ ملكٍ يأتيك بما تقول علىٰ اللّه (عن اللّه) قال عليه السلام جبرائيل قال: أنّ ذلك عدّونا ينزل بالقتال والشّدة و رسولنا ميكائيل يأتي بالبشر والرّخاء فلو كان هو الّذي يأتيك آمنّا بك فقال عمر و ما مبدأ هذه العداوة فقال إبن صوريا أول هذه العداوة أنّ اللّه تعالىٰ أنزَل علىٰ نبّينا أنّ بيت المقدّس سيخرب في زمان رجلٍ يقال له بخت نصر و وصَفه لنا فطلبناه فلمّا وَجدناه بعثنا لِقتله رجالاً فرفع عنه جبرائيل و قال أن سلطّكم اللّه علىٰ قتله فهذا ليس هو ذاك الّذي أخبر اللّه عنه أنّه سيخرب بيت المقدّس فلا فائدة في قتله ثمّ أنّه كبر و قوىٰ وملِك و غزانا و خرب بيت المقدّس و قتلنا فلذلك نتّخذه عدّواً و أمّا ميكائيل فأنّه عدّو جبرائيل فقال عمر فأنّي أشهد أنّ من كان عدّواً لجبرائيل فهو عدّواً لميكائيل و هما عدّوان لمن عاداهما فأنكروا ذلك علىٰ عمر فأنزل اللّه تعالىٰ هاتين الأيتين انتهىٰ.

و قال: بعض آخر روي أنّه كان لعمر أرض بالمدينة وكان ممرّه علىٰ مدارس يهود و كان يجلس اليهم و يستمع كلامهم فقالوا يا

عُمر قد أجبناك و إنّا لنطمع فيك فقال واللّه ما أجيئكم لحبّكم و لا أسألكم لأنّي شاك في ديني و أنّما أدخل عليكم لإزداد بصيرة في أمر محمّد صلّى اللّه عليه وآله وسلّم وأرىٰ آثاره في كتابكم ثمّ سألهم عن جبرائيل فقالوا ذاك عدّونا يطّلع محمّداً علىٰ أسرارنا و هو صاحب كلّ خسفٍ و عذاب و أنّ ميكائيل يجيء بالخصب والسّلم فقال لهم و ما منزلتهما من اللّه قالوا أقرب منزلة جبرائيل عن يمينه و ميكائيل عن يساره و ميكائيل عدّو لجبرائيل فقال عُمر لئن كانا كما تقولون فما هُما تعدّوين و لأنتم أكفر من الحمير و من كان عدّواً لأحدهما كان عدّواً للأخر و من كان عدّواً لهما كان عدّواً لِلّٰه ثمّ رجع عمر فوجد جبرائيل قد سَبقه بالوحي فقال النّبي فقد وافقك ربّك يا عمر قال عمر لقد رأيتني في دين اللّه بعد ذلك أصلب من الحجر انتهىٰ تفسير الفخر الرّازي.

و أنا أقول ما ذكره الرّازي في تفسيره لا يعتمد عليه من وجوهٍ.

أحدها: أنّه لم يذكر في كتابه سَند الرّوايتين و أنّه من أين نقلهما فأن كان صادقاً في نقله لوجب عليه ذكر مأخذ الحديثين و لا سيّما الأوّل منهما فإنّا بعد الفَحص في كتب العّامة وتفاسيرهم قبل الرّازي لم نجد شيئاً نعم بعض العّامة من المتأخرين نقل ما نقله الرّازي و أنّما هو أخذه من كتابه كما ذكره النيسّابوري في تفسيره من غير فحصٍ في سند الحديث.

ثانيهما: أنّ الطّبري نقل الحديثين بخلاف ما نقله الرّازي في أكثر عبارات الحديث و قد إتّفقوا علىٰ أنّ الطّبري أمامهم في التّفسير و كلّهم أخذوا منه مضافاً الىٰ أنّ الطّبري كان مقيّداً بنقل الأحاديث في تفسير الأيات لأنّ تفسيره تفسيرٌ بالمأثور و هو أعلم من الرّازي و أمثاله بل من جميع علماء العّامة في هذا الفنّ و كان زمانه مُقدماً علىٰ الرّازي بقرون كثيرة وجميع مُفسّري العّامة

كلّما نقلوه من الأحاديث في تفاسيرهم أخذوه من تفسيره ومع ذلك كلّه لم ينقل في تفسيره ما نقله الرّازي والإختلاف بين النقّلين كثير للطّبري(١).

و هكذا السّيوطي في اله المنشور في التّفسير بالمأثور ذكر أخباراً كثيرة في تفسير الآية و لم ينقل ما نقله الرّازي بألفاظه و عباراته بل نقل ما هو قريب منه من بعض الجهات أنظر الىٰ ما ذكره السّيوطي(٢).

ثالثها: من أين ثبت للرأزي أنّه كان لعُمر أرض بالمدينة ولم يثبته أحدٌ غيره و أعجب من ذلك كلّه قوله في آخر الحديثين أنّ اللّه تعالىٰ أنزَل الأيتين بعد إنكار إبن صُوريا علىٰ عمر في الأوّل وقول النّبي لعُمر، فقد وافقك ربّك يا عُمر الخ فى الحديث الثّاني فأنّ هذه المناقب ممّا يضحك به الثّكلى و لقد كان رسول اللّه ﷺ عالماً بهذا المجعولات قبل وجودها حيث قال من فَسَّر القرآن برأيه فليتّبوا فقعده من النّار صدق رسول اللّه ﷺ ونذكر في الخاتمة ما ذكره بعض العلماء في جبرائيل و ميكائيل لأنّه لا يخلو من فائدة أمّا جبرائيل فقد ذكروا فيه عشر لغات.

الأوّلىٰ: **جبريل** و هي لغة أهل الحجاز قال إحسان إبن ثابت و جبريل رسول اللّه فينا.

الثّانية: **جَبريل** بفتح الجيم و هي قرءة الحَسَن و إبن كثير.

الثّالثة: **جبرئيل** بياء بعد الهمزة و هي قراءة أهل الكوفة كما قال شاعرهم.

شهدنا فما تلقىٰ لنا من كتيبةٍ ... مدىٰ الدّهر إلاّ جبريل أمامها

و هي لغة تميم و بئيس.

الرّابعة: **جَبرئل** علىٰ وزن **جَبرَعل** مقصور و هي قراءة أبي بكر عن عاصم.

الخامسة: مثلها إلاّ أنه شدّد اللاّم و هي قراءة يكن إبن عمر.

السّادسة: **جبرائِل**، بألف بعد الرّاء ثمّ همزة و بها قرأ عكرمة.

١-ج ١ص ٣٤٢

٢-ج ١ص ٩٠

السّابعة: مثلها إلاّ أنّ بعد الهمزة ياء.

الثّامنة: جبرييل بيائين نفي همزة و بها قرأ الأعمش.

التّاسعة: جبرَئِين بفتح الجيم مع همزة مكسورة بعدها ياء و نون.

العاشّرة: جِبرين بكسر الجيم و سكون الياء بنون من غير همزة.

و أمّا اللّغات في ميكائيل فهى ايضاً كثيرة:

الأولىٰ: ميكايئيل، بياء بعد الهمزة قراءة حَمزة.

الثّانية: ميكاييل، بيائين قراءة نافع.

الثالثة: ميكال لغة أهل الحجاز و هي قراءة أبي عمرو و حفص عن عاصم

قال كعب ابن مالك:

ويوم بَدرٍ لقيناكم لنا مَددُ	فيه مع النّصر ميكال و جبريلُ

و قال أخر:

عبدوا الصّليب وكذّبوا بمحمّدٍ	بجبرئيل وكذّبوا ميكالا

الرابع :مَيكَئيل، مثل مَيكَعَيل و هي قراءة ابن محيص.

الخامسة: ميكايل.

السّادسة: ميكائل بهمزةٍ مفتوحة و هو إسمٌ أعجّمي لم ينصرف ونقل عن ابن عبّاس أنّ جبر و ميكا، وإسراف، هي كلّها بالأعجّمية بمعنىٰ عبد و مملوك وأيل إسم اللّه تعالىٰ و قال الماوردي أنّ جبريل و ميكائيل إسمان أحدهما عبد اللّه، والأخر عُبيد اللّه و قال بعض المفسّرين، و إسرافيل عَبدُ الرّحمن هكذا قالوا واللّه أعلم بحقائق الأمور.

■

وَلَقَدْ اَنْزَلْنآ اِلَيْكَ اٰيٰاتٍ بَيِّنٰاتٍ وَمٰا يَكْفُرُ بِهٰآ اِلاَّ الْفٰاسِقُونَ ﴿٩٩﴾ اَوَ كُلَّمٰا عٰاهَدُوا عَهْداً نَبَذَه فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ اَكْثَرُهُمْ لاٰ يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾

◁ اللّغة

نَّبَذَه: النّبذ إلقاء الشّئ و طرحه لقلّة الاعتناء به ولذلك يقال نَبَذتُه نَبَذ النّقل الخلق، وباقي اللّغات قد مرّ تفسيرها مراراً مع وضوحها.

◁ الإعراب

اَوَ كُلَّمٰا الواو للعطف والهَمزة قبلها للإستفهام علىٰ معنىٰ الإنكار **عَهْداً** مصدر من غير لفظ الفعل المذكور ويجوز أن يكون مفعولاً به.

◁ التّفسير

قال اللّه مخاطباً لنبيه **وَلَقَدْ اَنْزَلْنآ اِلَيْكَ** يامحمّد **اٰيٰاتٍ بَيِّنٰاتٍ** والمراد بها الأيات القرآنية الفاصلة بين الحقّ و الباطل أو الأعمّ منها و المعجزات و الكرامات و غيرها من الأيات التكوّينية **وَمٰا يَكْفُرُ بِهٰآ** أي بالأيات.**اِلاَّ الْفٰاسِقُونَ** قالوا أي الكافرون و أنّما سمّي الكفر فسقاً لأنّ الفِسق خروج من شئ الىٰ شئ واليهود خرجوا من دينهم بسبب تكذيبهم دين النّبي و هو الإسلام و أنّما لم يقل الكافرون و أن الكفر أعظم من الفِسق لأنّ الفسق لا يكون إلاّ أعظم الكبائر فأن كان في الكفر فهو أعظم الكفر وأن كان فيما دون الكفر فهو أعظم المعاصي و الحاصل أنّ الفسق بمعناه العامّ يشمل الكافر أيضاً و قوله تعالىٰ: **اَوَ كُلَّمٰا عٰاهَدُوا عَهْداً** قيل المراد بالعهد مأ اخَذَه الأنبياء عليهم أي علىٰ اليهود أن يؤمنوا بالنّبي الأُمّي.

و قال عطا، المراد أنّ اليهود كانت كذلك ألا ترىٰ أنّ العهود التّي كانت بين رسول اللّه و بين اليهود نقضوها كما في قصّة قريظة و النضّير حيث عاهدوا أن لا يُعينوا عليه أحد فَنقضوا ذلك و أعانوا عليه قريشاً يوم الخندق ولذلك قال تعالىٰ: **نَّبَذَه فَرِيقٌ مِّنْهُمْ** أي نقضه جماعة منهم **بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاٰ يُؤْمِنُونَ** أي أكثر اليهود أو أكثر المعاهدين لا يُؤمنون واقعاً كما مَرّ والتّعبير بالنّبذ للدّلالة علىٰ أنّ اليهود طرحوا عُهودهم و ألقوها وراء ظهورهم كأن لم يكن شيئاً مذكوراً لأنّ النبذ في الأصل الطّرح والإلقاء كما قال أبو الأسود:

و خبّرني من كنتُ أرسلتُ أنّما أخذتُ كتابي معرضاً بتمالكاً

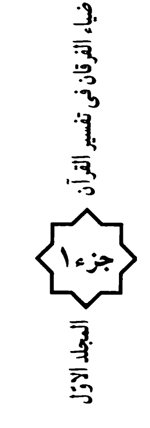
نظرتُ الىٰ عنوانه فنَبَذتُه كنبذك نعلاً أخلقت من نِعالكا

و قال الشّاعر:

أنّ الّذين أمَرتهم أن يَعدلوا نَبذوا كتابك وإستَّحلوا المَحرما

و هذا مثلٌ يُضرب به لمن إستخفّ بالشّئ فلا يعمل به واليهود كانوا كذلك أعاذنا اللّه منه.

■



وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللّٰهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللّٰهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿۱۰۱﴾

◁ اللّغة

ظُهُورِهِمْ: ظهور جمع ظهر و هو الجارحة والظَّهر هاهنا إستعارة تشبيهاً لِلذّنوب بالحَمل الّذي يَنوء بحامله و قد يستعار لظاهر الأرض أيضاً فيقال ظهر الأرض.

◁ الإعراب

مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نعتٌ لِلرّسُول و يجوز نصبه علىٰ الحال **نَبَذَ فَرِيقٌ** جواب لما **كِتَابَ اللّٰهِ** نصب علىٰ أنّه مفعول، نبذ والمراد به التّوراة **كَأَنَّهُمْ** هي وما علمت فيه في موضع الحال والعامل نبذ و صاحب الحال فريق.

◁ التّفسير

وَلَمَّا جَآءَهُمْ أي اليهود **رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللّٰهِ** المراد بالرّسول نَبيّنا صلّى الله عليه وآله وسلّم الّذي جاء من عند اللّه، لقوله تعالىٰ: **هُوَ الَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَ دِينِ الْحَقِّ**[1].

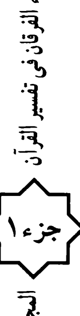
و يحتمل أن يكون المراد مطلق الرّسل ليشمل عيسىٰ و من قبله من أنبياء بني إسرائيل الّذين جاءوا بعد موسىٰ فأنّهم كانوا من عند اللّه أيضاً **مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ** أيّ كلّ واحد منهم مصدّق لِما معهم و هو التّوراة **نَبَذَ** أي ألقىٰ **فَرِيقٌ** أي طائفة من اليهود **مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ** و هو التّوراة **كِتَابَ اللّٰهِ وَرَآءَ**

١- التوبة = ۵۵

ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لاٰ يَعْلَمُونَ أي أعَرضوا عمّا في التّوراة من وصف النّبي بعد موسىٰ كأنّهم لا يعلمون بما فيها من الأوصاف قال الشّعبي هو بين أيديهم يقرأونه و لكن نَبَذوا العَمَل به و قال سفيان بن عينية أدرجوه في الحرير والدّيباج و حلّوه بالذّهب والفضّة و لكن لم يحلّو حلاله و لم يحرّموا حرامه فذالك النَّبذ و قيل لمّا جاءهم الرّسول بهذا الكتاب فلم يقبلوا و صاروا نابذين للكتاب الأوّل أيضاً الّذي فيه البشارة به و نقل عن السّدي أنّه قال، أنّهم نَبَذوا التّوراة و اخذوا بكتاب آصف و سَحرها روت و ماروت يعني أنّهم تركوا ما يدّل عليه التّوراة من صفة النّبي و غير ذلك و محصّل الكلام أنّ اليهود تَركوا العمل بكتابهم ونبذوه وراء ظهورهم من هذه الجهة.

و أنا أقول المسلمون أيضاً كذلك لأنّهم صاروا نابذين لكتاب أعني به القرأن بعد رسولهم طابق النّعل بالنّعل كما أخبر به الرّسول في حياته الىٰ أن وَصل الأمر الىٰ زماننا هذا فأنّا نرىٰ أنّه لم يبق من الإسلام إلاّ إسمه و لا من القرأن إلاّ دَرسه يحرّمون حلاله ويُحلّلون حرامه وهم يَظّنون أنّهم يحسنون صنعاً واللّه لبالمرصاد.

■



وَاتَّبَعُوا مٰا تَتْلُوا الشَّيٰاطِينُ عَلىٰ مُلْكِ سُلَيْمٰانَ وَمٰا كَفَرَ سُلَيْمٰانُ وَلٰكِنَّ الشَّيٰاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النّٰاسَ السِّحْرَ وَمٰآ اُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبٰابِلَ هٰارُوتَ وَمٰارُوتَ وَمٰا يُعَلِّمٰانِ مِنْ اَحَدٍ حَتّٰى يَقُولاٰ اِنَّمٰا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاٰ تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمٰا مٰا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمٰا هُمْ بِضٰارّينَ مِنْ اَحَدٍ اِلاّٰ بِاِذْنِ اللّٰهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مٰا يَضُرُّهُمْ وَلاٰ يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرٰاهُ مٰالَه فِي الْاٰخِرَةِ مِنْ خَلاٰقٍ وَلَبِئْسَ مٰا شَرَوْا بِهِ اَنْفُسَهُمْ لَوْ كٰانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾

◁ اللّغة

الشَّيٰاطِينُ: جمع شيطان و النّون فيه أصلّية و هو من شَطَنَ أي تَباعد كما مرّ.

سُلَيْمٰانُ: إسم نبّيٍ من أنبياء بني إسرائيل.

السِّحْرَ: قال في المنجد سَحَرَه سِحراً خدعه، عَمل له السّحر إستحالة وفتنته و سلب لبّه ثمّ قال سحره سحراً أصاب سَحراً أي رئته فالمصاب مَسحُورٌ و قال أيضاً السّحر بكسر السّين مصدر ما أَلطف مأخذه ودقّ إخراج الباطل في صورة الحقّ ما يفعله الإنسان من الحيل.

بِبٰابِلَ: قيل هو بابل العراق لأنّها تبَلبل بها الألسُن.

هٰارُوتَ وَمٰارُوتَ: إسم ملكين و قيل هما رجلان إسم أحدهما، هاروت والأخر ماروت.

فِتْنَةٌ: الفِتنة الإختبار.

بِضٰارّينَ: الضّر ضدّ النّفع.

◁ الإعراب

وَاتَّبَعُوا معطوف علىٰ و أشربوا أو علىٰ نَبَذه فريقٌ مٰا تَتْلُوا بمعنىٰ تَلَت عَلىٰ مُلْكِ أي علىٰ زَمن ملك فحذف المضاف سُلَيْمٰانُ بضم السّين لا ينصرف للعجمة والتّعريف و الألف و النّون يُعَلِّمُونَ النّٰاسَ في موضع نصب علىٰ الحال من الضّمير في كفروا و أجاز قوم أن يكون حالاً من الشّياطين مٰا أنْزِلَ ما بمعنىٰ الّذي و هو في موضع نصب عطفاً علىٰ السِّحر و قيل في موضع جرّ عطفاً علىٰ مُلك سليمان و قيل ما نافية هٰارُوتَ وَمٰارُوتَ بدلان من الملكين ببابل يجوز أن يكون ظرفاً لأُنزِل و يجوز أن يكون حالاً من المَلَكين أو من الضّمير في أنزل، حتّىٰ يقولا أي الىٰ أن يقولا نَحْنُ فِتْنَةٌ مبتدأ و خبر فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمٰا هو معطوف علىٰ يعلّمان وليس بداخل في النّفي لأنّ النّفي هناك راجع الىٰ الإثبات مٰا يُفَرِّقُونَ ما، بمعنىٰ الّذي أو نكرة موصوفة و لا يجوز أن تكون مصدّرية لعود الضّمير من به، اليها، و المصّدرية لا يعود اليها ضمير إلاّ بِإذْنِ اللّٰهِ الجارّ و المجرُور في موضع نصب علىٰ الحال و أن شئت من الفاعل وأن شئت من المفعول وَلاٰ يَنْفَعُهُمْ هو مَعطوفٌ علىٰ الفعل قبله و دخلت لا لِلنّفي و يجوز أن يكون مستأنفا و لا يصّح عطفُه علىٰ، ما، لأنّ الفعل لا يعطف علىٰ الإسم لَمَنِ اشْتَرٰاهُ اللاّم هنا هي الّتي يوتى بها للقسم مثل الّتي في قوله لأن لم ينته المنافقون ومِنْ في موضع رفع علىٰ الإبتداء و هي شرط و جواب القَسم و ماله في الأخرة من خلاق، و قيل، مَن بمعنىٰ الّذي و علىٰ كلا الوجهين موضع الجملة نصب بعلموا، وَلَبِئْسَ مٰا جواب قسم محذوف لَوْ كٰانُوا جواب لو محذوف تقديره لو كانوا يُنتفعون بعلمهم لإمتنعوا مِن السِّحر.

◁ التّفسير

وَاتَّبَعُوا مٰا تَتْلُوا الشَّيٰاطِينُ عَلىٰ مُلْكِ سُلَيْمٰانَ قيل هذا أخبار من اللّٰه تعالىٰ عن القوم الّذين نبذُوا الكتاب وراء ظُهورهم و إتّبعوا السِّحر و هم اليهود

و قال السّدي عارضت اليهود محمّداً ﷺ بالتّورة فإتفقت التّوراة و القرآن فنبذوا التّوراة و أخذوا بكتاب آصف و بسحر هاروت و ماروت و نقل عن محمّد إبن إسحاق أنّه قال لمّا ذكر رسول اللّه في الأنبياء و المرسلين قال بعض أحبارهم يزعم محمّد أنّ إبن داود كان نبيّاً واللّه ماكان إلاّ ساحراً فأنزل اللّه عزّ وجلّ: **وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا** أي ألقت الىٰ بني آدم أنّ ما فعله سليمان من ركوب البحر و استسخار الطّير و الشّياطين كان سحراً، و قال الكلبي كتبت الشّياطين السّحر و البيزنجّيات علىٰ لسان آصف كاتب سليمان و دَمنون تحت مُصّلاه حين إنتزع اللّه ملكه ولم يشعر بذلك سليمان فلمّا مات سليمان إستخرجوه و قالوا للنّاس أنّ ملككم بهذا فتعلموه فأمّا علماء بني إسرائيل فقالوا معاذ اللّه أن يكون هذا علم سليمان و أمّا السَّفلة فقالوا هذا علم سليمان و أقبلوا علىٰ تعليمه و رفضوا كُتب أنبيائهم حتّىٰ بعث اللّه محمّداً ﷺ فأنزل اللّه عزّ و جلّ علىٰ نبّيه عُذر سليمان و أظهر براءته ممّا رُمى به فقال و أتبّعوا ما تتلوا الشّياطين قال عطاء تتلوا تقرأُ، من التّلاوة و قال إبن عبّاس معناه تتبع كما تقول جاء القوم يتلوا بعضهم بعضاً و قال الطّبري معناه، فضّلوا و قد إتفقّ المفسّرون علىٰ أنّ المضارع في المقام بمعنىٰ الماضي فمعنىٰ تتلوا أي تلت كما قال الشّاعر

وإذا مـرزت بـقبره فأعـقر بـه كوم المهجان وكلّ طرف سانج

وإنـفتح جَـوانب قـبره بـدمائها فـلقد يكـون أخـادَم وذبـائح

أي فلقد كان و عليه، فما مفعول به لقوله :**اتَّبَعُوا** أي إتّـبعوا مـا تـقوّلله الشّياطين علىٰ سليمان و تلته، و قيل، ما نافية و ليس بشئٍ لا في نظم الكلام و لا في حجتّه نقل عن إبن العَربي **عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ** أي علىٰ عرشه و نبّوته و قيل أي علىٰ عهد ملك سليمان و قيل في مُلكه يعني في قصصه و صفاته و أخباره و أمّا المراد بالشّياطين هنا فقيل هم شياطين الجنّ و هو المفهوم من

هذا الإسم والظّاهر من الآية و قيل المراد شياطين الإنس المُتمرّدون في الضّلال كقول جزير.

أيّام يدعونني الشّيطان من غَزلي و كنَّ يهوينني إذ كنتُ شيطاناً

و قال بعض المُفسّرين المراد بقوله تعالىٰ: **وَاتَّبَعُوا** اليهود الّذين كانوا علىٰ عهد النّبي و قيل المراد اليهود الّذين كانوا في عهد سليمان، والقول الثّالث أنّ المراد به الجميع لأنّ متّبعي السّحر لم يزالوا منذ عهد سليمان الىٰ أن بعث محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم روي أنّ اليهود سألوا محمّداً زماناً من التّوراة لا يسألونه عن شئ من ذلك إلاّ أنزل اللّه عليه ما سألوا عنه فيخصمهم فلمّا رأوا ذلك قالوا هذا أعلم بما أنزل علينا مِنّا و لمّا سألوه عن السَّحر و خاصموه به أنزل اللّه و إتّبعُوا ما تتّلوا الشّياطين الآية أي إقتدوا بما كانت تتلوا الشّياطين أي تَتّبع و تَعمل به قال حسّان:

نبّي يرىٰ ما لا ترىٰ النّاس حَوله ويتلوا كتاب اللّه في كلّ مَشهدٍ

قوله تعالى :وَمٰا كَفَرَ سُلَيْمٰانُ وَلٰكِنَّ الشَّيٰاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النّٰاسَ السِّحْرَ وَمٰآ أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبٰابِلَ هٰارُوتَ وَمٰارُوتَ يستفاد من الآية أنّ ما كانت تتلوه الشّياطين و تأثره و ترويه كان كُفراً إذ برء منه و قال: **وَمٰا كَفَرَ سُلَيْمٰانُ وَلٰكِنَّ الشَّيٰاطِينَ كَفَرُوا** و لم يُبيّن اللّه تعالىٰ ما تتلوا الشّياطين علىٰ مُلك سُليمان أنّها أي شئٍ كانت تتلوا ثمّ لم يبيّن أيضاً نوع الكُفر في الآية حتّىٰ قال: **وَلٰكِنَّ الشَّيٰاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النّٰاسَ السِّحْرَ** فيعلم منه أنّ ذلك الكفر كان من نوع السِّحر و ذلک لأنّ اليهود أضافوا السِّحر الىٰ سليمان لأنّهم زعموا أنّ ملكه كان قائماً بالسِّحر فبرأه اللّه منه قال في المجمع و أختلف في السَّبب الّذي لأجله أضاف اليهود السِّحر الىٰ سليمان فقال بعضهم أنّ سليمان كان قد جمع كتب السَّحرة و وضعها في خزانته و قيل كتمها تحت كُرسيه لئلا



يطلّع عليها النّاس و لا يعلموا بها فلمّا مات إستخرجت السَّحرة تلك الكُتب و قالوا أنّما تمّ مُلكه بالسِّحر و به سخّر الجنّ والإنسّ و الطّير و زيّنوا السِّحر في أعين النّاس بالنّسبة الىٰ سليمان و شاع ذلك في اليهود و قبلوه بعدواتهم لسليمان.

و روي العيّاشى بأسناده عن إبن بصير عن أبي جعفر، قال لمّا هَلك سليمان وضع إبليس السّحر ثمّ كَتَبه في كتاب وطواه و كتب علىٰ ظهره هذا ما وضَع آصف بن برحينا من مَلك سليمان إبن داوُد من ذخائر كنوز العلم مَن أراد كذا وكذا فليقل كذا و كذا ثمّ دفنه تحت السّرير ثمّ إستتاره لهم فقال الكافرون ما كان يغلبنا سليمان إلاّ بهذا و قال المؤمنون هو عبد اللّه ونبّيه فقال اللّه في كتابه: وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وفي قوله وَلٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا ثلاثة أقوال.

أحدّها:أنّهم كفروا بما إستخرجوه من السِّحر.

ثانيها: كفروا بما نَسبُوه الىٰ سليمان.

ثالثها: أنّهم سحروا فعبّروا عن السِّحر بالكُفر وفي قوله:يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ قولان:

أحدّهما: أنّهم ألقوا السِّحر اليهم فتعلموه. الثّانى: دلّوهم علىٰ إستخراجه من تحت الكرّسي فتعلّموه.

و روي بعض المُفسّرين من العّامة عن السّدي أنّه قال كانت الشّياطين تصعد الىٰ السّماء فيسمعون كلام الملائكة فيما يكون في الأرض من موتٍ و غيره و يأتون الكهنة و يخلطون بما سمعوا في كلّ كلمةٍ سبعين كذبة و يخبرونهم بها فإكتسب النّاس ذلك و فشا في بني إسرائيل أنّ الجنّ تعلم الغيب و بعث سليمان في النّاس و جمع تلك الكتب وجعلها في صندوقٍ و دفنه

تحت كرسيّه و قال لا أسمعُ أحداٍ يقول أنّ الشّيطان يعلم الغيب إلاّ ضربت عُنقه فلمّا مات سليمان و ذهب العلماء الّذين كانوا يعرفون أمره و دَفنه الكُتُب و خلف من بعدهم تمثّل الشّيطان علىٰ صُورة إنسان فأتىٰ نفراً من بني إسرائيل فقال هل أدلّكم علىٰ كنزٍ لا تأكلونه أبداً قالوا نعم قال فأحفروا تحت الكُرسّي و ذهب معهم فأراهم المكان و قام ناحيته فقالوا اُدن قال لا ولكنّي هيهنا فأن لم تجدوا فإقتلوني و ذلک لأنّه لم يكن أحدٌ من الشّياطين يدنوا من الكُرسّي إلاّ إحترق فحفروا و أخرجوا تلك الكُتب قال الشّيطان أنّ سايمان كان يضبط الجنّ و الإنس و الشّياطين و الطّير بهذه ثمّ طار الشّيطان ونشأ في النّاس أنّ سليمان كان ساحراً وأخذ بنوا إسرائيل تلك الكتب فلذلك أكثر ما يوجد السّحر في اليهود فلمّا جاء محمّد ﷺ برء اللّه سليمان من ذلك و أنزل في عذر سليمان و أتبعُوا ما تتلوا الشّياطين علىٰ مُلك سُليمان و ما كفر سليمان و لكن الشّياطين كفروا بإستعمال السِّحر و تعليمه و تدوينه، و أمّا قوله: **وَمٰآ أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبٰابِلَ هٰارُوتَ وَمٰارُوتَ** فقد قلنا في شرح اللّغات أنّ، ما، موصولة، و قيل نافية والإختلاف نشأ من ناحية العطف ممن قال أنّ قوله: **وَمٰآ أُنْزِلَ** الخ معطوف على السّحر أو علىٰ ما تتلوا أو علىٰ مُلك سليمان فقال أنّها موصولة ومن قال أنها معطوفة علىٰ قوله: **وَمٰا كَفَرَ سُلَيْمٰانُ** أي و ما كفر سليمان، أي **وَمٰآ أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ** فقال بالنّفي قضاءاً لحكم العطف ولذلك نقلوا في المقام أقوالاً ثلاثة:

أحدها: أنّ المراد أنّ الشّياطين يعلّمون النّاس الّسحر والّذي أنزَل علىٰ المَلكين و أنّما أنزل عليهما وصف السّحر و ماهيّته وكيفّية الإحتيال فيه ليعرفا ذلك و يعّرفاه النّاس فَيجتنبوه غير أنّ الشّياطين لمّا عَرفوه إستعملوه و أن كان المؤمنون إذا عرفوه إجتنبوه.

ثانيها: أن يكون المراد و أتّبعوا ما كَذَب به الشّياطين علىٰ مُلك سليمان و علىٰ **مٰآ أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ** أي مَعهما وعلىٰ ألسنتهما.

ثالثها: أن يكون، ما، بمعنىٰ النّفي والمراد **وَمٰا كَفَرَ سُلَيْمٰانُ** و لا أنزل اللّه السِّحر علىٰ المَلكين و لكن الشّياطين كَفروا يُعلّمون النّاس السِّحر ببابل هاروت و ماروت و علىٰ هذا التّأويل يكون هاروت وماروت رجلين من جملة النّاس والمَلكان اللّذان نفىٰ عنهما السِّحر جبرئيل و ميكائيل، قال الطّبرسي بعد نقله ما نقلناه ما لفظه و يجوز أن يكون هاروت و ماروت يرجعان الىٰ الشّياطين كأنّه قال و لكن الشّياطين هاروت و ماروت كفروا إنتهىٰ.

قال القُرطبي، ما نفي والواو لِلعطف علىٰ قوله: **وَمٰا كَفَرَ سُلَيْمٰانُ** و ذلك أنّ اليَهود قالوا أنّ اللّه أنزل جبرئيل و ميكائيل بالسِّحر فنفى اللّه ذلك وفي الكلام تقديم و تأخير و التّقدير و ما كَفر سليمان و ما أُنزل علىٰ المَلكين ولكّن الشّياطين كفروا يعلّمون النّاس السِّحر ببابل هاروت وماروت فَهاروت و مارُوت بَدلٌ من الشّياطين في قوله: **وَلٰكِنَّ الشَّيٰاطِينَ كَفَرُوا** هذا أولىٰ ما حملت عليه الآية من التّأويل وأصّح ما قيل فيها و لا يلتفت الىٰ سواه فالسِّحر من إستخراج الشّياطين للطافة جوهرهم و دقّة أفهامهم إنتهىٰ كلامه.

ثمّ أنّهم إختلفوا في المراد بالمَلكين فمن قرء بفَتح اللاّم قال قوم منهم كانا ملَكين و قال آخرون كانا شيطانين و قال قوم هما جبرئيل و ميكائيل خاصّة و من قَرأ بكسر اللاّم قال هما من ملوك بابل و علوجها و هو قول أبي الأسود الدّوئلي والرّبيع والضّحاك و به قرأ الحَسن البَصري و رواها عن إبن عبّاس وأختلفوا في المراد، ببابل أيضاً، فقال قوم هي بابل العراق لأنّها تَبلبل بها الألسن و قيل بابل دماوند ذكره السّدي و قال قتادة هي من نَصيبين الىٰ رأس العين و قال الحَسَن أنّ المَلكين ببابل الكوفة الىٰ يوم القيامة و بابل بَلَدٌ لا ينصرف لِلتّأنيث والتّعريف والعُجمة.

و أمّا هارُوت و ماروت فهما لا ينصرفان للتّعريف والعجمة ثـمّ إختلفوا فيهما أيضاً فمن ذَهب الىٰ كَون، ما، نافية جعل هاروت و مارُوت بدلاً من الشّياطين كما مرّ و قيل هما قبيلتان من الشّياطين و أمّا من ذهب الىٰ كَون، ما، موصولة فالمعنىٰ والّذي أُنزل علىٰ المَلَكين بِبابل هاروت و ماروت فهما بدلان مِن المَلكين و قال قوم أنّ هاروت و ماروت كانا مَلكين من الملائكة غير المَلكين في الآية و كيف كان إختلفوا في سبب هُبوطهما فقال قوم أنّ اللّه أهبطهما الىٰ الأرض لِيأمرا بالدّين وينهيا عن السِّحر لأنّ السِّحر كان كثيراً في ذلك الوقت ثمّ إختلفوا فقال قوم كانا يُعلّمان النّاس كيفّية السِّحر وينهيانهم عن فعله لِيَكون النّهي بعد العلم به لأنّ من لا يعرف الشّئ فلا يمكنه إجتنابه و قال قوم آخرون لم يكن لها تعليم بالسِّحر و لا إظهاره لما في تعليمه من الإغراء بفعله، و قال قومُ هبطا لمجّرد النّهي إذ كان السِّحر فاشياً.

و قال قوم كان سبب هبوطهما أنّ الملائكة تعّجبت من معاصي بني آدم مع كثرة نِعم اللّه عليهم فقال لهم أما لو كُنتم مكانهم لعملتم مثل أعمالهم فقالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا فأمرهم أن يختاروا ملكين ليهبطا الىٰ الأرض فأختاروا هاروت و ماروت فأهبطا الىٰ الأرض و ركب فيهما شهوة الطعام والشّراب والنّكاح و أحلّ لهما كلّ شئ بشرطٍ ألاّ يُشركا باللّه و لا يشربا الخَمر و لا يزنيا و لا يقتلا النّفس الّتي حرّم اللّه وعَرضت لهما امرأة للحكومة فمالا اليها فقالت لهما لا أُجيبكما حتّىٰ تعبدا صَنماً و تشربا الخمر و تقتلا النّفس فعبدا الصّنم و واقعاها و قتلا سائلاً مرّ بهما خوفاً أن يشهر أمرهما في حديث طويل قال كعب فواللّه ما أمسيا من نومهما الّذي أهبطا فيه حتّىٰ إستكملا جميع ما نهيا عنه فَتعّجب الملائكة من ذلك ثمّ لم يقدر هاروت و ماروت علىٰ الصّعود الىٰ السّماء وكانا علّمان النّاس السِّحر إنتهى.

قال الشّيخ في التّبيان بعد نقله ما نقلناه عنه و من قال بِعصمة الملائكة لم يجز هذا الوجه و قال قوم أنّ ذلك علىٰ عهد إدريس إنتهىٰ[1].

١- تفسير التّبيان ج ١ ص ٣٧٥

إعلم أنّه قد إختلف المفسّرون في تفسير هذه الآية إختلافاً شديداً لا يكاد يُوجد في غيرها من الأيات و لذلك ترىٰ المفسّرين من العامّة و الخاصّة لم يأتوا بشيءٍ يرفع الإبهام عن الفاظ الآية و لا عن معناه كما أشرنا اليه إجمالاً وأعظم الأشكال في قوله تعالىٰ: **وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ** و عليه فالمعنىٰ الّذي أنزل علىٰ المَلكين بعينه ما تتلوا الشّياطين و هو السِّحر المذموم الّذي عُبّر عنه بالكُفر في قوله:**وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ** و قوله: **وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا** و هو كما ترىٰ اذ كيف يُعقل أنّ اللّه تعالىٰ أنزل علىٰ المَلَكين السِّحر الّذي تتلوه الشّياطين و صارا بذلك كافرين و هكذا لو كانت موصولة والعطف علىٰ قوله تعالىٰ السِّحر إذ المعنىٰ يصير هكذا و لكن الشّياطين كَفروا و يعّلمون النّاس السِّحر والّذي **أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ** و تقرير الإشكال هو أنّ الشّياطين كَفروا لِتعليمهم النّاس السِّحر والّذي أُنزل عليهما فلو كان كُفرهم بِتعليمهم السِّحر فكيف أنزَل اللّه عليهما أعني علىٰ المَلَكين بل المعنىٰ أنّ الشّياطين ما صاروا كافرين بما علموا من السِّحر من عندهم بل صاروا كافرين به و بما أنزل علىٰ المَلكين و لقائل أن يقول كيف عَلموا ما أُنزل عليهما فأن علموا من عند أنفسهم فهو مُحال وإن علموا بتعليم المَلكين إيّاهم فهو أوّل السّؤال هذا كلّه بناء علىٰ كونها موصولة.

و أمّا علىٰ القول بكونها نافية **والواو** إستئنافية فيصير المعنىٰ و لم ينزل علىٰ المَلكين سحر كما يدّعيه اليهود و عليه ففي الكلام تقديم و تأخير و التّقدير هكذا، و ماكفر سليمان و ما أُنزل علىٰ المَلكين و لكن الشّياطين كَفروا يُعَلمون النّاس السِّحر ببابل هاروت و ماروت فيصير هاروت و ماروت بدلاً من الشّياطين و قد نقلنا هذا القول عن القُرطبي وتَبعه غير واحد من المفسّرين و العَجب أنّ القُرطبي بعد إختياره هذا القول الّذي نقلناه عنه قال هذا أولىٰ ما حملت عليه الآية من التّأويل وأصّح ما قيل فيها و لا يلتفت الىٰ سواه و لم

يعلم أنّ كلامه هذا لا يشبه التّفسير أصلاً لِلزومه تغيير الآية عمّا هي عليه لفظاً و معنىً أمّا لفظاً فظاهر إذ لم يدّل علىٰ التّقديم والتّأخير دليل من العقل والنّقل كما لم يدّل دليل علىٰ أنّ المراد بالمَلَكين جبرئيل و ميكائيل و أنّ اليَهود لمّا زعموا أنّ اللّه تعالىٰ أنزل عليهما السِّحر فَنَفىٰ اللّه ذلك بقوله: **وَمَآ أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ** و لا نعلم من أين علم القُرطبي أنّ اليَهود هكذا زعموا ثمّ من أين عَلَم أنّ المراد بالمَلَكين جبرئيل و ميكائيل هذا بحسب اللّفظ و أمّا بحسب المعنىٰ.

فنقول أن كان الأمر كما زعمه القُرطبي و من تبّعه من المفسّرين من العامّة والخاصّة فيقال لهم، ما تقولون في هاروت و ماروت بعد قوله: **وَمَآ أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ** و أمرهما لا يخلو من وجهين.

أحدهما: أن يكونا بدلاً من المَلكين كما هو الظّاهر من الآية.

ثانيهما: أن يكونا بدلاً من النّاس في قوله يعلّمان النّاس السِّحر.

فإن كان الأوّل أعني كونهما بدلاً عن المَلكين فأنتم لا تقولون به لأنّ القُرطبي صرّح في كلامه أنّهما بدلان من الشّياطين هذا أوّلاً و ثانياً بطل معنىٰ قوله تعالىٰ: **وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ اَحَدٍ حَتّىٰ يَقُولآ اِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ** لأنهما إذا لم يكونا عالمين بما يفرق به بين المرء وزوجه فما الّذي يتعلّم منهما ما يفرق بين المَرء وزوجه و ثالثاً أنّ لازم ما ذكروه أنّ قوله: **وَمَآ أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ** عطف علىٰ و ما كفر سليمان كما إعترف به في كلامه والمفروض أنّ اللّه بصّريح الآية نفي الكُفر أعني به السّحِر عن سليمان فلو كان النّفي عن المَلكين نظير النّفي عن سليمان فمن المتعلّم منه السِّحر الّذي يُفرق به بين المرء و زوجه و عمّن الخَبر الّذي أخبر عنه بقوله و ما يعلّمان من أحدِ الآية هذا كلّه أنّ قلنا بكونهما بَدلاً عن المَلَكين و أمّا علىٰ القول الثّاني و هو كون هاروت وماروت بَدلاً من النّاس في قوله: **يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ** فيلزم أن تكون الشّياطين هي التّي تعلّم هاروت و ماروت السِّحر و تكون السّحرة أنّما تعلمت السِّحر من هاروت

و ماروت عن تعليم الشّياطين إيّاهما فأن يكن ذلك فلا يخلو هاروت و ماروت عند قائل هذه المقالة من أحد أمرين، أمّا أن يكونا مَلَكين فقد أوجبَ لهما من الكُفر باللّه والمعصية له بنسبته إيّاهما الىٰ أنّهما يتعلّمان من الشّياطين السِّحر ويُعلمانه النّاس و لا يقول به عاقلٌ فضلاً عن مسلم.

و الثّاني أن يكون هاروت و ماروت رجلين من بني آدم و عليه فقد يجب أن يرتفع السِّحر بعد هلاكهما لأنّه اذا كان علم ذلك من قبلهما يؤخذ و منهما يتعلّم فالواجب أن يكون بهلاكهما وعدم وجودهما عدم السّبيل الىٰ الوصول الىٰ ما لا يوصل إلاّ بهما و في وجود السّحر في كلّ زمانٍ و وقتٍ أعظم الدّليل علىٰ فساد هذا القول.

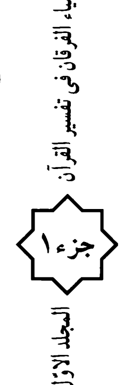
أن قلت لا هذا و لا هذا و ذلک لأنّ في المقام شقّ ثالث و هو كون هاروت و ماروت بَدلاً من الشّياطين كما صرّح القُرطبي به في كلامه، قلنا مضافاً الىٰ أنّه خلاف ظاهر الآية للزومه التّقديم و التأخير والأصل عدمهما أنّه لا يحسم مادّة الإشكال بل هو باقٍ علىٰ حاله اذ يقال فما معنىٰ قوله تعالىٰ: **وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ اَحَدٍ حَتّىٰ يَقُولاَ اِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ** والمفروض أنّهما أي هاروت و ماروت لم يكونا من الملائكة و كانا من أبناء الشّياطين أو من أبناء بني آدم أو ماشئت فسمّه و لنعم ماقيل:

قل للّذي يدّعي في العلم فلسفةً   حفظت شيئاً وغابت عنك أشياءُ

اذا عرفت هذا فإعلم أنّ الحقّ في المقام هو أنّ كلمة (ما) موصولة بمعنىٰ الّذي وهاروت وماروت بدلٌ عن المَلكين الّذين أُنزل عليهما ما أُنزل و عليه فإسم.

أحَدهما: هاروت و إسم الأخر ماروت و لا إشكال فيه أصلاً و جبرئيل و ميكائيل بمعزلٍ عنهما خلافاً لما زَعمه القُرطبي وأتباعه فيصير معنىٰ الآية و أتبعوا أي اليهود ماتتلوا الشّياطين علىٰ ملك سليمان، أي في عهده و زمانه من السّحر و ما كفر سليمان كما زعم اليهود بنسبة السّحر اليه و لكن الشّياطين

كفروا بتعليمهم النّاس السّحر والّذي أنزل علىٰ المَلَكين ببابل و هما هاروت و ماروت و ما يُعلّمان أي هاروت و ماروت من أحدٍ وأحد هاهنا يجوز أن تكون مستعملاً في العموم كقولك ما بالدّار من أحدٍ و أن تكون بمعنىٰ واحد أو إنسان فعلىٰ الأوّل يصير المعنىٰ و ما يُعلّمان أي الملكان و هما هاروت و ماروت من أحد أي من أحدٍ من الأحاد أو من شخصٍ واحد إنساناً كان أو غيره وعلىٰ التقديرين معناه ما يُعلّمان أحداً لا بعينه أو بعينه حتّىٰ يقولا أي الىٰ أن يقولا له أنّما نحن فتنة أي إختبار و إمتحان فلا تَكفر أي فلا تتعلم السّحر منّا للعمل به بل تعلم السّحر لتُبطل به سحر السّاحرين فيتعلمون منهما أي يتعلّمون النّاس منهما ما يُفرّقون به بين المرء وزوجه بخلاف ما إشترطا عليهم **وَمٰا هُمْ بِضٰارّينَ مِنْ اَحَدٍ** أي أنّ الّذين تعلموا من المَلكين ما تعلّموا وعَملوا بخلاف الشّرط و فرّقوا بين المرء وزوجه ليس بضّارين أحداً و كلمة من في المقامين لربط الكلام و حُسنه و لا معنىٰ له غير الرّبط، فأنّ قوله أحد في المقامين في محلّ النّصب علىٰ المفعولّية و التّقدير و ما يعلّمان أحداً و ما هم بضّارين به أحداً إلاّ بأذن اللّه و يتعلّمون ما يضرّهم و لا يَنفعهم في الدّنيا والأخرة و لقد علموا هؤلاء أي المتعلّمون علم السّحر ثمّ العَمل به **لَمَنِ اشْتَرٰاهُ** أي السّحر والعَمل به ما له في الأخرة من خلاق و لبئس ما شَروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون فهذا معنىٰ الآية إجمالاً و لا إشكال فيه إلاّ ما ربّما يترأىٰ في باديء النّظر و هو الّذي أوقعهم في الحيرة والدُّهشة حتّىٰ صرفوا عن ظاهرها لفظاً و معنئ و هو أنّه كيف يجوز أن يضاف الىٰ اللّه تبارك و تعالىٰ إنزال ذلك علىٰ الملائكة و ذلك لأنّ يعلم السّحر للمَلكين و إظهاره بهما في النّاس يُوجب الإغراء واللّه تعالىٰ منزّه عنه و بعبارةٍ أخرىٰ كيف ذمّ اللّه تعالىٰ الشّياطين و أتباعهم من اليهود و غيرهم علىٰ السّحر و تعليمه و تعلّمه و هو ينزّل السّحر علىٰ الملَكين و يأمرهما بإظهاره في النّاس و الجواب عنه أمّا أوّلاً



فبأنّ الشّياطين واليهود لم يذمّوا علىٰ علمهم بالسّحر بل ذمّوا علىٰ إعماله في الخارج و الدّليل عليه قوله فيتعلّمون منهما ما يفرّقون به بين المرء و زوجه فتعلّق الذّم بهم من هذه الجهة لا مطلقاً و أن شئت قلت الذّم علىٰ العمل به لا علىٰ العلِم به.

ثانياً: لا يُبعد أن يكون المَلكان مأمورين بالتّعليم لأجل إبطال عمل السّاحر و فيه نفع عظيم بل هو واجب علىٰ كلّ من كان قادراً علىٰ إبطال السّحر و لاجل ذلك كانا يشترطان علىٰ من أخذ منهما السّحر أن لا يكفر أي لا يَعمل به في غير مورد الإبطال فأنّه كفر والدّليل عليه قوله تعالىٰ: **وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ** أي أنّا جئنا به من قِبل اللّه تعالىٰ حتّىٰ تتعلمون منّا فتقدرون علىٰ إبطال سحر الشّياطين وأتباعهم لا لتُعملُوا به بعد التّعلم منّا أنّىٰ شئتم ومتىٰ شئتم و هذا هو الإختبار والإمتحان في العباد و لذلك قالوا أنّما نحن فتنة و هي الإختبار فيكون هذا ممّا إمتَحن اللّه عزّ وجلّ عبيده كما إمتحنهم في قصّة طالوت بالنّهر في قوله: **فَمَن شَرَب منه فليس منّي** و سيأتي البحث فيه.

فقوله: **فَلاَ تَكْفُرْ** أي لا تكفر بالعَمل به فأن قلت أيّ فائدةٍ في التعلّيم اذا لم يكن العمل به جائزاً، قلتُ فائدته العلم بكيفيّة الإحتيال به ليتجنب ولئلاّ يتّموه علىٰ النّاس أنّه من جنس المُعجزات التّي تظهر علىٰ يد الانبياء فيبطل الإستدلال بها و في المقام إحتمال أخر و هو أنّهما أنزلهما اللّه من السّماء بصورة الإنس حتّىٰ بيّنا للنّاس بطلان السّحر و عليه فالمعنىٰ أنّهما علّما غيرهما بطلان السّحر لانّهما علّما نفس السّحر و علمه وكيف كان فلا وجه لصرف الآية عن ظاهرها مع إمكان حملها عليه اذا علمت هذا بقىٰ في المقام شئ لابدّ لنا من البحث فيه أيضاً و هو أنّ المَلكين أعنىٰ بهما هاروت و ماروت بعد هبوطهما الىٰ الأرض و تَعليمهما ما أُمرا بها صَعدا الىٰ السّماء أم لا والأمر لا يَخلو من وجهين:

أحدهما: أنّهما صَعدا الىٰ السّماء بعد فراغهما عمّا أمرا به.

ثانيهما: أنّهما أخطئا أو ركبا الفواحش فلم يقدرا علىٰ الصّعود الىٰ السّماء بل حبسا و عذّبا في الدّنيا قبل الأخرة لإختبارهما ذلك.

أمّا الوجه الأوّل: فلم أجد قائلاً به صريحاً بين المفسّرين أمّا العامّة فقد إتّفقوا علىٰ الثّاني و أمّا الخاصّة أيضاً كذلك إلاّ أنّهم حيث قالوا بعصمة الملائكة و الأنبياء و الأوصياء لم يلتزموا بخطأهما و عَصيانهما لمكان العصمة فيهما و لازم ذلك هو القول بالصّعُود وأنّ لم يصرّحوا به اذ الأمر دائر بين النّفي والإثبات الخطأ وعدمه والأوّل يلزم العذاب و الثّاني يلزم الرّجوع الىٰ أصله ونحن ننقل أصل القصّة.

أوّلاً: ثمّ نقول ما هو الحقّ عندنا بعون اللّه و توفيقه.

قال الطّبرسي ﷺ في تفسير الآية ما هذا لفظه، و قيل أيضاً في سبب هبوطهما أنّ الملائكة تَعجّبت من معاصي بني آدم مع كثرة نِعم اللّه عليهم فقال طائفة منهم يا ربّنا أما تَغضب ممّا يعمل خلقك في أرضك و ممّا يفترّون عليك من الكذب و الزّور و يرتكبونه من المعاصي لقد نهيتهم عنها و هم في قبضتك و تحت قدرتك فأحبّ اللّه سبحانه أن مايعرفهم ما منّ به عليهم من عجيب خلقهم و ما طبعهم عليه من الطّاعة و عصمهم به من الذّنوب فقال لهم أندبوا منكم مَلكين حتّىٰ أهبطهما الىٰ الأرض و أجعل فيهما من طبائع المطعم و المَشرب و الشّهوة و الحرص و الأقل مثل ما جعلتُ في ولد آدم ثمّ أختبرهما في الطّاعة لي قال فندبوا لذلك هاروت و ماروت وكانا من أشدّ الملائكة قولاً في العيب لولد آدم و استجرار عتب اللّه عليهم فأوحىٰ اللّه اليهما أن أهبطا الىٰ الأرض فقد جعلت فيكما من طبائع المطعم و المشرب و الشّهوة و الحِرص و الأقل مثل ما جعلت في ولد آدم و النّظر أن لا تشركا بي شيئاً و لا تقتلا النّفس التّي حرّم اللّه قتلها و لا تزنيان و لا تشربان الخمر ثمّ أهبطا الىٰ الأرض علىٰ

صورة البشر فرفع لهما بناء مُشرف فأقبلا نحوه فاذا إمرأة جميلة حسناء أقبلت محوهما فوقعت في قلوبهما موقعاً شديداً ثمّ أنّهما ذكرا ما نُهيا عنه من الزّنا فمضيا ثمّ حرّكتهما الشّهوة فَرَجعا اليها فراوداها عن نفسها فقالت أنّ لي ديناً أدين به و لست أقدر في ديني أن أجيبكما الىٰ ما تريدان إلاّ أن تدخلا في ديني فقالا و ما دينك فقالت لي إلٰهٌ من عبد و سجد له كان لي لاسّبيل الىٰ أن أجيبه الىٰ كلّ ما سألني قالا و ما إلٰهك قالت هذا الصّنم فإئتمرا بينهما فَغلبتهما الشّهوة الّتي جعلت فيهما فقالا لها نجيبك الىٰ ما سألت قالت خذوا فأشربا الخمر فأنّه قربان لكما عنده و به تصلان الىٰ ما تريدان فقالا هذه ثلاث خصال وقد نهانا ربّنا عنها الشّرك، والزّنا و الخمر فائتمرا.

بينهما ثمّ قالا ما أعظم البلّية قد أجبناك فَشربا الخمر و سَجدا الصّنم ثمّ أراداها عن نفسها فلمّا تهيأت لهما دخل عليهما سائل فلمّا أن رأياه فَزعا منه فقال لهما أنّكما المرّبيان قد خَلوتما بهذه المرأة الحَسناء أنّكما لرجلا سُوء و خرج عنهما فقالت لهما بادرا الىٰ هذا لارّجل فأقتلاه قبل أن يفضحكما ويفضحني ثمّ دُونكما فأقضيا صاحبتكما وأنتما مطمئنان أمنان فقاما الىٰ الرّجل فأدركاه فقتلاه ثمّ رجعا اليها فلم يرياها وبَدت لهما سوأتهما و نَزَع عنهما رياشهما و سَقط في أيديهما فأوحىٰ اللّه اليهما أنّما أهبطكما الىٰ الأرض ساعة من نهار فعصيتماني بأربع معاصٍ قد نهيتكما عنها و تصدّقت اليكما فيها فَلم تستحيا منّي وقد كنتما أشدّ من ينقم علىٰ أهل الأرض من المعاصي فأختارا عذاب الدّنيا أو عذاب الأخرة فإختارا عذاب الدّنيا فكانا يعلّمان النّاس بأرض بابل ثمّ لمّا علّما النّاس رُفِعا من الأرض الىٰ الهواء فهما معذّبان منكّسان معلّقان في الهواء الىٰ يوم القيامة و هذا الخبر رواه العيّاشي مرفوعاً الىٰ أبي جعفر الباقر عليه السلام ومن قال بعصمة الملائكة لم يجز هذا الوجه انتهىٰ.

أقول هذه الرّواية نقلها الطّبرسي عن العيّاشي، وذكر مثلها بأسناده عن أبي جعفر عليه‌السلام علّي ابن إبراهيم القُمي في نفسيره[1].

بأدنىٰ تفاوتٍ في بعض ألفاظها و ذكرها في تفسير نورالثّقلين أيضاً نقلاً منه عن تفسير القُمي[2].

و بهذا المضمون روايات كثيرة من طريق الخاصّة مع إختلاف يسيرٍ في ألفاظها.

و قد ورد بعض الرّوايات بخلافها أيضاً، منها مارواه في تفسير نور الثّقلين عن العيون والحديث طويل الىٰ أن قال فقلنا للحسن أبي القاسم عليه‌السلام قوماً عندنا يزعمون أنّ هاروت و ماروت مَلَكان إختارتهما الملائكة لمّا كثر عصيان بني آدم و أنزلهما مع ثالث لهما الىٰ الدّنيا و أنّهما أفتنا بالزّهرة و أرادا الزّنا بها و شربا الخمر وقتلا النّفس المحرّمة و أنّ اللّه عزّ وجلّ يُعذّبهما ببابلٍ و أنّ السّحرة منهما يتّعلمون السّحر وأنّ اللّه تعالىٰ مسخ تلك المرأة هذا الكوكب الّذي هو الزّهرة فقال الإمام معاذ اللّه من ذلك أنّ الملائكة مَعصومون محفوظون من الكفر والقبائح بألطاف اللّه تعالىٰ قال اللّه تعالىٰ فيهم: مَآ أَمَرَهُمْ وَ يَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ وقال: وَ لَهُ مَنْ فِى ٱلسَّمٰوٰاتِ وَ ٱلْأَرْضِ وَ مَنْ عِنْدَهُ يعني الملائكة لا يَستكبرون عن عبادته ولا يَستحسرون يُسبّحون اللّيل والنّهار لا يفترون وقال اللّه تعالىٰ في الملائكة أيضاً بَلْ عِبادٌ مُكْرَمُونَ، لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ يَعْلَمُ مٰا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ مٰا خَلْفَهُمْ وَ لا يَشْفَعُونَ إِلّا لِمَنِ ارْتَضىٰ وَ هُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ثمّ قال عليه‌السلام لو كان اللّه قد جَعل هؤلاء الملائكة خلفائه في الأرض وكانوا كالأنبياء في الدّنيا ولا لائمة أفيكون من الأنبياء والأئمة عليهم السّلام قتل النّفس والزّنا ثمّ

١- ج ١ ص ٥٥ ٢- ج ١ ص ١١٢

قال أولست تعلم أنّ اللّه تعالىٰ لم تخل الدّنيا قطّ من نبّي أو إمام من البَشر أو ليس اللّه يقول: **وَ مٰآ أرسَلناك مِنْ قَبْلِكَ** يعني الَىٰ الخلق إلاّ رجالاً نُوحي اليهم من أهل القُرىٰ فأخبر أنّه لم يبعث الملائكة الىٰ الأرض ليكونوا أئمّةً و حكاماً وأنّما أرسلوا الىٰ أنبياء اللّه.

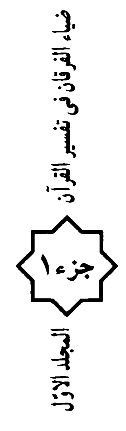
قالا فقلنا له فعلىٰ هذا لم يكن إبليس أيضاً من الملائكة فقال لا بل كان من الجنّ أما تسمعان اللّه عزّ وجلّ يقول و اذ قلنا للملائكة أسجدوا لِآدم فسجدوا إلاّ إبليس كان من الجنّ فأخبر اللّه عزّ وجلّ أنّه كان من الجنّ و هو الّذي قال اللّه تبارك وتعالىٰ: **وَ اَلْجَآنَّ خَلَقْنٰاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نٰارِ اَلسَّمُومِ**[1] انتهىٰ[2]

و في حديثٍ أخر بأسناده عن الرّضا عليه السلام لمّا سأله المأمون عمّا يرويه النّاس من أمر الزّهرة و أنّها كانت إمرأة فتن بها هاروت و ماروت و ما يَرونه من أمر سُهيل وأنّه كان عشّاراً باليمن فقال عليه السلام: في جوابه كذبوا في قولهم أنّهما كوكبان وأنّما كانتا دابّتين من دوّاب البحر فغلط النّاس و ظنّوا أنّهما كوكبان وما كان اللّه ليمسخ أعداءه أنواراً مضيئة مابَقيت السّموات والأرض و أنّ المسوخ لم تبق أكثر من ثلاثة أيّام حتّىٰ ماتت وساق الحديث الىٰ أن قال و أمّا هاروت و ماروت فكانا مَلكين علّما النّاس لِيحترزوا به من سحر السَّحرة ويبطلوا به كيدهم وما علّما أحداً من ذلك شيئاً إلاّ قالا له، أنّما نحن فتنة فلا تكفر، فكفر قوم بإستعمالهم لمّا أمروا بالإحتراز منه وجعلوا يفرقون بما يعلّمون بين المرء وزوجه قال اللّه تعالىٰ وما هم بضارّين به من أحدٍ إلاّ بأذن اللّه، يعني بعلمه انتهىٰ[3]

١- الحجر= ٢٧
٢-ج ١ص ١٠٨
٣-ص ١١٠

و حيث إنّجر الكلام الىٰ هنا فلا بأس بالإشارة الىٰ ما ذَهب اليه المفسّرين من العامّة و ما رووه فيه تكميلاً للبحث و تيمماً للفحص فنقول المَشهور بين العامّة أنّهما أي هاروت و ماروت كانا مَلكين فأخطئا و عصيا فعذّبهما اللّه في الدّنيا لما إختارا عذاب الدّنيا علىٰ الأخرة و أمّا المرأة التّي فتن بها هاروت و ماروت فمسخها اللّه كوكباً وكان إسمها ناهيد.

قال الطّبري في تفسيره بأسناده عن معاوية بن صالح عن نافع قال: سافرت مع ابن عمر فلمّا كان من أخر اللّيل قال يانافع أنظر طلعت الحمراء قالها مرّتين أو ثلاثاً ثم قلت قد طلعت قال لا مرحباً ولا أهلاً قلتُ سبحان اللّه نجمٌ مسخّر سامعٌ مُطيع قال ما قلت لك إلاّ ماسمعتُ من رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم قال: قال لي رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: أنّ الملائكة قالت ياربّ كيف صبرك علىٰ بني آدم في الخطايا والذّنوب قال أنّي أبتليهم و عافيتكم قالوا لو كنّا مكانهم ما عصيناك قال فأختاروا مَلكين منكم قال فَلم يألوا أن يختاروا فأختاروا هاروت و ماروت ثمّ قال الطّبري حدّثني المثنىٰ قال حثنا أبو حذيفة قال حثنا شبل عن ابن أبي بخيح عن مجاهد، وأمّا شأن هاروت و ماروت فأنّ الملائكة عجبت من ظلم بني آدم وقد جائتهم الرّسل والكتب و البّينات فقال لهم ربّهم إختاروا منكم مَلكين أُنزلهما يحكمان في الأرض بين بني آدم فأختاروا هاروت و ماروت فقال لهما حين أنزلهما عجبتما من بني آدم و من ظلمهم و معصيتهم وأنّما تأتيهم الرّسل والكتب من وراء وراء و أنتما ليس بيني و بينكما رسول فأفعلا كذا و كذا و دعا كذا و كذا فأمرهما بأمرٍ و نهاهما ثمّ نَزلا علىٰ ذلك ليس أحد لِلّه أطوَع منهما فَحكما فعدلا فكانا يحكمان النّهار بين بني آدم فاذا أتيا غرّي و كانا مع الملائكة ينزلان حين



يُصبحان فيعدلان حتّىٰ أنزلت عليهما الزّهرة في أحَسَن صورةٍ إمرأةٍ تخاصم فقضيا عليها فلمّا قامت وجَد كلّ واحدٍ منهما في نفسه فقال أحدهما لصاحبه وجَدت مثل ما وجدت قال نعم فَبعثا اليها أن أئتيا نقض لك فلمّا رجعت قالا لها و قضيا لها أئتينا فأتتهما فَكشفا لها عن عورتهما و أنّما كانت شهوتهما في أنفسهما و لم يكونا كبني آدم في شهوة النّساء ولذّتها فلمّا بلغا ذلك و إستحّلاه و أفتنا طارت الزّهرة فرجعت حيث كانت فلمّا أمسيا عرجا فرداً و لم يؤذن لهما و لم تحملهما أجنحتهما فأستغاثا برجلٍ من بني آدم فأتياه فقالا أُدعُ لنا ربّك فقال كيف يشفع أهل الأرض لأهل السّماء قالا سَمعنا ربّك يذكرك بخير في السّماء فَوعدهما يوماً وغداً يدعو لهما فَدعا لهما فأستجيب له فَخيّرا بين عذاب الدّنيا وعذاب الأخرة فَنظر أحدهما الىٰ صاحبه فقالا نعلم أنّ أنواع عذاب اللّه في الأخرة كذا وكذا في الخلد ومع الدّنيا سبع مرّات مثلها فأمر أن ينزلا ببابل فثمّ عذابهما و زعم أنّهما معلّقان في الحديد مطوّيان يصفقان بأجنحتهما انتهىٰ[1]

أقول و نقل الطّبري روايات أُخر بهذا المضمُون أن شئت فَراجعه وقد نقل السّيوطي في الدُّر المَنثُور ما ذكره الطّبري من حديث ابن عُمر بوجهٍ أبَسَط أعرضنا عن نقله حَذراً عن التّطويل وقد نقله في تفسير الميزان[2]

و قد ذكر في الدّر المَنثُور روايات أخر أيضاً و محصّل الكلام أنّ الأخبار الواردة من الطّرفين في الباب كثيرة مختلفة الألفاظ و المَضامين بطرقٍ مختلفة إلاّ أنّ كلّها يرجع الىٰ أمرٍ واحدٍ و هو خطأ المَلكين و عصيانهما ثمّ عذابهما في الدّنيا اذا عرفت هذا فنقول أمّا علماء الشّيعة فَلم يقبلوا الأحاديث المَروية

١- تفسير الطّبري ج ١ ص ٣٦٥
٢- ج ١ ص ٢٣٨

الموافقة لما روته العامّة فقال بعضهم أنّها أخبار أُحاد لا يعتمد عليها و به قال الشّيخ الطّوسي في التّبيان و بعضهم قال أنّها تُنافي عصمة الملائكة فلذلك لا يجوز التّعويل عليها كما قال الطّبرسى.

و بعضهم عبّر عنها بالخرافات قال في تفسير الميزان بعد نقله ما نقله السّيوطي في الدُّر المنثور و هو حديث ابن عمر ما هذا لفظه فهذه القصّة كالتّي قبلها المذكورة في الرّواية السّابقة تطابق ما عند اليهود علىٰ ما قيل من قصّة هاروت و ماروت تلك القصّة الخرافية التّي تشبه خرافات يونان في الكواكب والنّجوم و من هاهنا يظهر للباحث المتأمل أنّ هذه الأحاديث كغيرها الواردة في مطاعن الأنبياء و عثراتهم لا تخلو من دَسٍ دسّته اليهود فيها و تكشف عن تسربهم الدّقيق و نفوذهم العميق بين أصحاب الحديث في الصّدر الأوّل فقد لعبوا في رواياتهم بكلّ ماشاؤوا من الدّس والخلط و أعانهم علىٰ ذالك قوم أخرون انتهىٰ كلامه و نحن نقول فعلىٰ هذا لابدّ لنا من طرح هذه الأحاديث الواردة في الباب من طرقنا أمّا لأنّها أخبار أحادٍ لا يعتمد عليها أو أنّها من خرافات اليهود و دَسائسهم في الصّدر الأوّل ثمّ نَسبُوها الىٰ إئمّتنا كسائر مجعُولاتهم، ويحتمل أن يكون صدُورها عن الأئمّة من باب التّقية و ذلك لأنّ العامّة كما عرفت إتّفقوا علىٰ خطأ، المَلكين ثمّ عذابهما في الدّنيا و مَسخ المرأة كوكباً علىٰ ما مرّ بيانه و لمّا كان كذلك فالأئمّة قالوا بمقالتهم تقيّةً هذا ما يمكن أن يقال في المقام في دفع الإشكال ولأجل هذا ترىٰ أخبارنا في المقام مختلفة لا يمكن الجمع بينهما.

ثمّ لنا في المقام كلام لا بأس بالإشارة اليه و ملخصّه أنّ الرّوايات من الطّرفين وأن كانت بظاهرها ممّا ينكره العقل والنّقل لكونها قادحد في قداسة الملائكة الّذين لا يَعصون اللّه طرفة عينٍ و هذا هو أصَل الإشكال الّذي صار باعثاً لطرح هذه الأخبار الل منافى هذه القاعدة المسلّمة عندنا أعني بها عصمة الملائكة و نحن أيضاً نقول بها.

والّذي يختلج بالبال هو أنّ عصيان الملائكة مستحيل ماداموا علىٰ هـذه الحالة أي ما دام كونهم ملائكة، أمّا اذا فرضنا خروجهم عن جنس المَلَك و دخولهم في جنس البشر فأيّ إشكالٍ في عصيانهم عقلاً و شرعاً و ما نحن فيه من هذا القبيل لأنّ جميع الرّوايات الواردة في الباب من العامّة والخاصّة مُشعر بل مُصّرح بأنّ اللّه أعطاهما الشّهوة والغَضَب و الحِرص و الأمل و طبائع الطّعام و الشّراب و أمثالها ممّا هو موجود في البَشر و بها يعص اللّه أحياناً و مَن كان واجداً لهذه الصّفات لا يكون مَلكاً لتّنزه المَلك عنها، فَهو بَشر لا مَلك كما وَرد في الرّوايات أنّهما أُهبطا الىٰ الأرض بصورة البَشر أو بهيئته فهُما عَصَيا اللّه في هذه الصّورة مع وجود هذه القُوىٰ لا في صورة المَلك و ماهيّته و جنسه والّذي يدّل عليه العقل و النّقل هو عصمة الملائكة من حيث أنّهم ملائكة لا مطلقاً و اذا كان كذلك فعصيانهم لا يضرّ بالقاعدة أعني بها عصمة الملائكة و ليت شعري كيف غفلوا عن هذه الدّقيقة وذكروا من قال بعصمة الملائكة لم يُجز هذا كما قاله الطّبرسي تبعاً لصاحب التّبيان وتبعهما عليه من تأخر عنهما نعم لو كان طرح الأخبار لأجل كونها أخبار أحاد فهو أمرٌ أخر لابدّ لنا من البحث فيه وقد ثبت في موضعه أنّ خبر الواحد حجّة أيضاً خصوصاً اذا كان محفوفاً بالقرائن المُوجبة للظّن وللبحث فيه موضع أخر و مع ذلك ليس هذا أي نفس كون الخبر واحداً مُوجباً لطرحه مضافاً الىٰ أنّها ليست من الأحاد بشئٍ و أمّا عمدة أدّلتهم في طرحها فهي منافاتها للعصمة وقد اجبنا عنها.

و قلنا أنّ العصمة ثابتة للملك بالفعل لا لمن كان مَلَكاً سابقاً و أمّا حين المعصّية فهو ليس بملكٍ و قد ثبت أنّ المّشتق حقيقة قيمن تلبس بالمبدأ بالفعل مجاز في غيره.

إن قلت أَليس هذا من الإنقلاب في الماهيّة وقد اتّفقت الفلاسفة علىٰ إستّحالته تقرير الإشكال، أنّ المَلكين بعد هبوطهما الىٰ الأرض و قد جعل الّه

فيهما ما جَعَل للبَشر من الشّهوة و الحرص و طبائع الطّعام والشّراب و غيرهما صارا بشرين بزعمكم وخرجا عن كونهما مَلكين و لذلك عَصيا بمقتضىٰ طبيعة البّشرية و وجود دواعي المعصية فيهما و لا نعني بالإنقلاب إلاّ هذا و بعبارةٍ أخرىٰ أن كانا في حال المعصية مَلكين فهو المطلوب و الإشكال باق علىٰ حاله و هو أنّ المعصية تنافي العِصمة و أن لم يكونا مَلكين في حال المعصية بل كانا بَشرين فلازم ذلك صيرورة ماهيّة الملك ماهيّة البشر وهي الإنقلاب بعينه ، قلنا، أمّا أوّلاً فأستحالة الإنقلاب في الماهّية يعارضها عموم القُدرة فأنّ اللّه علىٰ كلّ شيءٍ قدير فهو تعالىٰ قادر علىٰ كلّ شيءٍ وما نحن فيه أيضاً داخل في العموم، وثانياً، أنّ هذا ليس من الإنقلاب في الماهّية الّذي قالوا بإستحالته بل هذا من قليل الإنقلاب في الصّورة مع بقاء الماهّية بحالها فتبديل صورة المَلك بِصورة الإنسان ليس من إنقلاب الماهّية بشيءٍ ومن المعلوم أنّ الماهّية من حيث هي ليست إلاّ هي فلا حكم لها من حيث هي هي و لا يبعد أن يكون و جه الإستحالة من هذه الجهة أي أنّ الماهّية من حيث هي ليست بشيءٍ لتنقلب و قد تكلّمنا في هذا المَوضوع في مباحثنا العقّلية فلا نطيل الكلام به مضافاً الىٰ أنّ أصل القاعدة أعني بها إستحالة الإنقلاب في الماهّية عندنا محّل تأمّلٍ بل منعٍ و مع ذلك كلّه فنحن لا نقول و لا نعتقد في تفسير الأيات إلاّ بما ورد فيها من المعصومين سلام اللّه عليهم أجمعين و ذلك لأنّ أهل البيت أَدرىٰ بما في البيت والقرآن نَزل فى بيت النّبوة وهُم أهل البيت الّذين أَذهب اللّه عنهم الرّجس و طهّرهم تَطهيراً والآن نرجع الىٰ تفسير تمام الأية.

فنقول في عيون الأخبار بأسناده عن العسكري عليه السلام عن آبائه عن جعفر بن محمّد الصّادق عليه السلام في قول اللّه تعالىٰ: **وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ** قال عليه السلام إتبّعوا ما تتلو كَفَرة الشّياطين من السِّحر علىٰ مُلك سليمان، الّذين كانوا يزعمون أنّ سليمان به مَلكٍ و نحن



أيضاً به نظهر العجائب حتّىٰ ينقاد لنا النّاس و قالوا كان سليمان كافراً ساحراً بسحره ملِك ما مَلك و قَدر علىٰ ما قَدر فرّد اللّه عزّ وجلّ عليهم فقال، وما كَفر سليمان، و لا إستعمل السِّحر كما قال هؤلاء الكافرون **وَلٰكِنَّ الشَّيٰاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ** الّذي نَسبوه الىٰ سليمان والىٰ **وَمٰاۤ أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبٰابِلَ هٰارُوتَ وَمٰارُوتَ** وكان بعد نوح عليه السلام و قد كثر السَّحرة والموهون فبعث اللّه تعالىٰ مَلكين الىٰ نبي ذلك الزّمان بذكر ما يَسحر به السّحَرة و ذكر ما يُبطل به سحرهم و يرّد به كيدهم فتلّقاه النبّي عن المَلكين وأدّاه الىٰ عباد اللّه بِأمر اللّه عزّ وجلّ وأمرهم أن يقفُوا به علىٰ السّحرة وأن يبطلوه و نهاهم أن يسحَروا به النّاس و هذا كما يدّل علىٰ السَّم ما هو و علىٰ ما يدفع به غاية السَّم ثمّ قال عزّ وجلّ: **وَمَا يُعَلِّمٰانِ مِنْ اَحَدٍ حَتّٰى يَقُولاۤ اِنَّمٰا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاٰ تَكْفُرْ** يعني أنّ ذلك النّبي عليه السلام أمر المَلكين أن يَظهرا لنّاس بصورة بَشرين و يعلّماهم ما علّمهم اللّه من ذلك فقال اللّه عزّ وجلّ، وما يعلّمان من أحدٍ، ذلك السِّحر و ابطاله (حتّىٰ يقولا للمتّكلم، إنّما نحن فتنةٍ، و امتحان لِلبلاء ليطيعُوا اللّه فيما يتعلّمون من هذا و يبطلوا به كيد السَّحرة و لا يسحروهُم **فَلاٰ تَكْفُرْ** بإستعمال هذا السّحِر وطلب الإضرار به و دعا النّاس الىٰ أن يعتقدوا أنّك به تُحيي و تُميت و تفعل ما لا يقدر عليه إلاّ اللّه عزّ وجلّ فأنّ ذلك كُفر قال اللّه تعالىٰ: **فَيَتَعَلَّمُونَ** يعني طالبي السِّحر **منهما** يعني ممّا كتبت الشّياطين علىٰ مُلك سليمان من النّيرنجات و ما أُنزل علىٰ المَلكين ببابل هاروت و ماروت، يتعلّمون من هذين الصّنفين **مٰا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ** هذا من يتعّلم لِلإضرار بالنّاس يتعلّمون التضرّيب مضروب الحيَل و التّمائم والإلهام و أنّه دفن في موضع كذا وكذا و عمِل كذا التحبّب المرأة الىٰ الرّجل والرّجل الىٰ المرأة أو يُؤّدي الىٰ الفراق بينهما ثمّ قال عزّ و جلّ: **وَمٰا هُمْ بِضٰاۤرِّينَ مِنْ اَحَدٍ اِلاّٰ بِاِذْنِ اللّٰهِ** أي ما المتعلّمون لذلك بِضارّين به من أحدٍ

إلاّ بإذن اللّه يعني بتخلّية اللّه و عِلمه و أنّه لو شاء لمنعهم بِالجبر و القَهر ثمّ قال **وَيَتَعَلَّمُونَ مٰا يَضُرُّهُمْ وَلاٰ يَنْفَعُهُمْ** لأنّهم إذا تعلّموا ذلك السِّحر ليسحروا به و يضرّوا فقد تعلّموا ما يضرّهم في دينهم و لا ينفعهم فيه بل يَنسلخُون عن دين اللّه و بذلك (لقد علم به هؤلاء المتعلّمون) **لَمَنِ اشْتَرٰاهُ** بدينه الّذي ينسلخ عنه بتعلّمه **مٰالَه فِي الْاٰخِرَةِ مِنْ خَلاٰقٍ** أي من نصيب في ثواب الجنّة ثمّ قال اللّه تعالىٰ: **وَلَبِئْسَ مٰا شَرَوْا بِهِ اَنْفُسَهُمْ** و رهنوها بالعذاب **لَوْ كٰانُوا يَعْلَمُونَ** أنّهم قد باعوا الأخرة وتركوا نصيبهم من الجنّة لأنّ المتعلّمين لهذا السِّحر الّذين يعتقدون أن لا رسول و لا اِله و لا بعث و لا نشور فقال ولقد علموا لمن إشتراه ماله في الأخرة من خلاق، لأنّهم يعتقدون أنّه اذا لم يكن آخرة فلا خلاف لهم في دارٍ بعد الدّنيا و أن كانت بعد الدّنيا آخرة فَهُم مع كُفرهم بها لا خلاق لهم فيها ثمّ قال و لِبئس ما شروا به أنفسهم، إذا باعوا الأخرة و رضُوا بالعذاب الدّائم لو كانوا يعلمون أنّهم قد باعوا أنفسهم بالعذاب و لكن لا يعلمون ذلك لكفرهم به فلّما تَركوا النّظَر في حُجج اللّه حتّىٰ تعلّموا عذّبهم علىٰ إعتقادهم الباطل و جحدهم الحقّ إنتهىٰ موضع الحاجة منه.

أقول أنّك لا ترىٰ في هذا الحديث من خطأ الملكين و ارتكابهما الفواحش ثمّ عذابهما علىٰ ما نقلوه، عين و لا أثر و هذا هو الحقّ المُطابق لِلواقع فلا نحتاج الىٰ التكلّفات والجواب عنها والأية الشّريفة أيضاً لا تخرج عن ظاهرها و إنّما ذكرنا أقوال القوم فيها لتعلم صدق ما قلت من أنّ أهل البيت أدرىٰ بما فيه.

خاتمة نذكر فيها ما ذكره الفخر الرّازي في تفسير السِّحر لغةً و شرعاً و أنّه علىٰ أقسامٍ علىٰ سبيل الإجمال، قال ذكر أهل اللّغة أنّه في الأصل عبارة عمّا لُطف و خفي سببه و السِّحر بالفتح هو الغذاء لخفائه و لُطف مجاريه كما قال لبيد.

و نَسحر بالطّعام و بالشّراب - الىٰ أن قال، المسئلة الثّانية - إعلم أنّ لفظ السِّحر يطلق في عرف الشّرع علىٰ كلّ أمرٍ يخفىٰ سَببه و يتخيّل علىٰ غير



حقيقته و يجري مجرىٰ التّمويه والخداع و متىٰ أُطلق ولَم يقيّد أفاد ذمّ فاعله
الىٰ أن قال المسئلة الثّالثة في أقسام السِّحر إعلم أنّ السِّحر علىٰ أقسام الأوّل
سِحر الكلدانيّين و الكيدايين الّذين كانوا في قديم الدّهر و هم قوم يعبدون
الكواكب و يزعمون أنّها هي المدّبرة لهذا العالم و منها تصدر الخيرات و
الشّرور و السّعادة و النّحوس وهم الّذين بعث اللّه تعالىٰ إبراهيم عليه‌السلام مُبطلاً
لمقالتهم و رّاداً عليهم في مذاهبهم و أمّا المعتزلة فقد إتّفقت كلمتهم علىٰ أنّ
غير اللّه تعالىٰ لا يقدر علىٰ خلق الأجسام و الحياة و اللّون و الطّعم، ثمّ ذكر
الرّازي أدّلة المعتزلة و قال فيها ما قال و لا نحتاج الىٰ ذكرها ومن شاء الإطّلاع
عليها فليطلبها من تفسيره ثمّ قال النّوع الثّاني من السِّحر سحر أصحاب الأوهام
والنّفوس القوّية و حاصل ما أفاده في هذا النّوع من السِّحر أنّ النّفس إذا كانت
مُستعيلة علىٰ البدن شديدة الإنجذاب الىٰ عالم السّموات كانت كأنّها روح من
الأرواح السّماوية فكانت قوّية علىٰ التّأثيرات في موّاد هذا العالم أمّا إذا كانت
ضعيفة شديدة التعلّق بهذه اللّذات البدَنيّة فحينئذٍ لا يكون لها التصرّف البّتة إلاّ
في هذا البَدَن فإن أراد الإنسان صيرورتها بحيث يتمدّىٰ تأثير من بدنها الىٰ
بَدَنٍ أخر اتّخذ تمثال ذلك الغير و وضعه عند الحسّ و إشتغل الحسّ به فإتّبعه
الخيال عليه و اقبلت النّفس النّاطقة عليه و قويت التّأثيرات النّفسانية
والتصرّفات الرُّوحانية و أطال الكلام فيه بما لا مزيد عليه الىٰ أن قال النّوع
الثّالث من السِّحر الإستعانة بالأرواح الأرضية و حاصل ما أفاده في هذا النّوع
أنّ الأرواح الأرضية عبارة عن الجنّ علىٰ قوله الفلاسفة و هي في أنفسها
مختلفة منها خيرّة و منها شرّيرة فالخّيرة هم مؤمنوا الجنّ و الشّريرة هم كُفّار
الجنّ و حيث أنّ هذه الأرواح جواهر قائمة بنفسها لا متخيّرة و لا حالة في
المتخيّر و هي قادرة عالمة مدركة للجزئيات و إتّصال النّفوس النّاطقة بها أَسهَل
من إتّصالها بالأرواح السّماوية فلذلك بعد إستخدام النّفس إيّاها أو إتّصالها بها

يحصل لِصاحب النّفس ما لايحصل لغيره من العَجائب و هذا النّوع هو المُسّمىٰ بالعزائم و تسخير الجنّ إنتهىٰ مُلّخصاً.

النّوع الرّابع: من السّحر التخيّلات والأخذ بالعيون و هذا النّوع مبّني علىٰ مقدّمات ثمّ ذكر مقدماته من أغلاط البَصَر و أنّ الباصرة تقف علىٰ المحسوسات و أنّ النّفس اذا كانت مشغولة بشيئٍ ربّما حَضر عند الحسّ شيئ أخر و لا يشعر الحسّ به البتة علىٰ ما بينه وفصّله.

النّوع الخامس: الأعمال العجيبة التّي تظهر من تركيب الألات المركبة علىٰ النّسب الهندّسية تارةً و علىٰ ضروب الخيلاء أُخرىٰ الىٰ أخر ما قال.

النّوع السّادس: من السّحر الإستعانة بخواص الأدوية مثل أن يجعل طعامه بعض الأدوية المبلّدة المزيلة للعقل و الدّخن المسكرة نحو دماغ الحمار اذا تناوله الإنسان تبلّد عقله و قَلّت فطنته.

النّوع السّابع: من السّحر تعليق القلب و هو أن يدّعي السّاحر أنّ قد عرف الإسم الأعظم وأنّ الجنّ يطيعونه و ينقادون له في أكثر الأمور فاذا إتّفق أن كان السّامع لذلك ضعيف العقل قيل التميّيز إعتقد أنّه حقّ و تعلّق قلبه بذلك و حصل في نفسه نوع من الرّعب والمخافة و اذا حصل الخوف ضعفت القوىٰ الحساسّة فحينئذٍ يتمكن السّاحر أن يفعل به ما يشاء.

النّوع الثّامن: من السّحر السّعي بالنّميمة والتضرّيب من وجوه خفيفة لطيفة و ذلک شائع في النّاس فهذا جملة الكلام في أقسام السِّحر وشرح أنواعه.

■

وَلَوْ اَنَّهُمْ اٰمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللّٰهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ يَاۤ اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا لاٰ تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ اَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ اَهْلِ الْكِتَابِ وَلاَ الْمُشْرِكِينَ اَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ خَيْرٍ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَاللّٰهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللّٰهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾

◁ اللّغة

اَلْمَثُوبَةُ: أصل الثّوب رجوع الشّيْ الىٰ حالته الأولىٰ الّتي كان عليها والثّواب ما يرجع الىٰ الإنسان من جزاء أعماله فيُسمّىٰ الجَزاء ثواباً تَصوراً أنّه هو هو، والثّواب يقال في الخير والشّر لكن الأكثر المتعارف في الخير وكذلك المَثوبة

قال اللّه تعالى: **هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذٰلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اَللّٰهِ**[1].

إستعارة في الشّر كإستعمال البشارة فيه:

قال اللّه تعالى: **فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**[2].

أمّا قوله: **وَلَوْ اَنَّهُمْ اٰمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللّٰهِ** أُستعمل في الخير أي ثوابٌ عند اللّه.

رَاعِنَا: و قُرأ بالتّنوين و هو من **الرّعونة** يقال أرعيته سَمعي اذا أصْغَيت اليه والياء ذَهبت للأمر وكان اليهود يذهبون بها الىٰ الرّعُونة و هي الحُمق أي لا تقولوا حمقاً و لا تقولوا هُجراً والباقي واضح.

١- المائدة= ٦٠ ٢-آل عمران = ٢١

◁ الإعراب

وَلَوْ اَنَّهُمْ اٰمَنُوا، أنّ وما علمت فيه، مصدر في موضع رفع بفعلٍ محذوف لأنّ لو، تقتضي الفعل تقديره لو وقع منهم أنّهم أمنوا أي إيمانهم لَمَثُوبَةٌ جواب لَو و مَثُوبةً مبتدأ مِّنْ عِنْدِ اللّٰهِ صفته خَيْرٌ خبره و قُرأ مَثْوبة بسكون الثّاء و فتح الواو و قاسوه علىٰ تصحيح من نظائره نحو فقَتَلة رٰاعِنٰا فعل أمرٍ وموضع الجملة نصب، بتقولوا و من قَرأ بالتّنوين فالتّقدير لا تقولوا قولاً راعناً وَلاَ الْمُشْرِكِينَ في موضع جرٍّ عطفاً علىٰ أهل اَنْ يُنَزَّلَ في موضع نَصب بيَوَّد مِّنْ خَيْرٍ قيل من زائدة مِّنْ رَّبِّكُمْ لأبتداء غاية الإنزال ويجوز أن يكون صفة لخَيرٍ.

◁ التّفسير

قوله تعالىٰ: **وَلَوْ اَنَّهُمْ اٰمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللّٰهِ خَيْرٌ لَّوْ كٰانُوا يَعْلَمُونَ** أي أنّ الّذين يتّعلمون السِّحر ويُعلّمونه غيرهم والمراد بـهم اليَـهود علىٰ ما مرّ بيانه لو أمنوا باللّه و رسوله وصَدَّقوا القرأن، و إتّـقوا قـيل وإتّـقوا السّحر والكفر أو جميع المعاصي لَمَثُوبةً، أي لأجل الثّواب اللّه، خير لهم لو كانوا يَعلمُون وليس أنّهم كانوا يَجهلُون ذلك ولكن نَزّلَهم اللّه منزلة الجاهل لأنّ من لا يَعمل بعلمه فهو والجاهل سواء كما يقول الإنسان لصاحبه و هو يُعطيه ماأدعُوك اليه خير لك لو كُنت تَعقل أو تنظر في العَواقب و في قوله: **لَّوْ كٰانُوا يَعْلَمُونَ** وجهان:

أحدهما: أنّ معناه **لَّوْ كٰانُوا يَعْلَمُونَ** لَظَهر لهم بالعِلم ذلك أي تَعلمُوا أنّ ثواب اللّه خيرٌ من السّحر.

القول الثّاني: أنّ المعنىٰ الدّلالة على جهلهم و ترغيبهم في أن يعلموا ذلك وأن يطلبوا ما هو خيرٌ من السِّحر و هو ثواب اللّه الّذي ينال بطاعاته فأن قلت كيف أُوثرت الجملة الإسمية علىٰ الفعلّية في جواب لَو، قلتُ لِما في ذلك من الدّلالة علىٰ إثبات المَثوبة وإستقرارها كما عَدَل عن النّصب الىٰ الرَّفـع فـي سلامٌ عليكم، لذلك.

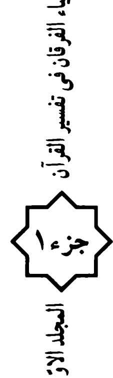
أن **قلت** فهلاً قيل لمثوبة اللّه خيرٌ، قلت لأنّ المعنىٰ لَشيءٌ من الثّواب خيرٌ لهم.

و أمّا قوله تعالىٰ: **يٰٓاَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا لاٰ تَقُولُوا رٰاعِنٰا وَقُولُوا انْظُرْنٰا وَاسْمَعُوا وَلِلْكٰافِرِينَ** فقال المفسّرون في الآية لمّا نهىٰ اللّه تعالىٰ اليهُود عن السِّحر وأعماله علىٰ ما مَرّ في الأيات السّابقة عَقَّب الكلام بالنّهي عن إطلاق هذه اللّفظة فقال: **يٰٓاَيُّهَا يٰٓاَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا لاٰ تَقُولُوا رٰاعِنٰا** قال بعض المفسّرين كان المسلمون يقولون يارسول الله راعِنا، أي إستمع مِنّا فَحرّفت اليهود هذه اللّفظة فقالوا يامحمّد راعِنا، و هم يَلحدُون الىٰ الرّبوبية يريدون به النّقيصة والوقيعة فلمّا عُوتبوا قالوا نقول كما يقول المُسلمون فَنهىٰ اللّه المسلمين عن ذلك بقوله: **لاٰ تَقُولُوا رٰاعِنٰا وَقُولُوا انْظُرْنٰا** و قال قتادة هي كلمة تقولها اليهود علىٰ وجه الإستهزاء و قال عَطا هي كلمة تقولها الأنصار في الجاهليّة فنُهوا عنها في الإسلام و قال صاحب الكشّاف كان المسلمون يقولون لرسول اللّه اذا أُلقي اليهم شيئاً من العلم راعِنا يارسول اللّه أي راقبنا وإنتظرنا وتأنّ بنا حتّىٰ نفهمه و نحفظه وكانت لليهود كلمة تَسابون بها عبّرانية أو سريانيّة و هي راعينا فلمّا سمعوا بقول المؤمنين راعِنا، إفترصُوه و خاطبوا به الرّسول و هم يَعنُون به تلك المَسَبة فَنُهي المؤمنون عنها وأُمِروا بما هو في معناه و هو **أنظرنا** من **نَظره** اذا **إنتَظره** وقرأ أُبَي **أنظِرنا** من **النَّظرة** أي أمهلنا حتّىٰ نَحفظ و قرأ عبد اللّه ابن مسعود راعونا، علىٰ أنّهم كانوا يخاطبونه بلفظ الجمع للتّوقير و أمّا قوله: **وَاسْمَعُوا وَلِلْكٰافِرِينَ** أي أحسنوا سماع ما يكلّمكم به رسول اللّه ويلقي اليكم من المسائل بأذانٍ واعية و أذهانٍ حاضرة أو أسمعوا سماع قبولٍ و طاعةٍ و لا يكن سماعكم كسماع اليهود حيث **قٰالُوا سَمِعْنٰا وَعَصَيْنٰا** أو أسمعونا ما أُمرتُم به بجّدٍ حتّىٰ لا ترجعوا الىٰ ما نُهيتم عنه تأكيداً عليهم ترك الكلمة نُقل أنّ سعد ابن معاذ سَمعها منهم فقال ياأعداء اللّه عليكم لعنة اللّه والّذي نفسي بيده لأن سمعتها من رجلٍ منكم يقولها لرسول

اللّه ﷺ لأضرِبَن عُنقُه فقالوا أوَلَستم تقولونها فَنزلت وللكافرين عذابٌ أليم.

قوله تعالىٰ: **مّا يَوَدُّ الَّذينَ كَفروُا مِنْ اَهْلِ الْكِتابِ وَلاَ الْمُشْرِكينَ اَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ خَيْرٍ مِّنْ رَّبِّكُمْ** معناه ما يُحبّ الكافرون من أهل الكتاب أعني اليهود والنّصارىٰ وغيرهما و لا المشركين من عبدة الأوثان، أن يُنزل عليكم أيّها المسلمون شيئاً من الخير الّذي هو عنده والمراد بالخير في الأية ما أوحىٰ الىٰ نبّيه و ما أنزل عليه من القرأن والشّرائع بغياً منهم و حَسداً واللّه يختصّ برحمته من يشاء من عباده واللّه ذو الفضل العظيم، فيه إشعار بانّ النبوّة من الفَضل العظيم كقوله تعالىٰ أن فضله كان عليك كبيراً و يمكن أن يكون الفضل إشارة الىٰ أنّ كلّ خيرٍ أعطاه اللّه عباده في دينهم و دنياهم فأنّه من عنده ابتلاءً منه عليهم و تفضّلاً عليهم من غير إستحقاقٍ منهم لذلك عليه فهو عظيم الفضل يادائم الفَضل علىٰ البّرية يا باسط اليَدين بالعطيّة منّ علينا بفضلك وجودك ياأكرم الأكرمين وقد ورد في الدّعاء ياذا الجُود والإحسان ياذا الفَضل والإمتنان.

قال بعض المحققين في شرحه علىٰ الدّعاء في هذا المقام في تعقيب هذا الإسم لما قبله إيماء الىٰ أنّ جوده و إحسانه علىٰ الإطلاق بمحض التّفضل منه من غير إستحقاق بل هو تعالىٰ مبتدأ بالنِّعم قبل إستحقّاقها و ذلك لأنّ الفعل مقدّم بجميع أنحاء التقدّم اذ لا قوّة حيث لا فعل فما لم يستفض الأشياء في العين بالفيض المقدّس لم يحصل لها قوّة كما أنّها ما لَم تتقرّر في العلم بالفيض الأقدس لم يثبت لها قابلّية و لا لسان إستعداد و سُؤال و لا إمتنان لأمر الحقّ المتعال فالقابلّيات و أن كانت للأشياء ذاتّيات لكن ظهورها أنّما هو بنور منبع الفّعليات انتهىٰ.



■

مٰا نَنْسَخْ مِنْ اٰيَةٍ اَوْنُنْسِهٰا نَاْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهٰآ اَوْ مِثْلِهٰا اَلَمْ تَعْلَمْ اَنَّ اللّٰهَ عَلىٰ كُلِّ شَئٍْ قَديرٌ ﴿١٠٦﴾ اَلَمْ تَعْلَمْ اَنَّ اللّٰهَ لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰاتِ وَالْاَرْضِ وَمٰـالَكُمْ مِّـنْ دُونِ اللّٰهِ مِنْ وَّلِيٍّ وَلاٰ نَصيرٍ ﴿١٠٧﴾ اَمْ تُريدُونَ اَنْ تَسْئَلُوا رَسُولَكُمْ كَمٰا سُئِلَ مُوسىٰ مِنْ قَـبْلُ وَ مَـنْ يَّتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْاٖيمٰانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوٰاءَ السَّبيلَ ﴿١٠٨﴾

◁ اللّغة

نَنْسَخْ: النّسخ بفتح النّون في الأصل إزالة الشّئ و قيل إزالة شئٍ بشئٍ يَتَّعقبه كنسخ الشّمس الظّل والظّل الشّمس و الشّيب الشّباب فتارةً يفهمَ منه الإزالة و تارةً يفهم منه الإثبات و تارةً يفهم منه الأمران ونسخ الكتاب إزالة حكم بحكمٍ يتعقّبه.

اَوْنُنْسِهٰا: النّسيان ترك الإنسان ضبط ما إستودع أمّا لضعف قلبه أو عن غفلةٍ وقصدٍ هذا في الإنسان و أمّا اذا نُسب الىٰ اللّه تعالىٰ. فهو تركه أيّاهم إستهانة بهم و مجازاةً لما تركُوه.

يَّتَبَدَّلِ:التبدّيل والتبدُّل والإستبدّال والإبدال جعل شئٍ مكان آخر و هـو أعّم من العوض.

◁ الإعراب

مٰا نَنْسَخْ ما شرّطية جازمة لننسخ منصوبة الموضع بـه وجـواب الشّـرط، نَاْتِ بِخَيْرٍمِّنْهٰآ و من آيةٍ في موضع نصب على الحال أي شئٍ ننسخ من آيةٍ، و قيل، ما مَصدّرية ، و، آية، مفعول به اَوْنُنْسِهٰا معطوف علىٰ ننسخ لَـهُ مُـلْكُ السَّمٰوٰاتِ مبتدأ و خبر في موضع خبر أنّ، مِنْ وَّلِيٍّ من زائدة و ولّيٍ في موضع

رفه مبتدأ ولكُم خبره و، نصير، معطوف علىٰ لفظ ولّيٍ ويجوز في الكلام رفعه علىٰ موضع، ولّي، مِّنْ دُونِ في موضع نصب علىٰ الحال من ولّي أو من نصير أَمْ تُرِيدُونَ أم هنا منقطعة والأصل في تريدون، تردُدون، لأنّه من راد يَرُود كَمَا الكاف في موضع نصب صفة لمصدر محذوف أي سؤالكما، وما مصدّرية بِالْإِيمَانِ الباء في موضع نصب علىٰ الحال من الكفر سَوَآءَ السَّبِيلَ سواء ظرف بمعنى وسط السّبيل وأعد له والسّبيل يذّكر و يُؤنّث.

◁ التّفسير

أحدها: قوله تعالىٰ: **مَا نَنْسَخْ مِنْ ءَايَةٍ** الىٰ آخر الآية إعلم أنّ تفسير يستدّعي التّكلم فيّ أمور.

أحدها: أنّ النسّخ في اللّغة بمعنىٰ النّقل والتحوّيل و منه تناسخ المواريث والدّهور و بمعنىٰ الإزالة و منه نَسَخت الشّمس الظّل و قد كثر إستعماله في هذا المعنىٰ في ألسَّنة الصّحابة والتّابعين فكانوا يطلقون علىٰ المُخصّص والمقيّد لفظ النّاسخ، و أمّا في الإصطلاح فهو عبارة عن رفع أمرٍ ثابتٍ في السّريعة المقدّسة بإرتفاع أَمده و زمانه سواء أكان ذلك الأمر المرتفع من الأحكام التّكليفية أمّ الوضّعية و سواء أكان من المناسب الإلٰهية أم من غيرها من الأمور التّي ترجع الىٰ اللّه بما أنّه شارع و هذا الأخير كما في نسخ القرآن من حيث التّلاوة فقط وأنّما قَيَدّنا الرّفع بالأمر الثّابت في الشّريعة ليخرج به إرتفاع الحكم بسبب إرتفاع موضوعه خارجاً كإرتفاع وجوب الصّوم بإنتهاء شهر رمضان و إرتفاع وجوب الصّلاة بخُروج وقتها و ارتفاع مالكيّة شخصٍ لماله بسبب مَوته فأنّ هذا النّوع من إرتفاع الأحكام لا يسّمى نسخاً و لا إشكال في إمكانه و وقوعه و لا خلاف فيه من أحدٍ و توضيح ذلك أنّ الحكم المجعول في الشّريعة له نحوان من الثّبوت، أحدهما ثبوته في عالم التّشريع والإنشاء و من المعلوم أنّ الحكم فى هذه المَرحلة يكون مجعولاً علىٰ نحو القضية

الحقّيقية فلا فرق في ثبوتها بين وجود الموضوع و عَدمه و أنّما يكون قوام الحكم بفرض وجود الموضوع فاذا قال الشّارع شرب الخمر حرام مثلاً، فليس معناه أنّ هنا خمراً في الخارج و هو محكوم بالحرقه بل معناه أنّ الخمر متىٰ فُرض وجوده في الخارج فهو محكوم بالحرمة سواء كان في الخارج خمرٌ بالفعل أم لم يكن و رفع هذا الحكم في هذا المرحلة لا يكون بالنسّخ.

ثانيهما: بثبوت ذلك الحكم في الخارج بمعنىٰ أنّ الحكم يعود فعلّياً بَسبب فعلية موضوعه خارجاً كما إذا تحقّق وجود الخمر في الخارج فأنّ الحرمة المجعولة في الشّريعة ثابتة له بالفعل و هذه الحرمة تستّمر بإستمرار موضوعها فإذا إنقلب الخمر خلّاً فلا ريب في إرتفاع الحُرمة الثابتة له حال الخمرّية ولكن إرتفاع هذا الحكم ليس من النّسخ في شئ و لا كلام لأحدٍ في جوازه و وقوعه و أنّما الكلام في القسم الأوّل و هو رفع الحكم عن موضوعه في عالم التّشريع إذا عرفت معنىٰ النَّسخ فنقول المعروف بين عُلماء من المسلمين و غيرهم هو جواز النَّسخ بالمعنىٰ المتنازع فيه و هو رفع الحكم عن موضوعه في عالم التّشريع و الإنشاء و خالف في ذلك اليهود والنّصارىٰ فأدّعوا إستحالة النّسخ و ملخّص شبهتهم في المقام هو أنّ النّسخ يستلزم عدم حكمة النّاسخ أو جهله بوجه الحكمة وكلاهما يستعمل في حقّه تعالىٰ و ذلک لأنّ تشريع الحكم من الحكيم المطلق لابدّ و أن يكون علىٰ طبق مصلحةٍ تقتضيه و علىٰ ذلك فرفع هذا الحكم الثّابت لموضوعه أمّا أن يكون مع بقاء الحال علىٰ ماهو عليه من وجه المصلحة و علم ناسخه بها و هذا يُنافي حكمة الجاعل مع أنّه حكيمٌ مطلق و أمّا أن يكون من جهة البداء وكشف الخلاف علىٰ ما هو الغالب في الأحكام والقوانين العُرفيّة و هو يستلزم الجهل منه تعالىٰ وعلىٰ ذلك فيكون وقوع النّسخ في الشّريعة محالاً لأنّه يستلزم المحال.

والجواب، عن هذه الشّبهة الواهية أنّ الحكم المجعول من قبل الحكيم قد لا يراد منه البعث أو الزّجر الحقيقين و ذلک كالأو امر التّي يقصد بها الإمتحان

و هذا النّوع من الأحكام يمكن إثباته أوّلاً ثمّ رفعه و لا مانع من ذلك فأنّ كلّاً من الإثبات و الرّفع في وقته قد نشأ عن مصلحة و حكمة و هذا النّسخ لا يلزم منه خلاف الحكمة و لا ينشأ من البداء الّذي يستحيل في حقّه تعالىٰ و قد يكون الحكم المجعُول حكماً حقّيقياً و مع ذلك يُنسخ بعد زمانٍ لا بمعنىٰ أنّ الحكم بعد ثبوته يرفع في الواقع و نفس الأمركي يكون مستحيلاً علىٰ الحكيم العالم بل هو بمعنى أن يكون الحكم المجعُول مقيّداً بزمانٍ خاصّ معلوم عند اللّه مجهول عند النّاس ويكون إرتفاعه بعد إنتهاء ذلك الزّمان لإنتهاء أمَده الّذي قُيّد به و حلول غايته الواقّية الّتي أُنيط بها والنّسخ بهذا المعنىٰ ممكن قطعاً بداهةً أنّ دخل خصوصيّات الزّمان في مناطات الأحكام ممّا لا يشكّ فيه عاقل فأنّ يوم السّبت مثلاً في شريعة موسىٰ قد إشتمل علىٰ خوصّية تقتضي جعله عيداً لأهل تلك الشّريعة دون بقيّة الأيّام و مثله يوم الجمعة في الإسلام و هكذا الحال في أوقات الصّلاة و الصّيام و الحجّ و اذا تصّورنا وقوع مثل هذا في الشّرائع فلنتّصور أن يكون للزّمان خصوصّية من جهة إستمرار الحكم و عَدمه فيكون الفعل ذا مصلحة في مدّةٍ مُعيّنة ثمّ لا تترّتب عليه تلك المَصلحة بهد إنتهاء تلك المدّة وقد يكون الأمر بالعكس و بالجملة كما يمكن أن يقّيد إطلاق الحكم من غير جهة الزّمان بدليلٍ مُنفصل فكذلك يمكن تقييد إطلاقه من جهة الزّمان بدليلٍ منفصلٍ فأنّ المَصلحة قد تقتضي بيان الحكم علىٰ جهة العموم أو الإطلاق مَع أنّ المراد الواقعي هو الخاصّ أو المقّيد و يكون بيان التّخصيص أو التقّييد بدليلٍ مُنفصلٍ فالنّسخ في الحقيقة تقييد لإطلاق الحكم من حيث الزّمان و لا تلزم منه مخالفة الحكمة و لا البداء بالمعنى المستحيل في حقّه تعالىٰ و هذا كلّه بناءً علىٰ أنّ جَعل الأحكام و تشريعها مسّببٌ عن المصالح أو المفاسد التى تكون في نفس العَمَل و أمّا علىٰ مذهب من يرىٰ تبعيّته الأحكام لمصالح في الأحكام أنفسها فأنّ الأمر أوضح لأنّ الحكم الحقيقي علىٰ هذا الرّأي يكون شأنه شأن الأحكام الإمتحانيّة هذا ما أفاده

سيّدنا الإستاذ مدّ ظلّه العلامّة الخُوئي في المقام والحقّ أنّه أطال اللّه بقاه قد أجاد بما أفاد وليس بعده كلامٌ.

ثانيها: قوله تعالىٰ: **اَوْ نُنْسِهٰا** أعلم أنّ الأشهر في قراءة هذه الكلمة هو ضمّ النّون و عليه فهي من أنسىٰ ينسىٰ من النّسيان الّذي بمعنىٰ التّرك أي نتركها فلا نُبدّلها و لا ننسخها و عليه قوله تعالىٰ: **وَ لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اَللّٰهَ فَأَنْسٰيهُمْ أَنْفُسَهُمْ**[1] و علىٰ هذه القراءة فالمعنىٰ في أو نُنسها حذف ذكرها عن القلوب بقوّةٍ إلٰهيّة و قرأ أبو عمرو و ابن كثير بفتح النّون و السّين و الهَمزة و به قرأ عطا و مجاهد و أبّى ابن كعب و غيرهم و علىٰ هذا فهو مأخوذ من نساء بمعنىٰ التّأخير قال الرّاغب في المفردات، النَسئ تأخير في الوقت و منه نسِئت المرأة اذا تأخر وقت حيضها يقال نساء اللّه في أجَلَك و نَسَاء اللّه أجَلَك أي أَخَّـر والنسّيئة بيع الشّئ بالتّأخير و منها النّسئ الّذي كانت العرب تفعله و هو تأخير بعض الأشهر الحرم الى شهرٍ أخر قال اللّه تعالىٰ: **إِنَّمَا اَلنَّسِيٓءُ زِيٰادَةٌ فِي اَلْكُفْرِ**[2]فيصير معنىٰ الآية أو تُؤخرها إمّا بإنسائها و أمّا بإبطال حكمها انتهىٰ كلام الرّاغب.

اذا عرفت القراءتين فنقول أمّا القراءة الثّانية فلاكلام فيها بين المفسّرين لأنّ قوله: **نُنْسِهٰا** مأخوذ من النّسئ من نَساء يَنسأ نَساء و هو التّأخير في الوقت فيصير معنىٰ الآية ما ننسخ من أيةٍ أي ما نَرفع من أيةٍ أو حكم أيةٍ و قيل معناه ما نُبَدل من أيةٍ أو نَنساها أي نُؤخّرها عن الوقت المَضرُوب له و هذا واضح.

و أمّا علىٰ القراءة الأولىٰ و هي ضمّ النّون من أنَسىٰ يُنسىٰ إنساء من النّسيان المقابل للذّكر فهو في حقّ الأُمّة لا إشكال فيه و أمّا في حقّ الرّسول فهو محلّ إشكالٍ بل منع و ذلک لأنّ النّسيان ينافي العصمة فَتجويز ذلك علىٰ النّبي يوجب التّنفير قال الشّيخ في التبيّان ما هذا لفظه و قوله أو ننسأها فالنّسئ التّأخير ونقيضه التّقديم يقال أنسأت الإبل عن الحوض أنسأها أنسأ اذا أخرّتَها

١- الحشر = ١٩
٢- التوبة = ٣٧

عنه وساق الكلام في نقل الأقوال الىٰ أن قال و من قرأ نُنسها بضّم النّون و كسر السّين يحتمل أمرين:

أحدهما: أن يكون مأخوذاً من النّسيان إلاّ أنّه لا يجوز أن يكون ذلك من النّبي لأنّه لا يجوز ذلك من حيث ينّفر عنه ويجوز ذلك علىٰ الأمّة بأن يُؤمر بترك قراءتها و ينسونها علىٰ طول الأيّام و يجوز أن ينسهم اللّه تعالىٰ ذلك و أن كانوا جمعاً كثيراً ويكون ذلك مُعجزاً بمعنىٰ التّرك من قوله نسُوا اللّه فنسيهم، والأوّل عن قتادة.

الثّاني: عن ابن عبّاس و قال معناه نَتركها لا نُبدّلها انتهىٰ.

وضع الحاجة من كلامه قال الطّبرسي ﷺ بعد نقله عن الشّيخ أنّه قال و لا يجوز ذلك علىٰ النّبي ما لفظه وقد جوّز جماعة من المحقّقين ذلك علىٰ النّبي قالوا أنّه لا يؤدي الىٰ التّنفير لتعلّقه بالمَصلحة الىٰ أن قال و إستّدل من حَمَل الأية علىٰ النّسيان الّذي هو خلاف الذّكر وجوّز كون النّبي مراداً به بقوله سبحانه سنقرأك فلا تنسىٰ إلاّ ما شاء اللّه أي ما شاء اللّه أن تَنساه قال و الىٰ هذا ذهب أبو الحَسن فقال أنّ نبّيكم أقرأ القرأن ثمّ نسيه و أنكر الزّجاج هذا القول و قال أنّ اللّه تعلىٰ قد أنبأ النبّي في قوله: **وَ لَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ** لتفتري علينا غيره) بأنّه لا يشاء أن يذهب بالّذي أُوحي الىٰ النّبي و قال أبو علي الفارسي هذا الّذي إحتّج به لايدّل علىٰ فساد ما ذَهبُوا اليه و ذلک أنّ قوله: **وَ لَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ** أنّ ماهو علىٰ مالا يجوز عليه النّسخ و التبدّيل من الأخبار و أقاصيص الأمم و نحو ذلك ممّا يجوز عليه التبدّيل والّذي ينساه النّبي هو ما يجوز أن ينسخ من الأوامرو النّواهي الموقوفة علىٰ المصلحة و في الأوقات الّذي يكون ذلك فيها أصلح و يدّلك علىٰ أنّ نُنسها من النّسيان الّذي هو خلاف الذّكر قراءة من قَرأ أو ننسها و هو قراءة سعد بن أبي وقّاص وقراءة من قَرَأ أو ننسها و هو المرّوي عن سالم مولىٰ أبي حذيفة و ساق الكلام الىٰ أن قال و يؤكد ذلك مارُوي عن قتادة أنّه قال كانت الآية نُنسخ بالأية و يُنسي اللّه نبّيه من ذلك شيئاً انتهىٰ.

وأنا أقول ماذكره الشّيخ الطّوسي ﷺ من أنّه يُوجب التّنفير حقّ و هو أحقّ بالإتّباع ممّا ذكره قتادة والزّجاج وأبو علي الفارسي و أمثالهم من العامّة و ذلک لأنّ ماذكره هؤلاء القوم موافق لمذهبهم من جواز السّهو والنّسيان في حقّ النّبي و أمّا ما ذكره الشّيخ فهو موافق لمَذهبنا من عدم جواز ذلك في حقّ النّبي والأئمّة عليهم السّلام لمكان عِصمتهم فلو جوّز السّهو أو النّسيان في النّبي فكيف يعتمد علىٰ قوله و هو واضح ثابت علىٰ أُصولنا وليس المقام مَوضع إطالة الكلام فيه ثمّ قال الطّبرسي ﷺ.

والوجه الثّاني، هو أنّ المراد بالنّسيان التّرك في الآية و هو مرّوي عن ابن عبّاس فعلىٰ هذا يكون المراد بنُنسها فأمركم بتركها أي بتَرك العَمل بها.

أقول هذا مِمّا لا بأس به و قد نقلنا عن الرّاغب أنّه قال اذا نُسب الىٰ اللّه فهو تركه إيّاهم إستهانةً بهم و مجازاةً لما تركوه فملَّخص الكلام هو أنّ قراءة الضمّ تصحّ اذا كان بمعنىٰ النّسيان بمعنىٰ التّرك و أمّا بمعنىٰ النسيان الذّي هو خلاف الذّكر فلا يمكن حمل الآية عليه إلاّ علىٰ أُصول العامّة من جواز السّهو والنّسيان علىٰ النّبي و هو كما ترىٰ و أمّا قراءة الفتح فلا إشكال فيها أصلاً.

ثالثها: قوله تعالىٰ **نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَا** نقل فيه قولان:

أحَدهما: **نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ** لكم في التسّهيل والتّسيير كالأمر بالقتال الّذي سهّل علىٰ المسلمين بقوله الأن خفّف اللّه عنكم أو مثلها في السّهُولة كالعبادة بالتوجّه الىٰ الكعبة بعد أن كان البيت المقدّس عن ابن عبّاس.

الثّاني: **نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ** فى الوقت الثّاني أي هي لكم في الوقت الثّاني خير لكم من الأولىٰ لكم في الوقت الأوّل في باب المَصَلحة أو مثلها عن الحَسَن نقل القولين الطّبرسي في المجمع أقول و في المقام قول ثالث والمعنىٰ بأنفع لكم أيّها النّاس في عاجلٍ أن كانت النّاسخة أخفّ وفي أجلٍ أن كانت أثقل وبمثلها أن كانت مُستوية و يحتمل عدم إرادة التفضّيل من اللّفظ لأنّ كلام اللّه لا يتفاضل و أنّما هو مثل قوله: **مَنْ جَآءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا**[1]

١- النمل = ٨٩

أي فَله فيها خير أي نفع و أجَرٌ لا الخير الّذي هو بمعنىٰ الأفضل والظّاهر أنّ قوله: **اَوْ مِثْلِهٰا** ينافي هذا الإحتمال أقول الآية في الأصل العلامة الظّاهرة و إشتقاق الآية أمّا من أيّ فأنّها هي التي تبيّن أيّاً من أيٍّ و الصحّيح أنّها مُشتقة من الثّاني الّذي هو التّثبت والإقامة علىٰ الشّئ يقال تأيّ أي أرفق أو من قولهم أوَىٰ اليه ثمّ أنّها تطلّق علىٰ كلّ جملةٍ من القرأن دالّة علىٰ حكم سورةً كانت أو فصولاً أو فَصلاً من سورةٍ و قد يقال لكلّ كلامٍ منه مُنفصل بفَصلٍ لفّظي أية و علىٰ هذا إعتبار أيات السُّور الّتي تعدّ بها السّورة هذا كلّه في الأيات التّشريعية ظاهر و قد تطلق علىٰ الأيات التّكوينية:

قال اللّه تعالىٰ: **وَ جَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَ أُمَّهُ اٰيَةً**(١).

قال اللّه تعالىٰ: **وَ مٰا نُرْسِلُ بِالْاٰيٰاتِ إِلّٰا تَخْوِيفًا**(٢)

فالأيات قيل إشارة الىٰ الجراد والقُمّل والضّفادع ونحوها من الأيات التّي أُرسلت الىٰ الأُمم المتّقدمة للتّنبيه والتّخويف ومنه:

قال اللّه تعالىٰ: **إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَاٰيَةً لِمَنْ خٰافَ عَذٰابَ اَلْاٰخِرَةِ**(٣).

قال اللّه تعالىٰ: **وَ لَقَدْ تَرَكْنٰاهٰآ اٰيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ**(٤).

قال اللّه تعالىٰ: **فَأَنْجَيْنٰاهُ وَ أَصْحٰابَ اَلسَّفِينَةِ وَ جَعَلْنٰاهٰآ اٰيَةً لِلْعٰالَمِينَ**(٥).

و الىٰ التّكويني منها أشير بقوله و في كلّ شئٍ له أيةٌ تدّل علىٰ أنّه واحدٌ اذا علمت هذا فقوله تعالىٰ ما نُنسخ من أيةٍ الآية يُحمل علىٰ العموم أعني به التّشريعي والتّكويني وقد وَردت به روايات من أهل البيت.

فقد وَرد في أُصول الكافي بأسناده عن محمّد عن شاهويه بن عبد اللّه الجّلاب قال: كتب الّي أبو الحَسن في كتابٍ أردت أن تسأل عن

١- المؤمنون = ٥٠
٢- الاسراء= ٥٩
٣-هود= ١٠٣
٤- القمر= ١٥
٥- العنكبوت = ١٥

خلفٍ بعد أبي جعفر و قلقتُ لذلك فلا تغتّم فانّ اللّه عزّ وجلّ لا يضلّ قوماً بعد اذ هداهم حتّىٰ يبيّن لهم ما يتّقون و صاحبكم بعدي أبو ممدّ ابني وعنده ما تحتاجون اليه يقدّم ما يشاء ما ننسخ من أيةٍ اَوْ نُنْسِهٰا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهٰآ أو مثلها قد كتبتُ بما فيه بيان وقناع لذي عقلٍ يقظان انتهىٰ.

و في تفسير العيّاشي عن عمر بن يزيد قال: سألت أبا عبد اللّه عن قول اللّه عزّ وجلّ ما ننسخ من أيةٍ اَوْ نُنْسِهٰا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهٰآ أو مثلها فقال عليه‌السلام: كذبوا ما هكذا هي اذا كان ينسىٰ وينسخها أو يأت بمثلها لم ينسخها قلت هكذا قال اللّه قال لَيس هكذا قال اللّه تبارك وتعالىٰ قلتُ فكيف قال ليس فيها ألف ولا واو قال ما ننسخ من أيةٍ اَوْ نُنْسِهٰا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهٰآ مثلها يقول مانَميت من إمام أو نُنسه ذكره نأت بخيرٍ منه من صلبه مثله تفسير نور الثّقلين[1].

أقول ماذكره في الرّوايتين أنّما هو تأويل الآية لا تفسير ألفاظها و سيأتي البحث في الفرق بين التفسّير والتأوّيل إن شاء اللّه.

رابعها: قوله تعالىٰ: **اَلَمْ تَعْلَمْ اَنَّ اللّٰهَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ** فالظّاهر أنّه خطاب للرّسول صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم و فيه إشارة الىٰ أنّ اللّه تعالىٰ قادر علىٰ كلّ شيءٍ و منه النّسخ في الأيات التّشريعيّة التّكوينيّة وكان سبب نزول الآية أنّ اليهود حسدُوا المسلمين في التوجّه الىٰ الكعبة و طَعنوا في الإسلام بذلك و قالوا أنّ محمّداً يأمر أصحابه بشيءٍ ثمّ ينهاهم عنه فما كان هذا القرأن إلاّ من جهته و لهذا يناقض بعضه بعضاً فأنزل اللّه، ما ننسخ من أيةٍ الخ واذا بدّلنا أيةً مكان أيةٍ الخ أي أنّه يفعل ما يشاء و يحكم مايريد فكما أنّه قادرٌ علىٰ الإيجاد قادر علىٰ الإماتة وكما أنّه قادر علىٰ جعل لحكم قادرٌ علىٰ نَسخه وتبديله و هو مُقتضى القدرة المَطلقة.

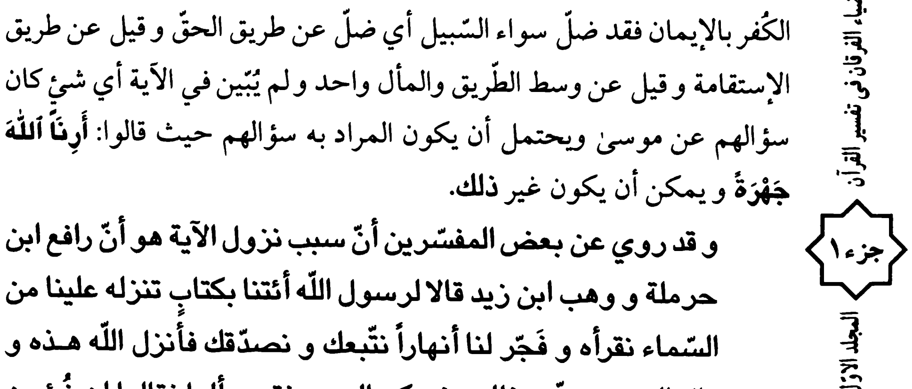
١- ج ١ ص ١١٥

و أمّا قوله تعالىٰ: **اَلَمْ تَعْلَمْ اَنَّ اللّٰـهَ لَـهُ مُـلْكُ السَّـمٰوٰاتِ وَالْاَرْضِ وَمٰالَكُمْ مِّنْ دُونِ اللّٰهِ مِنْ وَّلِيٍّ وَلاٰ نَصيرٍ** فهو خـطاب للـرّسول صلى الله عليه وآله وسلم والمعنىٰ قل لهم أي لليهود أنّ لِلّٰه سلطان السّموات والأرض فَليس لأحدٍ من خلقه الإعتراض عليه في مُلكه فهو يَفعل في مُلكه ما يشاء ويَمحو ما يشاء و يُثبت ما يشاء.

و في قوله: **وَمٰالَكُمْ مِّنْ دُونِ اللّٰهِ مِنْ وَّلِيٍّ وَلاٰ نَـصيرٍ** فـالمعنىٰ أيـن تذهبون واللّه تعالىٰ وليّكم و ناصركم، فمن قال أنّ الآية خطاب للنبي قال أتىٰ بضمير الجمع في الخطاب في قوله (وما لكم) تضخيماً لأمره و تعظيماً لقدره و من قال هي خطاب له وللمؤمنين أولهم خاصّة فالمعنىٰ ألَم تـعلموا أيّـها النّاس، مالكم من دون اللّه أي سوىٰ اللّه من ولّيٍ يقوم بأمركم و ناصرٍ ينصركم فتوجّهوا اليه بقلوبكم و تقّربوا اليه بأعمالكم و إخلاصكم فيها أن كنتم تَعقلون.

قوله تعالىٰ: **اَمْ تُريدُونَ اَنْ تَسْئَلُوا رَسُولَكُمْ كَمٰا سُئِلَ مُوسىٰ مِنْ قَبْلُ**

فالمعنىٰ بل أتُريدون أيّها المؤمنون أن تسألوا رسولكم محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم كما سُأل موسىٰ أي كما سُأل قوم موسىٰ من قبل أي من قبل ذلك و من يـتّبدل الكُفر بالإيمان فقد ضلّ سواء السّبيل أي ضلّ عن طريق الحقّ و قيل عن طريق الإستقامة و قيل عن وسط الطّريق والمأل واحد ولم يُبيّن في الآية أي شئٍ كان سؤالهم عن موسىٰ ويحتمل أن يكون المراد به سؤالهم حيث قالوا: **أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً** و يمكن أن يكون غير ذلك.



و قد روي عن بعض المفسّرين أنّ سبب نزول الآية هو أنّ رافع ابن حرملة و وهب ابن زيد قالا لرسول اللّه أئتنا بكتابٍ تنزله علينا من السّماء نقرأه و فَجّر لنا أنهاراً نتّبعك و نصدّقك فأنزل اللّه هـذه و قال الحَسن عنّي بذلك مشركي العرب فقد سألوا فقالوا لن نُـؤمن حتّىٰ تفجّر لنا الىٰ قوله أو تأتي باللّه والملائكة قـبيلا و قـالوا لولا

أنزل علينا الملائكة أو نرىٰ ربّنا و عن السّدي سألت العَرب محمّداً أن يأتيهم باللّه فيروه جهرةً و قال مجاهد سألت قُريش محمّداً أن يَجعل لهم الصّفا ذهباً فقال نعم و لكن تكون لكم كالمائدة لقوم عيسى فرجعوا.

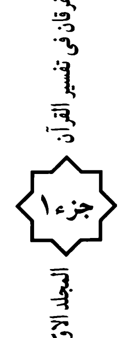
و عن الجبائي أنّ رسول اللّه سأله قوم أن يجعل لهم ذات أنواط كما كان للمشركين ذات أنواط و هي شجرة كانوا يعبدونها و يعلّقون عليها الثّمرة و غيره من المأكولات كما سألوا موسىٰ إجعل لنا ألهة كما لهم ألهة و غير ذلك من الأقوال.

و قد روي الطّبري في تفسيره لكلّ واحدٍ من هذه الأقوال رواية من طريقه و قد اتفّق المفّسرون علىٰ أنّ أم، في الآية منقطعة بمعنىٰ، بل و قد نقل الطّبري عن بَعض البصريّين هي بمعنى الإستفهام و تأويل الكلام، **اَمْ تُرِيدُونَ اَنْ تَسْئَلُوا رَسُولَكُمْ** ثمّ نقل أقوالاً في المقام الىٰ أن قال والصّواب من القول في ذلك عندي علىٰ ما جاءت به الأثار أنّه إستفهام مُبتدأ بمعنىٰ، أتريدُون أيّها القوم أن تَسألوا رسولكم من الأشياء نظير ما سأل قوم موسىٰ من قبلكم فتكفروا أن منعتمُوه في مَسألتكم ما لا يجوز في حكمة اللّه أعطاؤكموه أو تهلكوا أن كان ممّا يجوز في حكمته عطاؤكُموه فأعطاكموه ثمّ كفرتم من بعد ذلك كما هَلك من كان قبلكم من الأمم التّي سألت أنبياؤها ما لم يكن لها مسألتها إيّاهم فلمّا أعطيت كفرت فعُوجلت بالعقوبات لكفرها بعد إعطاؤها أي بعد إعطاء اللّه إيّاها سؤالها وكيف كان ففي الآية قدح و ذمّ علىٰ من سأل الرّسول ما لا ينبغي أن يسأل و فيه إيماء الى أنّ إيمانهم كان صُوريّاً.

■

وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ اَهْلِ الْكِتٰابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِّنْ بَعْدِ ايمٰانِكُمْ كُفّاراً حَسَداً مِّنْ عِنْدِ اَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مٰا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتّىٰ يَأْتِيَ اللّٰهُ بِاَمْرِهٖ اِنَّ اللّٰهَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ ﴿١٠٩﴾ وَاَقيمُوا الصَّلٰوةَ وَاٰتُوا الزَّكٰوةَ وَمٰا تُقَدِّمُوا لِاَنْفُسَكُمْ مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللّٰهِ اِنَّ اللّٰهَ بِمٰا تَعْمَلُونَ بَصيرٌ ﴿١١٠﴾ وَقٰالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ اِلاّٰ مَنْ كٰانَ هُوداً اَوْ نَصٰارىٰ تِلْكَ اَمٰانِيُّهُمْ قُلْ هٰاتُوا بُرْهٰانَكُمْ اِنْ كُنْتُمْ صٰادِقينَ ﴿١١١﴾ بَلىٰ مَنْ اَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّٰهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ اَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلاٰ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاٰ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾

◁ اللّغة



وَدَّ: فعل ماض من الوَّد و هو محبّة الشّيء و تمّنىٰ كونه و يُستعمل في كلّ واحدٍ من المعنيين علىٰ أنّ التّمني يتّضمن معنىٰ الوّد لأنّ التمنّي هو تشتهي حصول ما توّده.

حَسَداً: الحَسد تمنّىٰ زوال نعمةٍ من مستّحقٍ لها و ربما كان مع ذلك سعيٌ في إزالتها.

فَاعْفُوا: أمرٌ من عَفىٰ يَعفو و العَفو هو التّجافي عن الذّنب.

وَاصْفَحُوا: أمرٌ من صَفَح يَصَفح صَفحاً صَفح الّشيء عَرضه و جانبه كَصَفحة الوجه والصَّفح ترك التّثريب و هو أبلغ من العَفو.

هُوداً: الهود الرّجوع برفقٍ و منه التّهويد و صار الهود في التّعارف التّوبة قال اللّه تعالىٰ (**أنّا هُدنا اليك**) أي تبنا قال بعضهم يهود في الأصل من قولهم هُدنا

اليك و كان إسم مَدح ثمّ صار بعد نسخ شريعتهم لازماً لهم و أن لم يكن فيه معنىٰ المدح كما أنّ النّصارىٰ في الأصل من قوله، من أنصاري الى اللّه، ثـمّ صار لازماً لهم بعد نسخ شريعتهم و يقال هاد فلان اذا تحرّىٰ طريقة اليهود في الدّين ثمّ صار علماً بالغلبة لقوم موسىٰ و هكذا النّصارىٰ فالهُود اليَهُود و هو في الأصل جمع هائد أي تائب.

اَمَانِيُّهُمْ: قد مضىٰ معناه وقلنا الأمَنية الصّورة الحاصلة في النّفس من تمَنىٰ الشّئ و قال مجاهد معناه الكذب.

بُرْهَانَكُمْ: البرهان الُحجّة الدّليل.

يَحْزَنُونَ: الحُزن ضدّ السّرور.

◁ الإعراب

لَوْ يَرُدُّونَكُمْ لو بمعنىٰ أن المصّدرية **كُفّاراً** حال من الكاف و الميم ويجوز أن يكون مفعولاً ثانياً **حَسَداً** مصدر و هو مفعول له والعامل فيه وَدَّ أو يَرّدونكم **مِنْ عِنْدِ اَنْفُسِهِمْ** من متعلّقة بحسداً أي ابتداء الحَسد منهم **وَمَا تُقَدِّمُوا** ما شرّطية في موضع نصب بتقدّموا **تَجِدُوهُ** أي تجدوا ثوابه فحذف المضاف **عِنْدَ اللّٰهِ** ظرف لتجدوا أو حال من المفعول به **اِلاّ مَنْ كَانَ** في موضع رفع بيدخل **هُودًا** جمع **هائد** و هود من **هادَ يَهُود** اذا تاب **اَوْ** هنا لتفصيل ما أجمل **اَوْ نَصَارىٰ** جمع **نَصران** كسكران و سكارىٰ **بَلىٰ** جواب النّفي وأسلم و وجهه و هو كلّه محمولٌ علىٰ لفظ من و كذلك فَله أجره عند ربّه و قوله و لا خـوف عـليهم محمولٌ علىٰ معناها.

◁ التّفسير

قوله تعالىٰ: **وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ اَهْلِ الْكِتَابِ** قيل نزلت الآية في حيّ إبن أخطب و أخيه ياسر إبن أخطَب وقد دخلا علىٰ النّبي حين قدم المدينة فلمّا خرجا

قيل لحيّ إبن أخطب أهو نبّي قال هو هو فقيل فماله عندك قال العداوة الىٰ الموت و هو الّذي نقض العهد اثار الحرب يوم الأحزاب نقل هـذا عـن إبـن عبّاس و قيل نزلت في كعب إبن الأشرف عن الزّهوي و قيل في جماعة اليهود عن الحَسن نقل هذه الأقوال الطّبرسي في المجمع و قال الطّبري بعد نقله ما نقلناه كان حيّ إبن خطب وأبو ياسر بن أخطَب من أشدّ يهُود العرب حَسداً إذ خصّهم اللّه برسوله صلى الله عليه وآله وسلم وكانا جاهدين في ردّ النّاس عـن الإسـلام بـما إستطاعوا فأنزَل اللّه فـيهما **وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ اَهْلِ الْكِتٰابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ** و ليس لقول القائل عني بقوله كعب إبن الأشرف مفهوم لأنّ كعب إبن الأشرف واحد وقد أخبر اللّه جلّ ثناؤه أنّ كثيراً منهم يوّدُون لو يرّدون المؤمنين كفاراً بـعد إيمانهم والواحد لا يقال له كثير بمعنى الكثرة في العدو إلاّ أن يكون قائل ذلك أراد بوجه الكثرة التّي وَصَف اللّه بها من وصفه بها في هذه الآية الكثرة في العزّ ورفعة المنزلة في قومه و عشيرته كما يقال فلان في النّاس كثير يراد به كثرة المنزلة والقدر فأن كان أراد ذلك فقد أخطأ لأنّ اللّه جلّ ثناؤه قد وَصَفهم بصفة الجماعة فقال: **لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِّنْ بَعْدِ اِيمٰانِكُمْ كُفّٰاراً حَسَداً** فذلك دليل علىٰ أنّه عني الكثرة في العدد انتهىٰ ما أراد ناقله عنه.

اقول وكيف كان لا شكّ أنّها نزلت في اليهود و بعبارةٍ أخرىٰ أخبر اللّه تعالىٰ بهذه الآية عن سرائرهم فقال ودّكثير من أهل الكتاب، أي تمنّىٰ كثير من اليهود و النّصارىٰ **لَوْ يَرُدُّونَكُمْ** يا معشر المسلمين أي يرجعونكم، **مِّنْ بَعْدِ اِيمٰانِكُمْ كُفّٰاراً حَسَداً** أي تمنّوا رجوعكم الىٰ الكفر بعد الإيمان و الىٰ الضّلالة بعد الهداية ومنشأ هذا التّمني هو الحسد لا غيره، لأنّهم يحسدون عليكم بما أتاكم اللّه من الثّواب في الأخرة والعزّ والشرف في الدّنيا و أنّما قال كثير، ولم يقل وَدَّ أهل الكتاب لأنّ بعضهم كانوا مؤمنين باللّه و رسوله كعبد اللّه بن سلام وكعب الأحبار و أمثالهما و أنّما حسد اليهود المسلمين علىٰ وضع النّبوة فيهم وذهابها

عنهم و قوله: **مِّنْ عِنْدِ اَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مٰا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ** أي بعد ما تبيّن لهم أنّ محمّداً رسول اللّٰه و أن الإسلام دين الحقّ وفيه إشارة الىٰ أنّ معرفة الحقّ لاتلازم العَمل به فأنّ كثيراً من النّاس يعرفونه ومع ذلك لا يعملون به بل ينكرونه بألسنتهم كما قال اللّٰه تعالىٰ: **وَ جَحَدُوا بِهٰا وَ اَسْتَيْقَنَتْهٰآ أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَ عُلُوًّا**[١].

و أمّا قوله تعالىٰ: **فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتّىٰ يَأْتِيَ اللّٰهُ بِاَمْرِهٖ** ففيه إشارة الىٰ حُسن العَفو والصَّفح، أي تجاوزوا عنهم و أن كنتم تقدرون علىٰ الإنتصاف و الإنتقام.

حتّىٰ يأتي اللّٰه بأمره، لكم بعقابهم و قيل أي بأمره، و هو آية القتل والسَّبي لبني قُريطة والجلاء لبني النَّضير و قيل بأمر بالقتال عن قتادة فأنّه قال هذه منسوخة بقوله تعالىٰ: **قٰاتِلُوا اَلَّذينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَ لا بِالْيَوْمِ اَلْاٰخِرِ**[٢] و قال بعضهم أنّ الآية نُسخت بقوله أقتلوا المشركين حيث وجدتُموهم.

و روي عن الباقر عليه السلام أنّه قال: لم يُؤمر رسول اللّٰه بقتال و لا أذن له فيه حتّىٰ نزل جبرئيل بهذه الآية أذن للّذين يقتلون بأنّهم ظلموا، وقلّده سيفاً هكذا قال الطّبرسي في المجمع.

و أمّا قوله: **إِنَّ اللّٰهَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ** أي أنّ اللّٰه علىٰ كلّ ما يشاء قدير أن شاء الإنتقام منهم بعنادهم ربّهم لا رادَّ لمَشيئته و أن هداهم كما هَداكم اللّٰه من الإيمان لا يتعذّر عليه شئ ممّا أراده و لا يتعذّر عليه شئ ممّا قضاه لأنّ له الخلق والأمر قال اللّٰه تعالىٰ: **إِنَّكَ لا تَهْدي مَنْ أَحْبَبْتَ وَ لٰكِنَّ اَللّٰهَ يَهْدي مَنْ يَشٰآءُ**[٣]

نقل القُرطبي في تفسيره عن البخاري و مُسلم عن أُسامة ابن زيد أنّ رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله وسلم: ركب علىٰ حمارٍ عليه قطيفة فَدكيّة و أُسامة

١- النّمل = ١۴ ٢- التوبة = ٢٩

٣- القصص = ۵۶

وراءه يعُود سعد بن عبادة في بني الحارث ابن الخَزرج قبل وَقعة بَدر فسارا حتّىٰ مرًّا بمجلسٍ فيه عبد اللّه ابن أبّي ابن سلول و ذلك قبل أن يسلم عبد اللّه ابن أُبّي فاذا في المَجلس أخلاط من المسلمين و المشركين عبدة الأوثان واليهود و في المسلمين عبد اللّـه ابـن رَواحة فلمّا غشِيت المَجلس الدّابة خمَّر ابن أُبّي أنفَه برداءه و قال لا تُغبّروا علينا فسّلم رسول اللّه ثمّ وقفَ فَنزّل فَدعاهم الىٰ اللّه تعالىٰ و قَرأ عليهم القرأن فقال له عبد اللّه ابن أبّي بن سلول أيّها المرء لا أحسَن ممّا تقول أن كان حقّاً فلا تُؤذّنا به في مجالسنا أرجـع الىٰ رَحلك فمن جاءك فأقصص عليه قـال عـبد اللّـه ابـن رَواحـة بـلىٰ يــارسول اللّـه فأغشـنا فـي مـجالسنا فأنّـا نـحبّ ذلك فأسّـتتب المُشركون و المُسلمون و اليَهُود حتّىٰ كادُوا يتشاورون.

فَلم يزل رسول اللّه ﷺ يخفضهم حتّىٰ سكنُوا ثمّ رَكب رسول اللّه ﷺ دابّته فسار حتّىٰ دَخل علىٰ سعد بن عبادة فقال رسول اللّه يا سَعد ألم تسمع الىٰ ما قال أبو حُباب يريد ابن أبّي قال كذلك فقال سَعد يا رسول اللّه بأبي أنت وأُمّي أعفُ عنه و أصفَح فوالّذي أنزل عليك الكتاب بالحقّ لقد جاءك اللّه بالحقّ الّذي أنزل عليك و لقد إصطلح أهل هذه البحيرة علىٰ أن يتّوجوه و يُـعصّبوه بـالعصابة فلمّا ردّ اللّه ذلك بالحقّ الّذي أعطاك شِرق بذلك فلذلك فَعَل ما رأيت فعَفا عنه رسول اللّه ﷺ و كان رسول اللّه و أصحابه يَـعفون عن المشركين و أهل الكتاب كما أمَرهم اللّه تعالىٰ و يَصبرون علىٰ الأذىٰ قال اللّه عزّ وجلّ: **وَ لَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ مِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا أَذًى كَثِيرًا**[1].

١- آل عمران = ١٨٦

و قال تعالىٰ: وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فكان رسول اللّه يتأول في العفو عنهم ما أمَره اللّه حتّىٰ أذَن له فيهم فلمّا غزا رسول اللّه بدراً فَقتل اللّه به من قَتل من صناديد الكفّار و سادات قريش فَقَفل رسول اللّه و أصحابه غانمين منصُورين معهم أسارىٰ من صناديد الكفّار و سادات قريش قال عبد اللّه ابن أبّي سلول و مَن معه من المشركين وعَبدة الأوثان هذا أمرٌ قد تَوّجه فبايعوا رسول اللّه علىٰ الإسلام فَأسلَمُوا انتهىٰ.

و نحن نتّكلم في الحَسد والعَفو والصّفح في موضع أخر أن شاء اللّه بما لا مزيد عليه.

و أمّا قوله تعالىٰ: **وَأَقِيمُوا الصَّلٰوةَ وَآتُوا الزَّكٰوةَ** فقد تقّدم الكلام فيه و قوله :**وَمٰا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللّٰهِ إِنَّ اللّٰهَ بِمٰا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**فالمعنىٰ ما تقدّموا من خيرٍ من الأعمال الصّالحة والأقوال الحَسنة وبالجملة كلّ عملٍ أو قولٍ يتّصف بالخير في دار الدّنيا تَجدوه عند اللّه غداً يوم القيامة أي تجدون ثوابه وفي هذا الكلام حثّ وترغيب علىٰ فعل الخير قبل الموت و ذلک لأنّ الدّنيا دار عَملٍ والأخرة دار ثوابٍ وجزاءٍ.

قال أمير المؤمنين عليه السلام اليوم عملٌ ولا حساب وغداً حسابٌ ولا عَمل و قال عليه السلام: في كلام أخر له، ألا عاملٌ لنفسه قبل يوم بؤسه ألا وأنكم في أيّام أمَلٍ من وراءه أجلٍ فمن عمل في أيّام أمَله قبل هضُور أجَله نَفعه عَمله ولَم يضُرره أجَلَه و من قَصَّر في أيّام عَمله قبل حضُور أجلَه فقد خسر عَمله وضرّه أجَله ألا فأعملوا في الرّغبة كما تعملون في الرّهبة الىٰ أن قال عليه السلام: ألا وأنكم قد أُمرتُم بالظّعن ودُلّلتم علىٰ الزّاد وأنّ أخَوف ما أخاف عليكم إتّباع الهوىٰ و طول الأمل تَزّودوا من الدّنيا ما تَحرزون أنفسكم به غداً و قال عليه السلام في

خطبة أخرىٰ، و أتّقوا اللّه عباد اللّه و بادروا أجالكم بأعمالكم و أبتاعُوا ما يبقىٰ لكم بما تَزُول عنكم و تَرّحلوا فقد جُدَّ بكم وأستعدّوا للموت فقد أجَّلكم و كونوا قوماً صيح بهم فأنتَّبهوا و اعَلموا أنّ الدّنيا لَيست لَم بدارٍ فأستبدلوا فأنّ اللّه سبحانه لم يخلقكم عَبثاً و لم يَترككم سُدىً وما بين أحَدكم و الجنّة والنّار إلاّ الموت أن ينزل به وقال في خطبةٍ أخرىٰ، فَليعمل العامل منكم في أيّام مَهله قبل إرهاق أجَلَه و في فراغه قبل أو ان شغله وفي تَنّفُسه قبل أن يُؤخذ بكَظمه وليمهّد لنفسه وقدُومه وليتّزود مِن دار ظعنه لدار إقامته الخ.

و لنعم ما قيل:

حانَ الرّحيل فوّدع الدّار التّي ... ماكان ساكنها بها بمُخّلَدٍ
وأضرع الىٰ المَلك الجواد وقُل له ... عبدُ ثياب الجُود أصَبَح يحتدي
لَم يَرض إلاّ اللّه مَعبُودُ ولا ... ديناً سوىٰ دين النّبي محمّدِ

و قال الأخر:

تناديك أحداثُ وَهنّ صموت ... وأربابها تحت التّراب خفوتُ
فيا جامع الدّنيا حريصاً لغيره ... لِمن يجمع الدّنيا وأنت تَموتُ

و قوله: **اِنَّ اللّٰهَ بِمٰا تَعْمَلُونَ بَصيرٌ** معناه لا يخفىٰ عليه تعالىٰ أعمالكم كيف و هو أقرب اليكم من حَبل الوَريد و هو مَعكم أينما كنتم، قوله تعالىٰ: **وَقٰالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ اِلاّٰ مَنْ كٰانَ هُوداً اَوْ نَصٰارىٰ تِلْكَ اَمٰانِيُّهُمْ قُلْ هٰاتُوا بُرْهٰانَكُمْ اِنْ كُنْتُمْ صٰادِقينَ** أي قالت اليهود أو مطلق أهل الكتاب لَن يدحل الجنّة إلاّ من كان هوداً أي من كان من اليهود أو نصارىٰ أي من كان من النّصارىٰ فقال اللّه تعالىٰ ردّاً عليهم بأنّ ما إدّعوه من أباطيلهم و أكاذيبهم أو من تمّنياتهم قل يامحمّد لهم هاتوا برهانكم علىٰ ما إدّعيتُموه أن كنتم صادقين في

إدّعائكم هذا وأنّما رَدَّ اللّه عليهم لأنّ الجنّة مأوىٰ المُتّقين ومكان الصّالحين و أمّا إختصاصهما بقوم دون قومٍ فهو أمرٌ لا دليل عليه من العقل والشّرع ولذلك قال قل هاتوا برهانكم أن كنتم صادقين عَلَّق الخطاب علىٰ الشّرط لأنّ الكاذب لا رهان له في كذبه فَمن إدّعىٰ شيئاً ولم يُقم دليلاً علىٰ مُدّعاه فهو كاذب وأن أقام فهو صادق و لاجل ذلك أنّ اللّه تعالىٰ لم يبعث نبّياً إلاّ و قد جعل له بيّنات دالّة علىٰ صِدقه قال اللّه تعالىٰ: **لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَ أَنْزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَابَ وَ ٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِالْقِسْطِ** [1] و هذه قاعدة عقلّية جارية في مجاري الأمور كلّها واذاكان كذلك فكيف يدّعي اليهود و غيرهم كائناً من كان أنّ الجنّة متّعلقة بهم لن يدخلها أحدٌ إلاّ من كان هُوداً أو نصارىٰ وحيث أنّه مجرد الدّعوىٰ بلا بيّنة وبرهان قال اللّه تعالىٰ: **تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ** أي أنّهم كاذبون في دعواهم أو أنّهم يتمنّون ذلك ولم يسألوا من أنفسهم لم يتّمنونه ثمّ بيّن اللّه تعالىٰ ما يُوجب دخول الجنّة من أي فرقةٍ فأنّ الملاك والمعيار لدخول الجنّة واحد في حقّ الكلّ من اليهود والنّصارىٰ و المسلمين و جميع أهل الكتاب فقال بلىٰ من أسَلَم وَجهه لِلّٰه فَلَه أجره عند ربّه و لا خوف عليهم و لا هم يحزنون، أي نِعم يَدخل الجنّة و يأمن من العذاب و دخول النّار من أسلَم وجهه لِلّٰه و هو محسنٌ أي والحال أنّه محسنٌ في أقواله و أفعاله فقوله أسلَم لِلّٰه فيه وجوهٌ:

أحَدها: أنّه بمعنىٰ إستَسلم يقال إستَسلم فلان أي سَلّم أمره اليه و منه قوله تعالىٰ اذ قال له ربّه أسلِم قال أسَلمتُ لربّ العالمين أي إستَسلمتُ لِلّٰه في جميع ما قضىٰ و قدَّر.

ثانيها: بمعنىٰ الإعتراف باللّسان وبه يحقن الدّم حصَل معه الإعتقاد أو لم سَحصُل و منه قوله تعالىٰ: **قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لٰكِنْ قُولُوٓا أَسْلَمْنَا** [2]

١- الحديد= ٢٥ ٢- الحجرات = ١٤

ثالثها: الطّاعة والإنقياد لِلحقّ ومنه قوله تعالىٰ: **إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ**[1] أي مُعاندون للحقّ مذعنون له و قوله تعالىٰ: **يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا**[2] أي الّذين إنقادوا من الأنبياء الّذين لَيسوا من أُولي العَزم لأُولي العزم الّذين يَهتدون بأمر اللّه و يأتون بالشّرائع.

رابعها: أنّه بمعنىٰ الإخلاص في العبادة ومنه قوله تعالىٰ: **أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ**[3] أي أخلصتُ عبادتي له جلّ ثناؤه و عظمت نعمته.

و في الحديث قلت له ما الإسلام قال عليه السلام دين اللّه إسمه الإسلام وهو دين اللّه قبل أن تكونوا حيث كنتم و بعد أن تكونوا فَمن أقرَّ بدين اللّه فهو مسلم ومَن عَمِل بما أمَر اللّه فهو مُؤمن اذا عرفت معنىٰ الإسلام والوجوه المحتملة فيه:

فأعلم أنّ الإسلام في الآية الشّريفة في المقام ليس هو الإعتراف باللّسان فحسبُ بل المراد الإعتراف باللّسان والإعتقاد بالقلب و العمل بالجوارح و التّسليم لِلّه تعالىٰ في جميع ما قَدَّر و قضىٰ و هو الأوّل من الوجوه أو الثّالث أو الرّابع.

فأنّ المآل في الثلاثة واحد و أمّا الوجه الثّاني، و هو مجرّد الإعتراف فليس بمرادٍ قطعاً والدّليل علىٰ ما إدَّعيناه قوله تعالىٰ بعد قوله من أسلَم وجهه لِلّه و هو محسنٌ و هو فاعل من أحَسَن يحسن إحساناً والإحسان يقال علىٰ وجهين:

أحدهما: الإنعام علىٰ الغير يقال أحسَن الىٰ فلانٍ.

ثانيهما: إحسانٌ في فعله و ذلك اذا عَلمَ علماً حَسَناً و لاجل ذلك قيل الإحسان أعمّ من الإنعام اذا عرفت معنىٰ الإحسان فقوله تعالىٰ و هو محسنٌ، معناه أنّه يعلم و يَعمل فعلاً حَسناً فالمحسن عالمٌ ثمّ عاملٌ بعلمه و من كان

١- النمل = ٨١ ٢- المائدة = ٤٤
٣- آل عمران = ٢٠

كذلك لا يكون إسلامه بِمجرّد اللّفظ قطعاً لأنّ اللّفظ بما هو هو لا يلازم العِلم و لا العَمل فالمُسلم المُحسن لا يكون إلاّ معتقداً عاملاً بما يقول من الأفعال الحسنة و هذا هو الّذي قال تعالىٰ فيه:**فَلَهُ أَجْرُه عِنْدَ رَبِّهِ**.

قال اللّه تعالىٰ: **إِنَّ ٱلَّذِينَ اٰمَنُوا وَ ٱلَّذِينَ هٰادُوا وَ ٱلنَّصٰارىٰ وَ ٱلصّٰابِئِينَ مَنْ اٰمَنَ بِاللّٰهِ وَ ٱلْيَوْمِ ٱلْاٰخِرِ وَ عَمِلَ صٰالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ** (١)

و قد مرّ الكلام فيها ومن الواضح أنّ العَمل الصّالح لا يُوجد إلاّ من المُحسن والقرأن يفسّر بعضه بعضاً و أمّا أنّ أجره عند ربّه فالوجه فيه معلوم لا يخفىٰ علىٰ أحدٍ كيف والأجر علىٰ العمل مُختّص به تعالىٰ كما أشار اليه في كثير من الأيات.

قال اللّه تعالىٰ: **أُولٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ**(٢)

قال اللّه تعالىٰ: **وَ لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ ما كٰانُوا يَعْمَلُونَ**(٣)

قال اللّه تعالىٰ: **ُولٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ**(٤)

و الأيات كثيرة و قوله: **وَلاٰ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاٰ هُمْ يَحْزَنُونَ** نفىٰ اللّه تعالىٰ عنهم الخوف والحُزن الخَوف توقع مكروهٍ عن إمارةٍ مظّنونة أو معلومة و ضدّه الرّجاء و هو توقع محبوبٍ كذلك و قيل الخوف ضدّ الأمن وكيف كان فهو يستعمل في الأمور الدّنيوية والأخرّوية:

قال اللّه تعالىٰ: **وَ يَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَ يَخٰافُونَ عَذٰابَهٗ**(٥)

قال اللّه تعالىٰ: **تَتَجٰافىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضٰاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا**(٦)

١- البقرة= ٦٢ ٢- آل عمران = ١٩٩
٣- النحل = ٩٧ ٤- القصص = ٥٤
٥- الاسراء= ٥٧ ٦- السجدة= ١٦

قال اللّه تعالىٰ: **وَ خافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**[١].

وإعلم أنّ الخوف من اللّه لا يُراد به ما يخطر بالبال من الرُّعب كإستشعار الخوف من الأسد بل أنّما يُراد به الكّف عن المعاصي وإختيار الطّاعات ولذلك قيل لا يُعَّد خائفاً من لم يكن للذّنوب تاركاً، والتّخويف من اللّه تعالىٰ هو الحَثّ علىٰ التّحرز و علىٰ ذلك:

قال اللّه تعالىٰ: **ذٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللّٰهُ بِهِ عِبادَهُ**[٢].

ونهىٰ اللّه عن مخافة الشّيطان والمُبالاة بتَخويفه:

قال اللّه تعالىٰ: **إِنَّمٰا ذٰلِكُمُ ٱلشَّيْطٰانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيٰاءَهُ فَلاٰ تَخٰافُوهُمْ وَ خٰافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**[٣]

وأمّا الحُزن فهو خشونةٌ في النّفس لما يَحصل فيه من الضّم وضدّه الفَرَح:

قال اللّه تعالىٰ: **قٰالَ إِنَّمٰآ أَشْكُوا بَثِّى وَ حُزْنىٓ إِلَى ٱللّٰهِ**[٤]

قال اللّه تعالىٰ: **ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلَّذىٓ أَذْهَبَ عَنّٰا ٱلْحَزَنَ**[٥] و أمثالهما من الأيات

اذا عرفت معنىٰ الخوف والحزن فقد دَرَيت أنّ المُسلم المُحسن في أعماله لا خوف عليه و لا حُزن، لأنّه لم يفعل ما يُوجبهما بل فعل ما أذهب عنه الخوف و الحُزن و هو العَمل الصّالح فلذلك قال لا خَوف عليهم و لا هم يحزنون، بل يَرجون رحمة اللّه ويُسّرون بما أتاهم اللّه من الأجر.

■

١- آل عمران = ١٧٥
٢- الزمر= ١٦
٣- آل عمران = ١٧٥
٤- يوسف = ٨٦
٥- الفاطر= ٣٤

وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾

◁ اللّغة

أمّا اللّغات فيها فواضحة لا خفاء فيها،

◁ الاعراب

وَهُمْ يَتْلُونَ في موضع نصب علىٰ الحال والعامل فيها قالت وأصل يتلُون يتلوون فسُكنت الواو ثمّ حُذفت لإلتقاء السّاكنين فصار يتّلون **كَذَٰلِكَ قَالَ** الكاف في موضع نصب نعتاً لمصدرٍ محذوف منصوب **بقال** و هو مصدر مقدّم علىٰ الفعل والتقدّير قولاً مثل قول اليهود والنّصارىٰ قال الّذين لا يعلمون فعلىٰ هذا الوجه يكون **مِثْلَ قَوْلِهِمْ** منصوباً بيعلمون أو يقال علىٰ أنّه مفعول به ويجوز أن يكون الكاف في موضع رفع الإبتداء والجملة بعده خبرٌ عنه و العائد علىٰ المبتدأ محذوف تقديره، قاله، فعلىٰ هذا يكون **مِثْلَ قَوْلِهِمْ** صفة لمصدر محذوف أو مفعولاً ليعلمون والمعنىٰ مثل قول اليهود والنّصارىٰ قال الذّين لا يعلمون إعتقاد اليهود والنّصارىٰ أي **فِيهِ يَخْتَلِفُونَ** يختلفون فيه ففيه متّعلق بالفعل أعني به يختلفون.

◁ التّفسير

بيّن اللّه تعالىٰ في الآية إختلاف أهل الكتاب مع تلاوتهم اٰياتّه فقال: **قَالَتِ الْيَهُودُ** وهم أتباع موسىٰ **لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ** وهم أتباع عيسىٰ **عَلَىٰ شَيْءٍ** في

تدّينهم بالنّصراينة **وَّقَالَتِ النَّصٰارىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلىٰ شَيْءٍ** في تدّينهم باليّهودية **وَّهُمْ يَتْلُونَ الْكِتٰابِ** أي أنّهم يقولون كذلك والحال أنّهم يتلون ويقرأون الكتاب وليسوا بجاهلين به.

قيل لمّا قدَم وفد نجران علىٰ رسول اللّه ﷺ وأتاهم أحبار اليهود فتناظروا و تقاولوا بذلك و قالت كلّ فرقةٍ منهم لِلأخرىٰ لَستم علىٰ شيءٍ فَنزلت الأية **كَذٰلِكَ قٰالَ الَّذِينَ لاٰ يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ** والمراد بهم علىٰ ماقيل هو مشركوا العَرب الّذين هم كانوا جهّالاً ولم يكن لهم كتاب هكذا قالوا لمحمّدٍ و أصحابه أي قالوا لَستم علىٰ شيءٍ من الّدين.

و قيل معناه أنّ مشركي العَرب قالوا بأنّ جميع الأنبياء والأُمم لم يكونوا علىٰ شيءٍ وكانوا علىٰ خطأٍ فقد ساووكم يامعشر اليهود في الإنكار وهم لا يعلمون.

و قيل أنّ هؤلاء الّذين لا يعلمون أُممٌ كانت قبل اليهود والنّصارىٰ و قبل التّوراة و الإنجيل كقوم نُوحٍ وعادٍ وثَمودٍ قالوا لأنبياءهم لستُم علىٰ شيءٍ والحقّ أنّ المراد بهم كفّار العَرب الّذين قالوا أنّ المسلمين ليسوا علىٰ شيءٍ فبيّن اللّه تعالىٰ أنّه اذاكان قول اليهود والنّصارىٰ و هم يقرأون الكتاب لا ينبغي أن يقبل و يلتفت اليه فقول هؤلاء الكفّار أولىٰ بالتّرك وأن لا يُلتفت اليه و أمّا قوله تعالىٰ: **فَاللّٰهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰامَةِ فِيمٰا كٰانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ** فقد ذكروا فيه أربعة أوجه:

أحَدها: قال الحَسَن يكذّبهم جميعاً و يدخلهم النّار.

ثانيها: يحكم بانتصاف من الظّالم المذب للمظلُوم المُكَذب.

ثالثها: يُريهم من يدخل الجنّة عياناً ومن يدخل النّار كذلك.

رابعها: يحكم بين المحقّ والمُبطل فيما إختلفوا فيه وعندي قول خاصّ و هو أنّ اللّه يعلم ما يحكم بين عباده يوم القيامة و لا يعلمه غيره فهو أعلَم بما

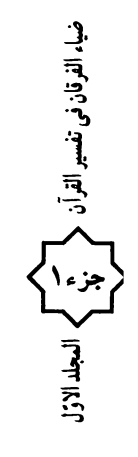
يحكم و قال بعض المفسّرين في قوله تعالىٰ: **قَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارىٰ عَلىٰ شَيْءٍ وَّقَالَتِ النَّصَارىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلىٰ شَيْءٍ** هؤلاء أهل الكتاب الّذين كانوا علىٰ عَهد النّبي صلى الله عليه وآله وسلم.

و أمّا تأويل الآية فأنّه قَالَت الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارىٰ في دينها علىٰ صوابٍ و قالت لنَّصَارىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ في دينها علىٰ صوابٍ و أنّما أخبر اللّه عنهم بقولهم هذا للمؤمنين إعلاماً منه لهم بتضييع كلّ فريقٍ منهم حكم الكتاب الّذي يظهر الإقرار بصّحته و أنّه من عند اللّه وجحُودهم مع ذلك ما أنزل اللّه فيه من فُروضه لأنّ الإنجيل الّذي تدّين بصّحته و حقيقته النّصارىٰ يحقّق ما في التّوراة من نبّوة موسىٰ عليه السلام وما فَرض اللّه علىٰ بني إسرائيل فيها من الفرائض و أنّ التّوراة التّي تدّين بصحّتها و حقيقّتها اليهود تحقق نبوّة عيسىٰ عليه السلام و ما جاء به من عند اللّه من الأحكام والفرائض ثمّ كلّ فريقٍ منهم قال للفريق الأخر ما أخبَر اللّه عنهم في قوله و قالت اليهود ليست النّصارىٰ علىٰ شئٍ و قالت النّصارىٰ ليست اليهود علىٰ شئٍ مع تلاوة كلّ واحدٍ من الفريقين كتابهُ الّذي يشهد علىٰ كذبه في قوله ذلك فأخبر جلّ ثناؤه أنّ كلّ فريقٍ منهم قال ما قال من ذلك علىٰ علمٍ منهم أنّهم فيما قالوه مُبطلون وأتوا ما أتوا من كفرهم بما كفروا به علىٰ معرفةٍ منهم بأنّهم فيه مُلحدُون انتهىٰ.

أقول و قد روي في تفسير البرهان عن الحَسن ابن علّي أبي طالب عليه السلام أنّه قال: لمّا نزلت جاءَ قومٌ من اليهود و قومٌ من النّصارىٰ الىٰ رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا يامحمّد أقض بيننا فقال صلى الله عليه وآله وسلم: قُصُوا عَلّي قصّتكم فقالت اليهود نحن المؤمنون بالإله الواحد الحكيم و أولياءه وليست النّصارىٰ علىٰ شيءٍ من الدّين والحقّ وقالت النّصارىٰ بل نحن المؤمنون بالإله الواحد الحكيم وأولياءه و ليست اليهود علىٰ شيءٍ من الدّين والحقّ فقال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم

كلّكم مُبطلون مخطئون فاسقون عن دين اللّه و أمره فقالت اليهود وكيف نكون كافرين وفينا كتاب اللّه التّوراة نقرأوه و قالت النّصارىٰ و كيف نكون كافرين و لَنا كتاب اللّه الإنجيل نقرأوه فقال رسول اللّه عليه السلام أنّكم خالفتم أيّها اليهود و النّصارىٰ كتاب اللّه فلم تعملُوا به فَلو كنتم عاملين بالكتابين لما كفّر بعضكم بعضاً بغير حجّةٍ لأنّ كتب اللّه أنزلَها شفاءً من العمىٰ وبياناً من الضّلالة يهدى العاملين بها الىٰ صراطٍ مستقيم وكتاب اللّه اذا لم تعملوا ما فيه كان وبالاً عليكم وحجّة اللّه اذا لم تنقادوا لها كنتم لِلّٰه عاصين ولِسَخطه مُقرنين انتهىٰ.

■



وَمَنْ اَظْلَمُ مِمَّنْ مَّنَعَ مَسٰاجِدَ اللّٰهِ اَنْ يُّذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعىٰ في خَرٰابِهٰآ اُوُلٰٓئِكَ مٰا كٰانَ لَهُمْ اَنْ يَّدْخُلُوهٰآ اِلاّٰ خٰآئِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيٰا خِزْيٌ وَّلَهُمْ فِي الْاٰخِرَةِ عَذٰابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَّلِلّٰهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَاَيْنَمٰا تُوَلّوُا فَثَمَّ وَجْهُ اللّٰهِ اِنَّ اللّٰهَ وٰاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَّقٰالُوا اتَّخَذَ اللّٰهُ وَلَداً سُبْحٰانَهُ بَلْ لَهُ مٰا فِي السَّمٰوٰاتِ وَالْاَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قٰانِتُونَ ﴿١١٦﴾

◁ اللّغة

خَرٰابِهٰآ: يقال خرب المكان خَراباً و هو ضدّ العمارة.

خِزْيٌ: الخِزي بكسر الخاء مصدر قولك خزي يخزي خِزياً يقال خِزي الرّجل اذا لَحِقه إنكسارٌ إمّا من نفسه و أمّا من غيره فالّذي يَلحقه من نفسه هو الحياء المُفرط و مصدره الخزاية والّذي يلحقه من غيره يقال هو ضربٌ من الإستخفاف و مَصدره الخزي و هو المراد في المقام.

الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ: هُما اذا قيلا بالأفراد فإشارةٌ الىٰ ناحيتي الشّرق والغرب واذا قيلا بلفظ التثنيّة فإشارةٌ الىٰ مَطلَعي ومَغربَي الشّتاء والصّيف واذا قيلا بلفظ الجمع فإعتبارٌ بمَطلع كلّ يوم و مَغربه:

قال اللّه تعالىٰ: **رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَ ٱلْمَغْرِبِ** (١)

قال اللّه تعالىٰ: **رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَ رَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ** (٢)

قال اللّه تعالىٰ: **بِرَبِّ ٱلْمَشٰارِقِ وَ ٱلْمَغٰارِبِ** (٣).

قانتون، هو فاعل من قَتنت القُنُوت لزوم الطّاعة مع الخضُوع

١- المزمل = ٩
٢- الرحمن = ١٧
٣- المعارج = ٤٠

◁ الإعراب

وَمَنْ اَظْلَمُ مَن إستفهام في معنىٰ النّفي و هو رفع بالإبتداء و أظَلَم خبره لاأحد أظَلَم مِمَّنْ مَّنَعَ مَن نكرة موصوفة أو بمعنىٰ الّذي اَنْ يُّذْ كَرَ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: هو في موضع نصب علىٰ البَدل من مساجد بدل الإشتمال تقديره ذكر إسمه فيها.

الثّاني: أن يكون في موضع نصب علىٰ المفعول له وتقديره كراهية أن يذكر.

الثّالث: أن يكون في موضع جرّ تقديره من أن يذكر.

وَسَعىٰ فِي خَرٰابِهٰا، خراب إسمٌ للتّخريب مثل السّلام للتّسليم اِلاَّ خٰائِفِينَ حال من الضّمير في يدخلوها لَهُمْ فِي الدُّنْيٰا جملة مستأنفة وليست حالاً وَّلِلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ خبر مقدم و مبتدا مؤخرفَاَيْنَمٰا شرّطية تُوَلُّوا مجزوم به و هو النّاصب لأين فَثَمَّ الجواب لِلشّرط وفي قوله، تولوا وجهان:

أحدهما: هو مستقبل أيضاً وتقديره تتولوا فحذف التّاء الثّانية.

الثّاني: أنّه ماضٍ والضّمير للغائبين والتقدّير أينما يتّولون و قيل يجوز أن يكون ماضياً قد وقع و لا يكون أين، شرطاً في اللّفظ بل في المعنىٰ كما تقول ما صَنعت صَنعتُ اذا أردت الماضي و هذا القول ضعيف لأنّ أين إمّا إستفهام و أمّا شرط و ليس لها معنىٰ ثالث فَثَمَّ ثمّ إسم للمكان البعيد عنك وبُني لتَّضمنه معنىٰ الإشارة و قيل بني لتّضمنه معنىٰ حرف الخطاب وَّقالُوا اتَّخَذَ اللّهُ وَلَداً يُقرأ بالواو عطفاً علىٰ قوله، لَن يدخل الجنّة و يقرأ بغير واوٍ علىٰ الإستئناف كُلٌّ لَّهُ تقديره كلّ واحدٍ منهم أو كلّهم لأنّ الأصل في كلّ أن يستعمل مضافاً ومِن هنا ذَهب الجمهور الىٰ منع دخول الألف و اللاّم عليه لأنّ تخصيصها بالمضاف اليه قٰانِتُونَ حمل الخبر علىٰ معنىٰ كلّ فَجَمعه و لو قيل قانت، جاز علىٰ لفظ كلّ.

◁ التّفسير

اختلف المفسّرون في المراد بقوله تعالىٰ: **وَمَنْ اَظْلَمُ مِمَّنْ مَّنَعَ مَسٰاجِدَ اللّٰهِ** فقال ابن عبّاس و مجاهد و إختاره القّراء المراد بهم الرّوم لأنّهم كانوا غزو بيت المقدّس وسَعوا في خَرابه حتّىٰ كانت أيّام عمر فأظهر اله عليهم المسلمين و صاروا لا يَدخلوا إلاّ خائفين، و قال الحَسَن و قتادة و السّدي هو بخت نصّر خَرب بيت المقدّس، قال قتادة و أعانه عليه النّصارىٰ و قال قوم عنىٰ به سائر المشركين لإنّهم يريدون صَدّ المسلمين عن المساجد و يُحبونَه قال قوم المراد به هو مُشركوا العَرَب وضعّف هذا الوجه الطّبري و قال أنّ مُشركي قريش لم يسعوا قطّ في تخريب المسجد الحرام، قال الشّيخ ﵀ في التّبيان بعد نقله عنه ما نقلناه و هذا أي ماذكره الطّبري ليس بشئ لأنّ عمارة المسجد بالصّلاة فيها وخرابها بالمَنع من الصّلاة فيها و قد رُوي أنّهم هَدموا مساجد كان أصحاب النّبي يصلّون فيها بمكّة لمّا هاجر النّبي وأصحابه انتهىٰ.

أن قلت لم قال مساجد اللّه بلفظ الجمع و هو أراد المسجد الحرام أو بيت المقّدس قلت أجابوا عنه بوجهين:

أحَدهما: أنّ كلّ موضع منه مسجد كما يقال لكلّ مَوضعٍ من المجلس العظيم مَجلس.

الثّانى: ما نقل عن الجبائي و هو أنّه يَدخل فيه المساجد التّي بناها المسلمون للصّلاة بالمدينة و أمّا قوله: **مِمَّنْ مَّنَعَ** أصل المَنع الصَّد والحيلولة و قيل أنهما بمعنىٰ واحدٍ قال أهل اللّغة المنع أن يحول بين الرّجل وبين الشّئ يريده و أمّا المساجد فقد تبّينا الإختلاف فيها فمنهم من قال أراد المسجد الأقصىٰ و منهم من قال أراد المسجد الحرام ومنهم من قال أراد جميع المساجد.

و روي عن زيد بن علّي عن أبيه أنّه أراد جميع الأرض لقوله ﷺ جعلت لي الأرض مَسجداً وترابها طهوراً وقيل الرماد من مَنع من كلّ مسجدٍ الىٰ يوم القيامة.

قال بعض المفسّرين من العامّة و هو الصّحيح لأنّ اللّفظ عامّ ورَدَ بصيغة الجمع فتَخصيصها ببعض المساجد وبعض الأشخاص من غير دليلٍ ضعيفٌ جدّاً.

و أمّا قوله: **وَسَعىٰ في خَرابِهآ** فأعلم أنّ خراب المساجد علىٰ قسمين: حقّيقي و غير حقّيقي.

أمّا الأوّل: كتخريب بخت نَصر و من أعانه من النّصارىٰ بيت المقدّس علىٰ ما نقل أنّهم غزوا بني إسراديل مع لعض ملوكهم قيل إسمه نطوس بن أسبيا نوس الرُّومي فيما ذكر الغزنوي فقتلوا و سبَوا و حرّقوا التّوراة و قذفوا في بيت المقدّس العذرة و خرّبوه و تفصيل الواقعة مذكور في التّواريخ.

أمّا الثّاني: من قسمي التّخريب كمنع المشركين المسلمين حين صدّوا رسول اللّه ﷺ من المسجد الحرام و بالجملة فتعطيل المساجد عن الصّلاة و إظهار شعائر الإسلام فيها خرابٌ لها والحقّ أن يقال أنّ خصوصّية المورد في الأية لا تنافي عموم المعنىٰ وشموله فكلّ من خَرب المَسجد بأيّ نحوٍ كان سواء أكان التّخريب في بناءه أم في منع المصلّين عن الصّلاة فيه فهو مصداق لِلأية مسلماً كان المُخّرب أوكافراً فأنّ الظّالم يشمل الكافر والمُسلم بل هو في المُسلم أشدّ منه في الكافر و هو واضح لا خفاء فيه و أمّا قوله: **اوُلٰئِكَ ما كانَ لَهُمْ اَنْ يَدْخُلُوهآ اِلاّ خآئِفينَ** معناه أولئك المُخّربون ليس لهم أن يدخلوها إلاّ خائفين وجلين قال ابن عبّاس أي لا يدخل نصّراني بيت المقّدس إلاّ نهك ضرباً وأبلغ عقوبة و هو كذلك اليوم.

و من قال أنّ المراد به المسجد الحرام قال لمّا نزلت هذه الآية أمَر النّبي منادياً ألا تحجّ بعد العام مشركٌ و لا يطوف بالبيت عريان و قيل هو خيرٌ ومقصوده الأمر أي جاهدوهم و إستأصلوهم حتّىٰ لا يدخل أحدٌ منهم المسجد الحرام إلاّ خائفاً كقوله تعالىٰ: **وَ ما كانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اَللّهِ**[1] فأنّه

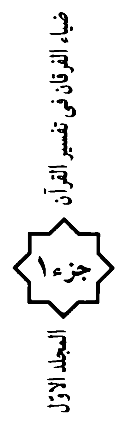
١- الاحزاب = ٥٣

نَهىٰ وَرَد بلفظالخَبر و قوله تعالىٰ: **لَهُمْ فِى الدُّنْيا خِزْيٌ وَّلَهُمْ فِي الْاٰخِـرَةِ عَذٰابٌ عَظِيمٌ** قيل في معناه، القتل للحِربّي والجزية للذّمي و قيل الخزي لهم في الدّنيا قيام المَهدي و فتح عموريّة و رومية و قسطنطية و غير ذلك من مُدُنهم قاله القُرطبي ثمّ قال علىٰ ما ذكرناه في كتاب التّذكرة، و من جَعلها في قريش جَعَل الخزي عليهم في الفتح والعذاب في الأخرة لِمن مات منهم كافراً و قال الزّجاج أعلم اللّه هذه الآية أنّ أمَر المسلمين يظهر علىٰ جميع من خالَفهم حتّىٰ لا يمكن دخول مخالفٍ الىٰ مساجدهم إلاّ خائفاً و هذا كقوله تعالىٰ: **لِيُظْهِرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ**[1] فكأنّه قيل أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلاّ خائفين لاعزاز اللّه الدّين وإظهاره لِلمُسلمين هذا ماقال المفّسرون في المراد بالأية والّذي يظهر من بعض الأخبار الواردة في المقام هو أنّ المراد من الآية مُشركوا العَرب والمراد بالمساجد في الآية مساجد المسلمين التّي بناها قوم من خيار أصحاب الرّسول ففناء الكعبة.

روي في تفسير البرهان عن العسكري عليه‌السلام قال: الحَسَن بن علّي لمّا بعث اللّه محمّداً بمكّة وأظهر بها دَعوته و نشر بها كلمته وعاب أديانهم في عبادتهم للأصنام و أخذوه و أساؤوا معاشرته وسَعوا في خراب المساجد المّبنية كانت لقومٍ من خيار اصحاب محمّدٍ و شيعة علّي ابن أبي طالب عليه‌السلام بفناء الكعبة مساجد يَعنون فيها ما أصابه المبطلون فَسعىٰ هؤلاء المُشركون في خرابها وأذىٰ محمّداً وسائر أصحابه وألجاؤوه الىٰ الخروج من مكّة نحو المدينة إلتفت خلفه اليها وقال اللّه يعلم أنّني أحبّك ولولا أنّ أهلك أخرجوني عنك لما آثرت عليك بَلداً ولا أبقيتُ عليك بَدلاً وأنّي لمُغتمُ علىٰ مفارقتك فأوحىٰ اللّه اليه يامحمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم أنّ العلّي الأعلىٰ يقرؤك السّلام و

١- التوبة= ٣٣

يقول سأردك الىٰ هذا البَلد ظافراً غانماً سالماً قادراً قاهراً و ذلك قوله أنّ الّذي فرض عليك القرأن لَرادّك الىٰ معادٍ، يعني مكّة غانماً ظافراً فأخبَر بذلك رسول اللّه أصحابه فإتّصل بأهل مكّة فَسخروا منه فقال اللّه لرسوله سوف يظفرك اللّه بمكّة ويجري عليهم حكمي و سوفَ أمنع من دخولها المشركين حتّىٰ لا يدخلها أحدٌ منهم إلاّ خائفاً أن دخلها مستخفّياً من أنّه أن عُثر عليهم قتل فلمّا حَتم قضاء الحقّ بفتح مكّة وإستوثقت له أمَّر عليهم عتاب بن أسيد فلمّا إتّصل خبره قالوا أنّ محمّداً لا يزال يستّخف بنا حتّىٰ ولّىٰ علينا غلاماً حدث السِّن ابن ثمانية عشر سَنة ونحن مشايخ ذوو الأسنان و جيران حَرم اللّه الأمن وخير بُقعةٍ علىٰ وجه الأرض وكتب رسول اللّه لعتاب ابن أسَيد عَهداً علىٰ مكّة وكتب في أوّله بسم اللّه الرّحمٰن الرّحيم، من محمّدٍ رسول اللّه الىٰ جيران بيت المقدّس و سكّان حرم اللّه أمّا بَعد وذَكر العهد وقرأه عتاب ابن أسيد علىٰ أهل مكّة ثمّ بعث رسول اللّه ﷺ بعشر أياتٍ من سورة براءة مع أبىبكر ابن أبي قحافة فيها ذَكر نبذ العَهد الىٰ الكافرين وتحريم قرب مكّة على المشركين و أمر أبا بكر علىٰ الحجّ يبّتهج لمن ضمّه الموسم و يقرأ الأيات عليهم فلمّا صدر عنه أبو بكر جاء المطوف بالنّور جَبرئيل فقال يا محمّد أنّ العلّي الأعلىٰ يقرؤك السّلام و يقول يا محمّد لا يُؤدي عنك إلاّ أنت أو رجل منك فإبعث علّياً ليتناول الأيات فيكون هو الّذي ينبذ العهود و يقرأ الأيات و قال جبرئيل يامحمّد ما أمَرك ربّك بدفعها الىٰ علّي و نزعها من أبىبكر سهواً و لا شكّاً و لا إستدراكاً علىٰ نفسه غلطاً و لكن أراد أن يُبّين لضعفاء من أمّتك المسلمين أنّ المقام الّذي يقومه أخوك علّى لَن يقومه غير سواك و



أن جلت في عيون هؤلاء الضّعفاء مرتبته و شرفت عندهم منزلته فلمّا انتزع علّيٌ الأيات من يده لقىٰ أبو بكر بعد ذلك رسول اللّه فقال بأبي أنت و أُمّي لموجدةٍ كان نزع هذه الأيات منّي فقال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم لا و لكن العلّي العظيم أمرني ألاّ ينوب عنّي من هو منّي و أمّا أنت فقد عوّضك اللّه بما حملك من أياته و كَلَّفك من طاعته الدّرجات الرّفيعة و المراتب الشّريفة أما أنّك أن أدمت علىٰ مولاتنا ووافيتنا في عرصات القيامة وَ فَينا بما أَخَذنا به عليك من العُهود و المواثيق من خيار شيعتنا وكرام أهل موّدتنا فسرىٰ بذلك عن أبي بكر فمضىٰ علّيٌ لأمر اللّه و نبذ العُهود الىٰ أعداء اللّه وآيَس المشركون من دخولهم بعد عامهم ذلك الىٰ حَرم اللّه و كانوا عَدداً كثيراً و جمّاً غفيراً غشاهم اللّه نوره وكساهم فيهم هيبةً وجلالاً لَم يجسروا معها علىٰ إظهار خلاف ولا قصدٍ بسوء قال عليه السلام: و ذلك قوله تعالىٰ: **وَمَنْ اَظْلَمُ مِمَّنْ مَّنَعَ مَسٰاجِدَ اللّٰهِ اَنْ يُّذْكَرَ فيهَا اسْمُهُ** و هي مساجد خيار المؤمنين بمكّة لمّا مَنعوهم من التّعبد فيها وألجاؤوا رسُول اللّه الىٰ الخُروج عن مكّة وسَعوا في خرابها خراب تلك المساجد لئلاّ تعمر بطاعة اللّه قال اللّه تعالىٰ: **اوُلٰئِكَ ما كٰانَ لَهُمْ اَنْ يَّدْخُلُوهٰا اِلاّٰ خٰاۤئِفينَ** أن يدخلوا بقاع تلك المساجد في الحَرم إلاّ خائفين من عذابه وحُكمه النّافذ عليهم أن يدخلوها كافرين بسيُوفه و سياطه لهم لهؤلاء المشركين في الدّنيا وخزيٌ وهو طرده إيّاهم عن الحَرم ومنعهم أن يعوذوا اليه ولهم في الأخرة عذابٌ عظيم انتهىٰ.

و أمّا قوله تعالىٰ: **وَلِلّٰهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَاَيْنَمٰا تُوَلّوُا فَثَمَّ وَجْهُ اللّٰهِ اِنَّ اللّٰهَ وٰاسِعٌ عَليمٌ** إختلفوا في سبب نزول الآية فمنهم من قال لمّا أنكرت

اليهود تحويل القبلة عن بيت المقدّس الىٰ الكعبة نزلت هذه الآية رَدّاً عليهم وبيّنوا أنّه سبحانه ليس في جهةٍ دون جهةٍ كما يقول المجسّمة و قيل أنّ المسلمين كانوا يتوجّهون في صلاتهم حيث شاؤوا وفيه نزلت الآية ثمّ نسخ ذلك بقوله فوَّل وجهك شطر المسجد الحرام قاله قتادة و قيل نزلت في صلاة التّطوع علىٰ الرّاحلة تصّليها حيث ما تَوّجهت اذا كنت في سَفرٍ و أمّا الفرائض فقوله و حيثما كنتم فَولّوا وجوهكم شَطره يعني أنّ الفرائض لا تصلّيها إلاّ الىٰ القبلة و هذا هو المروّي عن ائمّتنا نَقَل هذه الأقوال الطّبرسي في المجمع و قال القُرطبي من العّامة إختلف العُلماء في المعنىٰ الّذي نَزلت فيه، فأينما تولّو، علىٰ خمسة أقوال فقال عبد اللّه إبن أبي عامر بن ربيعة نزلت فيمن صلّى الىٰ غير القبلة في ليلةٍ مظلمةٍ أخرجه التّرمذي عنه عن أبيه قال كنّا معَ النّبي صلى الله عليه وآله وسلم في سفرٍ في ليلةٍ مظلمةٍ فلم ندر أين القبلة فصّلىٰ كلّ رجلٍ منّا علىٰ حياله فلّما أَصبحنا ذَكرنا ذلك لِلنّبي صلى الله عليه وآله وسلم فنَزلت الآية **فَاَيْنَمَا تُوَلّوُا فَثَمَّ وَجْهُ اللّٰهِ** أقول لقائل أن يقول هذا الحديث يُكذّب نفسه لأنّهم لو كانوا مع النّبي وصَلّوا كذلك ولم يسئلوا عنه صلى الله عليه وآله وسلم فهُم مقصّرون، وإن سئلوا عنه و هو أَيضاً لم يَعلم القبلة فكيف يكون نبّياً وان عَلم بها فكيف لَم يُخبرهم بها ثمّ قال الُقرطبي و ذهب أكثر أهل العلم الىٰ هذا و ساق الكلام الىٰ أن قال نقلاً عن صحيح مُسلم قال كان رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم يُصلّي هو مُقبلٌ من مكّة الىٰ المدينة علىٰ راحلة حيث كان وَجهُه قال وفيه **نَزلت فَاَيْنَمَا تُوَلّوُا فَثَمَّ وَجْهُ اللّٰهِ.**

أقول و بذلك زاد القُرطبي في الطّنبور نغمةً أخرىٰ أعاذنا اللّه منه، أمّا سائر قواله فقد مضىٰ الكلام فيها في نقل الأقول، ثمّ أنّ الشّيخ قدس سره في التّبيان بعد نقله الأقوال قال و قيل معناه فَثمّ وجه اللّه فأدعُوه كيف توجّهتم، و قال آخرون و أختاره الرّماني والجبائي، فَثّم رضوان اللّه كما يقال هذا وجه العَمل و هذا وجه الصَّواب وكأنّه قال الوَجه الّذي يؤدّي الىٰ رضوان اللّه و تقديرو إتّصالها

بما قبلها كأنّه قال، لا يمنعكم تَخريب من خرب المساجد أن تَذكروه حيث كنتم من أيّ وجهٍ ولَه المشرق والمغرب والجهات كلّها إنتهىٰ.

أقول والّذي يستفاد من الأخبار أنّها نَزَلت في صلوة النّافلة فصّلِها حيث توجهتَ إذا كُنتَ في سَفَرٍ و أمّا الفرائض فقوله تعالىٰ: **وَ حَيْثُ مٰا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ**[1] يعني الفَرائض لا يصلّيها إلاّ الىٰ القبلة.

فعن عن تَفسير العياشي بأسناده قال: قال أبو جعفر نزلت هذه الأية في التّطوع خاصّة فَاَيْنَمٰا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللّٰهِ اِنَّ اللّٰهَ وٰاسِعٌ عَلِيمٌ وصلّىٰ رسول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلّم إيماءاً علىٰ راحلته أينما توجّهت به حين خَرج الىٰ خيبر وحين رَجع من مكّة و جعل الكعبة خلف ظهره قال: قال زرارة قلت لأبي عبد اللّه عليه السلام في السّفينة والمُحمل سواء قال عليه السلام النّافلة كلّها سواء توئي إيماءاً أينما توجّهت دابّتك وسفينتك والفريضة تَنزل بها من المُحمل الىٰ الأرض إلاّ من خوفٍ فأن خِفت أومأتَ و أمّا السّفينة فَصّلِ فيها قائماً و توجّه الىٰ القبلة بِجُهدك كان نوح قد صلّىٰ الفريضة فيها قائماً مُتَوجها الىٰ القبلة و هي مطبقة عليهم قال قلتُ و ما كان علمه بالقبلة فَيتّوجهها و هي مطبقة عليهم. قال جبرئيل يقّومها نحوها قال أفأتّوجه نحوها في كلّ تكبيرة قال أمّا في النافَلة فلا إنّما تكبر في النافَلة علىٰ غير القبلة ثمّ قال كلّ ذلك قبلة لِلمتنقّل أنّه قال و حيثما كنتم فَثَمَّ وَجْهُ اللّٰهِ اِنَّ اللّٰهَ وٰاسِعٌ عَلِيمٌ إنتهىٰ.

أقول والأخبار بهذه المضامين كثيرة فلا تدخل فيما نحن فيه صلٰوة الفريضة و هو واضح

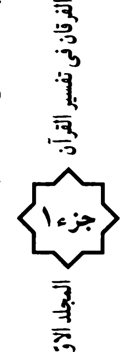
١- البقرة= ١٤٤

فصل إختلف النّاس في المراد بالوَجه المضاف الىٰ اللّه تعالىٰ في القرآن و السنّة فقال بعضهم أنّ ذلك راجع الىٰ الوجود و العبارة عنه بالوجه من مجاز الكلام إذ كان الوَجه أَظهر الأعضاء في الشّاهد و أجّلها قدراً، و قال إبن فُورك قد تذكر صفة الشّئ والمراد بها الموصوف توسّعاً كما يقال رأيت علم فلان اليوم و نظرتُ الىٰ علمه و إنّما يريد بذلك رأيتُ العالم و نظرتُ الىٰ العالم كذلك إذا ذَكر الوجه هنا والمراد من له الوَجه أي الوجود و علىٰ هذا يتّأول قوله تعالىٰ: **إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ**[1] لأنّ المراد به لالّه ِلّذي له الوَجه وكذلك قوله، إلاّ إبتغاء وجه ربّه الأعلىٰ، الّذي له الوجه و قال إبن عبّاس الوجه عبارة عنه عزّ وجلّ كما قال و يبقىٰ وجه ربّك ذو الجلال والإكرام، و قال بعضٌ، تَلك صفة ثابتة بالسّمع زائدة علىٰ ما تُوجبه العقول من صفات القديم تعالىٰ، و قيل المراد بالوجه هنا الجهّة الّتي وجّهنا اليها أي القبلة، و قيل الوَجه القَصد كما قال الشّاعر:

أستغفر اللّه ذَنباً لستُ مُحصيه رِبّ العباد اليه الوجَه والعَمَل

و قيل المعنىٰ فثمّ رضىٰ اللّه وثوابه ومنه قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: من بنىٰ مَسجداً يبتغي وجه اللّه بنىٰ اللّه له مثله في الجنّة، و قيل المراد فثمّ اللّه والوجه صلة كقوله تعالىٰ و هو مَعَكم هذه الأقوال ذكرها القرطبي في تفسيره، و قال الطّبري في تفسيره لهذا الكلام قوله **فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ** أي فَثم قبلة اللّه يعني بذلك وجهه الّذي وجهّهم اليه و نقل عن بعض أنّه قال أي فَثمّ اللّه تبارك و تعالىٰ و عن آخر أي فثّمّ تدركون بالتوجّه اليه رضىٰ اللّه الّذي له الوجه الكريم و أمثال ذلك من الأقوال، و أمّا المفسّرون من الشّيعة فنقلوا هذه الأقوال أو بعضها من غير ترجيح بعضها علىٰ بعضٍ.

و أنا أقول الوجَه إذا أُضيف الىٰ اللّه تعالىٰ فالمراد به ذاته البَسيطة و قد ثبت



١- الانسان = ٨

أنّ ذاته تعالىٰ منزّه عن المكان والجِهَة والوضع والكيف وأمثال ذلك مِمّا هو مُتعلّقٌ بالأجسام فالأية و أمثالها لِنفيِ الجهة عنه تعالىٰ إذ لو كان في جهةٍ من الجّهات لما يصدق أينّما تولّوا فثّم وجه اللّه و تقريره إجمالاً أنّ الجِهَة أمرٌ ممتدّ في الوَهم طولاً وعرضاً و عمقاً فلو كان اللّه تعالىٰ في جهةٍ من الجّهات من الفوق والتَّحت و الشّرق و الغرب و الشّمال و الجنوب وكان المُصَلي محاذياً لإحدىٰ الجهات فهو لا محال لا يحاذي جهةً أخرىٰ فلا يصدّق **أَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللّٰهِ** وحيث أنّ اللّه تعالىٰ قال كذلك فهو دليل علىٰ أنّ ذاته تعالىٰ ليس في جهةٍ خاصّة معينّةٍ ونسبة الذّات الىٰ كلّ الجهات سواء فَنَستكشف منه أنّه تعالىٰ ليس بجسم و لا أنّه في وضعٍ و مكانٍ فهو في كلّ مكان و ليس له مكان خاصّ و في كلّ الجهات وليست لَه جهَة مُعينَة كما قال أمير المؤمنين عليه‌السلام و مَن جهله فقد أشار اليه ومن أشار اليه فقد صدّه، و مَن صدّه فقد عدّه و من قال فيم فقد ضَمنّه و من قال علىٰ مَ فقد أخلىٰ منه، كائنٌ لا عن حدثٍ موجودٌ لا عن عدمٍ، مع كلّ شّئ لا بمقارنةٍ و غير كلّ شئ لا بمزايلة، فاعلٌ لا بمعنىٰ الحَركات والآلة، بصير إذ لا منظور اليه مِن خَلَقه ألخ وقد أَوَضحنا وفسّرنا هذه الكلمات في شرحنا علىٰ نهج البلاغة بما لا مزيد عليه إن شِئت فراجعه هذا أوّلاً وثانياً في هذه الآية دلالة علىٰ أنه تعالىٰ خالق الجّهات و ذلک لأنّ الجهّة كما قلنا ممتّد في الطول و العرض و العمق ولو وهماً و كلّ ما كان كذلك فهو منقسم لا محال و كلّ منقسم فهو مؤلّف مرّكب و كلّ مرّكبٍ لا بّد له من خالقٍ و مُوجدٍ والسّر فيه هو أنّ المرّكب محتاج الىٰ الأجزاء وكلّ محتاج ممكن و كلّ ممكنٍ محتاج الىٰ الخالق الواجب دفعاً للدور والتّسلسل كما ثبت في محلّه فالجهة أيّة جهةٍ كانت تحتاج في حدوثها و بقاءها الىٰ الخالق و هو المطلوب.

فلو كان الخالق متّصفاً بها يلزم تقدّم الشّئ علىٰ نفسه و هو محال فثبت أنّه

تعالىٰ منزّهٌ عن الجّهات ومع ذلك موجود في جميع الجّهات كما هو شأن العِلّة بالنّسبة الىٰ معلولها فيصدق أينما تولّوا فَثّم وجه اللّه، إذ المُصّلي وغيره واقع في الجهّة مُتوجّه الىٰ الجّهة و هي لا تخلو منه تعالىٰ أبداً و سيأتي لهذا البحث تفصيل وتوضيح آخر عند قوله تعالىٰ: **كُلُّ مَنْ عَلَيْهٰا فٰانٍ،وَ يَبْقىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو اَلْجَلاٰلِ وَ اَلْإِكْرٰامِ** [١] إنشاء اللّه تعالىٰ.

و أمّا قوله تعالىٰ: **اِنَّ اللّٰهَ وٰاسِعٌ عَلِيمٌ** فقيل في معناه أي يوسّع علىٰ عباده في دينهم و لا يُكّلفهم ما ليس في وُسعهم كما قال: **لاٰ يُكَلِّفُ اَللّٰهُ نَفْسًا إِلاّٰ وُسْعَهٰا** [٢] و قيل أي يَسع عِلمه كلّ شئ كما قال وسع كلّ شئ عِلماً، و قال الفّراء الواسع هو الجواد الّذي يَسع عطاءه كلّ شئ، قال اللّه تعالىٰ: **وَ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ** [٣]

و قيل واسع المغفرة أي لا يتّعاظم ذنبٌ و قيل أي متفضّلٌ علىٰ العباد وغنّيٌ عن أعمالهم كما قال: **لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ** [٤] أي لِيُنفق الغنّي ممّا أعطاهُ اللّه و يُحتمل أن يكون المراد أنّ وجوده تعالىٰ و هو عين ذاته وسعة كلّ شئ بمعنىٰ أنّ تخصيصه بجهةٍ من الجّهات يُوجب التّضييق في ذاته و وجوده و حَيث أنّه قال في الجملة السّابقة **اَيْنَمٰا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللّٰهِ** فلازم ذلك خروج ذاته من الجهات وإحاطته بها والسّعة الإحاطة وفي قوله **عليم** إشارة الىٰ أنّه أينما تولّوا فهو تعالىٰ عالم بكم لا يخفىٰ عليه شئ لأنّ علمه عين ذاته ووجوده فكأنّه قال أنّ اللّه تعالىٰ بذاته وعلمه يَسع الجّهات ومُحيطٌ بها لا تختلف الجهات بالنّسبة اليه فهو معكم أينما كنتم بل هو أقرب اليكم من حبل الوريد صَدَق اللّه تعالىٰ.

وَقٰالُوا اتَّخَذَ اللّٰهُ وَلَداً سُبْحٰانَهُ بَلْ لَهُ مٰا فِي السَّمٰوٰاتِ وَالْاَرْضِ كُلٌّ لَهُ

١- الرحمن = ٢٦/٢٧
٢- البقرة = ٢٨٦
٣- الاعراف = ١٥٦
٤- الطلاق = ٧

قَٰنِتُونَ المراد بهذه الآية النّصارىٰ لقولهم المَسيح ابن اللّه و قيل اليهود لقولهم عُزير ابن اللّه و قيل أنّ الآية إخبار عن مشركي العَرب حيث قالوا الملائكة بنات اللّه وقد جاء مثل هذه الأخبار عن الجهّلة الكفّار في مريم والأنبياء و كيف كان فقد ذمّهم اللّه تعالىٰ علىٰ قولهم هذا قال بعض المفسّرين في الآية دلالة علىٰ أنّه لا يجوز له الوَلد علىٰ وجهٍ من الوجوه لأنّه اذاكان جميع ما في السّموات والأرض مُلكاً له، فالمسيح عبد مربوب و كذلك عُزير والملائكة المقرّبون و لانّ الوَلد لا يكون إلاّ من جنس الوالد و لا يكون المفعول إلاّ من جنس الفاعل وكلّ جسمٍ فعلٌ لِلّه فلا مثل له و لا نظير علىٰ وجهٍ من الوجوه تعالىٰ اللّه عن صفات المَخلوقين و لذلك قال تعالىٰ سُبحانه، فأنّ سُبحان منصوبٌ علىٰ المصدر و معناه التبرّئة والتنزّيه والمحاشاة من قولهم إتّخذ اللّه ولداً بل هو اللّه تعالىٰ واحدٌ في ذاته أحدٌ في صفاته لَم يَلد فيحتاج الىٰ صاحبة كما قال، أنّىٰ يكون له ولَدٌ ولم تَكُن له صاحبة وخَلَق كلّ شيءٍ، ولَم يُولد فيكون مَسبُوقا جلّ وتعالىٰ عمّا يقول الظّالمون ونحن نقول تفسيرٌ يستدّعي التّكلم فيها علىٰ وجهٍ أبسط.

فنقول **الوَلَد، المولود** يقال للواحد والجمع والصّغير والكبير وجمع الوَلَد، أولاد و قيل الوُلد بضمّ **الواو** أيضاً جمع الوَلَد نحو أَسَد واسد واللّه تعالىٰ منّزةٌ عن أن يكون له ولد والدّليل عليه من وجوهٍ.

أحدها: أنّ **الوَلَد** لا بدّ وأن يكون من جنس الوالد وإلاّ لا يكون وَلَدا له فلو فرضنا له تعالىٰ ولَداً لكان مشاركاً له من بعض الوجوه ممتازاً عنه من وجهٍ آخر و ذلک يقتضي كون كلّ واحدٍ منهما أي الوالد والوَلَد، مركّباً محدثاً و ذلک محال فإذاً المجانسة مُمتنعة فالولّدية ممتنعة و هو المطلوب بيان ذلك إجمالاً إنّا قلنا أنّ الوَلد من جنس الوالد منفصلٌ عنه فلو لم يكن الوالد مركّباً فكيف يَنفصل منه شيءفإذاً ثبت أنّه مركّب و إذا كان مركّباً فهو حادث لا محالة لأنّ

المرّكب محتاج الىٰ أجزائه و كلّ محتاج ممكن حادث فهو حادث فإذا كان الوالد مركّباً مُحدثاً فالوَلَد مثله و إذا كان حادثين فهما مخلوقان لغيرهما لأنّ الحدُوث أن كان ذاتياً فهو مسبوق بالعلّة و أن كان زمانّياً فهو مسبوق بالعَدم و علىٰ كلا التقدّيرين محتاج الىٰ المؤثر والمؤثر لا يكون حادثاً للزومه التسّلسل فلا محالة يكون قديماً و هو الواجب المنزّه عن الحُدوث فالوالد والوَلَد مخلوقان للواجب الوجود و هو المطلوب.

ثانيها: أنّ هذا الّذي أُضيف اليه بأنّه **وَلَده** أمّا أن يكون قديماً أزّلياً أو مُحدثاً مُمكناً والأوّل محال لأنّه مسبوق بالغير أعني به والدد فهو حادث ذاتي والحادث لا يكون قديماً و إذا كان حادثاً فكيف يكون من جنس القديم والمفروض أنّ الوَلَد من جنس الوالد و إذا لم يكن من جنسه فلا يكون ولداً و هو المطلوب.

أن قلت لانسّلم كونه حادثاً بل نقول أنّه أزّلي كوالده قلتُ هذا غير معقول لأنّ الولَد يُوجد بعد الوالد و منه فكيف يكون أزّلياً و علىٰ فرض التّسليم نقول لو كانا أزّليين لم يكن حكمنا بجعل أحدهما ولداً والأخر والداً بأولىٰ من العكس و هو كما ترىٰ.

ثالثها: أنّ **الولَد** أنّما يتّخذ لِلحاجة اليه أمّا من لا يصّح عليه العَجز والحاجة لا يصحّ له الولَد أيضاً.

رابعها: ما إستدّل عليه سبحانه و تعالىٰ من قوله: **بَلْ لَهُ مٰا فِي السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قٰانِتُونَ** و تقرير الإستدلال بكلامه تعالىٰ أنّ الموجود علىٰ قسمين.

واجب و ممكن، والواجب ما يكون وجوده من نفسه والممكن ما يكون وجوده من غيره، والذّي وجوده من نفسه مُنحصرٌ في الخارج بذاته تعالىٰ كما ثبت في محلّه فما سواه كائناً من كان ممكنٌ موجودٌ به فكلّ ما سوىٰ الواجب

ممكن لذاته و كلّ ممكن حادث لأنّه نخلوق لغيره موجود به و لا نعني بالحدوث إلاّ هذا فإذا فرضنا له ولداً فلا محالة يكون من سنخ الممكن لأنّه مخلوق له علىٰ الفرض وكلّ ممكن فهو محتاج الىٰ المؤثر و تأثير ذلك المؤثر فيه أمّا أن يكون حال عَدمه أو حال وجوده فأن كان الأوّل فذلك الممكن محدث و أن كان الثّاني فإحتياج ذلك الموجود الىٰ المؤثّر أمّا أن يكون حال بقاءه أو حال حدوثه والأوّل محال لأنّه من تحصيل الحاصل فتّعين الثّاني و ذلک يقتضي كون ذلك الممكن محدثاً فَثبت أنّ كلّ ما سوىٰ اللّه مُحدَث سبوق بالعدم و أنّ وجوده أنّما حَصَل بخلق اللّه تعالىٰ و إيجاده و إبداعه فكلّ ما سواه فهو عبده و ملكه فيستحيل أن يكون شئ ممّا سواه ولَداً له و هو المطلوب و الىٰ ذلك أشير بقوله: **بَلْ لَهُ ما فِي السَّمٰوٰاتِ وَالْاَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قٰانِتُونَ** بعد قوله سبحانه سبحان اللّه تعالىٰ أن يكون له ولدٌ بل كلّ ما سواه مخلوق له متصّف بالإمكان والحُدوث و أمّا قوله: **كُلٌّ لَّهُ قٰانِتُونَ** القنُوت في الأصل الدّوام ثمّ إستعمل علىٰ أربعة أوجه.

أحدها: الطّاقة كقوله تعالىٰ: **يا مَرْيَمُ اَقْنُتي لِرَبِّكِ**.

ثانيها: طول القيام كقوله ﷺ **لما سُئل أي الصّلاة أفضل قال طول القنُوت، أي طول القيام**.

ثالثها: السّكوت لقوله تعالىٰ: **وَ قُومُوا لِلّٰهِ قٰانِتِينَ**.

رابعها؛ الدّوام و هو معناه الأصلي في اللّغة ثمّ أنّ التّنوين في قوله كلٌّ أي كلّ ما في السّموات والأرض قانتون مُطيعون فهو عوضٌ عن المضاف اليه و من المعلوم أنّ الكفّار ليسوا بقانتين مُطيعين لِلّٰه تعالىٰ مع أنّهم داخلون في قوله: **مٰا فِي السَّمٰوٰاتِ وَالْاَرْضِ** و بعبارةٍ كيف قال اللّه تعالىٰ: **بَلْ لَهُ مٰا فِي السَّمٰوٰاتِ وَالْاَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قٰانِتُونَ** أي مُطيعون منقادون مع أنّ الواقع بخلافه فأنّ الكفّار ليسوا كذلك فحقّ الكلام أن يقال بعضٌ له قانتون والجواب عن هذا الإشكال من وجهين:

أحَدهما: أنّ المراد من الإنـقياد والطّاعة التّكـويني لا التّشـريعي و ذلک لأنّ التّكليف ثابت لذوي العقول وليس كلّ ما في السّموات والأرض بمكلّفٍ فأنّ منه الجمادات والنباتات والحيوانات و هم ليسوا بمُكلّفين و عليه فمعنىٰ كلّ ما فـي السّـموات والأرض له خـاضع مـتذّلل بـالإنقياد التّكـويني أعـني بـه الإيجادي و منه قوله تـعالىٰ: **وَ لَهُۥٓ أَسْلَمَ مَنْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَ ٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَ كَرْهًا**(١) أي إنقاد له من في السّموات والأرض، و قوله فقال لها وللأرض أئتيا طَوعاً قالتا أتينا طائعين.

ثانيهما: أن يكون **الواو** في قوله: و **كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ** للإستئناف والمراد بالكلّ كلّ هؤلاء الّذين حَكموا عليهم بالوَلد أعني بـهم المسـيح والمـلائكة و عُـزير و غيرهم والمعنىٰ كلّ هؤلاء الّذين يزعمون أنّهم وَلَـد له تـعالىٰ قـانتون له أي مُطيعون مُنقادون تشريعاً فكيف تدّعُون فيهم أنّهم وَلَد له نقل بعض المفسّرين من العامّة عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال بعض النّصارىٰ لولا تَمَّرد عيسىٰ عن عبادة اللّه لصرتُ علىٰ دينه فقال النّصراني كيف يـجوز أن يُـنسب ذلك الىٰ عيسىٰ مع جدّه في طاعة اللّه فقال له علّي أن كان عيسىٰ إلٰهاً كـما تـقولون فكيف يعبد غيره أنّما العبد هو الّذي يليق به العبادة فإنقطع النّصراني، و في المقام إحتمال ثالث و هو أن يُحمل القنُوت علىٰ معناه اللّغوي أعني به الدّوام والثّبات و عليه فمعنىٰ الآية أن دوام الممكنات وبقاؤها به سبحانه ففيه إشارة الىٰ أنّ العالم كما أنّه في حدوثه كان مـحتاجاً الىٰ المـؤثر كـذلك فـي بـقاءه وإستمراره محتاج اليه فالممكن محتاج اليه في حدوثه و بقاءه و هو كذلك.

■

١- آل عمران = ٨٣

بَديعُ السَّمٰوٰاتِ وَالْاَرْضِ وَاِذٰا قَضىٰٓ اَمْراً اَفـانَّمٰا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقٰالَ الَّذينَ لاٰ يَعْلَمُونَ لَوْلاٰ يُكَلِّمُنَا اللّٰهُ اَوْ تَاْتينٰآ اٰيَةٌ كَذٰلِكَ قٰالَ الَّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشٰابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْاٰيٰـاتِ لِقَوْمٍ يُّوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ اِنّـٰآ اَرْسَـلْنٰاكَ بِـالْحَقِّ بَشـيراً وَّنَذيراً وَلاٰ تُسْأَلُ عَنْ اَصْحٰابِ الْجَحيمِ ﴿١١٩﴾

◁ اللّغة

بَديعُ: الإبداع إنشاء صنعةٍ بلا إحتذاءٍ وإقتداءٍ واذا أُستعمل في اللّه فهو إيحاد الشّئ بغير ألةٍ و لا مادّةٍ و لازمانٍ و لا مكانٍ و ليس ذلك إلاّ لِلّه تعالىٰ والبديع من أسماء اللّه تعالىٰ بمعنىٰ المُبدع.

قَضىٰٓ: القضاء فصل الأمر قولاً كان ذلك أو فعلاً وكلّ واحدٍ منهما علىٰ وجهين، إلٰهيّ و بشري فَمن الإلٰهي قوله: **وَ قَضىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوٓا إِلآَّ إِيَّاهُ**[1] أي أمَر بذلك و قوله: **وَ قَضَيْنَآ إِلىٰ بَنىٓ إِسْرٰآئيلَ فِى الْكِتٰابِ**[2] فهذا قضاء بالإعلام والفَصل في الحُكم.

◁ الإعراب

وَاِذٰا قَضىٰٓ اذا ظ"رف والعامل فيها ما دّل عليه الجواب تقديره و اذا قضى أمراً يكون **فَيَكُونُ** الجمهور علىٰ الرّفع عطفاً علىٰ، يقول، أو علىٰ الإستئناف أي فهو يكون **لَوْلاٰ يُكَلِّمُنَا اللّٰهُ**، **لَولا** للخصيص لأنّ بعدها المستقبل فأن كان بعدها الماضي فمعناها التّوبيخ **كَذٰلِكَ قٰالَ الَّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ** يظهر من إعراب الموضع الأوّل الىٰ هنا ما يحتمله هذا الموضع **اِنّآ اَرْسَلْنٰاكَ بِالْحَقِّ**

١- الاسراء= ٢٣ ٢- الاسراء= ٤

الجار و المجرور في موضع نصب علىٰ الحال من المفعول تقديره أرسَلناك و مَعك الحقّ و يجوز أن يكون حالاً من الفاعل أي و مَعنا الحقّ و أن يكون مفعولاً به أي بسبب إقامة الحقّ.

◁ التّفسير

قوله: **بَديعُ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذٰا قَضىٰ أَمْراً فَإِنَّمٰا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** لمّا قال اللّه تعالىٰ في الآية السّابقة **سبحانه بَلْ لَهُ مٰا فِي السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قٰانِتُونَ** إشار في هذه الآية بكيفيّة إيجاد السّموات والأرض و أنّ الخلق فيها إبدّاعيّ بلا إحتذاء وإقتداء لا عن مادّةٍ و لا في زمانٍ أي أنّه تعالىٰ أوجَد السّموات والأرض علىٰ وجه الإبداع الّذي لا يمكن لأحدٍ غيره و فيه إشارة الىٰ كمال قدرته و قوله و اذا قضى أمراً فأنّما يقول له **يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** ففيه وجوه.

أحدها: أنّ القضاء فصل الأمر قولاًكان ذلك أو فعلاً وكلّ واحدٍ منهما علىٰ وجهين، إلٰهيّ و بَشريّ، فَمن الإلٰهي قوله :**وَ قَضىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا إِلَّآ إِيّٰاهُ** أي أنّه تعالىٰ أمَر بذلك و قوله تعالىٰ:**وَ قَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرٰآئيلَ فِى ٱلْكِتٰابِ** فهذا قضاء بالإعلام والفصل في الحُكم أي أعلمناهم وأوصينا اليهم وحَياً جزماً ومن الفعل الإلٰهي:

قال اللّه تعالى: **وَ ٱللّٰهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَ ٱلَّذينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ**[1].

قال اللّه تعالى: **فَقَضيٰهُنَّ سَبْعَ سَمٰوٰاتٍ في يَوْمَيْنِ**[2].

إشارة الىٰ فِعله و هو إيجاده الإبدّاعي و أمّا قوله: ولولا أجَلٌ مُسمىٰ لقَضي بينهم، الآية أي لَفَصل هذا في القول والفعل الإلٰهي ومن القول البَشري نحو



١- غافر = ٢٠
٢- الفصلت = ١٢

قضىٰ الحاكم بكذا فأنّ حُكم الحاكم يكون بالقول و من الفعل البَشرى:

قال اللّه تعالىٰ: **فَإِذاٰ قَضَيْتُمْ مَنٰاسِكَكُمْ**[١].

قال اللّه تعالىٰ: **ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَ لْيُوفُوا نُذُورَهُمْ**[٢]

و أمثال ذلك من الأيات أي فَرغُوا أو أفرغُوا من أمركم

و أمّا قوله تعالىٰ: **فَاقْضِ مآ أَنْتَ قاٰضٍ**[٣]

قال اللّه تعالىٰ: **إِنَّمٰا تَقْضِي هٰذِهِ اَلْحَيٰوةَ اَلدُّنْيٰآ**[٤]

وقول الشّاعر:

قَــضيتُ أُمــوراً ثــمّ غــادرتُ

بعدها و أمثالها فيحتمل القضاء بالقول و الفعل جميعاً ويُعبّر عن الموت بالقضاء فيقال فلان قضىٰ نَحبه كأنّه فصل أمره المختّص به من دنياه.

ثانيهما: أنّ لفظ القضاء في الكتاب والسنّة علىٰ وجوهٍ:

الأوّل: بمعنىٰ الخلق و منه.

قال اللّه تعالىٰ: **فَقَضٰيهُنَّ سَبْعَ سَمٰواٰتٍ** يعني خَلَقهنّ

ثانيها: بمعنىٰ الأمر.

قال اللّه تعالىٰ: **وَ قَضىٰ رَبُّكَ أَلّاٰ تَعْبُدُوٓا إِلّآ إِيّٰاهُ**

ثالثها: بمعنىٰ الحكم ولهذا يقال للحاكم القاضي

رابعها:، بمعنىٰ الأخبار ومنه.

قال اللّه تعالىٰ: **وَ قَضَيْنآ إِلىٰ بَنيِ إِسْرٰآئيلَ فِى اَلْكِتٰابِ**أي أخبَرناهم.

خامسها: أن يأتي بمعنىٰ الفراغ من الشّئ.

قال اللّه تعالىٰ: **فَلَمّٰا قُضِيَ وَلَّوْا إِلىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ**[٥] يعني لمّا فَرغ من ذلك.

١- البقرة= ٢٠٠

٢- الحج = ٢٩

٣- طه = ٧٢

٤- طه = ٧٢

٥- الاحقاف =٢٩

سادسها: أنّ القضاء.

قال اللّه تعالىٰ: **واذا قَضىٰ ربّك.**

يحتمل أن يكون بمعنىٰ الخلق ويحتمل أن يكون بمعنىٰ الحُكم أي اذا حكم و بمعنىٰ الفعل أي اذا فَعل أمراً و قيل معناه أحكم أمراً و منه قول الشّاعر:

وعليهما مسرُورتان قضاهما داود أو صَنَع السّوابق تبّعُ

سابعها: أنّ لفظ الأمر حقيقة في القول المخصوص وهل هو حقيقة في الفِعل والشّأن أو مجاز فيه قيل حقيقته فيه و هو المراد بالأمر في المقام.

ثالثهما: أنّه ليس المراد من قوله تعالىٰ: **فِانَّمٰا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** هو أنّه تعالىٰ يقول له كُن، فحينئذٍ يتّكون ذلك الشّئ و ذلك لوجوه:

الأوّل: أنّ قوله: **كُنْ فَيَكُونُ** أمّا أن يكون قديماً أو مُحدثاً والقسمان فاسدان فَبطل القول بتوقف حدوث الأشياء علىٰ كُن، و أنّما قلنا لا يجوز أن يكون قديماً لوجوهٍ ثلاثة:

أحدها: أنّ هذه الكلمة مرّكبة من الكاف و النّون بشرط تقدّم الكاف علىٰ النّون فالنّون لكونه مسبوقاً بالكاف يكون محدثاً والكاف لكونه متقدّماً علىٰ المُحدث بزمانٍ واحد يجب أن يكون محدثاً أيضاً والمُحدث لا يكون قديماً و هو المطلوب.

ثانيها: أنّ كلمة اذا، لا تدخل إلاّ علىٰ سبيل الإستقبال فذلك القضاء لابدّ وأن يكون محدثاً لأنّه دَخَل عليه حرف اذا، و قوله كُن، مرّتب علىٰ القضاء بفاء التّعقيب لأنّه تعالىٰ قال: **فِانَّمٰا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** والمُتأخر عن المحدث بإستحال أن يكون قديماً و هو المطلوب.

ثالثها: أنّه تعالىٰ رتَّب كون المخلوق علىٰ قوله: **كُنْ** بفاء التّعقيب فيكون قوله كُن، مقدّماً علىٰ تكّون المخلوق بزمانٍ واحدٍ والمتقدّم علىٰ المُحدث



بزمانٍ واحدٍ يكون محدثاً فقوله كُن، لا يجوز أن يكون قديماً و هو المطلوب.

و أمّا أنّه ليس بمحدثٍ لأنّه لو إفتقر كلّ محدث في وجوده الىٰ قوله: **كُنْ** والمفروض أنّ قوله: **كُنْ** أيضاً محدث يلزم إفتقار كن الىٰ كَن، أخر و هو مستلزم للتّسلسل أو الدّور وهما محالان فَثَبت أنّه لا يجوز توّقف أحداث الحوادث علىٰ قوله: **كُنْ** و هو المطلوب، و استّدل علىٰ المدّعىٰ أيضاً بأنّه تعالىٰ أمّا أن يخاطب المخلوق بكلمة، كُن حال عَدمه أو حال وجوده وكلاهما باطلان أمّا الأوّل فلأنّ المعلوم في حال عَدمه لا يخاطب بشيٍ.

أمّا الثّاني: فلأنّه من قبيل تحصيل الحاصل و هو ممّا لا فائدة فيه أن لم يكن عَبَثاً.

برهان أخر، أنّ المخلوق قد يكون جماداً و تكليف الجماد عَبث و لا يليق بالحكيم.

و أيضاً أنّ القادر هو الّذي يصحّ منه الفعل فاذا فَرضنا القادر المُريد مُنفكاً عن قوله: **كُنْ** فأمّا أن يتمكّن من الإيجاد والإحداث أو لا يتمكّن فأن تمَكن لم يكن الإيجاد موقوفاً علىٰ قوله: **كُنْ** و أن لم يتّمكن يلزم أن لا يكون القادر قادراً علىٰ الفعل إلاّ عند تكلّمه بكلمة كُن و هو كما ترىٰ.

و أيضاً قوله: **إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** [1] بيّن اللّه تعالىٰ أنّ قوله كُن مُتّأخراً عن خَلقه والمُتّأخر عن الشّئ لا يكون مؤثّراً في المتّقدم عليه فَعلِمنا أنه لا تأثير لقوله: **كُنْ** في وجود الشّئ فظهر بهذه الوُجوه فساد هذا المَذهَب أقول فهذه هي الوجوه التّي أقامُوها في المقام عَقلاً في الآية.

و نحن نقول أن كان مرادهم أنّ اللّه تعالىٰ لم يتكلّم بهذه الحُروف و هي الكاف و النُّون لَفظاً كما نتكّلم بها فهو حقّ لا كلام لأحدٍ فيه لأنّ الحُروف ممّا

١- آل عمران = ٥٩

وضعها الإنسان للتكلّم بها فهي من قبيل المواضعة بين النّاس لإظهار ما في القلب و لذلك يختلف المعنىٰ بحسب إختلاف تراكيب الحُروف بعضها الىٰ بعض فالكاف مثلاً اذا ضمّ الىٰ النّون يصير كُن، و اذا ضمّ الىٰ اللاّم يصير كلّ و اذا ضمّ الىٰ الياء يصير كي و هكذا سائر الحروف و بذلك يصير المعنىٰ أيضاً مختلفاً و ليس هذا إلاّ من المواضعة و لذلك تختلف المعاني والألفاظ بحسب اللّغات فأنّ كلّ لفظٍ يدّل علىٰ معناه الموضوع له اللّفظ و هذا واضح و لم يقل أحد من أهل العلم أنّ اللّه تعالىٰ يتلّفظ بهذه الألفاظ المتّداولة بين النّاس التّي تعتمد علىٰ مقاطع الفم لتنزّهه تعالىٰ عن الفم واللّسان و غيرهما ممّا هو من لوازم الجسم و عليه فلا نحتاج في نفي الكلام عند تعالىٰ بهذا المعنىٰ الىٰ هذه الدّلائل والبراهين فأنّ كونه تعالىٰ منّزهاً عن الجسم والتّركيب والمادّة و أمثالها يكفي في نفي الكلام والحركة و السّكون و أمثالها في حقّ الباريْ جلّ وعزّ فاذا قلنا أنّه تعالىٰ يسمع و يبصر ليس معناه أنّه يسمع بالسّمع و يُبصر بالعين كما هما فينا كذلك و هكذا الكلام فأنّه قد ثَبت أنّ اللّه تعالىٰ يُوصف به قال اللّه تعالىٰ: **وَ كَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا**[1] و ليس معناه أنّه كلّم موسىٰ كما كلّم هارون و غيره من أفراد البشر موسىٰ بل معناه أنّه أوَجد الكلام في الشّجرة وغيرها فَسمعه موسىٰ كما سيأتي تحقيق الكلام فيه و ما نحن فيه أيضاً من هذا القبيل فقوله: **كُنْ فيكون** ليس المراد به التّلفظ بلفظة كُن، ثمّ يتّكون بعد ذلك شئ بل قوله تعالىٰ فِعله الذّي نُعبّر عنه بالإنشاء والإيجاد وأن شئت أن تَعرف حقيقة الأمر في المقام فأستمع لما يُتلىٰ عليك من كلام أمير المؤمنين عليه السلام و سيّد الوّصيين باب مدينة العلم في نهج البلاغة في خطبة التّوحيد[2].

مَا وَحَّدَهُ مَنْ كَيَّفَهُ وَلَا حَقِيقَتَهُ اَصَابَ مَنْ مَثَّلَهُ وَلَا اِيَّاهُ عَنَىٰ مَنْ شَبَّهَهُ وَلاَ صَمَدَهُ مَنْ اَشَارَ اِلَيْهِ وَتَوَهَّمَهُ كُلُّ مَعْرُوفٍ بِنَفْسِهِ مَصْنُوعٌ وَكُلُّ قَائِمٍ فِى سِوَاهُ مَعْلُولٌ

١- النساء = ١٦٤ ٢- خ - ١٨٦

فَاعِلُ لَا بِاضْطِرَابِ آلَةٍ مُقَدِّرٌ لَا بِجَوْلِ فِكْرَةٍ غَنِيٌّ لاَ بِاسْتِفَادَةٍ لاَ تَصْحَبُهُ الْأَوْقَاتُ وَلاَ تَرْفِدُهُ الْأَدَوَاتُ سَبَقَ الْأَوْقَاتَ كَوْنُهُ وَالْعَدَمَ وَجُودُهُ وَالإِبْتِدَاءَ أَزَلُهُ بِتَشْعِيرِهِ الْمَشَاعِرَ عُرِفَ أَنْ لَامَشْعَرَ لَهُ وَبِمُضَادَّتِهِ بَيْنَ الْأُمُورِ عُرِفَ أَنْ لاَ ضِدَّ لَهُ وَبِمُقَارَنَتِهِ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ عُرِفَ أَنْ لاَ قَرِينَ لَهُ ضَادَّ النُّورَ بِالظُّلْمَةِ وَالْوُضُوحَ بِالْبُهْمَةِ وَالْجُمُودَ بِالْبَلَلِ وَالْحَرُورَ بِالصَّرَدِ مُؤَلِّفٌ بَيْنَ مُتَعَادِيَاتِهَا.

مُقَارِنٌ بَيْنَ مُتَبَايِنَاتِهَا مُقَرِّبٌ بَيْنَ مُتَبَاعِدَاتِهَا مُفَرِّقٌ بَيْنَ مُتَدَانِيَاتِهَا لاَ يُشْمَلُ بِحِدٍّ وَلاَ يُحْسَبُ بِعَدٍّ وَإِنَّمَا تَحُدُّ الْأَدَوَاتُ أَنْفُسَهَا وَتُشِيرُ الْآلاَتُ إِلَىٰ نَظَائِرِهَا مَنَعَتْهَا مُنْذُ الْقِدْمَةَ وَحَمَتْهَا قَدُ الْأَزَلِيَّةَ وَجَنَّبَتْهَا لَوْلاَ التَّكْمِلَةَ بِهَا تَجَلَّىٰ صَانِعُهَا لِلْعُقُولِ وَبِهَا امْتَنَعَ عَنْ نَظَرِ الْعُيُونِ وَلاَ يَجْرِى عَلَيْهِ السُّكُونُ وَالْحَرَكَةُ وَكَيْفَ يَجْرِى عَلَيْهِ مَا هُوَ أَجْرَاهُ وَيَعُودُ فِيهِ مَا هُوَأَبْدَاهُ وَيَحْدُثُ فِيهِ مَا هُوَ أَحْدَثَهُ إِذاً لَتَفَاوَتَتْ ذَاتُهُ وَلَتَجَزَّأَكُنْهُهُ وَلاَ مْتَنَعَ مِنَ الْأَزَلِ مَعْنَاهُ وَلَكَانَ لَهُ وَرَاءُ إِذْ وُجِدَ لَهُ أَمَامُ وَلَالْتَمَسَ الَتمَامَ إِذْ لَزِمَهُ النُّقْصَانُ وَإِذاً لَقَامَتْ آيَةُ الْمَصْنُوعِ فِيهِ وَلَتَحوَّلَ دَلِيلاً بَعْدَ أَنْ كَانَ مَدْلُولاً عَلَيْهِ وَخَرَجَ بِسُلْطَانِ الامْتِنَاعِ مِنْ أَنْ يُؤَثِّرَ فِيهِ مَا يُؤَثِّرُ فِى غَيْرِهِ الَّذِى لاَ يَحُولُ وَلاَ يَزُولُ وَلاَ يَجُوزُ عَلَيْهِ الْأُفُولُ لَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْلُوداًوَلَمْ يُولَدْ فَيَصِيرَ مَحْدُوداً جَلَّ عَنِ اتِّخَاذِ الْأَبْنَاءِ وَطَهُرَ عَنْ مُلاَمَسَةِ النِّسَاءِ لَا تَنَالُهُ الْأَوْهَامُ فَتُقَدِّرَهُ وَلاَ تَتَوَهَّمُهُ الْفِطَنُ فَتُصَوِّرَهُ وَلَا تُدْرِكُهُ الْحَوَاسُّ فَتُحِسَّهُ وَلاَ تَلْمِسُهُ الْأَيْدِى فَتَمَسَّهُ وَلاَيَتَغَيَّرُ بِحَالٍ وَلاَ يَتَبَدَّلُ فِى الْأَحْوَالِ وَلاَ تُبْلِيهِ اللَّيَالِى وَالْأَيَّامُ وَلاَ يُغَيِّرُهُ الضِّيَاءُ وَالظَّلاَمُ وَلاَ يُوصَفُ بِشَئٍ مِنَ الْأَجْزَاءِ وَلاَ بِالْجَوَارِحِ وَالْأَعْضَاءِ وَلاَ بِعَرَضٍ مِنَ الْأَعْرَاضِ وَلاَ بِالْغَيْرِيَّةِ وَالْأَبْعَاضِ وَلاَ يُقَالُ لَ حَدُّ وَلاَ نِهَايَةٌ وَلَاانْقِطَاعُ وَلاَ غَايَةٌ وَلاَ أَنَّ الْأَشْيَاءَ تَحْوِيهِ فَتُقِلَّهُ أَوْ تُهْوِيَهُ أَوْ أَنَّ شَيْئاً يَحْمِلُهُ فَيُمِيلَهُ أَوْ يُعَدِّلَهُ. لَيْسَ فِى الْأَشْيَاءِ بِوَالِجٍ وَلاَ عَنْهَا بِخَارِجٍ يُخْبِرُ لاَ بِلِسَانٍ وَلَهَوَاتٍ وَيَسْمَعُ لاَ بِخُرُوقٍ وَأَدَوَاتٍ يَقُولُ وَلاَ يَلْفِظُ وَيَحْفَظُ وَلاَ يَتَحَفَّظُ وَيُرِيدُ وَلاَ يُضْمِرُ يُحِبُّ وَيَرْضَىٰ مِنْ غَيْرِ رِقَّةٍ وَيُبْغِضُ وَيَغْضَبُ مِنْ غَيْرِ مَشَقَّةٍ يَقُولُ لِمَا أَرَادَ كَوْنَهُ

كُنْ فَيَكُونُ لاَ بِصَوْتٍ يَقْرَعُ وَلاَ بِنِدَاءٍ يُسْمَعُ وَإِنَّمَا كَلاَمُهُ سُبْحَانَهُ فِعْلٌ مِنْهُ اَنْشَاهُ وَمَثَّلَهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِ ذٰلِكَ كَائِناً وَلَوْ كَانَ قَدِيماً لَكَانَ اِلٰهاً ثَانِياً لاَ يُقَالُ كَانَ بَعْدَ اَنْ لَمْ يَكُنْ فَتَجْرِىَ عَلَيْهِ الصِّفَاتُ الْمُحْدَثَاتُ وَلاَ يَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ فَصْلٌ وَلاَ لَهُ عَلَيْهَا فَضْلٌ فَيَسْتَوِىَ الصَّانِعُ وَالْمَصْنُوعُ وَيَتَكَافَأَ الْمُبْتَدَعُ وَالْبَدِيعُ خَلَقَ الْخَلاَئِقَ عَلَىٰ غَيْرِ مِثَالٍ خَلاَ مِنْ غَيْرِهِ وَلَمْ يَسْتَعِنْ عَلَىٰ خَلْقِهَا بِاَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ الىٰ أخر.

الخطبة الشّريفة ففي هذه الخطبة أشار عليه السلام الىٰ ما نحن بصدده حيث قال يُخبر لا بلسانٍ ولهوات و قوله يقول و لا يلفظ و أصرَح من ذلك قوله يقول لمن أراد كَونه كُن فَيكون لا بصوتٍ يَقرِع و لا بنداءٍ يسمع و أنّما كلامه سبحانه فعلٌ منه أنشأه و مثله ما لم يكن الخ فهذه الكَلمات الّتي صدرت من باب مدينة العلم تغنينا عمّا ذكروه في إثبات المدّعىٰ وكلّه أو بعضه مخدوشة لا يمكن التّعويل عليه فقد صرّح عليه السلام بأنّ كلامه سبحانه فعلٌ منه أنشأه و مثله ما لم يكن من قبل ذلك كائناً أي أنّ كلامه سبحانه هو فعلٌ بعينه و هو مَنشأ إيجاده الممكنات لا أنّ كلامه يوجد الفعل كما ربّما يتوهّم وبين المقامين بونٌ بعيد اذا عرفت هذا فنقول كلمة كُن، لا خصوصّية لها و أنّما هي مثل سائر الكلمات الموجودة ما بَين الدّفتين فأنّ الكتاب من أوّله الىٰ أخره كلام اللّه واللّه تعالىٰ هو الّذي يقول **بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ.**

اَلْحَمْدُلِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الىٰ أخر الكتاب إلاّ أنّه لا يَتّلفظ بلفظٍ و لا يكون لِلفظه صوتٌ يُقرع و لا فيه نِداءٌ يُسمَع بل كلامه فعلٌ منه أنشأه و مَثَّله ما لم يكن كائناً من قبل و هذا هو الأصل في جميع الأوامر والنّواهي والوَعد والوَعيد و غيرها وكلمة كُن، مثل سائر الكلمات و محصّل الكلام هو أنّ هذه الحُروف الموجودة في الكتاب ليست بعينها ممّا تلّفظ به تعالىٰ و أنّما هي دالّة علىٰ مراده و مقصوده وأن شئت قلت كلامه تعالىٰ أعني به فِعله تجلّىٰ بهذه الحروف و الكلمات لنا لنفهم مراده لا أنّها بعينها كلامه المَلفوظ به اذ لا لفظ

هناك أصلاً ألا ترىٰ أنّ كلام اللّه تعالىٰ في كلّ قومٍ أُنزل بلسانه ولُغته من العِبري والسّرياني والعَربي وغيرها والكلام واحد في الجميع كما أنّ المتّكلم أيضاً واحد و أنّما يوجد المعاني في قالب الألفاظ المتّداولة عند كلّ قوم بُعث النّبي منهم فأفهم وتأمل في المقام **وَقَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ لَوْلاَ يُكَلِّمُنَا اللّٰهُ اَوْ تَاْتِينَا آيَةٌ كَذٰلِكَ**

حكىٰ اللّه تعالىٰ عن الكفّار الّذين أنكروا التّوحيد و إدّعوا عليه إتّخاذ الأولاد شيئاً أخر وهو خلافهم في النّبوة و سلوكهم في ذلك طريق العناد فقال اللّه تعالىٰ عنهم قال الّذين لا يعلمون من اليهود أو النّصارىٰ أو مُشركي العَرب لولا يكلّمنا اللّه أي هلاّ يكلّمنا اللّه تعالىٰ معاينة فيُخبرنا بأنّك نبّي و قيل هلاّ يُكلّمنا بكلامه كما كَلَّم موسىٰ و غيره من الأنبياء أو تأتينا أيةٌ كذلك **قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِّثْلَ قَوْلِهِمْ** قيل هم اليهود حيث إقترحوا الأيات علىٰ موسىٰ **تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ** أي قلوبهم في الكفر والعناد والقسوة والإعتراض علىٰ الأنبياء بعضها شبيهةٌ ببعضٍ و ذلك لأنّ اليهود قالت لموسىٰ أرنا اللّه جَهرةً و قالت النّصارىٰ للمسيح أنزل علينا مائدة من السّماء و قالت العَرب لنبيّنا حوّل لنا الصّفا ذَهَباً و هذا كلّه يدّل علىٰ قلّة إيمانهم وضعف إعتقادهم باللّه و رسوله بل يدّل علىٰ عنادهم و لجاجهم في الحقّ وإلاّ قد بيّنا الأيات والمعجزات الّتي يُعلم بها صحّة نبوكّة محمّد ﷺ **لِقَوْمٍ يُّوقِنُونَ** أي يستّدلون بها من الوجه الّذي يجب الإستدلال به فأيقنوا لذلك و بعبارةٍ أخرىٰ أنّ فيما ظَهر من الأيات الباهرات الدّالة علىٰ صدق النّبي كفاية لمن ترك التّعَصب والعناد و قيل أنّ المراد بقوله: **قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُّوقِنُونَ** أي إنّا ثّقد بيّنا العَلامات التّي من أجلها غَضب اللّه علىٰ اليَهود وجَعل منهم القِردَة والخنازير وأعدَّ لهم العذاب المُهين في معادهم والّتي من أجلها أخزىٰ اللّه النّصارىٰ في الدّنيا وأعّدَ لهم الخزي والعذاب الأليم في الأخرة والّتي من

أجلها جَعل سُكّان الجّنان الّذين أسلموا وجوههم لِلّه و هم محسنون في هذه السّورة وغيرها فأعلموا الأسباب الّتي من أجلها إستّحق كلّ فريقٍ من اللّه ما فعل به من ذلك وخصّ اللّه بذلك القوم الّذين يُوقنون لأنّهم أهل التّثبت في الأمور والطّالبون معرفة حقائق الأشياء علىٰ يقينٍ و صحّةٍ فأخبر اللّه جلّ ثناؤه أنّه بيّن لِمن كانت هذه الصّفة صفته ما بيّن من ذلك ليزول شكّه ويعلم حقيقة الأمر إذا كان ذلك خبراً من اللّه جلّ ثناؤه وخبر اللّه هو الخبر الّذي لا يعذر سامعه بالشكّ فيه وقد يحتمل غيره من الأخبار ما يحتمل من الأسباب العارضة فيه من السّهو والغلط والكذب و ذلك منفيٌ عن خبره إنتهىٰ.

أمّا قوله تعالىٰ: **اِنّٓا اَرْسَلْنٰاكَ بِالْحَقّ بَشيراً وَّنَذيراً وَلاٰ تُسْأَلُ عَنْ اَصْحٰابِ الْجَحيمَ** في قوله تعالىٰ :**وَلاٰ تُسْأَلُ** وجوه من القراآت.

أحدها: ضّم التّاء و رفع اللاّم و عليه فاللاّء لِلنفي و الفعل مبنيّ للمفعول و موضعه من جهة الإعراب الحال أي و غير مسؤلٍ بعطفه علىٰ بشيراً و نذيراً، والمعنىٰ **اِنّٓا اَرْسَلْنٰاكَ بِالْحَقِّ بَشيراً وَّنَذيراً** غير مسؤلٍ.

ثانيها: فتح **التّاء** كذلك بناء علىٰ أنّ الفعل معلوم مبني للفاعل و يكون موضعه النّصب أيضاً علىٰ الحال عطفاً علىٰ، بشيراً ونذيراً، والمعنىٰ **اِنّٓا اَرْسَلْنٰاكَ بِالْحَقِّ بَشيراً وَّنَذيراً** غير سائلٍ عنهم.

ثالثها: بفتح التّاء والجزم في اللاّم علىٰ النّهي أي **اِنّٓا اَرْسَلْنٰاكَ** كذلك و لا تسأل عن أصحاب الجحيم والمشهور من الأقوال هو الأوّل والمعنىٰ **اِنّٓا اَرْسَلْنٰاكَ بِالْحَقّ بَشيراً وَّنَذيراً** أي مُبشّراً و مُنذراً غير مسؤل عن أصحاب الجحيم أي و ليس عليك إجبارهم علىٰ القبول منك فهو نظير قوله:

قال اللّه تعالى: **فَلاٰتَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَراٰتٍ**[1].

قال اللّه تعالى: **لَيْسَ عَلَيْكَ هُديهُمْ**[2].

١- الفاطر= ٨ ٢- البقرة= ٢٧٢

قال اللّه تعالى: **إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَ لٰكِنَّ ٱللّٰهَ يَهْدِي مَنْ يَشٰآءُ**[١].

قال اللّه تعالى: **ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ**[٢] و أمثال ذلك من الأيات.

والحاصل أنّ وظيفة الرّسول الإرشاد والهداية ثمّ البشارة والإنذار فالبشارة للمطيع والإنذار للعاصي أمّا قبول الدّعوة من النّاس أو عدم قبولهم إيّاها فهو خارج عن وظيفة الرّسول و كذلك الدّخول الىٰ الجّنة والنّار قال الطّبري في تفسيره لهذه الآية ما هذا لفظه و قرأ ذلك بعض أهل المدينة و لا تسأل جَزماً بمعنى النّهي مفتوح التّاء من تسأل و جَزم اللاّم منها و معنىٰ ذلك علىٰ قراءة هؤلاء **اِنّآ اَرْسَلْنٰاكَ بِالْحَقِّ بَشيراً وَّنَذيراً** لتبليغ ما أرسلت به لا لتسأل عن أصحاب الجحيم فلا تسأل عن حالهم و تأوّل الّذين قَرَؤوا هذه القراءة ما حدّثنا أبو كريب قال حدثّنا وكيع عن موسىٰ بن عبد عن محمّد إبن كعب قال قال رسول اللّه ﷺ ليت شعري ما فَعَل أبواي فَنزلت لا تسأل عن أصحاب الجحيم، ثمّ بعد ذلك قوّي الطّبري قول المشهور و هو الرّفع، أعني رفع التّاء ليكون الفعل منفيّاً لا مَنهيّاً و ساق الكلام فيه الىٰ أن قال فإن ظَن ظانّ أنّ الخبر الّذي رُوي عن محّمد بن كعب صحيح فأنّ في إستحالة الشكّ من الرّسول في أنّ أهل الشّرك من أهل الجحيم و أنّ أبوَيه كانوا منهم ما يدفع صحّة ما قاله محمّد إبن كعب إنتهىٰ موضع الحاجة منه.

أنا أقول غرضه في الجملة الأخيرة أنّ الرّسول كان يعلم أنّ أهل الشّرك من أهل الجحيم وأنّ أبوَيه كانا منهم، ولم يكن شاكّاً فيه حتّىٰ يقول ليت شعري ما فعل أبواي و لمّا كان كذلك فقول محمّد إبن كعب أنّ شأن نزول الآية كان قول رسول اللّه ليت شعري ليس بصحيح مثلاً.

و تبّعه علىٰ هذا القول غيره من مُفسّري العّامة كالزّمخشري في الكشّاف والقرطّبي في جامع أحكام القرآن بزعمه، و البيضاوي في أنوار التنزيل

١- القصص = ٥٦ ٢- الانعام = ٩١

والسّيوطي في الدّر المنشور و زاد في الحديث فما ذكرهما حتّىٰ توفّاه اللّه، والآلوسي في روح المعاني و قال بعد نقله الحديث و لا يخفىٰ بعد هذه الرّواية لأنّه صلى الله عليه وآله وسلم كما في المُنتخب عالمٌ بما آل اليه أمرهما، وإبن كثير الدّمشقي في تفسيره فأنّه قال بعد نقله ما نقلناه عن الطّبري و قد ردّ إبن جرير هذا القول المرّوي عن محمّد إبن كعب وغيره في ذلك لإستحالة الشكّ.

من الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم في أمر أبَويه ثمّ قال: وهذا الّذي سلكه هاهنا فيه نظر لإحتمال أنّ هذا كان في حال إستغفاره لأبويه قبل أن يعلَم أمرهما فلّما علمَ ذلك تَبّرأ منهما وأخبَر عنهما أنّهما من أهل النّار كما ثَبت هذا في الصّحيح و لهذا أشباهٌ كثيرة ونظائر ولا يلزم ما ذكره إبن جرير إنتهىٰ.

و قال في تفسير روح البيان ولمّا أُمر رسول اللّه بتبشير المؤمنين وإنذار الكافرين كان يذكر عقوبات الكّفار فقام رجل فقال يا رسول اللّه أين والديَّ فقال في النّار فَحزن الرّجل فقال صلى الله عليه وآله وسلم أنّ والديك و والديّ و والديَّ إبراهيم في النّار، فَنزل قوله تعالىٰ: **وَ لا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحابِ الْجَحِيمِ**[1] فلَم يسألوه شيئاً بعد ذلك و محصّل الكلام في المقام أنّ مُفسّري العّامة قد أجمعوا علىٰ ذلك تبعاً للطبّري إنتهىٰ ما أردناه ذكره من أقوالهم فنقول نسأل عن الطّبري ومن حذي حَذوه من العّامة من أين ثَبت لكم أنّ أبَويه صلى الله عليه وآله وسلم في النّار، فإن قالوا لأنّهما ماتا علىٰ الكُفر و من مات علىٰ الشّرك والكفر فهو في النّار، نقول لهم من أين علمتم أنّ أبَويه ماتا علىٰ الشِّرك والكفر و من أخبركم به غير محمّد إبن كعب المجهول، ألستُم مُعتقدين بطهارة مولد النّبي و نَسَبه صلى الله عليه وآله وسلم من دنس الشّرك وشين الكفر، فأن قلتم لا نعتقد هذا نقول لكم ألستُم معتقدين بِصّحة نبوّة عيسى إبن مَريم قبل نبّينا فأن لم تعتقدوا و ذلك فأنتم كافرون باللّه



١- البقرة= ١١٩

وبرسوله لأنّ إنكار واحدٍ من الأنبياء و لا سيّما أولي العظم منهم كإنكار الجميع فمن لم يعتقد بصحّة نبّوة عيسىٰ وَمن قبله من الأنبياء كيف يدّعي الإسلام وقد دلّت الأيات علىٰ ذلك:

قال اللّه تعالىٰ: **وَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَ مَآ أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ**(١).

قال اللّه تعالىٰ: **وَ آتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَاتِ وَ أَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ**(٢).

قال اللّه تعالىٰ: **وَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَ عِيسَىٰ وَ مَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ**(٣).

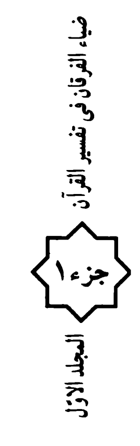
و أمثالها من الأيات وقد وَرَد أكثر مِن سِتة وعشرين آية في المسيح ورسالته و قد ثبت أنّ كلّ رسول إذا كان صاحب شريعةٍ وكتاب يجب علىٰ النّاس متابعته في كلّ ما جاء به من عند اللّه الىٰ أن يأتى رسول بعده ناسخاً لشريعة من قبله و لذلك نقول كلّ النّاس كانوا مأمورين بالإتّباع عن شريعة موسىٰ الىٰ أن بعث اللّه عيسىٰ ابن مريم وهكذا كان النّاس مأمورين بإتّباع شريعة عيسىٰ الىٰ أن بعث اللّه نبّينا صلّى الله عليه وآله وسلّم و هو خاتم الأنبياء وشريعته ناسخة لجميع الشّرائع قبله قال اللّه تعالىٰ: **إِنَّ ٱلدِّينَ عِنْدَ ٱللّٰهِ ٱلْإِسْلَامُ**(٤) و قال ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فَلن يقبل منه و هو في الأخرة من الخاسرين اذا عرفت هذا فإعلم أنّ النّاس قبل نبّينا كانوا مأمورين بمتابعة شريعة عيسىٰ عليه السلام فمن كان مؤمناً كان كذلك و من لم يكن مؤمناً باللّه و برسوله كان كافراً فالنّاس في عَهد الجاهلّية بين كافرٍ باللّه ورسوله و مؤمنٍ بهما و أباء الرّسول و أمّهاته كانوا من المؤمنين قطعاً و قد وردت به روايات كثيرة ليس المقام محلّ ذكرها.

أن قلت لا نسّلم الرّوايات الدّالة علىٰ إيمانهم قلتُ أيّ دليلٍ دلّ علىٰ كفرهم

١- البقرة= ٤
٢- البقرة= ٨٧
٣- البقرة= ١٣٦
٤- آل عمران = ١٩

حتّىٰ يقال أنّ أبَويه في النّار، أَيقول الطّبري و أمثاله كلّ من مات و لم يُدرك النّبي مات علىٰ الكُفر والشّرك و مأواه النّار فاذا كان عبد اللّه بزعم هؤلاء في النّار فعبد المطّلب و هاشم و عبدمناف و هلّم جرّاً كلّهم في النّار نَعوذ باللّه من الخُبث و سُوء السّريرة ألم يَعلموا أنّ عبد اللّه مات قبل أن يولد النّبي و أمّه آمنة ماتت و هو ابن أربع أو خمس سنين فَماذا منهما أن لم يُؤمنا بالنّبي صلّى اللّه عليه وآله وسلّم و هو صغير أو لم يُولد بعد اللّهم إلاّ أنّ يقال كان حقّ عبد اللّه أن يُؤمن بالجَنين في عالم الرّحم و حقّ آمنة أن تُؤمن بالإسلام الّذي جئ به بعد أربعين سنة بعد موتها و لا يَبعد من هؤلاء الجهّال أن يقولوا بهذه المقالة أعاذنا اللّه من هذه الخرافات والأباطيل التّي إنتَقَشت في الأوراق بإسم التفسير ثمّ طَبعت وإنتشرت في الأفاق ولنختم الكلام في هذه المقالة فأنّها ليست أوّل قارورةٍ كُسرت في الإسلام.

■



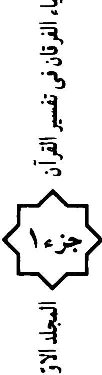
وَلَنْ تَرْضىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارىٰ حَتّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ اِنَّ هُدَى اللّٰهِ هُوَ الْهُدىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ اَهْوٰآئَهُمْ بَعْدَ الَّذي جاۤءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مالَكَ مِنَ اللّٰهِ مِنْ وَّلِيٍّ وَلاٰ نَصيرٍ ﴿١٢٠﴾ اَلَّذينَ اٰتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَتْلُونَه حَقَّ تَلاٰوَتِهٖ اُولٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهٖ وَمَنْ يَّكْفُرْ بِهٖ فَاُولٰٓئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يٰابَنِىٓ اِسْرٰآئيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِىٓ اَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَ اَنّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعٰالَمينَ ﴿١٢٢﴾ وَاتَّقُوا يَوْماً لاّٰ تَجْزي نَفْسٌ عَنْ نَّفْسٍ شَيْئاً وَّلاٰ يُقْبَلُ مِنْها عَدْلٌ وَّلاٰ تَنْفَعُها شَفٰاعَةٌ وَّلاٰ هُمْ يُنْصَرُونَ ﴿١٢٣﴾

◁ اللّغة

تَتَّبِعَ: الإتّباع الإقتفاء.

مِلَّتَهُمْ: الملّة كالدّين و هو إسم لما شرع اللّه تعالىٰ لعباده علىٰ لسان الأنبياء ليتوصّلوا الىٰ جوار اللّه.

وَاتَّقُوٰا يَوْماً: الىٰ أخر الأية، قد مرّ شرح لغاتها وتفسيرها سابقاً أية (٤٨).



◁ الإعراب

هُوَ الْهُدىٰ هو يجوز أن يكون توكيداً لإسم أنّ وفصلاً ومبتدأً و قد سبق نظيره مِنَ الْعِلْمِ في موضع نصب علىٰ الحال من ضمير الفاعل في جاءك اَلَّذينَ اٰتَيْناهُمُ مبتدأ و أتيناهم صلته يَتْلُونَه حال مقّدرة من هُم، أو من الكتاب حَقَّ منصوب على المصدر اُولٰٓئِكَ مبتدأ ويُؤمنون به خَبره والجملة خبر الّذين

و لا يجوز أن يكون يتّلُونه خَبر الّذين لأنّه ليس كلّ من أُوتي الكتاب تلاه حقّ تلاوته والباقي واضح.

◁ التّفسير

قوله تعالىٰ: **وَلَنْ تَرْضىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارىٰ حَتّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ** قيل في شأن نزولها أنّ اليهود والنّصارىٰ كانوا يسألون النّبي صلى الله عليه وآله وسلم الهُدنة و يَرونه أنّه أن هاد بهم وأمَهَلهم إتَّبعوه فنزلت الآية و قال تعالىٰ: **وَلَنْ تَرْضىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارىٰ** و لا النّصارىٰ، أتىٰ بكلمة لَن و هي لنفي الأبد ليدّل الكلام أنّه لا يكون أبداً أي أنّهم لن ترضوا عنك أبداً حتّىٰ تتبع مِلّتَهم أي دينهم و شريعتهم و قيل قبلتهم **قُلْ اِنَّ هُدَى اللّٰهِ** أي قل لهم أنّ دين اللّه الّذي يَرضاه هو الهدىٰ و قيل المراد بهُدىٰ اللّه القرأن يعني أنّ القرأن هو الّذي يهدي الىٰ الجنّة لا طريقة اليهود والنّصارىٰ و قيل معناه دلالة اللّه هي الدّلالة و هدىٰ اللّه هو الحقّ ذكر هذه الوجوه الطّبرسي في المجمع **وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ اَهْوَآئَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاۤءَكَ مِنَ الْعِلْمِ** قيل معناه أي لأن إتّبعت مقاصدهم و قيل المعنىٰ أن صلّيت الىٰ قبلتهم بعد الّذي جاءك من العلم أي من البيان أو من الدّين **مَالَكَ مِنَ اللّٰهِ** أي ليس لك من اللّه **مِنْ وَّلِيٍّ** يَحفظك من عقابه **وَلاٰ نَصِيرٍ** أي مُعين وظهير وإستدّلوا بهذه الآية علىٰ أنّه عِلم اللّه تعالىٰ أنّه لا يعصي يصّح وَعيده لأنّه علم أنّ نَبّيه لا يتّبع أهوائهم فَجرىٰ مَجرىٰ قوله و لان أشركت ليحبَطّن عملك والمقصود التّنبيه علىٰ أنّ حال أُمّته فيه أغلَظ من حاله لأنّ منزلتهم دُون منزلته و قيل الخطاب للنّبي صلى الله عليه وآله وسلم والمراد أُمّته وفي مسائل:

الأولىٰ: أنّ الكافر لا يَرضىٰ عن المُسلم إلاّ بإتّباعه مِلّته و شريعته أي ترك شريعته والأخذ بسريعته الكافر وفي قوله: **لَنْ تَرْضىٰ** دليل علىٰ ذلك لأنّ كلمة لَن لنفي الأبد أي لَن تَرضىٰ أبداً و لذلك نهىٰ اللّه تعالىٰ عن إتّخاذ الكفّار أولياء:

قال اللّه تعالىٰ: **لا تَتَّخِذُوا اَلْكٰافِرِينَ أَوْلِيٰآءَ مِنْ دُونِ اَلْمُؤْمِنِينَ**[١].

قال اللّه تعالىٰ: **يٰآ أَيُّهَا اَلَّذِينَ اٰمَنُوٓا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ اَلَّذِينَ أُوتُوا اَلْكِتٰابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ اِيمٰانِكُمْ كٰافِرِينَ**[٢].

قال اللّه تعالىٰ: **وَ لَنْ يَجْعَلَ اَللّٰهُ لِلْكٰافِرِينَ عَلَى اَلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا**[٣].

قال اللّه تعالىٰ: **لا تَتَّخِذُوا اَلَّذِينَ اَتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَ لَعِبًا مِنَ اَلَّذِينَ أُوتُوا اَلْكِتٰابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ اَلْكُفّٰارَ أَوْلِيٰآءَ**[٤].

و لكن المسلمين لمّا غفلوا عن هذه الدّقيقة وأخَذوا الكفّار أولياء لأنفسهم صاروا لا محالة أذِلاّء بحيث لا يُعتَنىٰ بهم أصَلاً في زماننا هذا فَوقعُوا فيما وَقعوا في الذّلة والحقارة والفقر والإستئصال في الدّين والدّنيا:

قال اللّه تعالىٰ: **خَسِرَ اَلدُّنْيٰا وَ اَلْاٰخِرَةَ ذٰلِكَ هُوَ اَلْخُسْرٰانُ اَلْمُبِينُ**[٥].

و من المعلوم أنّ منشأ هذا الخُسران والضّعف والمَسكَنة ليس إلاّ لأجل إعراضهم عن الدّين وإقبالهم الىٰ الهَوىٰ والنّفس الأمارة:

قال اللّه تعالىٰ: **وَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا**[٦].

الثّانية: أنّ اللّه تعالىٰ قال: **حَتّٰى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ** ولم يقل دينهم و ذلك لوجود الفرق بين المِلّة والدّين فأنّ المِلّة عبارة أو إسم لِما شَرعه اللّه لعباده في كتبه و علىٰ أَلسنة رُسله فكانت المِلّة والشّريعة سواء و أمّا الدّين فهوا عبارة عمّا يفعله العباد عن أمره ولذلك قال بعضهم الملّة والشّريعة ما دعا اللّه عباده الىٰ فِعله والدّين ما فَعله العباد عن أمره فقوله حتّىٰ تتّبع ملّتهم معناه حتّىٰ تَفعل ما يفعلونه و تَعمل بما يَعملون و بعبارة أخرىٰ حتّىٰ تتابعهم في أقوالهم و أفعالهم و هذا القدر يكفي لهم فلا يضرّ بهم دينك الّذي تعتقده في قلبك و أحياناً في عَملك لأنّ الدّين أعني به الإعتقاد الصّحيح لا يضّر بالكفر و الكافر اذا لم يكن

١- النّساء= ١٤٤
٢- آل عمران= ١٠٠
٣- النّساء= ١٤١
٤- المائدة= ٥٧
٥- الحج = ١١
٦- طه = ١٢٣

فيه عَملٌ يطابقه أى يُطابق الإعتقاد كما ترىٰ هذا في أكثر المسلمين في زماننا هذا حيث أنّهم إعتقدوا باللّه و رسوله و بَقوا علىٰ إعتقادهم و اذا نظرت الىٰ أعمالهم تراها مخالفة لِلإسلام فهم مسلمون باطناً كافرون ظاهراً من حيث العمل و لذلك لم يقل في دينهم اذ قلّما يتّفق أنّ المُسلم يترك الإسلام و يأخذ بدين اليهود أو النّصارىٰ أمّا ترك العَمل فهو سَهلٌ.

الثّالثة: في قوله: **إِنَّ هُدَى اللّٰهِ هُوَ الْهُدىٰ** إشارة الىٰ أنّ الهداية الحقّيقة مُنحصرة به تعالىٰ و لذلك قال أنّ هُدىٰ اللّه هو الهُدىٰ بتقديم المسند اليه أعني هو علىٰ المسند و هو الهُدىٰ الّذي يفيد الحصر والدّليل علىٰ إنحصار الهداية به تعالىٰ هو أنّ الهداية لها مَعنيان:

أحَدها: إرائة الطّريق.

الثّانى: الإيصال الىٰ المطلوب.

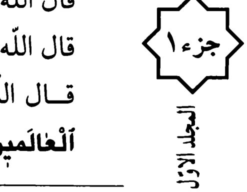
فأن كان المراد بها الأوّل فلا شكّ أنّه تعالىٰ أعلم بالطّريق من غيره اذ المراد بالطّريق طريق السّلوك اليه والتقرّب بجنابه و معرفة الطّريق بهذا المعنىٰ مختصّ به والأنبياء و الأوصياء و العلماء أخذوه عنه و أن كان المراد الإيصال الىٰ المطلوب فهو أيضاً مختصّ به تعالىٰ لأنّ الإيصال الىٰ المطلوب معناه تهيئة الأسباب المُؤدية الىٰ المقصود و هو مسبّب الأسباب لا غيره وأن أريد بالإيصال التوفّيق فهو أيضاً له فثبت أنّ الهداية مُنحصرة به و اذا كان كذلك فصحّ أن يقال أنّ هُدىٰ اللّه هو الهُدىٰ و لذلك:

قال اللّه تعالىٰ: **وَ إِنَّ ٱللَّهَ لَهٰادِ ٱلَّذينَ اٰمَنُوٓا إِلٰى صِراٰطٍ مُسْتَقيمٍ**[١].

قال اللّه تعالىٰ: **مَنْ يُضْلِلِ ٱللّٰهُ فَلاٰ هٰادِىَ لَهُ**[٢]

قال اللّه تعالىٰ: **وَ كَفٰى بِرَبِّكَ هٰادِيًا وَ نَصيرًا**[٣]

قال اللّه تعالىٰ: **إِنَّ هُدَى ٱللّٰهِ هُوَ ٱلْهُدٰى وَ أُمِرْنٰا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعٰالَمينَ**[٤].



١- الحجّ= ٥٤
٢- الأعراف= ١٨٦
٣- الفرقان= ٣١
٤- الأنعام= ٧١

و حيث أنّ الهداية مختصّة به.

قال اللّه تعالىٰ: **هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَ دِينِ ٱلْحَقِّ**[1].

والأيات الدّالة علىٰ أنّ الهداية أوّلاً وبالذّات له تعالىٰ و ثانياً و بالعَرض لغيره كثيرة وفيما ذَكرناه كفاية و عليه فقوله لرسوله **(قُل أنّ هُدىٰ هو الهُدىٰ)** حقّ و صدق فأنّ الأنبياء أيضاً قد اهتدوا به و لا يحتاج الكلام الىٰ التّأويل و صَرف الأية عن ظاهرها.

الرّابعة: قوله: **وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَآءَكَ مِنَ الْعِلْمِ** فيه إشارة الىٰ أنّ العالم يُؤخذ بعلمه فقوله بعد ذلك **مَالَكَ مِنَ اللّٰهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ** مترتّب علىٰ ترك الهداية بعد العلم بها أمّا في صورة الجهل فليس كذلك فأنّ الجاهل معذور لجهله والعالم مأخوذٌ بعلمه ضرورة أنّ العلم حجّة علىٰ العالم والجهل ليس من الحجّة بشئٍ فالمعنىٰ بعد ما علمت أنّ الهُدىٰ في الحقيقة هُدىٰ اللّه لأن إتّبعت أهوائهمْ وتَركت الهُدىٰ مالك من اللّه من ولّيٍ و لا نصيرٍ، أي تنقطع و لاية اللّه و نُصرَته عنك و مرجعه الىٰ أنّ اللّه يكلكَ الىٰ نَفسك و لا خُسران أشدّ منه

قوله تعالىٰ: **الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ** يمكن أن يراد بقبوله، الّذين، اليهود والنّصارىٰ لأنّ سياق الآية يقتضي ذلك و يحتمل أن يكون المراد مطلق أهل الكتاب حتّىٰ المسلمين و هو الحقّ لعدم دليل علىٰ إرادة الخَاص مضافاً الىٰ أنّ إرادة العموم أولىٰ من إرادة الخُصوص لدخول الخاصّ تحت العَام و لا عكس فالمعنىٰ، **الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ** أي أعطيناهم الكتاب يتلونه أي يتلون الكتاب حَقّ تلاوته وفيه وُجوه.

أحدها: يَتّبعونه حقّ إتّباعه بأن لا يحرّفوه و لا يغيروه بل يعملون بحلاله و يقفون عند حرامه.

١- التّوبة= ٣٣

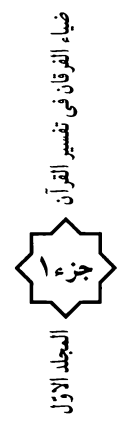
ثانيها: أنّ المراد به يَصفونه حقّ صفته في كتبهم لمن يسألهم عن النّاس.

ثالثها: الوقوف عند ذكر الجنّة والنّار فَيسأل في الأولىٰ و يستيعيذ في الأخرىٰ.

رابعها: أي يقرؤنها حقّ قرائتها يرتلون ألفاظها و يفهمون و يتدبرون في معانيها.

خامسها: أن المراد يعملون حقّ العمل به بحُكمه و يؤمنون بمتشابهه و يَكِلُون ما أشكلَ عليهم الىٰ أهله.

و قد روي القُرطّبي بأسناده عن النّبي ﷺ أنّه قال: يتلونه حقّ تلاوته أي يتّبعونه حقّ إتّباعه وأيضاً رَوي عنه ﷺ أنّه قال إذا مرَّ بآية رحمةٍ سأل وإذا مرَّ بآية عذاب تَعَوّذ ثمّ قال اللّه تعالىٰ: أُولٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهٖأي أنّ الّذين يتلونه حقّ تلاوته أولئك يؤمنون بالكتاب حقّاً و من يكفر به، أي بالكتاب، فأولئك هم الخسرون، في الدّنيا والأخرة، قال في تفسير الميزان في وجه ربط الآية بما قبلها يمكن أن تكون الجملة بقرينة الحصر المفهوم من قوله:أُولٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهٖ جواباً للسؤال المقدّر الّذي يسوق الذّهن اليه في قوله وَلَنْ تَرْضىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارىٰ وهو أنّهم إذا لم يكن تطمعُ في ايمانهم فمن ذا الّذي يؤمن منهم و هل توجيه الدّعوة اليهم باطلٌ لغوٌ، فأجيب بأنّ الّذين آتيناهم الكتاب والحال أنّهم يتلونه حقّ تلاوته أولئك يؤمنون بكتابهم فيؤمنون بك، أو أنّ أولئك يؤمنون بالكتاب كتاب اللّه المُنزّل أيّا ما كان أو أنّ أولئك يؤمنون بالكتاب الّذي هو القرآن وساق الكلام الىٰ أن قال والمراد بالّذين أُوتوا الكتاب قوم من اليهود والنّصارىٰ ليسُوا مُتّبعين للهوىٰ من أهل الحقّ منهم وبالكتاب التّوراة والإنجيل وأن كان المراد بهم



المؤمنون برسول اللّه وبالكتاب القرآن فالمعنىٰ أنّ الّذين آتيناهم القرآن و هم يتلونه حقّ تلاوته أولئك يؤمنون بالقرآن لا هؤلاء المتّبعون لِأهوائهم انتهىٰ.

أقول تفسير الآية ظاهر و لا يحتاج الىٰ هذه التكلّفات الّتي هي من قبيل الأكل من القفا و ذلک لأنّ اللّه تعالىٰ أخبر في الآية عن حقيقةٍ لا شكّ فيها لأحدٍ و هي أهل الكتاب سواء فيهم اليهود والنّصارىٰ والمسلمون وغيرهم و بالجملة كلّ من أعطي الكتاب أيّ كتابٍ كان لو يتلونه حقّ تلاوته بأن لا يُحرّفوه و لا يُغيّروه ويدبّروا في آياته ثمّ يعملون بها فأولئك يؤمنون به أي يؤمنون بأنّه من عند اللّه و من لم يكن كذلك لا يؤمن به قطعاً ففي الآية حثٌ علىٰ التّدبر في الكتاب و ترغيبٌ الىٰ العمل به ومن الواضح أنّ الكفر به يوجب الخُسران والوبال في الدّارين، ثمّ فيها مَنعٌ عن التّلاوة من غير تفهّمٍ و تدّبر تلويحاً لمن يقدر عليه:

قال اللّه تعالى: **أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْاٰنَ أَمْ عَلٰى قُلُوبٍ أَقْفالُهآ**[1].

قال اللّه تعالى: **كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ مُبارَكٌ لِيَدَّبَّرُوٓا اٰياتِهِ وَ لِيَتَذَكَّرَ أُولُوا ٱلْأَلْبابِ**[2].

والأيات الحاثّة علىٰ التدّبر كثيرة و لا شكّ أنّ الإيمان يحصل من التدّبر و التعقّل وما حصل بغير التدّبر لا فائدة فيه والحاصل أنّه ينبغي لأهل الكتاب أن لا يكونوا من مصاديق، ربّ قال القرآن والقرآن يلعنه و هكذا الأمر في التّوراة والإنجيل وغيرهما من الكتّب السّماوية والىٰ هذا المعنىٰ يُشير.

ما رواه في إرشاد الدّيلمي عن الصّادق عليه‌السلام في قوله: اَلَّذينَ اٰتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَتْلُونَه حَقَّ تَلاوَتِهِ قال عليه‌السلام يرتّلون آياته و يتّفقهون به، و يعملون بأحكامه، ويرجعون وَعده، و يخافون وعيده، و يعتبرون

١- محمّد = ٢٤
٢-ص = ٢٩

بقصصه، و يأتمرون بأوامره و ينتهون بنواهيه، ما هو والله حفظ آياته ودرس حروفه وتلاوة سوره ودَرس أعشاره و أخماسه حَفظُوا حُروفه و أضاعُوا حُدوده و أنّما هو تدّبر آياته والعَمَل بأحكامه قال الله تعالىٰ: كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ مُبارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آياتِهِ:انتهىٰ.

و أمّا قوله تعالىٰ: يٰابَنِىَ اِسْرٰآئِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِىَ اَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَ اَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلىَ الْعٰالَمِينَ فقد مرّ الكلام في تفسير الأية[1].

و هكذا قوله: وَاتَّقُوْا يَوْماً لاّ تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَّفْسٍ شَيْئاً وَّلاٰ يُقْبَلُ مِنْهٰا عَدْلٌ وَّلاٰ تَنْفَعُهٰا شَفٰاعَةٌ وَّلاٰ هُمْ يُنْصَرُونَ قد مرّ تفسيرها سابقاً[2]

■

۱- البقرة= ۴۷
۲- البقرة= ۴۸

وَإِذِ ابْتَلىٰ إِبْرٰاهِيمَ رَبُّه بِكَلِمٰاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قٰالَ إِنّي جٰاعِلُكَ لِلنّٰاسِ إِمٰاماً قٰالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتي قٰالَ لاٰ يَنٰالُ عَهْدِي الظّٰالِمِينَ ﴿١٢٤﴾

◁ اللّغة

ابتَلىٰ: الإختبار يقال بلوته أي إختبرته قيل هو مأخوذ من البَلىٰ يقال بَلىٰ و بلاءً أي خَلق والخلق ضدّ الجديد يقال ثوبٌ خَلق فإذا قيل، بَلوتُه أي إختبرته كأنّي أخلقته من كثرة إختباري له.

ذُرِّيَّتي: الذُرّية أصلها الصّغار من الأولاد وأن كان قد يقع على الصّغار والكبار معاً في التّعارف ويُستعمل لِلواحد والجمع و فيها ثلاثة أقوال.

أحدها: أنّها من ذَرأ اللّه الخلق فترك هَمزة نحو رُويّة و برّية.

ثانيها: أنّ أصلها، ذُروية.

ثالثها: أنّها فعليةٌ من الذّر نحو قمرّية وباقي اللّغات واضح.

◁ الإعراب

وَإِذِ ابتَلىٰ إِبرٰاهِيمَ إذ في موضع نصب علىٰ المفعول به أي إذكُر، والألف في إبتلىٰ، منقلبة عن واو وأصله من بَاىٰ يَبلُوا إذا أختبر، و في إبراهيم، بالنّصب مفعوله به ورَبُّهفاعل الفعل جٰاعِلُكَ يتعدّى الى مفعولين لأنّه من جَعَل بمعنىٰ صَيّر لِلنّٰاسِ يجوز أن يتعلّق بجاعل أي لأجل النّاس و أن يكون في موضع نصب علىٰ الحال والتقدّير إماماً للنّاس فلمّا قدّمه نصبه علىٰ ما ذكرناه قٰالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتي المفعولان محذوفان و التقدّير أجعل فريقاً من ذريتي إماماً لاٰ يَنٰالُ عَهْدِي الظّٰالِمِينَ هذا هو المشهور علىٰ جَعل العَهد هو الفاعل و يقرأ الظّالمون علىٰ العكس والمعنيان متقاربان.

◁ التّفسير

وَاِذِا ابْتَلىٰ اِبْراهيمَ رَبُّه بِكَلِماتٍ فَاَتَمَّهُنَّ في إبراهيم لغات،

أحدٰيها: إبراهيم بالألف والياء و هو المشهور.

ثانيها: بدون الياء.

ثالثها: إبراهام بألفين.

رابعها: إبراهُم بألف واحدة و ضمّ الهاء وبكلّ قرأ و هو إسمٌ أعجميٌ معرفة و جمعه، اِبارَه عند قوم وعند آخرين بُراهم، و قيل فيه إبارَهة، ،وبرَاهِمة.

والمعنىٰ وإذكروا ا**وَاِذِا ابْتَلىٰ اِبْراهيمَ رَبُّه بِكَلِماتٍ** ، أي إختبرَ قال بعض المفسّرين و هو مجاز وحقيقته أنّه أمر إبراهيم ربّه وكلّفه وسُميّ ذلك إختباراً لأنّ ما يستعمل الأمر منّا في مثل ذلك يجري مجرىٰ الإختبار والإمتحان فأجرىٰ علىٰ أمره إسم أُمور العباد علىٰ طريق الإتّساع وأيضاً فأنّ اللّه تعالىٰ لمّا عامل عباده معاملة المُبتلىٰ المُختر إذ لا يجازيهم علىٰ ما يَعلمه منهم أنّهم سَيفعلونه قبل أن يقع ذلك الفعل منهم كما لا يجازي المُختبر للغير ما لم يقع الفعل منه سمّيَ أمره إبتلاءً وحقيقة الإبتلاء تشديد التّكليف انتهىٰ.

أقول توضيح الآية يستدّعي التكلّم في أُمور.

الأمر الأوّل: في تفسير قوله **وَاِذِا ابْتَلىٰ اِبْراهيمَ رَبُّه**.

الأمر الثّاني: في تفسير قوله **بِكَلِماتٍ فَاَتَمَّهُنَّ** و أنّه ما المراد بها.

الأمر الثالث: في قوله **اِنّي جاعِلُكَ لِلنّاسِ اِماماً**.

الأمر الرّابع: في قوله **وَمِنْ ذُرِّيَّتي**.

الأمر الخامس: قوله **لا يَنالُ عَهْدِي الظّالِمينَ**.

الأمر الأوّل: قوله تعالىٰ:**وَاِذِا ابْتَلىٰ اِبْراهيمَ رَبُّه** قلنا أنّ الإبتلاء الإختبار وقد جاء هذا المعنىٰ في كثير من الأيات بألفاظ مختلفة كلّها يفيد ذلك المعنىٰ في حقّ العباد.

قال اللّه تعالىٰ: **فَأَمَّا ٱلْإِنْسانُ إِذا مَا ٱبْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَ نَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّىَ أَكْرَمَنِ، وَ أَمَّآ إِذا مَا ٱبْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّىَ أَهانَنِ**[١].

قال اللّه تعالى: **إِنّا بَلَوْناهُمْ كَما بَلَوْنآ أَصْحابَ ٱلْجَنَّةِ**[٢].

قال اللّه تعالى: **وَ بَلَوْناهُمْ بِالْحَسَناتِ وَ ٱلسَّيِّئاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**[٣].

قال اللّه تعالى: **وَ لَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجاهِدِينَ مِنْكُمْ وَ ٱلصّابِرِينَ لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصىٰ لِما لَبِثُوٓا أَمَدًا، وَ نَبْلُوَا أَخْبارَكُمْ**[٤].

قال اللّه تعالى: **وَ نَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَ ٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَ إِلَيْنا تُرْجَعُونَ**[٥].

قال اللّه تعالى: **وَ لَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَىْءٍ مِنَ ٱلْخَوْفِ وَ ٱلْجُوعِ وَ نَقْصٍ مِنَ ٱلْأَمْوالِ وَ ٱلْأَنْفُسِ وَ ٱلثَّمَراتِ**[٦].

قال اللّه تعالى: **إِنّا جَعَلْنا ما عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَها لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا**[٧].

قال اللّه تعالى: **لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ**[٨].

قال اللّه تعالى: **ألم، أَحَسِبَ ٱلنّاسُ أَنْ يُتْرَكُوٓا أَنْ يَقُولُوٓا آمَنّا وَ هُمْ لا يُفْتَنُونَ**[٩].

والأيات كثيرة فَيُعلم بذلك أنّ الإبتلاء والإختبار كان واقعاً ثابتاً في جميع الأزمنة وفي كلّ الأُمم بل ولكلّ واحدٍ من آحاد النّاس كائناً من كان و هو ممّا لا سبيل لِلإنكار اليه فأنّ قوله تعالىٰ: **أَحَسِبَ ٱلنّاسُ أَنْ يُتْرَكُوٓا** نصّ في المُدّعىٰ لأنّ النّاس يشمل جميع الأفراد و هكذا قوله: **وَ لَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ**[١٠]

و أنّما الكلام في جهة الإبتلاء و أنّه لِم يختبر اللّه عباده و ما المصّلحة فيه و المفروض أنّه عالم بحال العبد و لا يخفىٰ عليه شئ من أقواله و أعماله و نيّاته

١-الفجر= ١٥/١٦ ٢- القلم= ١٧
٣- الأعراف= ١٦٨ ٤- محمّد= ٣١
٥- الأنبياء= ٣٥ ٦- البقرة= ١٥٥
٧- الكَهف= ٧ ٨- آل عمران= ١٨٦
٩- العنكبوت= ٢ ١٠- العنكبوت=٣

و قد قالوا أنّ العلّة علم المُختبِر بحال المُختبَر أو كشف الحقيقة على المُختبِر والمُمتحِن و كلّ هذه الأمور لا يتأتىٰ في حقّ اللّه تعالىٰ ألا ترىٰ أنّ المعلّم يختبر المتعلرم لِلإطّلاع علىٰ حاله و أن ينكشف له إستعداده و هذا أمرٌ واضح لا خفاء فيه بحسب العُرف وحيث أنّ اللّه عالمٌ بما في الضّمائر فضلاً عن الظّواهر فلا يحتاج الىٰ الإختبار لأنّه في الحقيقة من تحصيل الحاصل فلابّد من وجود مَصلحةٍ فيه و تلك المَصلحة هي الّتي خَفيت علىٰ أكثر أهل العلم فَضلاً عن غيرهم من الجهّال فإنّا ما وجدنا في تحقيقات القوم وكلماتهم ما يكشف القناع عن وجه هذا الإبهام فنقول بحوله و قوّته، الإختبار منه تعالىٰ لِلعَبد ليس لأجل الإنكشاف لأنّه تعالىٰ قد أَحاط بكلّ شئٍ علماً بل لأحد الأمرين.

أحدهما: كشف الحقيقة علىٰ العبد و ذلك لأنّ العبد ربّما يظّن في حقّ نفسه خيراً فإذا قيل له لست كذلك أي لَست من المؤمنين مثلاً قال أنا منهم بلاشكّ و لا شبهة و لا يمكن إخراجه من الشّبهة إلاّ بالإختبار لِيَعلم أنّه لم يعرف نفسه فيخرج بذلك عن الإشتباه والغلط ألا ترىٰ أنّ كثيراً من النّاس يُعيّبون علىٰ غيرهم بألسنتهم أو بقلوبهم فالفقير يغضب على الغنّي والجاهل علىٰ العالم والمظلوم على الظّالم و هكذا فإذا صار الفقير غنّياً والضّعيف قوّياً يصير الأمر بالعكس أي يصير الضّعيف بعد وصوله الىٰ القُدرة ظالماً والفقير بعد غناه بخيلاً مُمسكاً والجّاهل بعد صيرورته عالماً لا يعمل بِعلمه و هكذا في جميع الأصناف والطّبقات و كشف هذه الحقيقة وظهور هذه السَّريرة لا يمكن إلاّ بالإختبار في كلّ إنسانٍ بحسبه و لاجل ذلك قال اللّه تعالىٰ: **أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوٓا أَنْ يَقُولُوٓا ءَامَنَّا وَ هُمْ لا يُفْتَنُونَ** فهذا عبد الملك بن مروان قبل وصوله الىٰ المقام كان معتكفاً في المسجد أكثر الأوقات بحيث قيل له حماقة المسجد و هو الّذي قال في خلافة يزيد بن معاوية بعد وقعة الطيف كيف لا يسقط السّماء علىٰ الأرض من هذه الجناية و لّما وَصَل الىٰ القدرة وجَلس مَجلس يزيد فَعَل ما فَعَل من القتل والجّناية ما لم يقدر علىٰ ضبطه وثَبته في

التّواريخ والسِّير احد من المؤمنين واحدیٰ جناياته قتل النّاس بأمره في مسجد الحرام و هَدم الكعبة في قصّة عبد اللّه بن الزّبير وكفیٰ في ظُلمه أنّ حجّاج بن يوسف الثّقفي لَعنه اللّه أَحد عُمّاله وقس عليه البواقي و هكذا الأمر بالنّسبة الیٰ جميع الخلفاء و الحكّام و السّلاطين و الأمراء الیٰ زماننا هذا و منه الیٰ يوم ظهور العَدل المطلق هذا بالنّسبة الیٰ الحكّام و هكذا الحال في جميع الأصناف والسِّر فيه أنّ الإنسان قبل القدرة علیٰ الشّئ لايقدر على معرفة نفسه و مراتب إيمانه و إعتقاده فأن قدر ولم يفعل عرف نفسه و علم مقامه بحسب الإيمان هذا كلّه بالنّسبة الیٰ غير المعصوم ظاهر.

ثانيها: أنّ اللّه تعالیٰ قد يُريد به أنّ يعرف عَبده في خلقه لا أنّه أراد به إخراجه من الإشتباه و مِن هذا القبيل إختبار الأنبياء والأوصياء فأنّ الإنسان الكامل بصيرٌ بحاله عارفٌ بنفسه و مقامه واللّه تعالیٰ أيضاً عالمٌ بصدقه و صفائه و أنّه مُنزّه عمّا يقول الجاهلون و لكن قدره في النّاس مجهول حتّیٰ أنّ النّاس يظّنون أنّه كأحدٍ منهم و لا سبيل الیٰ معرفته إلاّ بالإمتحان فَيبتليه ببَلاءٍ لِينكشف به جوهر ذاته و حسن إعتقاده ومَعرفته و بذلك يظهر الفرق بينه و بين غيره من النّاس، و هذه مَصلحة قوّية ثمّ في المقام إحتمال أخر و هو أنّ الإمتحان يوجب خروج العبد من النّقص الیٰ الكّمال و ذلک لأنّ الخروج عن الإبتلاء بنحوٍ أحَسن لا يمكن إلاّ بالّصبر علیٰ المَشاق والصّبر عبارة عن كفّ النّفس و منعها عمّا تَشتهيه وكمال الإنسان ليس إلاّ فيه اذا عرفت هذا فنرجع الیٰ أصل البحث و نقول:

قوله تعالیٰ: **وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ** دالّ علیٰ أنّ اللّه تعالیٰ قد إبتلیٰ عَبده و نبّيه بشئٍ كان لائقاً بمقامه و هو الكَلَمات فأتَمهنّ إبراهيم.

الأمر الثّانی: إختلفوا في المراد بها علیٰ أقوال.

منها ما روي عن ابن عبّاس وقتادة أنّ اللّه تعالیٰ أمره بعشرة سُنن، خمسٌ في الراس فأمّا التّي في الرأس فالمَضمضة

والإستنشاق والفرق وقصّ الشّارب والسّواك و أمّا الّتي في الجَسد فالختان و حَلق العانة، وتقليم الأظفار ونتف الأبطين والإستنجاء.
و في روايةٍ أخرىٰ عنه أنّه إبتلاه من شرائع الإسلام بثلاثين شيئاً عشرة منها في براءة التّائبون العابدون الحامدون الىٰ أخرها و عشرة في الأحزاب أنّ المسلمين والمسلمات الىٰ أخرها وعشرة في سورة المؤمنين الىٰ قوله: وَ اَلَّذِينَ هُمْ عَلىٰ صَلَوٰاتِهِمْ يُحٰافِظُونَ و عشرة في سأل سائل الخ و في رواية ثالثة أنّه أمره بمناسك الحجّ، والوقوف بعرفة والطّواف والسّعي بين الصّفا والمروة رمي الحجار والإفاضة.
و منها ما عن الحَسن إبتلاه اللّه بالكواكب وبالقَمر وبالشّمس وبالجنان و بذبح ابنه و بالنّار و بالهجرة و كلّهنّ و في لِلّٰه فيهنّ.
و منها ما عن مجاهد إبتلاه اللّه بالأيات التّي بعدها و هي أنّي جاعلك للنّاس إماماً، الآية فهذه هي الأقوال التّي ذكروها في المقام و تركنا بعضها مخافة الإطالة و عدم الفائدة و عن كتاب الخصال عن المضّل بن عمر عن الصّادق عليه السلام قال: سألته عن قول اللّه وَإِذِا ابْتَلىٰٓ إِبْرٰاهِيمَ رَبُّه بكَلَماتٍ، ما هذه الكَلمات فقال هذه الكلمات هي التّي تَلقّاها آدم من ربّه فتاب عليه و هو أنّه قال ياربّ أسألك بحقّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم و علّي عليه السلام و فاطمة عليها السلام والحَسَن عليه السلام والحسين عليه السلام إلاّ تبت علّيَّ أنّه هو التّواب الرّحيم، فقلت له يابن رسول اللّه فما يعني عزّ وجلّ بقوله: فَأَتَمّهن قال عليه السلام: يعني أتمّهن الىٰ القائم أثني عَشر إماماً تسعة من ولد الحسين انتهىٰ.
و روىٰ في مجمع البيان عن الصّادق عليه السلام: أنّه إبتلاه اللّه به في نومه من ذبح ولده إسماعيل أبي العَرَب فأتّمها إبراهيم و عزم عليها و سلم لأمر اللّه فلمّا عزم قال اللّه ثواباً له لِما صدّق و عَمل بما أمَرَه

اللّهاِنّي جاعِلُكَ لِلنّاسِ اِماماً ثمّ أمر اللّه عليه الحَنيفّية و هي الطّهارة و هي عشرة أشياء خمسة منها في الراس و خمسة منها فى البَدن فأمّا التّي في الرأس فأخذ الشّارب و إعفاء اللّحي وطعم الشّغر والسّواك والخلال وأمّا التّي في البَدن فَحلق الشّغر من البَدن والختان و تقليم الأظافر و الغُسل من الجنابة و الطّهورة بالماء فهذه الحنيفية الطّاهرة التّي جاء بها إبراهيم فلم تنسخ و لا تُنسخ الىٰ يوم القيامة وهو قوله: وإتَّبع ملة إبراهيم حَنيفاً وأمثال ذلك من الأحاديث و أهل البيت أدرىٰ بما فيه.

الأمر الثّالث: في قوله: **اِنّي جاعِلُكَ لِلنّاسِ اِماماً** قال القُرطبي الإمام القُدوة ومنه قيل لخيط البّناء إمام وللطّريق إمام لأنّه يؤم فيه للمسالك أي ليقصد فالمعنىٰ جعلناك للنّاس إماماً يأتّمون بك في هذه الخصال فَجَعله اللّه إماماً لأهل طاعته فلذلك إجتمعت الأمم علىٰ الدّعوىٰ فيه انتهىٰ ماذكره.

أقول الذي نقلناه عنه كلّ ماذكره في تفسير الجملة فعلىٰ قوله جَعَل اللّه إبراهيم إماماً لِيَأتّم به النّاس في هذه الخصال أعني بها الختّان ونتف الإبطين و الإستنجاء و الإستنشاق و أمثالها والإمامة بهذا المعنىٰ الذّي ذكره القُرطبي و أمثاله هي التّي سأل إبراهيم ربّه و **قٰالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتي قٰالَ لاٰ يَنٰالُ عَهْدِي الظّٰالِمِينَ** فلقائل ان يقول للقُرطبي أيّ ربطٍ بين قولهٌ تعالىٰ: **لاٰ يَنٰالُ عَهْدِي الظّٰالِمِينَ** و بين الإمامة في الإستنجاء و تقليم الأظافر ونتف الإبطين و أمثالها أنظروا ياأهل الإنصاف الىٰ هذه التفاسّير كيف تلّبوا الأيات عمّا هي عليه ثمّ كيف أطفأوا نور اللّه بزعمهم و لم يعلموا أنّ اللّه متّم نوره و لو كره الكافرون.

و قال الطّبري في تفسير الآية و أنّما أراد جلّ ثناؤه بقوله لإبراهيم **اِنّي جٰاعِلُكَ لِلنّاسِ اِماماً** أنّي مصيّرك تؤمّ من بعدك من أهل الإيمان بي و برسُلي فتقدّمهم أنت و يتّبعون هديك ويَستنون بسنّتك الّتي تعمل بها بأمري إيّاك ووَحَي اليك انتهىٰ.

أقول ما ذكره الطّبري أيضاً يكشف عن خبثه أو جَهله و ذلك لأنّ قوله تعالىٰ: **لاٰ يَنٰالُ عَهْدِي الظّٰالِمِينَ** لا يناسب ما ذكره لأنّ الإمامة في الأمور التّي ذكرها الطّبري و أمثاله من العامّة لا يشترط فيها العدالة قطعاً فكيف يقول اللّه في جواب إبراهيم **لاٰ يَنٰالُ عَهْدِي الظّٰالِمِينَ**، أَلَيس لإبراهيم و غيره أن يقول ياربّ أنت جَعلتني إماماً في قصّ الشّارب والسِّواك والختان و أمثالها ممّا ذكروه فكيف تقول في جوابي لا ينال عهدي الظّالمين و العدالة ليست بشرطٍ في هذه الأمور، و هذا الّذي نقلناه عنهما موجود في سائر تفاسيرهم بأدنىٰ تفاوت في الألفاظ.

الأمر الرّابع: قوله: **وَمِنْ ذُرِّيَّتِي** قد مضىٰ معنىٰ الذُّرية والمراد بها في شرح اللّغات و في المقام نقول كلمة مِن، للتّبعيض أي و أجعل من ذُرّيتي من يوشح بالإمامة وتوشح لهذه الكرامة والحقّ أنّه علىٰ وجه السّؤال من اللّه تعالىٰ أن يجعلهم كذلك و قيل أنّما قال ذلك ليعلم هل يكون في عقبه أئمّة يقتدى بهم والوجه الأوّل أحسن وأليق بالمقام وكيف كان سؤاله هذا يدّل علىٰ شرف الموضوع و عِظمه.

الأمر الخامس: قوله **لاٰ يَنٰالُ عَهْدِي الظّٰالِمِينَ** إختلفوا في المراد بالعَهد،

رُوي عن ابن عبّاس أنّه النّبُوة وقال السّدي ومجاهد هو الإمامة وقال قتادة هو الإيمان و قال عطاء هو الرّحمة و قال الضّحاك هو دين اللّه و قيل عَهده أمَره والحقّ أنّ المراد به الإمامة و هو المَرّوي عن الباقر عليه السلام و الصّادق عليه السلام أي لا يكون الظّالم إماماً لِلنّاس.

فَعن عيون الأخبار بأسناده الىٰ الرّضا عليه السلام: والحديث طويل، يقول عليه السلام فيه أنّ الإمامة خصّ اللّه عزّ وجلّ بها إبراهيم الخليل عليه السلام بعد النبوّة والخُلّة مرتبة ثالثة وفضيلة شرّفه بها و أشار بذكره فقال عزّ وجلّ: أِنّي جٰاعِلك لِلنّٰاس إِمٰاماً فقال سُرورا بها مِن

ذرّيتي قال اللّه عزّ وجلّ لاٰ يَنٰالُ عَهْدِي الظّٰالِمِينَ فأبطلت هذه الأية إمامة كلّ ظالمٍ الىٰ يوم القيامة و صارت في الصّفوة انتهىٰ.

و عن الكافي بأسناده قال أبو عبد اللّه عليه السلام: و قد كان إبراهيم نبيّاً و ليس بإمامٍ حتّىٰ قال اللّه اِنّي جٰاعِلُكَ لِلنّٰاسِ اِمٰاماً قال و من ذُرّيتي فقال اللّه لاٰ يَنٰالُ عَهْدِي الظّٰالِمِينَ من عَبَد صَنماً أو وَثناً لا يكون إماماً انتهىٰ.

و بأسناده عن زيد الشّحام قال سمعت أبا عبد اللّه عليه السلام يقول أنّ اللّه تبارك و تعالىٰ إتَّخذ إبراهيم عبداً قبل أن يتَّخذه نبيّاً و أنّ اللّه إتَّخذه نبيّاً قبل أن يتَّخذه رسولاً و أنّ اللّه إتَّخذه رسولاً قبل أن يتَّخذه خليلاً و أنّ اللّه إتَّخَذه خليلاً قبل أن يتَّخذه (يَجعله) إماماً فلمّا جَمع له الأشياء قال: اِنّي جٰاعِلُكَ لِلنّٰاسِ اِمٰاماً قال عليه السلام فمِن عِظَمها في عين إبراهيم قٰالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قٰالَ لاٰ يَنٰالُ عَهْدِي الظّٰالِمِينَ قال لا يكون السّفيه إمام التّقي انتهىٰ.

و بأسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال عليه السلام: أنّ اللّه إتَّخذ إبراهيم عَبداً قبل أن يتَّخذه نبيّاً وإتَّخَذه نبيّاً قبل أن يتَّخذه رسولاً الحديث كما مرّ.

و عن كتاب الإحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السلام والحديث طويل يقول فيه قد خطر علىٰ من ماسه الكفر تَقَلّد ما فوّضه اللّه الىٰ أنبياءه و أولياءه بقوله لإبراهيم لاٰ يَنٰالُ عَهْدِي الظّٰالِمِينَ أي المشركين لأنّه سمّى الشّرك ظلماً بقوله أنّ الشِّرك لظلمٌ عَظيمٌ فلمّا علم إبراهيم أنّ عهد اللّه تبارك إسمه بالإمامة لا ينال عَبده الأصنام قال وأجنُبني وبنّي أن نعبد الأصنام انتهىٰ.

و لقد أجاد صاحب الكشّاف في المقام فقد أجرىٰ اللّه الحقّ علىٰ لسانه حيث قال أي من كان ظالماً من ذُرّيتك لا يناله إستخلافي و عهدي اليه بالإمامة وأنّما ينال من كان عادلاً بريئاً من الظّلم و قالوا في هذا دليل علىٰ أنّ

الفاسق لا يصلح لِلإمامة و كيف يصلح لها مَن لا يجوز حكمه وشهادته و لاتجب طاعته و لا يُقبل خبره و لا يقدّم للصّلاة وكان أبو حنيفة يفتي سرّاً بوجوب نصرة زيد بن علّي رضوان اللّه عليهما وحمل المال اليه والخروج معه علىٰ اللّص المتقلّب المتسمّىٰ بالإمام والخليفة كالدّوانيقي و أشباهه و قالت له إمرأة أشرت علىٰ ابني بالخروج مع إبراهيم ومحمّد ابني عبد اللّه ابن الحَسن حتّىٰ قُتل ليتنا مكان إبنك وكان يقول في المنصور وأشياعه لو أرادوا بناء مسجد وأرادوني علىٰ عدّ أجره لما فعلتُ، وعن ابن عينية لا يكون الظّالم إماماً قطّ و كيف يجوز نصب الظّالم للإمامة والإمام أنّما هو لِكّف الظّلمة فاذا نصب من كان ظالماً في نفسه فقد جاء المَثل السّائر من إسترعىٰ الذّهب ظَلَم انتهىٰ ماذكره بألفاظه و عباراته و الإنصاف أنّه أدّىٰ حقّ المقال فأن كان قد إستَبصر في أواخر عُمره كما قيل فهو وإلاّ فكلامه هذا حجّة عليه يوم القيامة فيُسأل عنه ايّ فرقٍ بين الدّوانيقي و غيره من خلفاء الغاصبين أليس جميعهم منصوبين للإمارة والإمامة من قبل النّاس ثمّ ألَيس كلّهم ظالمين، ألَيس الدّوانيقي و أمثاله من ثمرات السَّقيفة و أيّ ذنبٍ للمنصور و غيره إلاّ مُتابعتهم الخلفاء الأوّلين في غصب الخلافة والتصدّي لأمر الإمامة من غير نصٍّ من النّبي و صلاحيته في أنفسهم فأن كانت الإمامة تثبت بالنصّ كما نقول به فأيَن النصّ فيهم و أن لم يكن بالنّص بل تثبت بتعيين أصحاب الحلّ والعقد فكلّهم فيه سواء و أن كانت العدالة من الشّروط فيها فلا تجد في كلّ الخلفاء من إتّصف بها و حيث أنّ النّاس عيّنوهم لِلإمامة و جعلوهم خلفاء رسول اللّه فهؤلاء النّاس من أكمل مصاديق قوله من إسترعىٰ الذّنب ظلم، و سيعلم الّذين ظلموا أيّ منقلبٍ يَنقلبُون و حيث إنّجر الكلام الىٰ هنا فلا بأس بالإشارة الىٰ ما ذكره الرّازي في تفسيره لهذه الآية قال:

المسألة الرّابعة: الرّوافض إحتجّوا بهذه الآية علىٰ القدح في إمامة أبي بكر و عُمر من ثلاثة أوجه:

الأوّل: أنّ أبابكر و عُمر كانا كافرين فقد كانا حال كفرهما ظالمين فَوجب أن يصدق عليهما في تلك الحالة أنّهما لا ينالان عهد الإمامة البتة واذا صدق عليهما في ذلك الوقت أنّهما لا ينالان عهد الإمامة البتة و لا في شئ من الأوقات ثبت أنّهما لا يصلحان لِلإمامة.

الثّاني: أنّ من كان مذنباً في الباطن كان من الظّالمين فأذن ما لم يعرف أنّ أبا بكر وعُمر ما كانا من الظّالمين المذنبين ظاهراً وباطناً وجب أن لا يحكم بامامتهما و ذلک أنّما يثبت في حقّ من تثبت عِصمته ولمّا لم يكونا معصومين بالاتّفاق وجَب أن لا تتحقّق إمامتهما البتة.

الثّالث: قالوا كانا مشركين وكلّ مشرك ظالم والظّالم لا يناله عهد الإمامة فيلزم أن يناله عهد الإمامة أمّا أنّهما كانا مشركين فبالإتّفاق و أمّا أنّ المشرك ظالمٌ فلقوله تعالىٰ: **إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** و أمّا أنّ الظّالم لا يناله عهد الإمامة فلهذه الآية لا يقال أنّهما كانا ظالمين حال كفرهما فَبعد زوال الكفر لا يبقىٰ هذا الإسم لأنّا نقول:

الظّالم مَن وجد منه الظّلم وقولنا وجُد منه الظّلم أعمّ من قولنا وجُد منه الظّلم في الماضي أو في الحال بدليل أنّ هذا المفهوم يمكن تقسيمه الىٰ هذين القسمين و مورد التّقسيم بالتّقسيم بالقسمين مشترك بين القَسمين و ما كان مشتركاً بين القسمين لا يلزم إنتفاؤه لإنتفاء أحَد القسمين فلا يلزم من نفي كونه ظالماً في الحال نفي كونه ظالماً والّذي يدّل عليه نظراً الىٰ الدّلائل الشّرعية أنّ النّائم سمّي مؤمناً والإيمان هو التصدّيق والتصديقّ غير حاصل حال كونه نائماً فدّل علىٰ أنّه يسمّىٰ مؤمناً لأنّ الإيمان كان حاصلاً قبل اذا ثبت هذا وجَب أن يكون ظالماً لظلم وجد من قبل وأيضاً فالكلام عبارة عن حروفٍ متوالية والمشي عبارة عن حصولات متوالية في إحياز متابعة مجموع تلك الأشياء البتة لا وجود لها فلو كان حصول المشتقّ منه شرطاً في كون الإسم المشتقّ حقيقة وجب أن لا يكون إسم المتكلّم والماشي و أمثالهما حقيقة في

شيئ أصلاً و أنّه باطلٌ قطعاً فدّل علىٰ أنّ حصول المشتقّ منه ليس شرطاً لكون الإسم المشتقّ حقيقة انتهىٰ ماذكره بألفاظه و عباراته ثم قال والجواب كلّ ما ذكرتموه معارضٌ بما أنّه لو حلف لا يسلم علىٰ كافر فسلّم علىٰ إنسان مؤمنٍ في الحال إلاّ أنّه كان كافراً قبل بسنين متطاولة فأنّه لا يحنث فدّل علىٰ ما قلناه و لانّ التّائب عن الكفر لا يسمّىٰ كافراً والتّائب عن المَعصية لا يُسمّىٰ عاصياً فكذا القول في نظائره ألا ترىٰ الىٰ قوله تعالىٰ و لا تَكنوا الىٰ الّذين ظَلموا، فأنّه نهىٰ عن الرّكون اليهم حال إقامتهم علىٰ الظّلم و قوله ما علىٰ المُحسنين من سبيل معناه ما أقاموا علىٰ الإحسان علىٰ أنّا بيّنا أنّ المراد من الإمامة في هذه الأية النّبوة فَمن كَفَر باللّه طَرفة عينٍ لا يَصلح للنبوّة انتهىٰ.

فنقول أمّا تقريره الدّليل فهو ممّا لا غُبار عليه والحقّ أنّه أجاد في تقرير الإستدلال بما لا مزيد عليه و أمّا جوابه عن الإستدلال فهو ناقص مخدُوش بل هو بالمغالطة أشبه و ذلك لأنّ لفظ الإمام في العُرف واللّغة يطلق علىٰ معنيين:

أحدهما: الحكومة والمارة فأنّ الإمام في اللّغة عبارة عمّن يؤتمّ به في أمَر الدّنيا والدّين و الحاكم كذلك و لذلك يطلقون عليه الإمام فأنّ النّاس علىٰ دين ملوكهم و بعبارةٍ أخرىٰ الإمام قد يطلق علىٰ الحاكم في الظّاهر لأنّه متكفّلٌ لتنظيم الجيش في الحروب وتعيين الولاة والقضاة في البلاد و سدّ الثّغور و دفع الأعداء و بالجملة كلّ ما يجب في سياسة المُدن و حفظ الأمّنية في الإجتماع و أن كان في ذلك مُستعيناً بغيره ممّن هو أعلم و أدَهىٰ منه.

ثانيهما: الإمامة في أمر الدّين والدّنيا واقعاً بحيث يكون الإئتمام به مُوجباً لسعادة الدّارين وحلاوة النّشأتين مصوناً عن السّهو والنّسيان والخطأ والطّغيان والظّلم والعدوان والكذب و البهتان و أمثال ذلك من الإنحرافات علماً و عَملاً و قولاً و فعلاً كما قال اللّه تعالىٰ: **أَفَمَنْ يَهْدِيَ إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهِدِّيَ إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**[1].

١- يونس = ٣٥

والأمانة بهذا المعنىٰ يشترط فيها أمور من العصمة والعلم والشّجاعة والعفّة وبالجملة جميع الكمالات النّفسانية اذا عرفت هـذا فـنقول الإمـامة بـمعنى الأوّل لا تجمع مع الرّسالة والنّبوة لعدم وجود هذه الصّفات فيه و أمّا الإمامة علىٰ القول الثّاني قد يكون مع الرّسالة وقد لا تكون و ذلك لأنّ شرائط الرّسالة موجودة في الإمام فأن كان مراد الرّازي الإمام بالمعنىٰ الأوّل فما ذكره صحيحٌ لأنّه لابدّ للنّاس من أميرٍ برّ أو فاجر ويطلق عليه الإمام لغةً و عرفاً فيكفي كونه عادلاً حين التصدّي الىٰ الفَرض أن وجد.

أمّا الإمامة بالمعنىٰ الثّاني فلابدّ لها من الشّروط المـذكورة وأن لا يكـون ظالماً من أوّل الأمر مثل النبوّة فلا يكفي فيها عدم كون الحاكم ظالماً حـين التصدّي فقط فما ذكره في أخر كلامه و هو أنّ المراد من الإمامة في هذه النبوّة فَمن كفر باللّه طرفة عينٍ لا يصلح للنبوّة فقط فهو مخالفٍ لصريح الآية لأنّ اللّه تعالىٰ يقول أنّي جاعلك للنّاس إماماً، ولمّا قال إبراهيم: **وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لاٰ يَنٰالُ عَهْدِي الظّٰالِمِينَ** فالمراد بالعَهد الإمامة قطعاً اذ ليس البحث في النّبوة والآية أيضاً ساكتة عنها ألا ترىٰ أنّ الآية تنادي بأعلىٰ صوتها أنّ اللّـه جـعَل إبراهيم إماماً لا نَبياً فقوله تعالىٰ **لاٰ يَنٰالُ عَهْدِي** راجع الىٰ الإمامة في صدر الآية فَحمل العَهد علىٰ النّبُوة تحتاج الىٰ دليل و اذ ليس فليس.

و ثانياً، لو كان المراد من الإمامة النّبوة كما إعترف به فلم لم يقل أنّي جاعلك للنّاس نبّياً و قال إماماً فيُعلم بذلك أنّ المراد بالإمامة غير النّبوة و هو المطلوب.

سلّمنا أنّ المراد بالإمامة في الآية النّبوة لكن النّبوة لا تـجتمع مَـعَ الكـفر والظّلم سابقاً و لاحقاً كما صرّح به و قال فَمن كَفَر باللّه طرفة عينٍ لا تـصلح للنبوّة فكذا الإمامة لا تجتمع اذ المفروض أنّ المراد بها النّبوة و حكم الأمثال واحد فينتج أنّ من كفر باللّه طرفة عينٍ لا يصلح للامامة أيضاً لإت حادهما علىٰ قوله واذا كان كذلك فالإمامة والنّبوة قد تجتمعان كما في المقام و قد لا تجتمعان و نحن أيضاً نقول به اذ ليس كلّ نبّيٍ بامامٍ كما لا يكون كلّ إمامٍ بنبّيٍ

فمورد الإجتماع إبراهيم الخليل عليه السلام بنصّ الآية و أمّا مورد الإفتراق من الطّرفين فلابدّ من وجوده فيهما أمّا النبوّة التي ليست فيها إمامة كأكثر الأنبياء غير الخليل بل جميعهم فأنّ الكتاب لم يعلم بإمامة أنبياء السّلف سوىٰ إبراهيم ولو قلنا بإمامة أُولي العزم منهم فالباقون و هو واضح و أمّا الإمامة التّي ليست فيها النبوّة فأين مصدّاقها و علىٰ الرّازي الجواب و أمّا نحن فنقول الأئمّة المَعصُومون و بعبارةٍ واضحة لا شكّ أنّ الإمامة و النبوّة كلّيتان من حيث المفهوم لصدّق كلّ واحدٍ منهما علىٰ كثيرين و لا نعنىٰ بالكلّي إلاّ هذا فأنّهم قالوا المفهوم أن إمتَنع فرض صدقه علىٰ كثيرين فجزئيٌ و إلاّ فكلّيٌ و معلوم أنّ الإمامة و النبوّة لم يمتنع فَرض صدقهما علىٰ كثيرين وكلّ كُلّيَين لابدّ أن يكون بينهما إحدىٰ النِّسب و هي التّباين والتّساوي، و العموم و الخصوص المطّلق، و العموم و الخصوص من وجهٍ و هذا مِمّا إتفقّ عليه الكّل و حينئذٍ فنقول، لا يمكن التّباين لأنّ شرط وجوده سلب الكلّي من الطّرفين مثل لا شئ من الإنسان بحجرٍ، و لا شئ من الحِجر بإنسانٍ و أنّما قلنا لا يمكن، إذ لا يصحّ أن يقال، لا شئ من النّبي بإمامٍ و لا شئ من الإمام بنبّي، و ذلك لإعترافه بأنّ المراد من الإمامة في الآية النبوّة فلو كانت متبايّنتين لا يصّح إجتماعها و هو يقول به فإذاً لا يقول بالتّباين، و لا يمكن التّساوي أيضاً لأنّ الشّرط فيه صدق الكلّية من الطّرفين علىٰ عكس التّباين مثل كل إنسان بشر وكلّ بشَرٍ إنسان، و معلوم أنّ مانحن فيه ليس من هذا القبيل أيضاً إذ لا يصحّ أن يقال كلّ نبّيٍ إمام وكلّ إمامٍ نبّي و الرّازي أيضاً لا يقول به لأنّه يقول المراد من الإمامة في هذه الأية النبوّة معناه أنّ الإمامة في غير الآية ليست كذلك و إلاّ فحقّ العبارة أن يقال قد بيّنا أنّ المراد من الإمامة النبوّة ولم يقل به بقىٰ في المقام من النّسب الأربع إثنان، عمومٌ وخصوصٌ مطلق و عموم و خصوص من وجهٍ.

أما العموم والخصوص المطلق فالشّرط في تحققه صدق الكلّية من جانبٍ واحدٍ، كما بين الإنسان والحيوان، فنقول كلّ إنسانٍ حيوان و لا نقول كلّ حيوان

إنسان بل بعضه إنسان وبعضه ليس بإنسان، وما نحن فيه ليس من هذا القبيل أيضاً إذ لا يصّح، كلّ نبّيٍ إمام و لاكلّ إمامٍ نبّي ولمّا لم يصّدق الكلّمة من أحد الطَّرفين فهو أيضاً خارجٌ عن النّزاع، بقىٰ في المقام العُموم والخُصوص من وجهٍ ويشترط في صدقه الإجتماع في موردٍ والإفتراق في موردين، مثاله الحيوان والأبيض.

لا تصدق الكلّية فيهما من الطّرفين فلا يكونا متساويين، إذ لا يصحّ كلّ حيوانٍ أبيض، لأنّ بعض الحيوانات أسوَد، و لا كلّ أبيضٍ حيوانٍ لأنّ الثّلج والعاج و القرطاس و أمثالها أبيض و ليس بحيوان، و لا يصحّ سلب الكلّي أيضاً من الطّرفين فلا يقال لا شئ من الحيوان بأبيض، و لا شئ من الأبيض بحيوان لكذبهما، فلا يكون بمتباينين، و لا يصّح سلب صدق الكلّية من جانبٍ واحدٍ و هو أيضاً ظاهر فلا يكونان بعمومٍ و خصوصٍ مطلق، فهما من قبيل العموم والخصوص من وجهٍ فيقال بعض الحيوان أبيض وبعض الأبيض حيوان كالحمار الأبيض و هذه مادّة الإجتماع، و بعض الحيوانات ليس بأبيض كالبقر الأسود و بعض الأبيض ليس بحيوان كالثلج والعاج و أمثالهما إذا عرفت هذه القاعدة المسلّمة عند الكلّ فنقول الإمامة والنّبوة حيث أنّهما كلّيتان و لا يكون بينهما من النّسب التّساوي و التّباين و العموم و الخصوص المطلق كما مرّ فلا محالة بينهما العموم من وجهٍ فمادّة الإجتماع إبراهيم الخليل و بعض الأنبياء علىٰ قولٍ ونبّينا صلى الله عليه وآله وسلم قطعاً و هذا ظاهر وأمّا مادتّي الإفتراق فنقول بعض الأنبياء ليسوا بإمام أمثال هود و صالح و يُونس و نُوح و هكذا و بعض الإمام ليسو بنبّيٍ، أمّا علىٰ مذهبنا فهم الأئمة الأثني عشر وأمّا علىٰ قول الرّازي فلا نعلم و لا يعلمَ هو أيضاً فلابدّ له من تعيين المصدّاق فأن قال بما نقول فهو المطلوب.

وإلاّ فلابدّ له من أن يقول هم أبو بكر و عُمر و عثمان و أمثالهم و هو لا يقول بإمامتهم بالمعنىٰ الّذي ذكره من أن المراد بالإمامة في الآية النبوّة بل يقول بإمامتهم لا بهذا المعنىٰ و هو خارج عن البحث و عن مورد الآية فيجب علىٰ

الرّازي و أمثاله إمّا إنكار الآية رأساً من الكتاب، و أمّا تفسير الإمامة بالمعنىٰ الّذي ذكرناه وأنّ المراد بالعَهد هو الإمامة أيضاً لا غيرها والآن يجب علينا نقل كلامه في العَهد أيضاً.

المسألة الخامسة : قال الجمهور من الفقهاء والمتكلّمين الفاسق حال فِسقه لا يجوز عقد الإمامة له و إختلفوا في أنّ الفسق الطّارئ هل يبطل الإمامة أم لا و إحتجّ الجمهور علىٰ أنّ الفاسق لا يصّلح أن تعقد له الإمامة بهذه ووجه الإستدلال بها من وجهين.

الوجه الأوّل: ما تبيّنا أنّ قوله: **لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ** جوابٌ لقوله: **وَمِنْ ذُرِّيَّتِي** و قوله: **ومن ذريّتي** طلبٌ للإمامة التّي ذكرها اللّه تعالىٰ فوجب أن يكون المراد بهذا العَهد هو الإمامة ليكون الجواب مطابقاً للسؤال فتصير الآية كأنّه قال تعالىٰ لا ينال الإمامة الظّالمين وكلّ عاصٍ فأنّه ظالمٌ فكانت الآية دّالة علىٰ ما قلناه، فأن قيل ظاهر الآية يقتصي إنتفاء كونهم ظالمين ظاهراً وباطناً و لا يصّح ذلك في الأئمة والقضاة، قلنا أمّا الشّيعة فيستّدلون بهذه الآية علىٰ صحّة قولهم في وجوب العصمة ظاهراً وباطناً و أمّا نحن فنقول مقتضىٰ الآية ذلك إلاّ إنّا تركنا إعتبار الباطن فتبقىٰ العدالة الظّاهرة معتبرة، فأن قيل أَليسَ أنّ يونس عليه السلام قال:**سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**[1] و قال آدم: **رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا** قلنا المذكور في الآية هو الظّلم المطلق و هذا غير موجودٍ في آدم و يُونس عليهما السّلام انتهىٰ.

و نحن نقول في المقام قوله مقتضىٰ الآية ذلك أي وجوب العصمة ظاهراً وباطناً من أصّح الأقوال و أمّا قوله إلاّ إنّا تركنا إعتبار الباطن فتبقىٰ العدالة الظّاهرة مُعتبرة ففيه ما لا يخفىٰ و هو أنّه لم تركتم إعتبار الباطن بعد الإقرار بأنّ مقتضي الآية إعتبار العصمة ظاهراً و باطناً، اليسَ هذا مخالفة لنصّ الكتاب، اليسَ هذا من قبيل نؤمن ببعضٍ و نكفر ببعضٍ، ثمّ ما الفرق بينكم و بين اليهود

١- الانبياء= ٨٧

حيث أنكروا أوصاف النّبي أو حذفوها من التّوراة أو فسرّوا الكتاب لإتباعهم علىٰ الأميال والأهواء و نحن نرجو أن يكون الرّجل مع الإعترافات الصّريحة من المُتبصرين وإلاّ فقد تمّت الحجّة بعلمه و اقراره على نفاقه وليس له جواب عند اللّه يوم القيامة إذا سُأل عنه بعد إقراره بأنّ مقتضىٰ الآية كذا وكذا فبأيّ دليل ترك إعتبار الباطن حتّىٰ تبقى العدالة الظّاهرة مع أنّها أيضاً لا تبقىٰ إلاّ بمجرّد الإدّعاء إذ كيف يمكن بقاء العدالة الظّاهرة مع عَدم العِصمَة و هذا الكلام من الرّازي مع توغّله في العقليّات والنقليّات عجيبٌ بل هو من قبيل المثل السّائر الغريق يتشبّث بكلّ حشيش هذا كلامه في الوجه الأوّل من الوجهين في معنىٰ العهد في الأية.

أمّا الوجه الثّانى: أنّ العَهد قد يستعمل في كتاب اللّه بمعنىٰ الأمر:

قال اللّه تعالىٰ: **أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِيٓ ادَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا ٱلشَّيْطَانَ**[١]

أي ألَم آمركم بهذا:

قال اللّه تعالىٰ: **قَالُوٓا إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ**[٢].

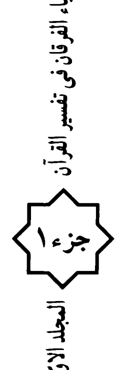
يعني أمرنا ومنه عُهود الخلفاء الىٰ أُمرائهم وقضاتهم إذا ثبت عهد اللّه هو أمره فنقول لا يخلو قوله: **لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ** من أن يُريد أنّ الظّالمين غير مأمورين و أنّ الظّالمين لا يجوز أن يكونوا فمن يقبل من يقبل منهم أوامر اللّه تعالىٰ و لمّا بطل الوجه الأوّل لإتّفاق المسلمين علىٰ أنّ أوامر اللّه تعالىٰ لازمة للظّالمين كلزومها لغيرهم ثبت الوجه الأخر و هو أنّهم غير مؤمنين علىٰ أوامر اللّه و غير مقتدين بهم فيها فلا يكونون أئمّة في الدّين فثبت بدلالةبطلان إمامة الفاسق قال عليه السلام لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق و دلّ أيضاً علىٰ أنّ الفاسق لا يكون حاكماً وأنّ أحكامه لا تنفذ إذ ولي الحكم وكذلك لا تقبل شهادته و لا خبره إذا أخبر عن النّبي و لا قوله إذا أفتىٰ و لا يقدم للصلاة وأن كان هو بحيث لو إقتدىٰ به فأنّه لا تفسد صلاته انتهىٰ.

١- يس = ٦٠
٢- آل عمران = ١٨٣

موضع الحاجة من كلامه ثمّ ذكر كلاماً عن أبى‌بكر الرّازي في أبي حنيفة حاصله أنّ أبا حنيفة أيضاً كان علىٰ هذا المذهب و انّه لم يفرّق بين الخليفة والحاكم في أنّ شرط كلّ واحدٍ منهما العدالة و لَم يجوّز كون الفاسق إماماً و خليفة كيف و روايته غير مقبولة وأحكامه غير نافذةٍ الىٰ آخر ما قال ونحن نقول في جوابه لا ننكر أنّ العَهد قد يستعمل في كتاب اللّه بمعنىٰ الأمر و غيره و ليس كلامنا في معنىٰ العهد مطلقاً و لا في موارد إستعماله و أنّما الكلام في المراد به في هذه الآية فإذا فرضنا أنّ العهد في قوله تعالىٰ: **أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يا بَنِيٓ اٰدَمَ**: بمعنىٰ الأمر لا يلزم منه أنّ العَهد في كلّ مورد معناه الأمر و هو واضح والعَهد في الآية التّي نتكلم فيها بقرنية السّياق ليس معناه الأمر لأنّ اللّه تعالىٰ قال: **اِنّي جٰاعِلُكَ لِلنّٰاسِ اِمٰاماً** ولمّا سأل إبراهيم ما أعطاه اللّه لذّريته قال تعالىٰ في جوابه **لاٰ يَنٰالُ عَهْدِي الظّٰالِمِينَ** أي لا ينال ما أعطيتك من الإمامة الظّالمين فالعَهد كناية عمّا أعطاه اللّه و هو الإمامة و هو أيضاً قد إعتَرف به في طّي كلماته حيث قال فَوجب أن يكون المراد بهذا العَهد هو الإمامة ليكون الجواب مطابقاً للسّؤال والحمد لِلّه علىٰ كلّ حالٍ ونحن علىٰ ذلك من الشّاكرين.

تنبيهٌ:

إعلم أنّ الأرض لا تخلو عن الحجّة و إلاّ لساخت الأرض بأهلها و المراد بها من عنده الحُجج والبيّنات والعلوم الدّينية ثمّ أنّ الحُجّة قد يُعبّر عنها بالرّسول وقد يُعبّر عنها بالنّبي و ثالثاً بالإمام فالإمامة قد تكون مع النبوّة والرّسالة كما في نَبّينا صلّى الله عليه وآله وسلّم و إبراهيم الخليل و قد لا تكون كما في الأئمّة المَعصُومين أمّا الشّرائط من العِصمة و الشّجاعة و العدالة و غيرها فهي في الكلّ علىٰ حدٍّ سواء و تفصيل الكلام موكولٌ الىٰ محالّه ولِنَختُم البحث حول الآية الشّريفة و نُشير الىٰ بعض ما وَرد من الأخبار في المقام من طريق العامّة والخاصّة.



أمّا العامّة:

فقد روي ابن المغازلي الشّافعي بأسناده عن عبد اللّه ابن مسعود قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: أنا دعوة إبراهيم قلتُ يا رسول و كيف صرتَ دعوة أبيك إبراهيم قال أوحىٰ اللّه عزّ وجلّ الىٰ إبراهيم **اِنّي جاعِلُكَ لِلنّاسِ اِماماً** فأستخّف إبراهيم الفَرح قال: **وَمِنْ ذُرِّيَّتي** ائمّة مثلي فأوحىٰ اللّه عزّ وجلّ اليه أن يا إبراهيم أنّي لأعطيك عهداً لا أفي لَك به قال يا ربّ ما العَهد الّذي لا تفي لي به قال لا أعطيك لظالمٍ من ذُريّتك عَهذاً قال إبراهيم عندها وأجنُبني وَبَنّيَ أن نعبد الأصنام ربّ أنّهنَّ أضلَّلن كثيراً من النّاس فقال النّبي صلى الله عليه وآله وسلم فأنتَهت الدّعوة إلّي والىٰ علّي لَم يسجُد أحدَنا لَصَنمٍ قطّ فأتّخذني نبّياً واأتّخذ علّياً وصياً، وروي الواحدي في تفسير قوله تعالىٰ: **لاٰ يَنٰالُ عَهْدِي الظّٰالِمِينَ** قال في تفسير ذلك لا ينال عَهدي الظّالمين أعلَمه أنّ في ذرّيته الظّالم وقال السّدي عهدي بنبّوتي يعني لا ينال عَهدي ما عهدتُ اليك من النبّوة والإمامة في الدّين من كان ظالماً من وُلدك وقال الفرّاء لا يكون للنّاس إمامٌ مُشرك.

وأمّا الخّاصة:

أعني بها الشّيعة فقد تواترت الأخبار عنهم في المقام وكفاك في ذلك إنّهم إتّفقوا علىٰ أنّ المراد بالعَهد الإمامة وأنّه لا ينالها كافر أو ظالم أو فاسق مطلقاً ولو بِلحظةٍ وقد مرّ بعض الأخبار في أوائل البَحث ولِنُشر الىٰ بعضٍ آخر تكميلاً لِلبحث.

منها ما رواه المفيد بأسناده عنهم في حديثٍ قال عليه السلام: كان إبراهيم نبّياً وليس بإمامٍ حتّىٰ قال اللّه تبارك وتعالىٰ: **اِنّي جاعِلُكَ لِلنّاسِ اِماماً** قال **وَمِنْ ذُرِّيَّتي** فقال اللّه تعالىٰ: **لاٰ يَنٰالُ عَهْدِي الظّٰالِمِينَ**

من عَبد صَنماً أو وَثَناً أو مثالاً لا يكون إماماً إنتهىٰ.

و منها ما رواه في بصائر الدّرجات بأسناده عن الصّادق عليه السلام أنه قال: يُنكرون الإمام المفروض الطّاعة و يَجحدونه واللّه ما في الأرض منزلة أعظم من منزلة مفترض الطّاعة لقد كان إبراهيم دَهراً ينزل عليه الوَحي حتّىٰ بَدا لِلّه أن يَكرمه ويُعظّمه فقال: جٰاعِلُكَ لِلنّٰاسِ إِمٰاماً فعُرف إبراهيم ما فيها من الفضل فقال وَمِنْ ذُرِّيَّتِي أي وأجعل ذلك في ذريّتي قال اللّه عزّ وجلّ: لاٰ يَنٰالُ عَهْدِي الظّٰالِمِينَ قال عليه السلام إنّما هو في ذريّتي لا يكون في غيرهم إنتهىٰ[1].

و قد روي أحاديث كثيرة إن شئت فراجعه، ولعمري أنّ الأمر أوضح من أن يخفىٰ علىٰ ذي مسكةٍ ولكن حُبّ الشّئ يعمي ويصّم ولِنعم ما قيل:

لقد كتموا آثار آل محمّدٍ   محبّوهم خوفاً وأَعدائهم بُغضاً
فأُبرزَ مِن بَين الفَريقين نَبذة   بها مَلاءَ اللّه السّموات والأرضَ

والعَجَب كلّ العَجب من أكثر مُفسّري العّامة أمثال الطَبَري والقُرطبي والآلُوسي والبيضاوي و إبن كثير الدمشقي و نظرائهم مِمّن أطالوا الكلام في تفاسيرهم فيما لا فائدة فيه لا في الدّنيا و لا في الأخرة بحيث صارت كتُبهم مجلّدات و أمّا في الآية و أمثالها ممّا يرتبط بإعتقاد النّاس ودينهم إمّا سكتُوا عن البحث فيها بالمرّة و أمّا قَنَعُوا بَسَطرٍ أو بِسَطرين في توضيح لغات زعماً منهم أنّ إطفاء الحقّ يكفي في تثبيت الباطل غافلاً عن أنّ لِلحقّ دولة ولِلباطل جَولة كلّ ذلك لِعَدم إحساسهم المَسئوليّة عند اللّه و نحن نقول لهم فأنتظروا إنّا معكم من المُنتظرين.

لو كان لِلمرء فكراً في عواقبه
ما شأن أخلاقه حرصُ ولا طمعُ

١- الأحاديث نقلناها عن كتاب غاية المرام ص ٢٧٠ وص ٢٧٢

وكـيف يُـدرك مـا فـي الغـيب مـن حَـدَثٍ
مـــن لَـم يَـزَل بـغُرور العـيش يَـنخَدع
يســـعىٰ الفـــتىٰ لأمـــورٍ قـــد تـضّر بـه
ولَـــيس يـــعلم مـــا يأتـــي ومـا يَـدَعُ
دَع مـــا يُـــريب وخُـــذ فـيما خـلقتُ له
لعـــــلّ قــــلبك بـــالإيمان يـــنتفعُ
أنّ الحـــياة كـــثوبٍ ســـوف تَـخلعه
وكــــلّ ثـــوبٍ إذا مـــا رُثّ يَـــنخَلعُ

هذا تمام الكلام في الآية الشّريفة وتفصيل الكلام في الإمامة وشرائـطها يستدعي تأليفاً مُستّقلاً وفقّنا اللّه تعالىٰ له

■

وَاِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثٰابَةً لِّلنّٰاسِ وَاَمْناً وَّاتَّخِذُوا مِنْ مَّقٰامِ اِبْرٰاهِيمَ مُصَلًّى وَّعَهِدْنٰاۤ اِلٰىۤ اِبْرٰاهِيمَ وَاِسْمٰاعِيلَ اَنْ طَهِّرٰا بَيْتِيَ لِلطّٰۤائِفِينَ وَالْعٰاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿۱۲۵﴾ وَاِذْ قٰالَ اِبْرٰاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هٰذٰا بَلَداً اٰمِناً وَّارْزُقْ اَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرٰاتِ مَنْ اٰمَنَ مِنْهُمْ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ قٰالَ وَمَنْ كَفَرَ فَاُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ اَضْطَرُّهُ اِلٰى عَذٰابِ النّٰارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿۱۲۶﴾ وَاِذْ يَرْفَعُ اِبْرٰاهِيمُ الْقَوٰاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَاِسْمٰاعِيلُ رَبَّنٰا تَقَبَّلْ مِنّٰاۤ اِنَّكَ اَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿۱۲۷﴾

◁ اللغّة

الْبَيْتَ: أصل البَيت مأوىٰ الإنسان باللّيل لأنّه يقال باتَ، إذا قام باللّيل ثمّ قد يقال للمسكن بيت من غير إعتبار اللّيل فيه وجمعه أَبيات وبيُوت و عبّر عن مكان الشّيء بأنّه بيتُه، وبيت اللّه والبَيت العتيق مكّة.

مَثٰابَةً: قيل معناه مكاناً يكتب فيه الثّواب.

اَمْناً: الأمن ضدّ الخوف.

فَاُمَتِّعُهُ: أُمتع علىٰ وزن أصرف من باب التّفصيل و هو متّكلم وحده من المضارع و ماضيه متّبع و هو مأخوذ من المتاع و معناه إنتفاعٌ ممتّد الوقت.

الْقَوٰاعِدَ: جمع قاعدة.



◁ الإعراب

وَاِذْ في موضع نَصب علىٰ المفعول به أي أُذكر جَعَلْنٰا جَعَل بمعنىٰ صَيَّر و قيل بمعنىٰ خَلَق أو وضع فَيكون مثابةً، حالاً وأصل مثابة مثُوبة لأنّه من ثاب

يثوب اذا رجع و عليه فمعناه محلّ الرّجوع **لِلنَّاسِ** صفة لمثابة **وَّاتَّخِذوُا** يُقرأ علىٰ لفظ الخبر والمعطوف عليه محذوف تقديره فثابوا وإتَّخَذوا ويُقرأ علىٰ لفظ الأمر فيكون مستأنفاً **مِنْ مَّقَامِ** يجوز أن يكون من للتّبعيض أي بعض مقام إبراهيم مصّلىٰ ويجوز أن تكون مِن بمعنىٰ في و يجوز أن تكون زائدة علىٰ قول الأخفش **مُصَلًّى** مفعول إتَّخذُوا وألفه منقلبة عن واوٍ و وزنه مفعل و هو مكان لا مصدر و يجوز أن يكون مصدراً و فيه حذف مضاف و تقديره مكان مُصَلىٰ أي مكان صلاةٍ والمقام موضع القيام و ليس بمصدرٍ هنا لأنّ قيام إبراهيم لا يتّخذ مُصلّىٰ **اَنْ طَهِّرَا** يجوز أن تكون أن هنا بمعنىٰ أي المفَسرة لأنّ عَهدنا بمعنىٰ قلنا والمفّسرة تَرد بعد القول و ماكان في معناه فلا موضع لها علىٰ هذا و يجوز ن تكون نصّدرية وصلتها الأمر **السُّجُودِ** جمع ساجد و قيل هو مصدر و فيه حذف مضاف أي الرُكّع ذوي السّجُود **اجْعَلْ هٰذا بَلَداً**، **إجعل** بمعنىٰ صيّر و **هذا** مفعول الأوّل، و **بلداً** مفعول الثّاني **اٰمِناً** صفة مفعول الثّاني **مَنْ اٰمَنَ**، **مَن** بَدلٌ من أهله و هو بَدل بعض من كُلّ **مَنْ كَفَرَ** في مَن وجهان:

أحدهما:بمعنىٰ الّذي.

ثانيهما: نكرة موصوفة و موضعها نصب والتّقدير قال وأرزُق من كَفر.

فَأُمَتِّعُهُ عطف علىٰ الفعل المحذوف **قَلِيلاً** نعتٌ لمصدر محذوف أو لظرفٍ محذوف **ثُمَّ اَضْطَرُّهُ** الجمهور علىٰ رفع الرّاء وقرئ بفتحها و وَصَل الهَمزة علىٰ الأمر **بِئْسَ الْمَصِيرُ**، **المَصير** فاعل بئس والمخصوص بالذّم محذوف و تقديره و بئس المصير النّار **مِنَ الْبَيْتِ** في موضع نصب علىٰ الحال من القواعد ويجوز أن يكون في موضع نصب مفعولاً به بمعنىٰ رَفعها عن أرض البيت **لإسماعيل** معطوف علىٰ إبراهيم والتّقدير يقولان ربّنا، و يقولان هذه في موضع الحال و قيل إسماعيل مبتدأ والخبر مَحذوف أي يقول ربّنا.

◁ التّفسير

قال اللّه تعالىٰ: **وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ** الىٰ قوله: **وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ**

الواو في **وَإِذْ جَعَلْنَا** للعطف و هو معطوف علىٰ قوله: **وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ** والمراد بالبَيت الّذي جَعَله مثابةً لِلنّاس هو البيت الحرام و هو الكعبة ورُوي أنّه أنّما سُمّي البيت الحرام لأنّه حَرُم علىٰ المشركين أن يدخلوه وسُمّي الكعبة لأنّها مُرَبّعة و صارت مُرّبعة لأنّها بحذاء البيت المعمور و هو مُرّبع وصار البيت المأمور مُرّبعاً لأنّه بجذاء العرش و هو مربّع و صار العَرش مُرَبّعاً لأنّ الكلمات التّي بني عليها الإسلام أربع وهي سبحان اللّه والحمد لِلّه و لا إله إلاّ اللّه واللّه أكبر ذكره الطّبرسي في المجمع، قوله تعالىٰ: **جَعَلنا** أي صَيّرنا أو وَضَعنا أو خَلَقنا البيت مثابةً أي مَرجعاً لِلنّاس كما قال ورقة ابن نوفل في الكعبة:

مَثاباً لإفناء القبائل كلّها تَخُبّ اليها اليَعملات الذّوامل

هذا اذ قلنا من ثاب يَثوب مثاباً بمعنىٰ رَجَع ويحتمل أن يكون مِن الثّواب أي يُثابُون هناك فالبيت مكان الثّواب، و الىٰ هذا يشير من قال:

جُعل البَيت مثاباً لهم ليس منه الدّهر يقضون وَطر

والأصل فيه مثوبة فقلبت الواو ألفاً أتباعاً لثاب يثُوب وأمناً أي مأمناً قيل جَعَله اللّه مأمناً لِلنّاس بأن حَكم أنّ من عاذَ به وإلتَجأ اليه لا يخاف علىٰ نفسه ما دام فيه ولِعِظَم حُرمته لا يُقام في الشّرع الحَدّ علىٰ من جَنىٰ جياية فإلتَجأ اليه و الىٰ حَرمه ولكن يُضّيق عليه في المطعم و المَشرب والبيع والشّراء حتّىٰ يخرج منه فيقام الحدّ عليه فأن أحَدَث فيه ما يوجب الحدّ عليه أُقيم الحدّ عليه لأنّه هَتك حرمة الحَرَم فهو آمن من هذه الوجوه و قيل قبل الإسلام أيضاً كان كذلك فأنّ الرّجل كان يرىٰ قاتل أبيه فيه فلا يتّعرض له و هذا شئ كانوا قد توارثوه من دين إسماعيل فَبَقوا عليه الىٰ أيّام نبّينا صلّى الله عليه وآله وسلّم.

أقول روىٰ علّي ابن إبراهيم بأسناده عن أبي عبد اللّه عليه السلام أنّه قال:



أنّ إبراهيم عليه السلام كان نازلاً في بادية الشّام فلمّا وُلد له من هاجر إسماعيل إغتّمت سارة من ذلك غمّاً شديداً لأنّه لم يكن له ولد منها و كانت تُؤذي إبراهيم في هاجر و تغمّه فشكىٰ إبراهيم ذلك الىٰ اللّه عزّ وجلّ فأوحىٰ اللّه اليه أنّما مَثل المرأة مثل الضّلع العوجاء إن تَركتها إستَمتعت بها وأن أقَمتها أكسّرتها ثمّ أمَره أن يخرج إسماعيل و أُمّه فقال ياربّ والىٰ أيّ مكانٍ قال الىٰ حرمي و أمَني و أوّل بُقعةٍ خلقتُها من الأرض و هي مكّة فأنزل اللّه عليه جبرئيل بالبراق فَحمل هاجر و إسماعيل و إبراهيم و كان إبراهيم لا يَمُّر بموضعٍ حَسنٍ فيه شجرٍ وزرعٍ و نخيلٍ إلاّ و قال ياجبرئيل الىٰ هاهنا فيقول لا أمض أمضِ حتّىٰ وافىٰ مكّة في موضع البيت و قد كان إبراهيم عاهد سارة أن لا ينزل حتّىٰ يرجع اليها فلمّا نزل في ذلك المكان كان فيه شَجر فألقت هاجر علىٰ ذلك الشّجر كساءً كان معها إستّظلوا تحته فلمّا سَرحهم إبراهيم ووَضَعهم وأراد الإنصراف عنهم الىٰ سارة قالت له هاجر يا إبراهيم أتَدّعنا في موضع ليس فيه أنيس ولا ماء ولا زرع فقال إبراهيم اللّه الّذي أمَرني أن أضَعكم في هذا المكان هو يكفيكم ثمّ إنصرف عنهم فلّمابلغ كداء وهو جَبل بذي طوىٰ إلتَفت إبراهيم فقال ربّ أنّي أسكَنت من ذُرّيتي بوادٍ غير ذي زرعٍ عند بيتك المحرّم ربّنا ليَقيموا الصّلاة فإجعل أفئدة من النّاس تهوىٰ اليهم وأرزقهم من الثّمرات لعلّهم يشكرون، ثمّ مضىٰ وبقيت هاجر فلمّا إرتفع النّهار عطش إسماعيل قام وطلب الماء فقامت هاجر في الوادي في موضع السّعي فنادت هل في الوادي من أنيس فغاب عنها إسماعيل فَصَعدت علىٰ الصّفاء وَلَمع لها السّراب في الوادي فَظنّت أنّه ماء فَنزلت في بطن الوادي وسَعت فلمّا بلغت المَسعىٰ غاب عنها

إسماعيل ثمّ لَمَع لها السّراب في ناحية الصّفاء فهبطت الىٰ الوادي تطلب الماء غاب عنها إسماعيل عادت حتّىٰ بلغت الصّفا فنظرت حتّىٰ بلغ فَعَلت ذلك سبع مرّات فلمّا كانت في الشّوط السّابع وهي علىٰ المروة نظرت الىٰ إسماعيل وقد ظهر الماء من تحت رجليه فعادت حتّىٰ جمعت حَوله وملأ فأنّه كان سائلاً فَزمّته بما جعلته كَوله فلذلك سُمّيت زَمزَم وكانت جُرهُم نازلة بذي الحجاز وعرفات فلمّا ظهر الماء بمكّة عكفت الطّير والوَحش علىٰ الماء فَنَظرت جُرهُم الىٰ تعكّف الطّير والوَحش علىٰ ذلك المكان فأتَبعتها حتّىٰ نظروا الىٰ إمرأةٍ وصبّي نازلين في ذلك الموضع قد إستظلا بشجرةٍ وقد ظَهر الماء لهما فقالوا لهاجر من أنتِ وما شأنك وشأن هذا الصّبي قالت أنا أُمّ ولَد إبراهيم خليل الرّحمٰن وهذا ابنه أمَره اللّه أن يُنزلنا هاهنا فقالوا لها أتَأذنين لنا أن نكون في القرب منكم فقالت لهم حتّىٰ يأتي إبراهيم فلمّا زارهم إبراهيم يوم الثّالث قالت هاجر ياخليل اللّه أنّ هاهنا قوماً من جُرهُم يسألونك أن تأذن لهم حتّىٰ يكونوا بالقُرب مِنّا أَفَتأذن لهم في ذلك فقال إبراهيم نِعم فأذنت هاجر لهم فَنَزلوا بالقُرب منهم وضَربوا خيامَهم فأَنست هاجر وإسماعيل بهم فلمّا زارهم إبراهيم في المرّة الثّانية نظر الىٰ كثرة النّاس حَولهم فَسّر بذلك سروراً شهيداً فلمّا تحرّك إسماعيل وكانت جُرهم قد وهبوا لإسماعيل كلّ واحدٍ منهم شاة وشاتين فكانت هاجر وإسماعيل يعيشان فلمّا بلغ إسماعيل مبلغ الرّجال أمَر اللّه إبراهيم أن يبني البيت فقال ياربّ في أيّ بقعةٍ قال في البقعة التّي أنزلت علىٰ آدم القبة فأضاء لها الحَرم فَلم تزل القُبة التّي أنزَلها اللّه علىٰ آدم قائمة حتّىٰ كان أيّام الطّوفان أيّام نوح فلمّا غرقت الدّنيا رَفع اللّه تلك القُبّة وغرقت الدّنيا إلاّ موَضع البيت فسُمّيت البَيت العَتيق لأنّه أُعتِق من

الغَرق فلمّا أمَر اللّه عزّ وجلّ إبراهيم أن يبني البيت لم يَدر في أيّ مكانٍ يُبنيه فَبَعث اللّه عزّ وجلّ جبرئيل فَخَطّ له موضع البيت فَأنزل اللّه عليه القواعد من الجنّة و كان الحَجر الّذي أنزل اللّه علىٰ آدم أشدّ بياضاً من الثّلج فلمّا مَسَّه أيدي الكفّار إسوَّد فَبنىٰ إبراهيم البيت ونقل إسماعيل من ذي طوىٰ فَرفعه في السّماء تسعة أذرُعٍ ثمّ دلّه علىٰ مَوضع الحَجر فإستَخرجه إبراهيم وَوضَعه في موضعه الّذي هو فيه الأن فلمّا بني جَعل له بابين باباً الىٰ الشّرق وباباً الىٰ الغرب والباب الّذي الىٰ الغرب يسمّىٰ المستجار ثمّ ألقىٰ عليه الشّجر والأذخر وألَقت هاجر علىٰ بابه كساء كان مَعها وكانوا يكونون تحته فلمّا بنىٰ و فَرغ منه إبراهيم و إسماعيل و نَزل عليهما جبرئيل يوم التّروية لثمان من ذي الحجّة فقال ياإبراهيم قُم فأرتق من الماء لأنّه لم يكن بمنىٰ وعرفات ماء فسمّيت التّروية لذلك ثمّ أخَرجه الىٰ منىٰ فبات بها ففَعل به ما فَعل بآدم فقال إبراهيم لمّا فَرغ من بناء البيت ربّ إجعل هذا البَد آمناً وأرزق أهله من الثّمرات من آمن منهم باللّه واليوم الأخر وقال فى ثمرات القلوب أي حُبّهم الىٰ النّاس انتهىٰ.

و عن المنذر الثّوري عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن الحَجر فقال نزلت ثلاثة أحجار من الجنّة الحَجر الأسود إستودعه إبراهيم و مقام ابراهيم و بنى اسرائيل قال ابوجعفر عليه السلام ان اللّه استودع ابراهيم و الحَجَر الأبيض وكان أشدّ بياضاً من القراطيس فإسوّد من خطايا بني آدم وعن جابر الجعفي قال محمّد ابن علّي ياجابر ما أعظم فرية أهل الشّام علىٰ اللّه يزعمون أنّ اللّه تبارك وتعالىٰ حيث صعد الىٰ السّماء وضَع قَدمه علىٰ صخرة بيت المقدس ولقد وضع عبد من عباد اللّه قَدَمه علىٰ حَجرٍ فأمر اللّه تبارك وتعالىٰ أن

تتّخذوه مُصّلىٰ ياجابر أنّ اللّه تبارك وتعالىٰ لا نظير له ولا شبيه تعالىٰ اللّه عن صفة الواصفين وجلّ عن أوهام المتّوهمين وإحتجب عن أعين النّاظرين لا يزول مع الزّائلين ولا يفل مَع الأفلين ليس كمثله شيئ وهو السّميع العليم.

و عن عبد اللّه ابن غالب عن أبيه عن رجل عن علّي ابن الحسين عليه السلام: قول إبراهيم إجعل هذا بَلداً أمناً وأرزق أهله من الثّمرات من أمَن منهم باللّه، إيّانا عني بذلك وأولياءه وشيعته أو شيعة وصيّه قال عليه السلام ومن كَفَر فأُمتّعه قليلاً ثمّ أضطّره الىٰ عذاب النّار قال عني بذلك من جَحد وصيّه و لم يتّبعه من أُمّته وكذلك اللّه قال هذه الأمر انتهىٰ.

و عن أبي سلمة عن أبي عبد اللّه عليه السلام: أنّ اللّه أنزل الحَجر الأسود من الجنّة لآدم وكان في البيت دُرّة بَيضاء فَرفعه اللّه الىٰ السّماء وبقىٰ أساسه وهو حيال هذا البيت وقال يدخله كلّ يوم سبعون ألف مَلَكٍ لا يرجعُون اليه أبداً فأمر اللّه إبراهيم و إسماعيل أنئ بنيا البيت علىٰ القواعد.

و أمّا العامّة:

فقد ذكروا في كيفيّة القصّة في بناء البيت أنّ اللّه عزّ وجلّ أوحَىٰ الىٰ آدم اذا هُبطت إبنِ لي بيتاً ثمّ أحففُ به كما رأيت الملائكة تحّف بعرشي الّذي في السّماء قال عطاء فَزَعم النّاس أنّه بناه من خمسة أجُبل من حراء و من طور سيناء، و من لبنان و من الجودّي و من طور زيتا وكان ربُضه من حراء قال الخليل والرّبُض هاهنا الأساس المستدير بالبيت من الصَخر و عن ابن عبّاس قال لمّا أُهبط آدم من الجنّة الىٰ الأرض قال له آدم إذهب فإبن لي بيتاً وطُف له وأُذكرني عنده كما رأيت الملائكة تصنع حول عرشي فأقبل آدم يتّخطىٰ و طويت له الأرض وقبُضت له المفازة فلا يقع قَدمه علىٰ



شيءٍ من الأرض إلاّ صار عمراناً حتّیٰ انتهیٰ الیٰ موضع البيت الحرام و أنّ جبرئيل ضَرب بجناحيه الأرض فأبرر عن أُسّس ثابت علیٰ الأرض السّابعة السّفلیٰ و قذفت اليه الملائكة بالصّخر فما يطيق الصّخرة منها ثلاثون رجلاً و أنّه بناه من خمسة أجبُل كما ذكرنا وقد روي في بعض الأخبار أنّه أُهبط لآدم عليه‌السلام خيمة من خيام الجنّة فضُربت في موضع الكعبة ليسكن اليها و يطوف حَولها فلم تَزل باقية حتّیٰ قَبض اللّه آدم عليه‌السلام ثمّ رُفعت و في روايةٍ أنّه أُهبط معه بيت فكان يطوف به والمؤمنون من ولده كذلك الى زمان الغرق ثمّ رَفعه اللّه فصار في السّماء وهو الّذي يُدعیٰ البيت المعمُور فهذا بناء آدم عليه‌السلام ثمّ بناه إبراهيم ثمّ رووا بأسانيدهم عن على ابن أبي طالب أنّه قال أنّ اللّه تعالیٰ أمَر إبراهيم بعمارة البيت خرج من الشّام ومعه إبنه إسماعيل و أُمّه هاجر وبعث معه السّكينة لها لسان تتّكلم به يغدُو معها إبراهيم اذا غَدت و يَرُوح معها اذا راحت حتّیٰ انتهت به الیٰ مكّة فقالت لإبراهيم إبنِ علیٰ موضعي الأساس فَرَفع البيت هو و إسماعيل حتّیٰ انتهیٰ الیٰ موضع الرّكن فقال لإبنه يابنّي حبسني حَجراً أجَعله عَلماً لِلنّاس فجاءه بحجرٍ فلم يَرضه و قال حبسنى بغيره فَذَهب يلتمس فجاءه و قد أتیٰ بالرّكن فَوضعه مَوضعه فقال ياأبَت من جاءك بهذا الحَجر فقال من لَم يَكلنِي اليك، و قال ابن عبّاس، صالح أبو قبيس ياإبراهيم ياخليل الرّحمٰن أنّ لك عندي وديعة فخُذها فاذا هو بحَجرٍ أبيض من ياقوت الجنّة كان آدم قد نَزل به من الجنّة فلمّا رَفع إبراهيم و إسماعيل القواعد من البيت جاءت سحابة مربعة فيها رأس فنادت أن أرفعاه علیٰ تربيعي فهذا بناء إبراهيم ثمّ ذكروا في المقام ما لا حاجة لنا في نقله من المتّفرقات أقول أهل البيت أدریٰ بما في البيت فما نقلناه عنهم بطُرقنا هو المُعتمد في المقام وغيره.

إعلم أنّ البيت علىٰ ما هو المشهور و عليه إتّفقت الأخبار من الطّرفين بناه آدم أبو البَشَر ثمّ رَفَعه اللّه في طوفان نوح أو غرق وخرب فيه ثمّ بناه إبراهيم و إسماعيل علىٰ ما مرّ ذكره ثانياً ثمّ هَدمَته قريش في عَهد رسول اللّه قبل مَبعثه و جعلوا يبنُونه بحجارة الوادي تحملها قريش علىٰ رقابها فرفعوه في السّماء عشرين ذراعاً في المرتبة الثّالثة و ذلك قبل البعث بخمس عشرة سنة، ثمّ لمّا غزا أهل الشّام عبد اللّه إبن الزّبير و خرقت الكعبة من حريقهم هَدمها إبن الزّبير وبناها وزاد فيها خمسة أذرع من الحجر حتّىٰ أُبدي أساً نظر النّاس اليه فبنىٰ عليه البناء وكان طول الكعبة ثماني عشر ذراعاً فلمّا زاد فيه إستقصره فزاد في طوله عشرة أذرع و جَعَل لها بابين أحدهما يدخل منه والأخر يخرُج منه و زاد في البيت يلي الحَجَر ستة أذرع وزاد في طولها تسعة أذرع والأقوال مختلفة و كيف كان فلمّا قتل إبن الزّبير كتَب الحجّاج الىٰ عبد الملك يخبره بذلك فأمَرَه بَبناءه علىٰ ما كان و ذلك لأنّ البيت خَرِب في فتنة إبن الزّبير علىٰ ما هو مسطور في التّواريخ فبناه حجّاج إبن يوسف بأمر عبد الملك و هو الموجود في زماننا هذا واللّه أعلم.

إذا عَرفت هذا فلنرجع الىٰ تفسير ألفاظ الأيات فنقول قوله تعالىٰ: **وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ** أي وإذكروا إذ جَعَلنا أي صيّرنا البيت و هو الكعبة **مَثَابَةً** أي مرجعاً ومآلاً أي **لِّلنَّاسِ** لجميع النّاس **وَأَمْناً** أي جَعلناه وَصيرناه محلاً لِلأمن والأمان كما قال تعالىٰ في موضع آخر: **وَ مَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَّاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى** أي وإتّخذوه مصلىٰ **وَّعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ** أي أمرناهما **أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ** من الفرث والدّم الّذي كان يطرحه المشركون عند البيت قبل ان يصير بيد إبراهيم و إسماعيل أو طهِرّاه من الأصنام الّتي كانوا يعلقونها علىٰ باب البيت قبل إبراهيم، أو طَهِراه بنياناً بكماله علىٰ الطّهارة كما قال سُبحانه: **أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَ رِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ**



بُنْيانَهُ عَلى شَفا جُرُفٍ هارٍ[١] وأنّما أضاف البيت الىٰ نفسه تفضيلاًله علىٰ سائر البقاع **لِلطّائِفِينَ وَالْعاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ** المراد بالطّائفين علىٰ المشهور بين المُفسّرين الزّائرين و بالعاكفين هم المجاورون و قوله تعالىٰ: **الرُّكَّعِ السُّجُودِ** أي المُصّلون و قيل جميع المسلمين لأنّ من شأنهم **الرُّكَّعِ السُّجُودِ** والرّكع جمع الرّاكع والسّجود جمع السّاجد ونقل عن عطا أنّه قال إذا طاف به فهو من الطّائفين فإذا جَلَسَ فهو من العاكفين فإذا صلىٰ فهو من الرّكع السجود و قوله تعالىٰ: **وَإِذْ قالَ اَبْراهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هٰذا بَلَداً اٰمِناً وَّارْزُقْ اَهْلَهُ مِنَ الثَّمَراتِ** المراد بالبَلَد مكّة، آمناً أي إجعله ذا أمنٍ و قيل معناه يأمنون فيه كما يقال ليلٌ نائم أي ينام فيه و قال إبن عبّاس حراماً محرّماً لايصطاد طيره و لا يقطع شَجَره و لا يختلي خلاه وهل كان الحَرَم آمناً قبل دعوة إبراهيم أو صار آمناً بعد الدّعوة فيه قولان، فعلىٰ الأوّل، كان دُعاء إبراهيم تأكيداً لِحُرمته **وَّارْزُقْ اَهْلَهُ مِنَ الثَّمَراتِ مَنْ اٰمَنَ مِنْهُمْ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ** أي وأرزُق أهل الحَرَم من أنواع الرّزق والثّمرات من آمنَ منهم باللّه واليوم الأخر وفيه إشارة الىٰ أن دعاءه عليه السلام خاصّ لهم و أمّا **وَمَنْ كَفَرَ فَاُمَتِّعُهُ قَلِيلاً** أي قال اللّه تعالىٰ قد أُستجيبت دعوتَك في حقّ المؤمنين و أمّا من كَفَر فأُمتّعه في الدّنيا قليلاً **ثُمَّ اَضْطَرُّهُ اِلىٰ عَذابِ النّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ** أي أدفعه بعد الموت الىٰ النّار وأسوقها اليها وبئس المأوىٰ والمَرجع النّار **وَإِذْ يَرْفَعُ اِبْراهِيمُ الْقَواعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْماعِيلُ رَبَّنا تَقَبَّلْ مِنّا اِنَّكَ اَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** وقد بيّنا كيّفية بناء البيت علىٰ يَد إبراهيم وإسماعيل تفصيلاً و أمّا الأخبار الواردة في فضيلة الحجّ وكيّفيته وأقسامه فسيأتي عند قوله تعالىٰ: **وَ لِلّٰهِ عَلَى اَلنّاسِ حِجُّ اَلْبَيْتِ مَنِ اَسْتَطاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**[٢] و نتكلم أيضاً هناك في بعض أسراره ودقائقه إن شاء اللّه تعالىٰ.

■

١- التوبة= ١٠٩ ٢- آل عمران = ٩٧

رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾

◁ اللّغة

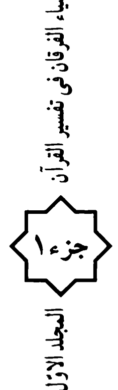
الإسلام الإنقياد مَنَاسِكَنَا، مناسِك جمع مَنسَك و هو محَل العبادة لأنّه محَل النَّسك ومكانه والنُّسك العبادة يقال رجل ناسِك أي عابد.

◁ الإعراب

مُسْلِمَيْنِ لَكَ مفعول ثان ولَك، مُتّعلق بمُسلمين وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَآ يجوز أن تكون من، لإبتداء غاية الجَعل فيكون مفعولاً ثانياً أُمَّةً مفعول أول مُّسْلِمَةً نعت لإمة لَّكَ علىٰ ما تّقدم في مُسلمين وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا،مَناسكَنا مفعول ثانٍ والباقي واضح

◁ التّفسير

رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ هذا من تمام دُعاءهما قالا ربّنا وإجعَلنا مُسلِمينَ لَك، أي إجعلنا مُطيعَين مُنقادَين لَك في مستقبل عمرنا كما جَعلتَنا مُسلِمينَ في مضىٰ منه و قيل إجعَلنا مُوَحّدين مُخلِصين لَك حتّىٰ لا نعبُد إلاّ إيّاك و لا ندعُوا ربّاً سِواك وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ أي و إجعل من أولادنا كذلك و أنّما قال من ذُرّيتنا، فأتىٰ بكلمة مَن الّتي تُفيد التّبعيض لأنّه تعالىٰ قد أعلَمه سابقاً أنّ في ذُرّيته مَن لا ينال عَهده في قوله: **ومن ذُريته** قال: **لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّالِمِينَ**. و قوله وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا أي عَرّفنا المناسك التّي تتّعلق النّسك بها لنفعله عندها والمراد بالمناسك أعمال الحجّ من الطّواف بالبيت



والسّعي بين الصّفا و المَروة و الإفاضة من عرفات و رمي الحَجر و غيرها من الأفعال و الترّوك حال الإحرام و بالجملة كلّ ما تجب مراعاته في الحجّ ليتّم العَمَل به كما هو حقّه **وَتُبْ عَلَيْنا اِنَّكَ اَنْتَ التَّوّابُ الرَّحيمُ** قيل أنّهما قالا هذه الكلمة ليقتدي بهما النّاس فيها كما هو كذلك في جميع الموارد اذا صَدرت من المعصُوم اذ العصمة تنافي الذّنب حقيقة و في قوله الرّحيم إشارة الىٰ أنّه تعالىٰ هو المنعم علىٰ عباده بالنِّعم العظام و تكفير الأثام والسّيئات و نحن نقول آمين.

■

رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾

◁ اللّغة

وَابْعَثْ: البعث إثارة الشّئ و توجيهه.

رَسُولاً: فعولٌ من الرّسالة أي مُرسلاً.

يُزَكِّيهِمْ: التّزكية التّطهير في الباطن أي تطهير القلب عن الأوساخ.

◁ الإعراب

وَابْعَثْ فِيهِمْ ذكر الضمّير علىٰ معنىٰ الآية و لو قال فيها لَرجع الىٰ لفظ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ في موضع نَصب لرسول و يجوز أن يكون حالاً من الضّمير في منهم.

◁ التّفسير

قال المفسّرون المراد بالرّسول في دعاء إبراهيم هو نبيّنا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم لما رُوي عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال: أنا دعوة إبراهيم وبشرىٰ عيسىٰ يعني قوله ومُبَشراً برسولٍ يأتي من بعدي إسمه أحمد وبه قال الحَسن وقتادة وجماعةٍ من العلماء و في تفسير العياشي عن أبي عبد الله عليه السلام في حديثٍ: فلمّا أجاب الله إبراهيم وإسماعيل و جَعل من ذُرّيتهما أُمّة مسلمة و بعث فيها رسولاً منها يعني من تلك الأُمّة يتلو عليهم أياته و يزّكيهم و يعلّمهم الكتاب والحكمة ورَدف إبراهيم و إسماعيل دعوته الأولىٰ بدعوته الأخرىٰ و سأل تطهيراً من الشّرك و من عبادة الاصنام ليصّح أمره فيهم و



لا يتّبعوا غيرهم فقال و أجنبني و بَنّي أن نعبد الأصنام أنّهن أضللَن كثيراً من النّاس فمن تَبعني فأنّه منّي و من عَصاني فأنّك غفورٌ رحيم فی الآيه دلالة على أنّه لا يكون الأئمّة و الأُمّة المسلمة التّي بعث فيها محمّد ﷺ إلاّ من ذُرّية إبراهيم لقوله و أجنُبني و بَنّي أن نعبد الأصنام انتهیٰ.

و في تفسير علّي ابن إبراهيم وأمّا قوله: وَابْعَثْ فيهِمْ رَسُولاً منهم فأنّه يعني ولد إسماعيل فلذلك قال رسول اللّـه ﷺ أنا دعوة إبراهيم.

و عن كتاب الخصال عن أبي إمامة قال قلت يارسول اللّه ما كان بَدو أمرك قال دعوة إبراهيم و بُشرىٰ عيسىٰ ورأت أُمّي أنّه خرج منها شئ أضاءت منه قصور الشّام انتهیٰ.

أقول المراد بالكتاب القرأن وبتعليمه تعليم قراءته ومعانيه والمراد بالحكمة والمعرفة بالدّين علىٰ قول و قيل المراد به الفقه والفهم، والمراد بالتّزكية التّطهير من وَضَر الشّرك و قيل أن الأيات تلاوة ظاهر الألفاظ و الكتاب معانيها و الحكمة الحُكم و هو مراد اللّه بالخطاب من مطلقٍ و مقيدٍ و مفّسرٍ و مُجملٍ و عُمومٍ و خصوصٍ و العزيز معناه المنيع الّذي لا ينال و لا يغالب و قيل معناه الّذي لا يعجزه عن شئ لقوله تعالىٰ: **وَ مَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَ لَا فِى ٱلْأَرْضِ** [١].

و قال الكسائي العزيز الغالب ومنه قوله تعالىٰ: **وَ عَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ** [٢] وفي المَثل من عَزّبَزّ، أي من غلب سلب و قيل العزيز الّذي لا مثل له لقوله تعالىٰ: **لَيسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ** و أمّا الحكيم فهو الّذي يَضع الأشياء في مواضعها.

■

١- الفاطر = ۴۴
٢- ص = ٢٣

وَمَنْ يَّرْغَبُ عَنْ مِّلَّةِ اِبْرٰاهِيمَ اِلاّٰ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْـطَفَيْنٰاهُ فِـي الدُّنْـيٰا وَاِنَّـهُ فِـي الْاٰخِـرَةِ لَـمِنَ الصّٰالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ اِذْ قٰالَ لَهُ رَبُّهُ اَسْلِمْ قٰالَ اَسْـلَمْتُ لِرَبِّ الْعٰالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصّٰى بِـهٰآ اِبْـرٰاهِـيمُ بَـنِيهِ وَيَعْقُوبُ يٰابَنِيَّ اِنَّ اللّٰهَ اصْطَفٰى لَكُـمُ الدِّيـنَ فَـلاٰ تَمُوتُنَّ اِلاّٰ وَاَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾

◁ اللّغة

يَّرْغَبُ: أصل الرّغبة السّعة في الشّئ يقال رَغب الشّئ إتّسع **الرّغبة والرّغب** والرّضي السّعة في الإرادة فاذا قيل رغب فيه واليه يقتضي الحرص عليه كقوله تعالىٰ: **إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رٰاغِبُونَ**[1] وإذا قيل رغب عنه إقتضىٰ حَرف الرّغبته عنه و الزّهد فيه و ما نحن فيه من هذا القبيل.

مِّلَّةِ اِبْرٰاهِيمَ: المِلّة كالدّين إسم لما شرع اللّه تعالىٰ لعباده علىٰ لسان الأنبياء ليتّوصلوا به الىٰ جوار اللّه والفرق بينهما أنّ الملّة لا تضاف إلاّ الىٰ النّبي بخلاف الّدين.

سَفِهَ: السَّفه خفّة في البَدن و منه قيل زمامٌ سفيه كثير الإضطراب و ثوبٌ سفيه رَديٰ النَسّج و إستعمل في خِفّة النّفس لنقصان العقل وفي الأمور الدّنيوية والأخرّوية فقيل سفه نفسه.

اصْطَفَيْنٰاهُ: أصل الصّفا خلوص الشيئ من الثّوب ومنه الصّفا للجارة الصّافية والإصطفاء تناول صَفو الشيئ كما أنّ الإختيار تناول خيره والإجتباه تناول جباتيه.

١- التوبة= ٥٩

أَسْلِمْ: الإسلام الخضوع والإنقياد لِلمُستسلم.

وَوَصّىٰ: الوَصّية التّقدم الىٰ الغير بما يعمل به يقال وَصّىٰ، أي أنشأ فَضلَه و تواصىٰ القوم إذا أوصىٰ بعضهم الىٰ بعضٍ.

◁ الإعراب

وَمَنْ يَرْغَبُ مَن إستفهام بمعنىٰ الإنكار ولذلك جاءت، إلاّ، بعدها لأنّ المنكر منّفي وهي في موضع رفع بالابتلاء، ويرغَب، الخَبر و فيه ضمير يعود علىٰ، مَن، **اِلاّ مَنْ**مَن في موضع نصب علىٰ الإستثناء و يجوز أن يكون في موضع الرّفع بدلاً من الضّمير في، يرغَب، و مَن، نكرة موصوفة أو بمعنىٰ الّذي **نَفْسَهُ** مفعول، نفسه، لأنّ معناه جهل **فِي الْاٰخِرَةِ مُتَعلق** بالصّالحين أي و أنّه من الصّالحين في الأخرة و الألف و اللاّم للتّعريف **في** مُتّعلق بفعل محذوف نبيّنه الصّالحين تقديره أنّه لصالح في الأخرة و هذا يسمّىٰ التّبيين **اِذْ قَالَ لَهُ**، إذ ظرف لإصطفيناه و يجوز أن يكون بدلاً، في الدّنيا **يَعْقُوبُ** معطوف علىٰ إبراهيم و مفعوله محذوف تقديره وأوصىٰ يعقوب نَبيّه **اصْطَفىٰ**،الألف في آخره بَدل من ياء بدل من واو و أصله من الصّفوة **وَاَنْتُمْ** في موضع حال.

◁ التّفسير

وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ اِبْرَاهِيمَ قلنا أنّ الإستفهام بمعنىٰ الإنكار أي وما يرغب عن ملّة إبراهيم و يعرض عنه **اِلاّ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ** أي إلاّ الجاهل بأمر نفسه فلا يُفكّر فيها و قال أبو عُبيدة المعنىٰ أهلَكَ نَفسه و قد إستّدل بهذه‌من قال أنّ شريعة إبراهيم شريعة لنا إلاّ ما نسخ منها و هذا كقوله، ملّة أبيكم إبراهيم، و قوله أن إتّبع ملّة إبراهيم **وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا**أي إخترناه للرّسالة فيها فجعلناه صافياً من الأرجاس والأدناس والأصل في إصطفيناه بالتّاء

أبدلت التّاء طاءً لتناسبها مع الصّاد في الإطباق واللّفظ شقّ من الصّفوة ومعناه تخيّر الأصفىٰ **وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ** أي من الفائزين قال قتادة المراد بالأية اليهود والنّصارىٰ رَغبوا عن ملّة إبراهيم واتّخذوا اليهوديّة والنّصرانية بدعة ليست من اللّه أقول في الآية دلالة علىٰ أنّ ملّة إبراهيم هي ملّة نبيّنا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم لأنّ ملّة إبراهيم داخلة في ملّة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم مع زيادات في ملّة محمّد فبيّن أنّ الّذين يرغبون من الكفّار عن ملّة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم الّتي هي ملّة إبراهيم قد سفهوا أنفسهم و هو معنىٰ قول قتادة والرّبيع أمّا قوله: **إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ** الأية معناه ولقد إصطفيناه حين قال له ربّه أسلِم فأسلم و ذلك لأنّ قوله: **إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ** مُتّعلق بقوله: **وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ** و موضعه نصب كما تقدّم.

قال بعض المفسّرين أنّما قال إبراهيم ذلك حين أفَلَت الشّمس فقال: **يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ،إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ** (1) و أنّه أسَلَم حينئذٍ و هذا يدّل علىٰ أنّه كان ذلك قبل النّبوة و أنّه قال له ذلك إلهاماً إستدعاه به الإسلام فأسَلم حينئذٍ لمّا وضح له طريق الإستدلال بما رأىٰ من الأيات والعِبر الدّالة علىٰ توحيده و لا يصّح أن يوحي اللّه تعالىٰ اليه قبل إسلامه بأنّه نبّي اللّه لأنّ النّبوة حال إعظامٍ وإجلالٍ و لا يكون ذلك قبل الإسلام وأنّما قال إصطفيناه علىٰ لفظ المتكلم مَع قولِه: **إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ** علىٰ لفظ الغائب للتّصرف في الكلام كما قال الشّاعر:

باتت تشكي الىٰ النّفس مُجهشة   وقد حَملتك سَبعاً بعد سبعينا

والإسلام واجب علىٰ كلّ مكّلفٍ وأن إختَلَفت شرائع الأنبياء فيما يتّعبدون من الحلال والحرام لقوله تعالىٰ: **إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ** (2) وأنّما الإسلام هو الإخلاص لِلّه بالعَمل بطاعته وإجتناب معصية و ذلك واجب علىٰ كلّ متّعبدٍ و كلّه إسلام.

أن قلت ألَيس ناسخاً لجميع الأديان والشّرائع قبله فاذا كان كذلك فما معنىٰ

١- الأنعام= ٧٨ ٢- آل عمران= ١٩

قوله تعالىٰ: **وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرٰاهِيمَ إِلاّٰ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ**

قلتُ الجواب من وجهين:

أحدهما: أنّه ليس معنىٰ النّسخ نسخ أحاد الأحكام بل معناه نسخ المجموع من حيث المجموع و هو لا ينافي بقاء بعض الأحكام في الدّين النّاسخ وما نحن فيه من هذا القبيل فأنّ الأصول من العقائد والأحكام التّي كانت في دين إبراهيم لم تُنسخ في ديننا و لا في سائر الأديان بعد إبراهيم وأنّما المنسوخ بعض الأحكام من الفروع نِعم بعض الأحكام أيضاً يُنسخ من جهة الكّيفية أو الكّمية مثلاً الصّلاة كانت ثابتة في الأديان السّابقة كما في الإسلام ولكن الصّلاة في الإسلام كمّاً و كيّفاً تغايرها في سائر الأديان و هكذا الحجّ و الزّكاة و الصّوم و أمثالها ألا ترىٰ أنّ المسيح يقول: **وَ أَوْصٰني بِالصَّلٰوةِ وَ الزَّكٰوةِ ما دُمْتُ حَيًّا** [1]

ثانيهما: فرقٌ بين الملّة والدّين إعتباراً بعد صدقهما علىٰ أصل الشّريعة فأنّ الملّة لا تكاد توجد مضافة الىٰ اللّه و لا الىٰ أحاد الأُمّة بل مورد إستعمالها حَمَلة الشّرائع دون أحادها فلا يقال ملّة اللّه كما لا يقال ملّتي أو ملّة زيد، والدّين ليس كذلك يقال دين اللّه ودين زيد اذا عرفت هذا فنقول المنسُوخ هو الدّين أي دين اللّه و هو أحاد الأحكام كمّاً أو كيّفاً و أمّا الملّة فَلَيست منسوخة لأنّها عبارة عن حمَلة الشّرائع في كلّ عصر و زمان فالملّة أُضيفت الىٰ إبراهيم بإعتبار أنّه كان حاملاً للشريعة لا بإعتبار أنّه كان جاعلاً لها فأنّ الجاعل هو اللّه تعالىٰ و المجعول هو الدّين فعلىٰ هذا لا معنىٰ لنسخ الملّة بل هي باقية الىٰ الأبد ويعبارةٍ أخرىٰ حَملة الدّين لا تنسخ بل هي باقية الىٰ يوم القيامة و أمّا المَحمول أعني به الشّريعة أو الدّين أو ما شئت فَسمّه فهو يُنسخ.

و أمّا قوله تعالىٰ: **وَوَصّىٰ بِهآ إِبْرٰاهِيمُ بَنيهِ وَيَعْقُوبُ يٰابَنِيَّ إِنَّ اللّٰهَ**

١- مريم = ٣١

اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ الضّمير في قوله، بها قيل أنّها تعود الىٰ الكلمة في قوله: **أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**، و قيل أنّها تعود الىٰ الملّة و هو الأقوىٰ لأنّه مذكور في اللّفظ والمعنىٰ أنّ إبراهيم وَصّي بالملّة والشّريعة بنيه أي وَصّاهم بحفظها و مراعاتها والعمل بها وكذلك يعقوب فأنّه أيضاً أوصىٰ اليهم و قال: **يَابَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ** الآية و عليه يصير معنىٰ الآية هكذا وَصَّىٰ بالملّة إبراهيم وبعده يعقوب بنيه الخ و بنو إبراهيم إسماعيل و أُمّه هاجر القبطية و هو أكبر ولُد و نقله إبراهيم الىٰ مكّة و هو رضيع و قيل كان له سنتان و قيل أربع عشرة سنة والأوّل أصّح و قد مرّ الكلام في كيفيّة نقله الىٰ مكّة و بعده إسحاق و أُمّه سارة و ولد بعد أخيه إسماعيل بأربع عشرة سَنة و مات إسماعيل و له مائة و سبع و ثلاثون سنة و قيل مائة و ثلاثون و عاش إسحاق مائة و ثمانين سَنة و مات بالأرض المقّدسة و دفن عند أبيه إبراهيم وأمّا إسماعيل فقد مات بمكّة و دفن بها، ثمّ لمّا توّفيت سارة أُمّ إسحاق تزوج إبراهيم قنطوراً بنت يقطن الكنْعانية فولدت له مدين، و مداين و نهشان و زمران و نشيق و شيوخ ثمّ توّفىٰ عليه السلام وكان بين وفاته و بين مولَد النّبي نحو من ألفي سنة وست مائة سنة و اليهود ينقصُون من ذلك أربع مائة سنة و أمّا أولاد يعقوب فَسيأتي ذكرهم في سورة يوسف و منهم من قرأ يعقوب بالنّصب عطفاً علىٰ بنيه و عليه فيكون يعقوب داخلاً فيمَن أوصَىٰ و هو بعيد عن الصّواب لأنّ يعقوب لم يكن فيما بين أولاد إبراهيم لمّا وصّاهم و لم ينتقل أحد أنّ يعقوب أدرَك جدّه إبراهيم وأنّما ولُد بعد موته نعم هو أوصىٰ بنيه كما أَوصَىٰ جدّه إبراهيم بنيه، قيل أنّما سُمّي يعقوب لأنّه والعيص كانوا توأمين حين الولادة قالوا خرج من بطن أُمّه آخذاً بعقب أخيه العيص وإستشكل فيه بعض الأُدباء و قال وفي ذلك نظر لأنّ هذا إشتقاق عربي و يعقوب إسم أعجمي وأن كان قد وافق العَرّبية في التّسمية به كذكر الحَجل فأنّه يسمّىٰ يعقوب و عاش

يعقوب مائة و سبعاً و أربعين سنة و مات بمصر وأوصىٰ أن يحمل الىٰ الأرض المقّدسة و يدفن عند أبيه إسحاق فَحَمله يوسف اليهما و دَفَنه عنده و قوله: **يٰابَنِيَّ** معناه أن يابَنّي وكذلك هو في قراءة أُبّي وابن مسعود والضّحاك قال الفرّاء أُلغيت أن لأنّ التّوصية كالقول وكلّ كلامٍ يرجع الىٰ القول جاز فيه دخول أن وجاز إلغاؤها و هو نداء مضاف و هذه ياء النّفس لا يجوز هنا إلاّ فتحها لأنّها لو سُكنت لإلتقىٰ ساكنان و مثله بمُصّرخي و كسُرت (إنّ) لأنّ أوصىٰ و قال واحد و قيل علىٰ إضمار القول ومعنىٰ الإصطفاء الإختيار كما قال الشّاعر.

يــابن مــلوكٍ وَرِثُـوا الأمــلاكـا خـــلافة اللّــه التّــي أعــطاكــا

لك إصــطَفاها ولهــا إصطفاكـا

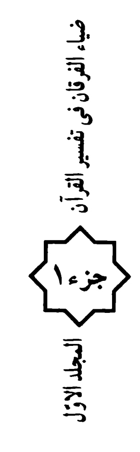
والمعنىٰ أنّ إبراهيم وبعده يعقوب أوصىٰ بَنيه أي قال لهم أنّ اللّه إصطفىٰ أي إختار لكم الدّين أعنيِ به الإسلام و الألف و اللاّم فيه للعَهد لأنّهم كانوا عَرفوه **فَلاٰ تَمُوتُنَّ اِلاّٰ وَاَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ** والمعنىٰ ألزموا الإسلام و دوموا عليه و لا تفارقوه حتّىٰ تموتوا و في هذا الكلام وَعظٌ وتذكير للموت بالتّضمن و ذلك لأنّ الموت حقّ في رقاب العباد وكّ إنسان يعلم أنّه يموت بالأخرة و لا يدري متىٰ فاذا أُمر بأمرٍ لا يأتيه الموت إلاّ و هو عليه فقد توجه الخطاب من وقت الأمر دائباً لازماً و قوله: **وَاَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ الواو** للحال أي لا تموتُوا إلاّ علىٰ الإسلام و قيل معناه محسنُون بربّكم الظّن و قيل مُخلصُون و قيل مفوّضون والمأل في الكلّ واحد ونحن أيضاً نرجو أن نموت علىٰ الإسلام أن شاء اللّه تعالىٰ.

فأن قلت ما معنىٰ النّهي في الآية في قوله: **فَلاٰ تَمُوتُنَّ اِلاّٰ وَاَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ** والموت خارج عن الإختيار والنّهي عن الشّئ اذا كان خارجاً عن القُدرة لا معنىٰ له قلتُ معناه فلا يكن موتكم إلاّ علىٰ حال كونكم ثابتين علىٰ الإسلام فالنّهي وأن كان في الظّاهر تعلّق بالموت إلاّ أنّه في الواقع تعلّق بكونهم علىٰ

خلاف الإسلام و هذا كقولك لا تُصّل إلاّ وأنت خاشع فلا تنهاه عن الصّـلاة ولكن تنهاه عن ترك الخشوع في حال صلاته فأن قلت لم ادخل حرف النّهي علىٰ الصّلاة وليس بمنّهي عنها.

قلتُ السّر فيه إظهار أنّ الصّلاة التّي لا خشوع فيها كلا صلاة فكأنّه قال أنهاك عنها اذا لم تصّلها علىٰ هذه الحالة هكذا قرّره بعض المحقّقين أقول ما ذكره حقّ ولكن المثال الّذي مثل به ليس في موضعه والأحسن أن يقال لا تصّل بغير الطّهور أو لاتصّل في المكان المغصُوب و ذلک لأنّ الصّلاة بغير خشُوع مأمورة بها لا منّهية عنها بخلاف الصّلاة بغير طهورٍ فإفهم ولكنّ المناقشة في المثال ليست من دأب المحصّلين والحاصل أنّ الوجد فيها إظهار أنّ مَوتهم لا علىٰ حال الثّبات على الإسلام موتٌ لا خير فـيه و هـو كـذلك لأنّـه ليس بـموت السّعُداء.

■



اَمْ كُنْتُمْ شُهَدٰاءَ اِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ اِذْ قٰالَ لِبَنِيهِ مٰا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قٰالُوا نَعْبُدُ اِلٰهَكَ وَاِلٰهَ اٰبٰـآئِكَ اِبْرٰاهِيمَ وَ اِسْمٰاعِيلَ وَ اِسْحٰاقَ اِلٰهاً وٰاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ اُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهٰا مٰا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مٰا كَسَبْتُمْ وَلاٰ تُسْأَلُونَ عَمّٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ وَقٰالُوا كُونُوا هُوداً اَوْ نَصٰارىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ اِبْرٰاهِيمَ حَنِيفاً وَ مٰا كٰانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾

◁ اللّغة

اَمْ: هي منقطعة و الهمزة فيها للإنكار.

شُهَدٰاءَ: جمع شهيد بمعنىٰ الحاضر.

حَضَرَ: الحضُور خلاف الغَيبة.

حَنِيفاً: الحَنف هو ميل عن الضّلال الىٰ الإستقامة والحَنيف المائل الىٰ ذلك و تَحّنف فلان أي تَحّري طريق الإستقامة.

◁ الإعراب

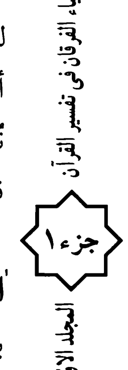
اَمْ كُنْتُمْ هي المنقطعة أي بل كنتُم **شُهَدٰاءَ** علىٰ جهة التّوبيخ **يَعْقُوبَ الْمَوْتُ** الجمهور علىٰ نصب يعقوب ورفع المَوت وقُرئ بالعكس والمعنيان متقاربان و اذ الثّانية بدل من الأوّل والعامل في الأولىٰ شهداء وكذا في الثّانية **مٰا تَعْبُدُونَ**،**ما** إستفهام في موضع نَصب والعامل فيه تعبدون و ما هنا بمعنىٰ مَن، و لهذا جاء في الجواب إلٰهك و يجوز أن تكون ما علىٰ بابها و يكون ذلك إمتحاناً لهم من يعقوب **مِنْ بَعْدِي** أي من بعد مَوتي فَحُذف المضاف إلٰهاً واحداً حال موطئة كقولك رأيتُ زيداً رجلاً صالحاً و إسماعيل يجمع علىٰ

سماعلة و اسماعيل **تِلْكَ اُمَّةٌ** الإسم منها، تي، و هي من الأسماء الإشارة للمؤنث و اليّاء في جملة الإسم و قال الكوفيون التّاء وحدها الإسم و الياء زائدة و حذفت اليّاء مَع اللاّم بعدها **قَدْ خَلَتْ** صفة لأمّة **لَهٰا مٰا كَسَبَتْ** في موضع الصّفة أيضاً ويجوز أن يكون حالاً من الضّمير في خَلَت، و يجور أن يكون مستأنفاً **وَلاٰ تُسْأَلُونَ** مُستأنف لا غير **حَنِيفاً** حال من إبراهيم و قيل هو منصوب بإضمار راعني.

◁ التّفسير

اَمْ كُنْتُمْ شُهَدٰاءَ اِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ قالوا الخطاب لليهُود والنّصارىٰ الّذين ينسبُون الىٰ إبراهيم ما لم يؤص به بنيه وأنّهم علىٰ اليّهودية والنّصرانية فَرَد اللّه عليهم قولهم وكَذبَهّم علىٰ جهة التّوبيخ، أشهَدتكم يعقوب وعلمتم بما أوصىٰ فَتّدَعُون عن علمٍ أي لم تشهدوا بل أنتم تفترُون وأم بمعنىٰ بَل، أي بل أَشهِد أسلافكم يعقوبَ و قوله: **اِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ** أي فقد مات الموت و أسبابه **اِذْ قٰالَ لِبَنِيهِ مٰا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي** وعَبّر عن المعبود، بما و لم يقل، مَن، لأنّه أراد أن يختبرهم و لو قال، مَن، لكان مقصوده أن ينتظر مَن لهم الإهتداء منهم و أنّما أراد تجربتهم فقال، ما و قيل أنّ، ما، هنا بمعنىٰ، مَن، أي من تعبدون من بعدي أي بَعد مَوتي، و حكي أن يعقوب حين خيّر كما تُخيّر الأنبياء إختار المَوت و قال أمهلوني حتّىٰ أوصي بَنّي وأهلي فَجمعَهم و قال لهم هذا فإهتدوا و**قٰالُوا نَعْبُدُ اِلٰهَكَ**.

فأروه بقوتهم علىٰ الّدين و معرفتهم باللّه تعالىٰ: **قٰالُوا نَعْبُدُ اِلٰهَكَ وَاِلٰهَ اٰبٰاءِكَ اِبْرٰاهِيمَ وَ اِسْمٰاعِيلَ وَ اِسْحٰاقَ اِلٰهاً وٰاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** بَدأ بذكر الجّد أوّلاً ثمّ إسماعيل العَّم ثانياً ثمّ إسحاق و قلنا أنّ إسماعيل كان أكبر من إسحاق و هو عمّ يعقوب وجَعَله أباً له لأنّ العَرب يُسّمي العمّ أباً كما تُسّمىٰ الجدّ أباً لأنّه يجب تعظيمه كتعظيم الأب ولهذا قال النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم رُدّوا علّي



أبي يعني العبّاس عمّه، و قوله: **نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** أي مُذعنون مقرّون بالعبودّية خاضعون فتقادون مُسلمون لأمره و نَهيه قولاً و عقداً و قيل داخلون في الإسلام يدّل عليه قوله أنّ الّدين عند الإسلام **تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهٰا مٰا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مٰا كَسَبْتُمْ وَلاٰ تُسْأَلُونَ عَمّٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ** والمعنىٰ أنّ إبراهيم و أولاده قد مَضوا و ماتوا، لها، أي لتلك الأمّة ما كَسَبت من الأعمال خيراً و شّراً ولكم، يا معشر اليهود والنّصارىٰ، ماكسبتم، من الأعمال من طاعةٍ أو معصيةٍ **وَلاٰ تُسْأَلُونَ** أنتم **عَمّٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ** أي عمّا كانوا يعملون آبائكم و أسلافكم و في الآية إشعار بأن: **كُلُّ نَفْسٍ بِمٰا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ**[1] و أنّ اللّه تعالىٰ لا يُعاقب أحداً بذنب آخر لقوله تعالىٰ: **وَ لاٰ تَزِرُ وٰازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرىٰ**[2] قيل في الأية دلالة علىٰ بطلان قول المجّبرة حيث قالوا أنّ الأبناء مواخذون بذنوب الآباء و أنّ ذنوب المسلمين تُحمل علىٰ الكفّار **وَقٰالُوا كُونُوا هُوداً اَوْ نَصٰارىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ اِبْرٰاهِيمَ حَنِيفاً وَّ مٰاكٰانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** قيل أنّ الآية نزلت في عبد اللّه إبن صوريا وكعب إبن الأشرف و جماعة من اليهود والنّصارىٰ أهل نجران حيث خاصموا أهل الإسلام كلّ فِرقةٍ تزعم أنّها أحقّ بدين اللّه من غيرها فقالت اليهود نبيّنا أفضل الأنبياء و كتابنا أفضل الكُتب و قالت النّصارىٰ كذلك و قال كلّ فريقٍ منهما للمؤمنين كونوا علىٰ ديننا تهتدوا فأنزَل اللّه هذه الآية و قيل إبن صوريا قال لرسول اللّه يا محمّد ما الهُدىٰ إلاّ ما نحن عليه فإتّبعنا تهتدوا و قالت النّصارىٰ مثل ذلك فأنزَل الأية.

و عليه فالضمير في قالوا يرجع الىٰ اليهود والنّصارىٰ فقال اللّه تعالىٰ في جوابهم، قل يا محمد بل ملّة إبراهيم حَنيفاً، أي قل لهم بل نَتّبع دين إبراهيم أو إتّبعوا دين إبراهيم حَنيفاً، أي مُستقيماً و قيل مائلاً والمقصود دين الإسلام وفي الحنيفة أقوال.

١- المدثر= ٣٨ ٢- الانعام = ١٦٤

أحدها: أنّها حجّ البيت.

ثانيها: إتّباع الحقّ.

ثالثها: إتّباع إبراهيم فيما أتىٰ به من الشّريعة الّتي صار بها إماماً لِلنّاس بعده من الحجّ و الختان و غير ذلك من شرايع الإسلام.

رابعها: أنّها الإخلاص لِلّٰه وحده وما كان من المشركين، يعني إبراهيم مـا كان من المشركين نفى اللّه تعالىٰ الشّرك عن ملّته وأثبته في اليهود والنّصارىٰ حيث قالوا عُزير ابن اللّه والمَسيح ابن اللّه، و قوله: **قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرٰاهِيمَ** حجّةٌ علىٰ وجوب إتّباعها لسلامتها عن التّناقض و وجوده في اليّهودية و النّصرانية فلذلك صارت ملّة إبراهيم أحرىٰ بالإتّباع من غيرها قالوا و من التّناقض في اليّهودية منعهم من جواز النّسخ مع وجوده في التّوراة و إمتّناعهم من العَمل بما تقّدمت به البشارة في التّوراة من متابعة النّبي الأُمّي مع إظهارهم التّمسك بها و إمتناعهم من الإذعان لما دَلَّت عليه المعجزات من نبّوةِ عيسىٰ و محمّد مع إقرارهم بنّبوة عيسىٰ لدلالة المعجزات عليها الىٰ غير ذلك ومن التّناقض في قول النّصارىٰ قولهم الأب والإبن وروح القُدس إلٰهٌ واحدٌ مع زعـمهم أنّ الأب ليس هو الإبن وأنّ الأب إلٰه والإبن إلٰهٌ وروح القُدس إلٰهٌ الىٰ غير ذلك من الأمور ويحتمل أن يكون المراد أنّ إبراهيم عليه السلام كان مُقّراً مُعترفاً بالتّوحيد و أمّا اليهود والنّصارىٰ فليسوا كذلك لأنّ النّصارىٰ يقولون بالتّثليث واليهود بالتّشبيه فَثبت أنّهم ليسوا علىٰ دين إبراهيم واقعاً وأنّ مـحمّداً صلى الله عليه وآله وسلم لمّـا دعـا الىٰ التّوحيد فهو أحَقّ بإبراهيم منهم فقولهم لرسول اللّه أو المؤمنين كُونوا هُوداً أو نصارىٰ تهتدوا و لا موقع له لأنّ الملاك فيها ليس ما ذكروه بزعمهم الفاسد و هو واضح.

■

قُولُوٓا اٰمَنّا بِاللّٰهِ وَمٰآ اُنْزِلَ اِلَيْنا وَ مٰآ اُنْزِلَ اِلىٰٓ اِبْراهيمَ وَ اِسْمٰاعيلَ وَ اِسْحٰاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْاَسْباطِ وَمٰآ اُوتِىَ مُوسىٰ وَ عيسىٰ وَ مٰآ اُوتِىَ النَّبِيّوُنَ مِنْ رَّبِّهِمْ لاٰ نُفَرِّقُ بَيْنَ اَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَاِنْ اٰمَنُوا بِمِثْلِ مٰآ اٰمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَّ اِنْ تَوَلَّوْا فَاِنَّمٰا هُمْ في شِقٰاقٍ فَسَيَكْفيكَهُمُ اللّٰهُ وَهُوَ السَّميعُ الْعَليمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ اللّٰهِ وَمَنْ اَحْسَنُ مِنَ اللّٰهِ صِبْغَةً وَّنَحْنُ لَهُ عٰابِدُونَ ﴿١٣٨﴾

◁ اللّغة

وَ الْاَسْبٰاطِ:أصل السّبط إنبساط في سهولةٍ ويعبّر به عن الجود والسّبط ولَد الوَلد كأنّه إمتداد الفروع.

تَوَلَّوْا: أي أعرضوا.

شِقٰاقٍ: الشّقاق المخالفة و كونك في شقٍ غير شقٍ صاحبك أو من شَقّ العصا بينك و بينه.

صِبْغَةَ اللّٰهِ: قيل الصِّبغة دين اللّه و فطرته التّي فَطر النّاس عليها و قيل ما أوجَده اللّه في النّاس من العقل المميّز.

◁ الاعراب

مِنْ رَّبِّهِمْ الضّمير يعود الىٰ النّبيين خاصّة فعلىٰ هذا يتّعلق مِن بأُوتي الثّانية بَيْنَ اَحَدٍ، أحَد هنا هو المستحمل في النّفي لأنّ بين لا تضاف إلاّ الىٰ جمع أو الىٰ واحدٍ معطوف عليه و قيل بمعنىٰ فريق بِمِثْلِ مٰآ اٰمَنْتُمْ بِهِ الباء زائدة ومثل صفة لمصدرٍ محذوف وتقديره إيماناً مثل إيمانكم و الضّمير يرجع الىٰ اللّه و

القرأن و محمّد و ما، مصّدرية و قيل مثل زائدة و با، بمعنىٰ الّذي **صِبْغَةَ اللّٰهِ** نصب بفعل محذوف أي إتّبعوا دين اللّه و قيل هو إغراء أي عليكم دين اللّه و قيل هو بَدلٌ من ملّة إبراهيم **مَنْ اَحْسَنُ** مبتدأ و خبر **مِنَ اللّٰهِ** في موضع نصب وصبغةً منصوب علىٰ التّمييز.

◁ التّفسير

قُولُوٓا اٰمَنّٰا بِاللّٰهِ وَمٰآ اُنْزِلَ اِلَيْنٰا الآية الخطاب للمسلمين و قيل للنّبي والمؤمنين وكيف كان فاللّه تعالىٰ أمَرهُم بإظهار ما تَدِّينوا به من الشّرع فبدأ بالإيمان لأنّه أوّل الواجبات و لأنّه الأصل في جميع الشّرائع والنّبوات فقال لهم، قولوا أيّها المسلمُون آمنّا باللّه بتوحيده وتنّزهه عمّا لا يليق بجنابه **وَمٰآ اُنْزِلَ اِلَيْنٰا** أي آمنّا بما أُنزل الينا من اللّه تعالىٰ بواسطة الرّسول أيضاً **وَمٰآ اُنْزِلَ اِلَيْنٰا وَ مٰآ اُنْزِلَ اِلىٰٓ اِبْرٰاهِيمَ وَ اِسْمٰاعِيلَ وَ اِسْحٰاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْاَسْبٰاطِ** الىٰ قوله **مِنْ رَبِّهِمْ** أي نُؤمن بما أُنزل اليهم جميعاً و ذلك لأنّ الإيمان باللّه و رسوله لا يكمل إلاّ بالإيمان بجميع الأنبياء قبله من آدم الىٰ خاتم الأنبياء فَمن أنكروا واحداً منهم كَمن أنكَر الجميع قال اللّه تعالىٰ: **وَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمٰآ أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَ مٰآ أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَ بِالْاٰخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ** [1] و قوله تعالىٰ: **وَ الْاَسْبٰاطِ** إشارة الىٰ أولاد الأنبياء أي نُؤمن بما أُنزل اليهم أيضاً و ذلك لأنّ الأسباط و أن لم يكونوا بأنبياء و لكن بعضهم كان منهم وتوضيح ذلك إجمالاً هو أنّ **الأسباط** جمع **سبط** مثل حمل و أحمال و الأسباط في بني يعقوب كالقبائل في ولد إسماعيل وهم أثني عشر سبطاً من أثني عشر ولداً ليعقوب و أنّما سُمّي هؤلاء بالقبائل ليفصل بين ولُد إسماعيل و ولُد إسحاق و مع ذلك فقد بعث منهم عدّة رُسل كيوسف و داود و سليمان و موسىٰ و عيسىٰ فقوله تعالى: **وَ الْاَسْبٰاطِ** أي نؤمن بما أُنزل اليهم معناه ما أُنزل علىٰ

١- البقرة= ٤

الأسباط الّذين بُعثوا كما ذكرناه ومحصّل الكلام في الآية إشعارٌ بأنّ الإيمان لا يكمل إلاّ بالإيمان بجميع الأنبياء وما أُنزل اليهم من الكتب السّماوية وتخصّيص موسىٰ وعيسىٰ بالذّكر مع دخولهما في الأسباط إعتناء بشأنهما وأنّهما من المرسلين بل و من أُولي العَزم منهم و قيل في وجه التّخصيص أنّ اليهود و النّصارىٰ كانوا يحتجون بهما فَكفرت اليهود بعيسىٰ ونبّينا وكفرت النّصارىٰ بسليمان و نبّينا محمّد ﷺ و الىٰ ما ذكرناه من لزوم الإيمان بالجميع قال اللّه تعالىٰ: **لاٰ نُفَرِّقُ بَيْنَ اَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** فأنّ الفَرق بينهم بالإيمان ببعضٍ والكُفر ببعضٍ أخر كفرٌ وإلحادٌ و خروجٌ عن الإسلام و الإيمان و معنىٰ الايمان بهم الإعتقاد بأنّهم جميعاً أنبياء و بُعثوا في زمانهم لإرشاد الخلق و هدايتهم الىٰ الخير و السّعادة وكلّ ما جاءوا به من عند اللّه حقّ و أمّا جواز العَمَل بأديانهم و شرائعهم في كلّ عصرٍ و زمانٍ فلا فأنّ عيسىٰ نسخ بشريعته دين اليهود و محمّد ﷺ نسخ بشريعته دين النّصارىٰ و غيره لأنّ نبّينا خاتم الأنبياء و دينه و هو الإسلام أخر الأديان لقوله تعالىٰ: **وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ اَلْإِسْلاٰمِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَ هُوَ فِى اَلْاٰخِرَةِ مِنَ اَلْخاٰسِرِينَ**[1] هذا هو الإعتقاد الصّحيح في الإسلام و لاجل ذلك قال تعالىٰ: **فَاِنْ اٰمَنُوا بِمِثْلِ مٰاۤ اٰمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا** أي فأن آمن اليهود والنّصارىٰ و غيرهم كائناً من كان بمثل ما آمنتم به بأن آمنوا بالله و برسوله وجميع الأنبياء فقد إهتَدوا كما إهتَديتم **وَّ اِنْ تَوَلَّوْا** أي أعَرضوا عن الإيمان كذلك **فَاِنَّمٰا هُمْ فِي شِقٰاقٍ** و خلاف اذ فارقوا الحقّ وتمّسكوا بالباطل فصاروا مخالفين لِلّه تعالىٰ **فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللّٰهُ** وعَد اللّه رسوله بالنّصرة وكفاية أعداءه و من أصَدَق من اللّه قيلاً وقد قال اللّه تعالىٰ: **هُوَ اَلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدٰى وَ دِينِ اَلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى اَلدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ اَلْمُشْرِكُونَ**[2] **وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** أي أنّه تعالىٰ يَسمع ما يقولون ويَعلم ما يُبطنُون و لا يخفىٰ عليه شيءٌ لا في الأرض و لا في السّماء.

١- آل عمران = ٨٥   ٢- التوبة= ٣٣

قوله تعالىٰ: **صِبْغَةَ اللّٰهِ وَمَنْ اَحْسَنُ مِنَ اللّٰهِ صِبْغَةً وَّنَحْنُ لَهُ عٰابِدُونَ**
قيل أنّ النّصارىٰ كانوا اذا ولُد لهم مولود غمَّسُوه في ماءٍ طَهُور يجعلون ذلك تَطهيراً له و يُسمّونه العمّودية فقيل صبغة اللّه أي تطهير اللّه لا تطهيركم بتلك الصِّبغة و هو قول الضّراء و قال قتادة اليهود تصبغ أبناءها يهوداً والنّصارىٰ تصبغ أبناءها نصارىٰ فهذا غير المعنىٰ الأوّل وأنّما معناه أنّهم يُلقّون أولادهم اليّهودية والنّصرانية فيصبغونهم بذلك لما يشربون قلوبهم منه، فيل صبغة اللّه التّي أمَر بها ورَضيها يعني الشّريعة لا صبغتكم، و قال الجبائي سُمّي الدّين صَبغة لأنّه هيئة تظهر بالمشاهدة من أثَر الطّهارة والصّلاة و غير ذلك من الأثار الجمّيلة التّي هي كالصِّبغة قال الشّاعر:

فـي صِـبغة اللّـه كـان اذ نَسىٰ العَـهد وخلّىٰ الصّواب اذ عَزَما

والصِّبغ في الأصل ما يلّون به الثّياب فأن قلنا صَبغة اللّه بَدل من قوله ملّة إبراهيم كما ذهب اليه الأخفش فالمعنىٰ قل يامحمّد بل ملّة إبراهيم حَنيفاً هي صِبغة اللّه لا ما تَدّعُونه من غسل التَّعميد و أن قلنا نصب علىٰ الإغراء تقديره إتَّبعوا صِبغة اللّه وألزموا صِبغة اللّه أي دين اللّه كما ذهب اليه ابن عبّاس ويَظهر من بعض رواياتنا أنّها الإسلام و هو قريب ممّا قاله ابن عبّاس و قيل هي شريعة اللّه التّي هي الختان و هو التّطهير قاله الفرّاء و قيل فطرة اللّه التّي فَطر النّاس عليها و قيل العقل المُميّز وكيف كان فالمعنىٰ والمقصود أنّ اللّه تـعالىٰ أمَـر المسلمين بأن يقولوا آمنّا وصَبغنا اللّه بالإيمان صبغةً لا مثل صبغتكم و طَهّرنا به تطهيراً لا مثل تطهيركم بل صبغةً و تطهيراً بالإيمان والدّين الخالص و من أحَسن من اللّه صِبغةً و أنّما سُمّيت المِلّة الصِّبغة لأنّ النّصارىٰ إستعاذوا في ختان أولادهم بماء أصفر يصبغ أولادهم فرّد اللّه سبحانه عليهم قاله بـعض علماء اللّغة، و نحن له عابدون، أي مُطيعون مُنقادون في إتّباعنا ملّة إبراهيم صِبغة اللّه، قال بعض أهل التّحقيق أنّ صبغة اللّه فطرته و هو كقوله فطرة اللّه التّي فَطَر النّاس عليها لا تَبديل لِخَلق اللّه، وقَرَّر هذا الوجه بأنّ الإنسان موسومٌ

في تركيبه و بُنيته بالعجز والفاقة والأثار الشّاهدة عليه بالحدوث والإفتقار الىٰ الخالق فهذه الأثار كالصِّبغة له وكالسّمة اللاّزمة انتهىٰ.

أقول أحَسن الأقوال في معنىٰ الصِّبغة الدّين و هو الإسلام و هو الّذي عَبَّر اللّه تعالىٰ عنه بألفاظٍ مختلفة كلّها يرجع اليه كما عَبَّر عنه بالكلمة:

في قوله: **وَ كَلِمَةُ اَللّٰهِ هِىَ اَلْعُلْيا**(1)

و بالدّين في قوله: **يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اَللّٰهِ أَفْواٰجًا**(2)

و بالصّراط المستقيم في قوله: **اِهدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيم.**

و بالهُدىٰ في قوله: **ذٰلِكَ هُدىٰ اللّٰه.**

و بالنّور في قوله: **يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُا نُورَ اَللّٰهِ**(3)

و بالحَبل في قوله: **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّٰه وَ لاٰ تَفَرَّقُوا.**

والسّبيل في قوله: **اُدْعُ إِلٰى سَبِيلِ رَبِّكَ** و غير ذلك من التّعابير.

عـباراتـنا شتّىٰ وحُسنك واحدُ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ وكـــلٌّ الىٰ ذلك الجـمال يُشـير

نُقل عن ابن عبّاس أنّ بني إسرائيل سَألوا موسىٰ و قالوا له أيَصبغ ربّك فقال موسىٰ في الجواب اللّه اللّه أن كنتم مؤمنين فأوحىٰ الّه تعالىٰ اليه و من أحَسَن من اللّه صِبغةً.

عن الكافي بأسناده عن أبي عبد اللّه عليه السلام**: في قوله تعالىٰ: صِـبْغَةَ اللّٰهِ قال** عليه السلام**: صبغ المؤمنين بالولاية في الميثاق عنه.**

و عن علّي ابن إبراهيم بأسناده عنه عليه السلام **قال: صِبْغَةَ اللّٰهِ الإسلام.**

و في حديث أخر قال عليه السلام**: الصّبغة أمـير المـؤمنين بـالولاية فـي الميثاق.**

■

١- التوبة= ۴٠ ‏ ‏ ‏ ٢- النصر= ٢

٣- الصف = ٨

قُلْ اَتُحٰاجُّونَنٰا فِي اللّٰهِ وَ هُوَ رَبُّنٰا وَ رَبُّكُمْ وَلَنٰآ اَعْمٰالُنٰا وَ لَكُمْ اَعْمٰالُكُمْ وَ نَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿۱۳۹﴾ اَمْ تَقُولُونَ اِنَّ اِبْرٰاهِيمَ وَ اِسْمٰاعِيلَ وَ اِسْحٰاقَ وَ يَعْقُوبَ وَالْاَسْبٰاطَ كٰانُوا هُوداً اَوْ نَصٰارىٰ قُلْ ءَاَنْتُمْ اعْلَمُ اَمِ اللّٰهُ وَمَنْ اَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهٰادَةً عِنْدَه مِنَ اللّٰهِ وَمَا اللّٰهُ بِغٰافِلٍ عَمّٰا تَعْمَلُونَ ﴿۱۴۰﴾ تِلْكَ اُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهٰا مٰا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مٰا كَسَبْتُمْ وَلاٰ تُسْئَلُونَ عَمّٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ ﴿۱۴۱﴾

◁ اللّغة

اَتُحٰاجُّونَنٰا: الحُجّة الدّلالة المُبّينة للمحجّة أي المقصد المستقيم والّذي يقتضي صحّة اخد النّقيضين والمُحاجّة أن يطلب كلّ واحدٍ أنّ يَرّد الأخر عن حُجّته ومَحَجّته.

وَالْاَسْبٰاطَ: جمع السّبط و هو ولَد لولَد وقد مرّ شرحه.

◁ الإعراب

اَمِ اللّٰهُ مبتدأ والخبر محذوف و تقديره، أَم اللّه أعَلم و أم هاهنا متّصلة أي أيّكم أعَلم و هو إستفهام بمعنىٰ الإنكار كَتَمَ شَهٰادَةً، كتَم يتّعدىٰ الىٰ مفعولين وقد حُذف الأوّل منهما تقديره كتم النّاس شهادةً عِنْدَه صفة لشهادة وكذلك مِنَ اللّٰهِ والباقي واضح.

◁ التّفسير

قوله تعالىٰ: اَتُحٰاجُّونَنٰا فِي اللّٰهِ وَ هُوَ رَبُّنٰا وَ رَبُّكُمْ الآية لا شكّ أنّ **الهمزة** للإستفهام الإنكاري أي لِمَ تُحاجّونا وفي المخاطب وجوه:

أحدها: أنّه خطاب لليهود والنّصارىٰ.

ثانيها: أنّه خطاب مع مشركي العَرب حيث قالوا لو لا أُنزل هذا القرأن علىٰ رجلٍ القَريتين عظيم والعَرب كانوا مُقّرين بالخالق.

ثالثها: أنّه خطاب مع الكلّ والقول الأوّل ألَيق وأنَسب بنظم الآية و سياق الكلام.

و أمّا معنىٰ المحاجّة والمراد بها فقيل أنّ ذلك كان قولهم أنّهم أولىٰ بالحقّ والنّبوة لتّقدمها فيهم و عليه فالمعنىٰ **اَتُحَاجُّونَنَا فِي اللّٰهِ** إصطفىٰ رسوله من العَرب لا منكم و تقولون لو أنزل اللّه علىٰ أحدٍ لأنزل عليكم و ترونكم أحقّ بالنّبوة منّا و قيل أنّها عبارة عن قولهم نحن أحقّ بالإيمان من العَرب الّذين عبدوا الأوثان، و قيل أنّها قولهم نحن أبناء اللّه و أحباؤه و قولهم لن يدخل الجنّة إلاّ من كان هُوداً أو نصارىٰ و قولهم كونوا هُوداً أو نصارىٰ تهتدوا و يحتمل أن يكون معناها أتُحاجّوننا في دين اللّه و هو ربّنا وربّكم، ففيه وجهان:

أحدهما: أنّ اللّه تعالىٰ أعَلم بتدبير خلقه و بمن يصلح للرّسالة وبمن لا يصلح لها فلا تعترضوا علىٰ ربّكم فأنّ العبد ليس له أن يَعترض علىٰ ربّه بل يجب عليه تفويض الأمر بالكلّية اليه.

ثانيها: أنّه لا نسبة لكم الىٰ اللّه إلاّ بالعُبَودية و هذه النّسبة موجودة فينا أيضاً و لمّا كانت النّسبة مشتركة بيننا وبينكم فلِمَ تُرَجحون أنفسكم علينا بل التّرجيح لنا لإنّا مخلصون له في العُبَودية و لستم كذلك و هو المراد بقوله ونحن له مخلصُون وأمّا قوله تعالىٰ **وَلَنَآ اَعْمَالُنَا وَ لَكُمْ اَعْمَالُكُمْ** فقيل المراد منه النّصيحة في الدّين كأنّه تعالىٰ قال لنَبّيه قل لهم هذا القول علىٰ وجه الشّفقة والنّصيحة أي لا يَرجع الّي من أفعالكم القبيحة ضَرر حتّىٰ يكون المقصود من هذا القول دَفعه و أنّما المراد نُصحكم و إرشادكم الىٰ الأصلح وبالجملة فالإنسان أنّما يكون مَقبُول القول اذا كان خالياً عن الأغراض الدُّنيوية و أمّا اذا كان لشئٍ من الأغراض لم ينجع قوله في القلب البتة.

و أمّا قوله تعالىٰ: **اَمْ تَقُولُونَ اِنَّ اِبْراهِيمَ وَ اِسْماعِيلَ وَ اِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ وَالْاَسْباطَ كانُوا هُوداً اَوْ نَصارىٰ** الآية قرأ ابن عامر و حمزة و الكسائي و حفص عن عاصم أمَ تقولون بالتّاء علىٰ الخطاب كأنّه قال أتُحاجّوننا أَم تقولون، الآية بالياء علىٰ أنّه اخبار عن اليهود والنّصارىٰ فعلىٰ الأوّل تكون أم متّصلة و تقديره بأي الحُجّتَين تتّعلقون في أمرنا بالتّوحيد فنحن مُوحدّون أَم باتّباع دين الأنبياء فنحن مُتّبعون، و يحتمل أن تكون منقطعة بمعنىٰ بل أَتقولون و الهمزة للإنكار أيضاً و أمّا علىٰ القراءة الثّانية فهي منقطعة لا غير و ذلك لإنقطاع معناه بمعنىٰ الإنقطاع الىٰ حجاج آخر غير الأوّل كأنّه قيل أَتَقولون أنّ الأنبياء كانوا قبل نزول التّوراة والإنجيل هوداً أو نصارىٰ و ليس كذلك لأنّ الأنبياء كانوا علىٰ التوحيد والحيّفية بشهادة التّوراة و الإنجيل و لمّا كان هذا القول باطلاً منهم بهذه الوجوه لا جرم أورَد اللّه هذا الكلام في معرض الإستفهام علىٰ سبيل الإنكار والغرض منه الزّجر و التّوبيخ و أن يقرّر اللّه في نفوسهم أنّهم يعلمون كذبهم فيما يقولون و أمّا قوله **قُلْ ءَاَنْتُمْ اَعْلَمُ اَمِ اللّهُ** فمعناه أنّ اللّه أعلم و أصدق و قد أخبَر في التّوراة والإنجيل والقرآن علىٰ لسان رسوله أنّهم كانوا مسلمين مُبرّئين عن اليهودية و النّصرانية و قوله: **وَمَنْ اَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهادَةً عِنْدَه مِنَ اللّهِ وَمَا اللّهُ بِغافِلٍ عَمّا تَعْمَلُونَ** أي و من أظلَم منكم معاشر اليهود والنّصارىٰ إن كَتمتم هذه الشّهادة من اللّه والحال أنّه تعالىٰ ليس بغافلٍ عن أعمالكم السّيئة التّي منها كتمان الشّهادة فهو الكلام الجامع لكلّ وعيد فأنّ من علم أنّه تعالىٰ علم بسّره و علانيته و لا يخفىٰ عليه خافية و أنّه من وراء مجازاته إن خيراً فخيراً و إن شرّاً فَشرّاً لا تمضي عليه طرفة عين إلاّ و هو حذرٌ خائف و قوله: **تِلْكَ اُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَها ما كَسَبَتْ وَلَكُمْ ما كَسَبْتُمْ وَلا تُسْئَلُونَ عَمّا كانُوا يَعْمَلُونَ** ففيه إشارة الىٰ **كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ رَهينَةٌ**[1] و ذلك لأنّ قوله تعالىٰ: **تِلْكَ اُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَها ما كَسَبَتْ** معناه أنّهم

۱- المدثر = ۳۸

مَضوا علىٰ ما كانوا عليه فأن أحَسَنوا فاللّه يُحبّ المُحسنين و يُجزيهم بأحَسن ما كانوا يَعملون و أن أساؤوا فهو تعالىٰ أعَلم بحالهم أن شاء عذّبهم و إن شاء غَفر لهم وكيف كان ما مضىٰ مضىٰ **وَلَكُمْ مَّا كَسَبْتُمْ** أي أنتم لا تُؤخذون بأعمالهم بل تُؤخذون بأعمالكم فأعمال السَّلَف لاتنفعكم فلا تَتّكلُوا علىٰ فَضل الأباء والأسلاف اذ كلّ واحدٍ يُؤخذ بعَمَله فأنتم لا تُسألون، غداً يوم القيامة عمّا كانوا يعملون أي عن أعمال الأسلاف والأباء و قال بعض المفسّرين يعني تعالىٰ ذكره بقوله: **قُلْ اَتُحَاجُّونَنَا فِي اللّٰهِ** قل يا محمّد ﷺ لمعاشر اليهود والنّصارىٰ الّذين قالوا لك و لاصحابك كونوا هوداً أو نصارىٰ تهتدوا و زعموا أنّ دينهم خير من دينكم و كتابهم خير من كتابكم لأنّه كان قبل كتابكم و زَعموا أنّهم من أجل ذلك أولىٰ باللّه منكم، أتُحاجّوننا في اللّه و هو ربّنا وربّكم، بيده الخيرات واللّه التّواب والعقاب و الجزاء علىٰ الاعمال الحَسنات منها والسّيئات فَتزعمون أنّكم أولىٰ باللّه منّا من أجل أنّ نبّينا بعد نبّيكم و كتابنا بعد كتابكم و ربّكم و ربّنا واحد وأنّ لكلّ فريقٍ منّا ما عَمل و إكتَسب من صالح الأعمال و سَيّئها و يجازي فَيُثاب أو يُعاقب لا علىٰ الأنساب وقِدَم الدّين والكتاب.

رَوىٰ الطّبري بأسناده عن ابن عبّاس أنّه قال: **اَتُحَاجُّونَنَا** أي أتُجادلوننا فأمّا قوله: **وَ نَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ** فأنّه يعني ونحن لِلّه مُخلصوا العبادة والطّاعة لا نُشرك به شيئاً و لا نعبد غيره أحَداً كما عَبد أهل الأوثان مَعه الاوثان وأهل العجل معه العجل و هذا من اللّه تعالىٰ توبيخ لليهود وإحتجاج لأهل الإيمان يقول اللّه تعالىٰ للمؤمنين من أصحاب محمّد ﷺ قولوا أيّها المؤمنون لليهود والنّصارىٰ الّذين قالوا لكم كونوا هُوداً أو نصارىٰ تَهتدوا أتُحاجّوننا في اللّه يعني بقوله في اللّه في دين اللّه الّذي أمرنا أن نُدين به وربّنا وربّكم واحدٌ عَدلٌ لا يجُور وأنّما يُجازي العباد علىٰ ما إكتَسبُوا و تَزعمُون أنّكم أولىٰ باللّه

منّا لِقِدَم دينكم وكتابكم ونبّيكم و نُحن مُخلصون له العبادة لم نُشرك به شيئاً و قد أشركتم في عبادتكم إيّاه فَعَبد بعضكم العِجل وعَبَد بعضكم المسيح فأنّىٰ تكونوا خيراً منّا و قال في قوله تعالىٰ: **اَمْ تَقُولُونَ اِنَّ اِبْرٰاهِيمَ وَ اِسْمٰاعِيلَ وَ اِسْحٰاق** الىٰ قوله: **ءَاَنْتُمْ اَعْلَمُ اَمِ اللّٰهُ** أي أمَ تَزعمون أنّ إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هُوداً أو نصارىٰ علىٰ ملّتكم والحال أنّ اليّهودية والنّصرانية أنّما حَدثت بعد هؤلاء الّذين سمّاهم اللّه من أنبياءه و هذه الأية أيضاً إحتجاج من اللّه تعالىٰ لنّبيه علىٰ اليهود والنّصارىٰ الّذين ذكر اللّه قِصصهم يقول اللّه لِنَبّيه أتُحاجّوننا في اللّه فهاتوا برهانكم علىٰ ذلك فنتّبعكم عليه أمَ تقولون أنّ إبراهيم وإسماعيل وإسحاق و يعقوب و الأسباط كانوا هُوداً أو نصارىٰ ءَأنتم أعلم بهم و بما كانوا عليه من الأديان أم اللّه و قوله تعالىٰ: **وَمَنْ اَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهٰادَةً عِنْدَه مِنَ اللّٰهِ** أي أيّ إمرؤٍ أظلَم منهم وقد كَتمُوا شهادة عندهم من اللّه بأنّ إبراهيم وإسماعيل و إسحاق و يعقوب والأسباط كانوا مسلمين فَكَتمُوا ذلك ونَحلُوهم اليّهودية والنّصرانية.

و قال بعض المفسّرين و من أظلَم ممّن كَتَم شهادة عند اللّه، أي كَتم شهادة عنده من اللّه أهل الكتاب كَتموا الإسلام وهم يعلمون أنّه دين اللّه وهم يجدونه مكتوباً عندهم في التّوراة والإنجيل أنّهم لم يكونوا يهود و لا نصارىٰ وكانت اليّهودية والنّصرانية بعد ذلك بزمانٍ.

و قيل المراد بكتمانهم الشّهادة كتمانهم أمر محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم ونبّوته و هو كان موجوداً في التّوراة والإنجيل وهم كانوا يعلمون ذلك و قوله: **وَمَا اللّٰهُ بِغٰافِلٍ عَمّٰا تَعْمَلُونَ** أي ليس اللّه بغافلٍ من كتمانكم الحقّ فيما ألزَمَكم في كتابه بيانه لِلنّاس من أمر إبراهيم و إسماعيل و إسحاق و يعقوب و الأسباط في أمر الإسلام و أنّهم كانوا مسلمين و أنّ الحنّيفية المُسلمة دين اللّه الّذي علىٰ جميع الخلق التّدين بها دون اليّهودية والنّصرانية و غيرهما من المِلل و لا هو ساهٍ عن

عقابكم علىٰ فعلكم ذلك بل هو ثابت عليكم حتّىٰ يجازيكم به من الجزاء ما أنتم له أهل في عاجل الدّنيا وأجل الأخرة، و أمّا قـوله: **تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ** الأية فقد مضىٰ تفسيرها وأنّما أُعيدت الآية هاهنا لغرضٍ أخر و هو زجرهم عن الإشتغال بوصف ما عليه الأُمم السّالفة عن الدّين بل ينبغي لهم التّوبة الىٰ ما هم عليه الأن من الدّين والحمد لِلّٰه ربّ العالمين.

انتهىٰ الجزء الأوّل من الكتاب ويتلوه الجزء الثّاني أوّله قوله تعالىٰ: **سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ** إن شاء اللّه تعالىٰ.

■

الفهرست